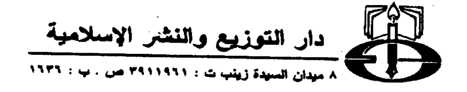
٤٥١ / -
١٥١ / -

فقـــــه
الأخـوة فى الإسـلام

الدكتور على عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً .

إلى الذين يرون التضحية بالجهد والوقت والمال أقل ما يقدمونه من أجل دينهم دين الحق خاتم الأديان وأتمها وأكملها وأرضاها لله رب العالمين .

إلى الذين يرون التضحية بالنفس في سبيل الله هي أسمى ما يقدم الإنسان إلى ربه من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا .

إلى الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وامتن عليهم بأن ألف بين قلوبهم فجعلهم بنعمته إخواناً .

إلى هؤلاء ... أقدم كتابي هذا « فقه الأخوة في الإسلام » ليكون لهم بإذن الله تذكرة وحافزاً على الالتزام بأحكام الأخوة في الإسلام وشروطها وآدابها ، إذ هي الطريق الآمنة الواضحة المعالم إلى تكوين البيت الإسلامي فالمجتمع الإسلامي فالحكومة الإسلامية .

سائلاً الله تبارك وتعالى المغفرة والتقبل فهو سبحانه الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ، ويدخل من يشاء في رحمته .

المؤلـف



بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على محمد المبعوث رحمة وهدى ونوراً للعالمين .

وبعـد :

فإن الدين الإسلامى هو آخر مناهج الله سبحانه وتعالى إلى الناس ، وأتم تلك المناهج وأكملها وأرضاها له سبحانه وتعالى .

وإن اتباع هذا المنهج والأخذ بكل ما جاء به من قول وعمل وفقه أحكامه وآدابه فيه صلاح الدين والدنيا معاً .

* وإن صبغ المجتمع بصبغة هذا المنهج – وهى صبغة الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ – تعد واجباً على كل مسلم ومسلمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وهو واجب مستمر لا ينفك عنا ولا ننفك عنه حتى نلقى الله سبحانه وتعالى أو نفقد القدرة على آدائه .

* وإن تربية النفس على الأخذ بما جاء فى هذا المنهج والالتزام به فى كل حين وفى كل موقف ، وتربية الأبناء وسائر المكفولين على هذا المنهج بل تربية المجتمع كله فى مختلف مؤسساته وقطاعاته ، إن هذه التربية كلها واجب إسلامى أكيد .

* وإن دعوة الناس وتبليغهم بهذا المنهج ومطالبتهم بالأخذ به فى كل شئون حياتهم ، وبذل الجهد والوقت والمال فى سبيل الدعوة والتبليغ بهذا المنهج فرض فرضه الله على كل مسلم ومسلمة ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1] .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

* وإن الحركة بهذا المنهج فى كل مجال إنسانى ، واحتمال متاعب هذه الحركة فى إصلاح الناس واجب نبه إليه النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم **وحبب فيه وشجع عليه فى تفضيله من خالط الناس وصبر على أذاهم على من لم يخالطهم ويصبر على أذاهم .**

* وإن تنظيم أتباع هذا المنهج وصبغ المجتمع بصبغته وتربية الناس عليه ودعوتهم وتبليغهم والحركة به فيهم ، إن تنظيم ذلك كله على شكل توازى هذه الأعمال ومواكبة بعضها لبعض ، أو اتباع أولويات فيها مع التخطيط والتنسيق والتوظيف لطاقات العاملين من أجل تحقيق هذه الأهداف الإنسانية النبيلة ، إن ذلك التنظيم واجب على المسلمين عموماً وعلى أصحاب القدرة منهم على وجه الخصوص أى أفراد وجماعات وحكومات .

تلك أولويات فى العمل الإسلامى لابد من مراعتها ، وهى من الوضوح بحيث لا يكاد يختلف عليها أحد من المفكرين فى الإصلاح بين المسلمين فى أى زمان أو مكان .

إن هذه أَوَّلِيَّات فى مجال الدعوة والتربية والحركة والتنظيم ، وهى فى مجموعها تمثل العناصر الأساسية لكل محاولة تجديد فى الإسلام ، أو محاولة إحياء لمنهج الإسلام فى نفوس الناس تمثل صحوة وإفاقة فى أى قطر إسلامى معاصر ، مما نشهده اليوم .

إن هذه الأعمال الأولية لا يمكن أن تتم على صورتها الجيدة الفاعلة القادرة على نقل الناس والمجتمعات المسلمة من حالة التراجع الحضارى التى تعيشها إلى المكانة اللائقة بها بوصفها الأمة الوسط الشاهدة على الناس بما تتميز به من أنها لم تَغْلُ غلوّ النصارى فى أنبيائهم ، ولم تقصر تقصير اليهود فى أنبيائهم ، وإنما تدور مع الحق حيث دار ، وبوصفها خير أمة أخرجت للناس لإيمانها وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، هذه الأعمال الأساسية لا يمكن أن تتم على وجهها إلا إذا توفرت لها عوامل النجاح وركائزه التى يرتكز عليها ومن أبرزها فى نظرنا ثلاثة :

- **المنهج الصحيح المتكامل الذى يصلح دين الإنسان ودنياه .**
- **والرجال المؤمنون بهذا المنهج الذين يفقهون كل ما فيه .**
- **والممارسة العملية لتطبيق هذا المنهج فى الحياة .**

وإذا كان الله سبحانه وتعالى – من رحمته بخلقه – قد تكفل لنا بأهم هذه الركائز

وأكثرها صعوبة أمام الإنسان وهو المنهج فمنَّ علينا به كاملاً تاماً ملائماً لتكريم الله سبحانه للإنسان بل تكفل بحفظه حتى يرث الأرض ومن عليها ، إذا كان الله سبحانه قد أكرمنا بذلك المنهج فإننا نعتبر أنفسنا بهذا المنهج قد اجتزنا فيافى شاسعة فى الحياة الإنسانية ، فيافى ضل فيها مِن قبلنا ومن بعدنا ألوف المفكرين والباحثين عن مناهج للحياة .

وبقى علينا أن نكون نحن الرجال المؤمنين بهذا المنهج الذين يفقهونه وأن نعمل على ممارسته وتطبيقه فى حياتنا على كل حال وفى كل حين ، مدركين عن وعى وتقدير شديدين لأعباء التمسك به والالتزام بما جاء فيه وهى أعباء جسام .

ولأن الأخذ بمنهج الله فى الحياة هو كمال البر ، وتمام التقوى ، كان لابد من التعاون فيما بيننا على الأخذ به ، وأجدى ما يكون التعاون بين الناس حين يكون على البر والتقوى ، البر المستوجب لرضا الناس والتقوى الجالبة لرضا الله سبحانه وتعالى – وفى هذا وذاك تمام السعادة وعموم النعمة .

وأجدى ما يكون التعاون إذا سبقته ودعمته وشدت من أزره الأخوة فى الإسلام ، تلك الأخوة التى أخبرنا الله سبحانه أنها صفة المؤمنين فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] وهى الأخوة فى الدين التى قال عنها أسلافنا من العلماء : إنها أثبت من أخوة النسب ، لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب .

الأخوة فى الدين هى التى يطالبنا بها النبى ﷺ فى أكثر من حديث نبوى شريف يصرح فيه بقوله : « ... **وكونوا عباد الله إخواناً** » .

إن الأخوة فى الإسلام بين المسلمين هى أهم ما يميزهم بين الأمم ، فليس بين الناس فى الأمم الماضية أو الحاضرة – فيما قرأنا وسمعنا – من يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كما كان ذلك بين أسلافنا – رضوان الله عليهم – كما حكى عنهم ذلك القرآن الكريم فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) سورة الحجرات : ١٠

خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] ، وكما يجب أن يكون بين المسلمين فى كل زمان ومكان .

إن الأخوة فى الإسلام تقوم على حقوق وواجبات لا ينهض بها إلا القليل من المسلمين ، فى حين يجب أن ينهض بها كل المسلمين فى العالم كى تتبوأ الأمة الإسلامية مكانتها اللائقة بها وهى أكرم مكانة .

وإن الأخوة فى الإسلام هى التى تصنع من المسلمين نسيجاً واحداً متلائماً متسقاً قادراً على مواجهة متغيرات الحياة والتعامل معها أحسن ما يكون التعامل وأوفقه لتحقيق مصالح الناس فى الدين والدنيا .

ولقد أكَّدَ رسولنا ﷺ على أهمية الأخوة فى الإسلام فكان من أوائل أعماله فى المدينة المنورة بعد هجرته إليها أن آخى بين المسلمين فى الإسلام ، وكانت أخوة ما عرفت البشرية لها نظيراً فى تاريخها إذ بلغت حَدَّ التوارث بين الأخوين[2] فى الإسلام ، فضلاً عن التحاب والتعاون والتناصر والتكافل .

وكانت تلك الأخوة فى الإسلام رمزاً مبكراً فى تاريخ الأمة الإسلامية أو الدولة الإسلامية الناشئة يشير إلى أن هذا الكيان الجديد يتميز بأن أفراده إخوة فى الدين والدنيا معاً ، وأن الرابطة بينهم ليست كما هو الشأن عند معظم الناس – تبادل المصالح والمنافع ، وإنما هى الأخوة الإسلامية وما توجبه من التزامات .

والأخوة فى الإسلام واجبة بقوله ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسَّسُوا ولا تجسَّسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » وزاد الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة أيضاً قوله : « كما أمركم الله » . وهذه الأخوة كغيرها من الواجبات يوجد فى المسلمين من يقصر فيها وفى حقوقها وواجباتها وأحكامها وشروطها وآدابها ، ومن أجل ذلك وجب التذكير بهذه الحقوق والواجبات ، ووجبت

---

(١) سورة الحشر : ٩ .

(٢) ألغى هذا التوارث وبقيت سائر أحكام الأخوة وشروطها وآدابها بقوله تعالى فى سورة الأنفال فى آخر آية منها : ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم** ﴾ .

النصيحة للمسلمين على كل قادر على النصيحة ليعيشوا الأُخوَّة فى الإسلام كما يجب أن تكون ، وليتبوءوا بهذه الأخوة مكانتهم التى اختارها الله سبحانه وتعالى لهم ، من منطلق أنهم الأمة الوسط وأنهم بإيمانهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر خير أمة أخرجت للناس .

من هنا كان التفكير فى تأليف هذا الكتاب تذكيراً للمسلمين بحقوق الأخوة فى الإسلام وواجباتها ، إذ قد شَغَلَتْ الناس الشواغلُ عن هذه الأخوة فى الإسلام فضيعها بعضهم وأخل بواجباتها بعض آخر ، ومن أجل هذا وذاك ضعف المسلمون إذ لم يكونوا بالأخوة هذا الصف المتماسك المتضامن الرشيد ، فطمع فيهم أعداؤهم ، وتراجعوا حضارياً وعلى النحو الذى أوليناه عناية فى بعض ما كتبنا[1] .

إن إحياء الأخوة فى الإسلام بين المسلمين هو بداية الطريق إلى التعاون على البر والتقوى ، وخطوة فى مجال استعادة زمام الحضارة واسترجاع الوسطية التى أُهملتْ والخَيْريّة التى أُخملتْ ، بل إن هذه الأخوة هى التى تقربنا من التمكين لدين الله فى الأرض ، والمحافظة على هذا التمكين ، حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وليحق الحق ويزهق الباطل وتعيش الإنسانية كلها أمناً وطمأنينة ورخاء .

وبين يدى هذا الكتاب لابد من كلمتين : إحداهما عن أهداف هذا الكتاب ، والأخرى عن بنائه وهيلكه :

أما أهداف هذا الكتاب فيما قصدت فهى كما يلى :

١ – بيان مكان الأخوة فى الإسلام ومكانتها وتأصيل ذلك بنصوص من الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

٢ – وتوضيح حقوق المسلم على أخيه المسلم وواجباته نحوه .

٣ – والتأكيد على أن التجاوز فى أداء واجبات الأخوة فى الإسلام يعرض المسلمين للضياع فى الحاضر والمستقبل ، ويحول بينهم وبين الوسطية والخيرية والتمكين .

٤ – وتفسير احتياج العمل الإسلامى فى كل مجال من مجالاته إلى الأخوة فى الإسلام وفق أحكامها وشروطها وآدابها .

(١) للمؤلف : التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطريق التغلب عليه – دار الوفاء بالمنصورة – مصر .

٥ – والتعريف بكيفية توظيف الأخوة فى الإسلام توظيفاً يحقق صالح المسلمين فى دنياهم وآخرتهم .

٦ – وتوضيح أن منهجية العمل من أجل الإسلام بكافة مفرداتها من دعوة وحركة وتربية وتنظيم وتخصص وتمكين ومحافظة على التمكين ، لا يعين على النجاح فيها مثل الأخوة فى الإسلام .

٧ – وتعميق فهم الأخوة فى الإسلام بالحديث عن فقهها فى تاريخنا المشرق فى ماضينا ، وبالحديث عن حاضرنا الذى ينموا ويزكو بهذه الأخوة فى الإسلام ، ويتخلص بها من كثير من عيوبنا وسلبياتنا ، أى الحديث عن هذه الأخوة فى الإسلام من خلال أهدافها ، ووسائلها وسياساتها .

تلك صورة مجملة لأهداف هذا الكتاب أرجو الله أن ييسر للقارىء الوصول إليها ، بل العمل على تحقيقها فى نفسه وفيمن حوله من أهل وأبناء وأقارب وأصدقاء وجيران وزملاء .

وأما عن بناء الكتاب وهيكل هذا البناء فقد تمثل فى مدخل ألقيت فيه الضوء على مفهوم الأخوة فى الإسلام ودرجاتها ومراحلها ومكانتها فى النصوص الإسلامية وأربعة أبواب وخاتمة .

فكان **الباب الأول** فى : الأخوة فى الإسلام بين الحقوق والواجبات . وفيه فصلان .

وجاء **الباب الثانى** عن العمل من أجل الإسلام وحاجته إلى الأخوة فى الإسلام واشتمل على فصلين كذلك .

وتحدث **الباب الثالث** عن توظيف الأخوة فى الإسلام لصالح المسلمين ، وفيه فصلان .

وتناول **الباب الرابع** الحديث عن الأخوة فى الإسلام بين الأهداف والوسائل والسياسات ، واشتمل على فصول ثلاثة .

ثم كانت الخاتمة .

والله سبحانه أسأل أن يتجاوز على تقصيرى وخطئى ، وأن ينفع به المسلمين ، إنه نعم السميع المجيب .

* * *

مدخل الكتاب

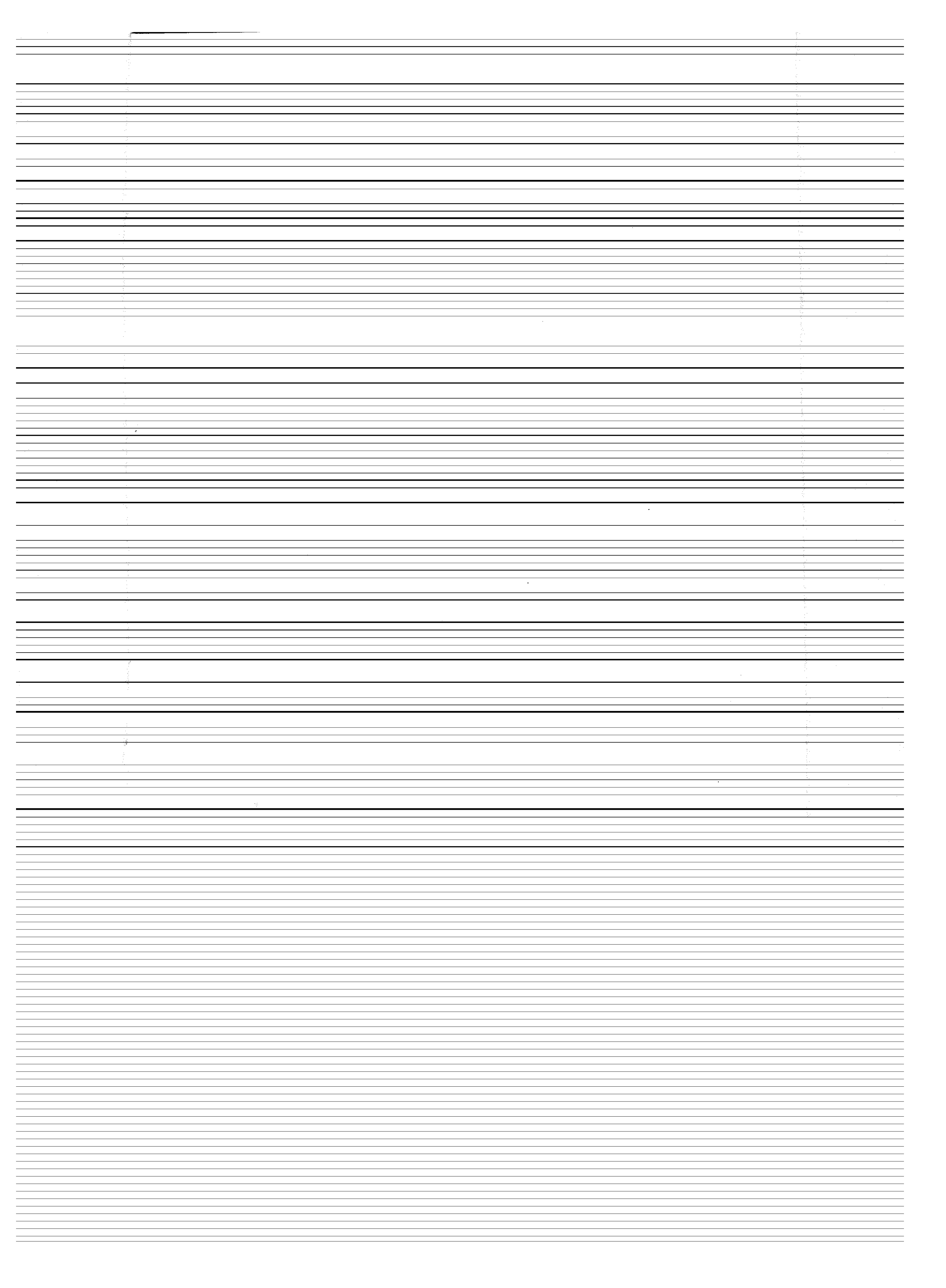
ويتناول :

١ -ضوءأعلى مفهوم الأخوة عموماً وأخوة الإسلام

على وجه الخصوص ،

٢ - ودرجات الأخوة فى الإسلام ومراحلها ،

٣ - ومكانة الأخوة فى النصوص الإسلامية .



١ – ضوء على مفهوم الأخوة عموماً والأخوة الإسلامية خصوصاً

أ – مفهوم الأخوة عموماً :

الأخوة : مصدر للفعل آخى . وآخى فلان فلاناً أخوّة أى اتخذه أخاً ، وكذلك آخاه مؤاخاة .

والأخ : هو من جمعك وإياه صلبٌ – أى كان أخاً شقيقاً أو أخاً لأب – أو هو من جمعك وإياه بطن – أى كان أخاً لأم – أو من جمعك وإياه رضاعة من امرأة واحدة فهوأخ من الرضاعة .

والأخ : الشريك .

والأخ : الصديق .

والأخ : المواسى .

والأخ : المثيل .

والأخ : الصاحب الملازم .

والأخ : من يتوخى مذهب أخيه أى يقصده .

وكلمة الأخ تطلق عموماً على كل مشارك لغيره فى الدين أو فى المودة . أو فى الصنعة أو فى الدين .

والأخوّة تقتضى شفقة الأخ على أخيه ، ولذلك عَبَّر القرآن الكريم عن النبى – أى نبى – بأنه أخ لقومه ومن يدعوهم إلى الله قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[1] وقال عز شأنه : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[2] وقال جل جلاله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[3] فهؤلاء الأنبياء الثلاثة عَبرَّ عنهم القرآن الكريم بأنهم إخوة لأقوامهم .

---

(١) سورة الأعراف : ٦٥ .   (٢) سورة الأعراف : ٧٣ .   (٣) سورة الأعراف : ٨٥ .

وهذا المفهوم العام للأخوة التى تحدثت عنه معاجم لغتنا أوسع فى مدلوله عما يدل عليه هذا المفهوم عند الغَرْب :

فالأخوة عند الغربيين تعنى الصلة القرابية التى توجد بين أخوين منحدرين من وَالِدين .

ويقال عندهم : أخويّة أو منظمة نقابية تضم – عادة – أبناء المهنة الواحدة بهدف تعاونهم للدفاع عن مصالحهم المشتركة والنهوض بأحوالهم .

والأخويّة أو الجمعية الأخوية عندهم تعنى جمعية دينية يلتزم أعضاؤها بالتقشف والعفة والطاعة ، ويعيشون عيشة مشتركة تحت نظام تصدق عليه الكنيسة التى ينتمون إليها .

وهناك نظم أخويّة عندهم تعنى أشكالاً مختلفة من الجمعيات تقوم على أساس السرية ، والروح الاجتماعية مع التعاون المالى لمواجهة بعض مخاطر الحياة .

ويدخل فى هذا المفهوم عندهم : الجمعيات السرية وغير السرية ، والاجتماعية ، والخيرية ، وهى تبدأ من جمعيات المعونة المتبادلة ، وتضم الجمعيات السرية القومية والدولية مثل : « الماسونية » وأشباهها « كالروتارى » وغيرها .

ب – مفهوم الأخوة فى الإسلام :

فى تراثنا الإسلامى ، وفى تاريخ المسلمين الأوائل من سلفنا الصالح ومَنْ بعدهم ، كان للأخوة فى الإسلام معانى عديدة نذكرها بادئين بما جاء فى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة .

* قال الله تعالى فى معرض امتنانه على المسلمين بنعمه ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[1] أى صرتم بنعمة الإسلام إخواناً فى الدين .

وقد جاء فى بداية هذه الآية الكريمة : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾ وجاءت الآية التى تليها تأمر المسلمين بالاستعانة بالإيمان والأخوة فى الإسلام على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنى عن المنكر ، فقال سبحانه ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] ففى هاتين الآيتين الكريمتين المتعاقبتين مطالب أساسية من المسلمين المتآخين فى الإسلام المتعاونين بهذه الأخوة على تنفيذ هذه المطالب وهى :

- الاعتصام بحبل الله وهو القرآن والسنة أى المنهج ،
- والابتعاد عن الفرقة والخصام بترك كل أسباب التفرق ،
- وأن تجتمع قلوبكم على المحبة فى الله فيصبحوا بهذه النعمة إخواناً ،
- والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،

وكل هذه المطالب لا يستعان عليها بشىء بعد الله إلا بالأخوة فى الإسلام .

* وقد أكد القرآن هذه الأخوة وقررها وأعلى من شأنها فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾[2] قال الإمام القرطبى : « أى فى الدين والحرمة لا فى النسب » وقال الإمام ابن كثير : « أى الجميع إخوة فى الدين كما قال رسول الله ﷺ : « المسلم أخُ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » .

فالأخوة فى هذه الآيات القرآنية الكريمة تعنى الأخوة فى الدين وهى من نعم الله على المسلمين ، وتجعل الإيمان والأخوة متلازمين وتطالب الإخوة المؤمنين بما يعزز هذه الأخوة ويقوى ذلك الإيمان من اعتصام بمنهج الله ونبذ للفرقة والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ .   (٢) سورة الحجرات : ١٠ .

التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[1] .

* والأحاديث النبوية فى ذلك كثيرة سوف نذكرها فى هذا المدخل ونحن نتحدث عن مكانة الأخوة فى الإسلام فى النصوص الإسلامية .

ومن خلال هذا الحديث النبوى وأمثاله ندرك أن للأخوة معنى عندنا يتميز عما عند سوانا من الناس ، وسوف نشير إلى معانى الأخوة فيما يلى :

- الحب فى الله وصفاء قلب المؤمن نحو أخيه المؤمن .
- واحترام المسلم لأخيه المسلم فى حضوره وفى غيبته .
- وتحريم الافتيات على أى حق من حقوقه .
- وتحريم النظر إليه من عل - أى احتقاره - .
- وتحريم حسده والمزايدة عليه وبغضه وقطيعته والبيع على بيعه أو الخطبة على خطبته ، وتحريم ظلمه وخذله واحتقاره .
- وتحريم دمه وماله وعرضه .
- ووجوب مؤاخاته فى الإسلام .
- والتعاون معه على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير .
- والاتحاد معه وترك كل أسباب الفرقة .
- والمحافظة على حقوقه كلها الدم والمال والعرض .
- والالتزام بالواجبات نحوه دون أن يسأل .
- وإيثار الأخ أخاه على نفسه .

كل هذه من معانى الأخوة فى الإسلام وغيرها كثير مما سوف يتناوله هذا الكتاب بإذن الله تعالى .

وكل هذه المعانى كانت دستوراً تعامل به أسلافنا من المسلمين الذين حرصوا على

---

(١) الإمام مسلم : صحيحه : باب تحريم ظلم المسلم وخذله .

الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والالتزام بمنهج الإسلام فى الحياة ، فحققوا بتلك الأخوة نماذج لحياة إنسانية رفيعة المستوى .

٢ – درجات الأخوة فى الإسلام ومراحلها

للأخوة فى الإسلام طريق واضحة المعالم مرسومة الحدود معروفة البدايات والنهايات .

ولأن الأخوة فى الإسلام هى الأخوة فى الله تبارك وتعالى ، فإن الطريق إلى الله واحدة لا تعدد فيها ولا اختلاف عليها لأنها الصراط المستقيم ، وهى طريق يجب اتباعها وحدها دون سائر الطرق .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[1] .

وروى الدارمى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه ، وخطوطاً عن يساره ثم قال : « هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها » ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ .

وطريق الله الواحدة التى يسعى الناس فيها مستهدفين مرضاة الله سبحانه وتعالى لها وسائل عديدة تختلف باختلاف الزمان والأشخاص والأحوال ، لأنه تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وما جعل فى دينه على الناس من حرج .

إن طريق الأخوة فى الإسلام متعددة الدرجات والمراحل ، إذ لا يصل المسلم إلى مؤاخاة أخيه فى الإسلام إلا إذا مر فى طريق ذلك بدرجات ومراحل من :

التعارف والتآلف والتفاهم والرعاية والتعاون والتناصر ، ثم يفضى ذلك إلى الأخوة الوثيقة فى الإسلام ، ولكل واحدة من هذه الدرجات أو المراحل معالم وآداب نرجو الله أن يوفقنا لتوضيحها والتعريف بها على النحو التالى :

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٣ .

* **التعـارف :**

هو أن يعرف الناس بعضهم بعضاً ، يقال : تعرفتُ إلى فلان أن جعلتُه يعرفنى .

وليس من معانى التعارف الاعتزاز بالنسب أو العرق أو الجاه أو المال ، لأن تلك الأمور ليست هى الموازين الصحيحة للإنسان حتى يعرفه بها الناس ، إذا الموازين الصحيحة هى العمل الصالح وتقوى الله عز وجل ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن درة بنت أبى لهب رضى الله عنها – زوج عبد الله بن عمرة رضى الله عنه قالت : قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر فقال : يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال ﷺ : « خير الناس أقرأهم – أى للقرآن – وأتقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » .

والتعارف بين المسلمين استجابة لأمر الله تبارك وتعالى فى هذه الآية الكريمة ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1] وذلك يتطلب أن يعرف المسلم أخاه المسلم اسمه ونسبه وظروفه الاجتماعية . بل يعرف ما يحب وما يكره ، حتى يعينه إذا أحسن ويستغفر له إذا أذنب ويدعو له بالخير إذا أدبر ، ويحبه إذا تاب ، وتلك من حقوق المسلم على أخيه المسلم كما ورد ذلك فى السنة النبوية المطهرة . روى الديلمى بسنده – فى الفردوس – عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك ، أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم ، وأن تحب تائبهم » .

إن التعارف بين المسلمين خطوة أولى بل ضرورية فى طريق الأخوة فى الله ، وإنه لمفتاح للقلوب وإيناس واستئناس يؤدى إلى الخُطوة التالية فى طريق الأخوة فى الإسلام وهى التآلف .

* **والتآلف :**

هو أن يألف المسلم أخاه المسلم ، أو يألف الناس بعضهم بعضاً ، والتآلف من

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

الإلف وهو الاجتماع والالتئام ، وائتلف الناس اجتمعوا وتوافقوا ، والألفة كالإلف وهى : الأنس والمحبة ، وقد امتن الله على المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم فقال عز وجل :

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[2] .

والأصل فى الألفة والحب أن يكون لله وفى الله ، وإذا كان المسلم سليم الصدر نقى القلب مطيعاً لله ورسوله – وهذا هو الأصل فيه – فإنه يألف أخاه المسلم ويحبه وينجذب إليه لتشابههما فى تلك الصفات ، كما أخبرنا بذلك رسولنا ﷺ ، فيما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

فالتحاب والتجاذب نتيجة للتناسب بين الطرفين ، كما أن التباين والتباغض نتيجة لفقد هذا التناسب . وفى كلتا الحالتين يجب أن يكون الحب فى الله والبغض فى الله .

روى الإمام أحمد بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمن مألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »[3] .

إن واجب الأخوة فى الله أن يألف المسلم أخاه المسلم ؛ وأن يأتى معه من الأعمال ما من شأنه أن يؤلف به عند أخيه .

وإن دواعى التآلف معروفة لا تحتاج منى إلى بيان ، وحسبى أن أجملها فى كلمة جامعة لكل أبعادها وشروطها ، وآدابها وهذه الكلمة هى : « أن يكون المسلم ملتزماً بكل ما أمر الله به ، منتهياً عن كل ما نهى الله عنه » إن ذلك أكبر رصيد لأن يألفه الناس ويحبوه فيكون بينه وبينهم التفاهم .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ . (٢) سورة الأنفال : ٦٣ .

(٣) الإمام أحمد : مسنده : ٣ / ٤٠٠ – ط الحلبى – مصر ١٣١٣ هـ .

* **والتفـاهـم :**

هو أن يتفاهم المسلم مع أخيه المسلم على الأصول الكبرى فى الإسلام أولاً ثم على بعض ما يتفرع عن هذه الأصول من مسائل وقضايا يحتاج فيها إلى التفاهم ، وتلك الأصول التى يجب أن يتفاهم عليها المسلمون وهى :

– الاعتصام بالله سبحانه وتعالى ، أى جعل الله سبحانه وتعالى ملجأ وملاذاً بالامتثال بكل ما أمر به والاجتناب لكل ما نهى عنه ، حتى يدخل الناس بذلك الاعتصام فى رحمة الله وفضله وهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[1] . وقال جل شأنه : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] . ذاك هو الأصل الذى يجب أن يتفاهم عليه ويعمل به من تربطهم أخوة فى الإسلام .

– والاعتصام بحبل الله – وحبل الله هو القرآن الكريم – أى أن على المتآخين فى الإسلام أن يتخلقوا بأخلاق القرآن الكريم كما كان كذلك القدوة المعصوم ﷺ ، وخلق القرآن كما أوضحته أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها هو مجموعة الصفات الواردة فى بداية سورة « المؤمنون » وهى :

- الإيمان .
- والخشوع فى الصلاة ،
- والإعراض عن اللغو ،
- وفِعْل الزكاة أى أداؤها .
- والعفة بحفظ الفرج ، وحفظ البصر بغضه عن المحارم وحفظ الجوارح كلها عن دواعى الزنا ومقدماته .
- ورعاية الأمانة .
- ورعاية العهـد .

---

(١) سورة النساء : ١٧٥ . (٢) سورة آل عمران : ١٠١ .

● والمحافظة على الصلوات بحيث تؤدى على وجهها وفى أوقاتها[1] .

إلى غير ذلك من الأخلاق التى دعا إليها القرآن ، والأخلاق التى نهى عنها وهى كثيرة واضحة فى آيات القرآن الكريم .

– والتعاون على طاعة الله ورسوله بين المتآخين فى الإسلام فليس كالطاعة شيء يجمع بين المسلمين على الحق والبر والخير ، ويقوى بينهم روابط الأخوة والتآلف والتفاهم ، وليس كالطاعة لله سبحانه وتعالى شيء يمكّن الإنسان من الحصول على الفوز العظيم عند الله سبحانه والوصول إلى جنته والتنعم بما فيها إلى أبد الآبدين قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[2] وقال جل شأنه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3] .

والتعاون على طاعة الله ورسوله توثيقاً للأخوة فى الإسلام .

– والتعاهد على نصرة الله ونصرة الحق مهما تكن الأعباء والتكاليف ، لأن ذلك أوجبه الله على المسلمين وجعله شرطاً ليحصلوا هم على نصر الله سبحانه ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[4] ونصر الله هو نصر دينه ونبيه وتثبيت الأقدام يعنى الثبات على الإسلام أو على الصراط أو على الأمن والطمأنينة ، ونظير هذه الآية الكريمة فى المعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[5] ، بل يمتد نصر الله للمتعاهدين على نصر دينه من الدنيا إلى الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[6] .

---

(١) اقرأ سورة المؤمنون : من الآية ١ إلى الآية ٩ .
(٢) سورة الأحزاب : ٧١ . (٣) سورة النساء : ١٣ .
(٤) سورة محمد : ٧ . (٥) سورة الحج : ٤٠ . (٦) سورة غافر : ٥١ .

قال السُّدِّى : « ما قتل قوم قط نبياً أو قوماً من دعاة الحق من المؤمنين إلا بعث الله عز وجل من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وإن قتلوا »[1] وينصرهم يوم يقوم الأشهاد أى يوم القيامة ، « والأشهاد أربعة : الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد »[2] .

– والعمل على إزالة أسباب الجفوة والخصام والفرقة ، وذلك عمل أساسى يطالب به كل مسلم ناحية إخوانه المسلمين لأن درجة التفاهم التى نتحدث عنها هنا لا تتضرر بشىء مثل ما تتضرر بأسباب الجفوة والخصام والفرقة ، بل إنها إذا قضت على التفاهم تقضى على التآلف والتحاب والمودة المفروضة بين المسلمين .

وأسباب الفرقة والخصام والتنازع من نزغات الشياطين وهى مدعاة للفشل والضياع ، ولقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك كله ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[3] وقال عز من قائل : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4] .

– **والرعاية والتفقد :**

وهى أن يرعى الأخ أخاه ويتابعه ويتفقد ظروفه ليبادر بتقديم العون له دون أن يسأله أخوه العون ، لأن ذلك من حق أخيه عليه .

والأصل الإسلامى فى وجوب الرعاية والتفقد هو ما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

● ومن مفردات الرعاية والتفقد أن يستر المسلم عورة أخيه المسلم فقد روى الإمام

---

(١) القرطبى : تفسيره : ٧ / ٥٧٦٦ – ط دار الشعب – القاهرة مصر – بدون تاريخ .
(٢) السابق : ٧ / ٥٧٦٦ .
(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .   (٤) سورة الأنفال : ٤٦ .

مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » .

● ومن رعاية المسلم لأخيه المسلم أن يعمل ما وسعه على أن يفرج همه إذا أصابه هَمّ ، وأن ييسر له ما عَسُر عليه من الأمر وأن يستره وأن يعينه فى قضاء حوائجه ، روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من نَفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّر على مُعْسِر ، يَسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

● ومن رعاية المسلم لأخيه ، أن يؤدى نحوه الحقوق التى أوجبها الإسلام ، روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم ستٌ ، قيل ما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسَلّم عليه وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » إن هذه الرعاية هى التى تؤكد الأخوة فى الإسلام وتوثق الروابط بين المسلمين .

• والتعـاون :

وهو المؤازرة والتظاهر ، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى – وقيل البر : يتناول الواجب والمندوب – والتقوى رعاية الواجب ، ونهاهم سبحانه عن التعاون على الباطل والمآثم والمحارم ، وقيل إن الإثم هو ترك ما أمر الله به والعدوان مجازاة ما حَدَّ الله سبحانه فى الدين .

وقال الماوردى : ندب الله سبحانه إلى التعاون والبر وقرنه بالتقوى له ، لأن فى التقوى رضا الله تعالى ، وفى البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعظمت نعمته .

والتعاون ثمرة للتفقد والرعاية ، وهو يشد من أزر الروابط بين الإخوة فى الإسلام ، ويدعم أسسها وقواعدها .

ومظاهر التعاون بين المتآخين فى الإسلام كثيرة نذكر منها :

– التعاون على الأمر بالمعروف وفعل الخيرات ، وممارسة الطاعات أخذاً من الهَدْى الإسلامى الأصيل الذى فحواه : « خير الأصحاب مَنْ ذكرك إذا نسيت وأعانك إذا ذكرت » وطاعةالله والتقرب إليه بفعل الخير من الأعمال المحببة إلى النفس عند وجود الأنيس والمعاون .

– والتعاون على ترك المنكرات واجتناب المحرمات بل والمكروهات ، لأن التناهى عن المنكر والتعاون على تركه من الأعمال المحببة إلى النفس عندما يجد الإنسان له معاوناً ونصيراً .

– والتعاون على تقريب الناس وتشجيعهم على أن يكونوا مع الحق . ووصلهم بطريق الهدى ، والعمل باستمرار على نقلهم من حال إلى حال هى أكثر إرضاء لله تبارك وتعالى ، وهذا العمل كثيراً ما يحتاج إلى جهد أكثر من واحد من الناس ، فكان لابد من التعاون عليه بين أكثر من واحد .

وهذا العمل وهو التعاون على هداية المسلم ووصله بطريق القافلة المتجهة إلى إرضاء الله بالعمل الصالح هو الذى فضله الإسلام على « حُمُر النعم » أى أكبر نعم الدنيا وأهمها ، روى أبو داود بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « والله لَإن اللهُ يهدىَ بهداك رجلاً خير لك من حُمُر النعم » .

• والتناصر :

وهو نوع من التعاون ولكنه أعمق منه وأشمل ، وأكثر دلالة على الموالاة والمحبة .

والتناصر بين الأخوين فى الإسلام يعنى أموراً كثيرة نذكر منها :

– أن الأخ لا يُسْلم أخاه لشر أو مكروه ولا يخذله فى موقف له فيه حق أو مصلحة لا يضر الحصول عليها بآخرين .

– وأن يأخذ الأخ بيد أخيه فينصره على شيطانه الذى يوسوس له بالشر ، وينصره

على نفسه وماتهجس به ، من هواجس وأوهام تدعوه إلى التقاعس عن فعل الخير .

- وأن ينصره على كل من يقف عقبة فى طريق الحق والهدى والدعوة إلى الله .
- وأن ينصره ظالماً أو مظلوماً ، ينصره ظالماً بأن يمنعه من الظلم وممارسته ، وينصره مظلوماً بأن يعمل على أن يرفع الظلم عنه .

وبكل هذه الأنواع من التناصر وردت أحاديث نبوية شريفة سوف نذكرها فى حينها فى فصول هذا الكتاب بإذن الله تعالى .

ولا تناصر بين الإخوة فى الإسلام إلا بتضحية يقدمها كل واحد من الإخوة نحو أخيه ، تضحية بالوقت والجهد والمال .

إن التناصر بهذه المعانى التى ذكرنا تعميق للتعاون ، وترجمة حقيقية للأخوة فى الإسلام ، والإخوة المتناصرون فى الحق وعلى الحق أجدر أن يحظوا برضا الله سبحانه وتعالى وتأييده ونصره ، لأن تناصرهم على الحق نصر لله عز وجل ، ونصر لدينه وللحق الذى جاء به ، والله سبحانه أكَّد أنه ينصر من ينصره إذ قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

وكيف تتصور الأخوة فى الإسلام بغير تناصر ؟

وبعد : فنستطيع أن نؤكد أن الأخوة فى الإسلام تبدأ عادة بالتعارف الذى يؤدى إلى التآلف فالتفاهم ، وإن ذلك يوجب على الأخ نحو أخيه الرعاية والتفقد والتعاون ، وكل ذلك يفضى إلى التناصر ، وإن الأخوة فى الإسلام لا يمكن أن تأخذ طريقها فى المجرى الصحيح الذى رسمه لها منهج الإسلام إلا سبقتها هذه المفردات التى ذكرنا من تعارف وتآلف وتفاهم وحسن رعاية وتعاون وتناصر .

* * *

(١) سورة الحج : ٤٠ .

٣ – مكانة الأخوة فى الإسلام فى النصوص الإسلامية

للأخوة فى الإسلام مكانة سامية لا تدانيها مكانة ، إذ هى اللبنة التى يقوم عليها بناء العمل من أجل الإسلام ، فلا نستطيع أن نتصور عملاً من أجل الإسلام يقوم به واحد بمفرده فيجدى تلك الجدوى المرضية القادرة على تحقيق الهدف الأكبر من هذا العمل وهو التمكين لدين الله فى الأرض ، وكذلك لا يمكن أن ينجح هذا العمل الذى يقوم به عدد من المسلمين أو جماعة أو جماعات إلا أن يكون بين هذه الأعداد أخوة فى الإسلام تعين على التفاهم والتعاون والتناصر فى هذا المجال .

ومن أجل هذا وذلك جعل الإسلام الأخوة فى الإسلام أساساً للعمل من أجل تمكين دين الله فى الأرض .

وسوف نحاول فى **الصفحات التالية** من الكتاب أن نوضح مكانة هذه الأخوة فى الإسلام من خلال النصوص الإسلامية الصحيحة القرآن الكريم والسنة والنبوية المطهرة ، ومن خلال هذه النصوص الكريمة سوف يتضح لنا كثير من أهمية الأخوة فى الإسلام وتقدمها على كثير من الصفات التى يجب أن يتحلى بها المسلمون وهم يشقون الطريق نحو التمكين لدين الله وتحكيم شرعه فى الناس .

* * *

أ – نصوص من القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] .

والآية الكريمة تطالب بأمور هامة لا يقوم المجتمع المسلم إلا بها ، بل لا يمكن للمسلمين أن يمكنوا لدين الله فى الأرض إلا بها وهى :

- الاعتصام والعصمة من كل شر بحبل الله وهو الدين أو القرآن الكريم ، فهو عصمة لمن تمسك به من كل شر .
- والاعتصام بالجماعة من الفُرقة والخلاف ، لأن الفُرقة هلكة والجماعة نجاة ، قال العالم الجليل ابن المبارك عليه رحمة الله يصور ذلك فى بيت من الشعر :

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا   منه بعروته الوثقى لمن دانا

- ونبذ الخلاف ونبذ اتباع الهوى وأن يكونوا فى دين الله إخواناً فيكون ذلك منعاً لهم عن التقاطع والتدابر »[2] .
- وتذكُّر نعمة الله عليهم والمقصود بها أعظم نعم الإسلام وهى الإسلام واتباع محمد ﷺ ، فإنَّ به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة .
- وأن بالإسلام صار المسلمون إخواناً فى الدين ، وتلك نعمة كبرى كذلك .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .   (٢) القرطبى : تفسيره : ٢ / ١٤٠١ – ط سابقة .

* وقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] قال ابن ليلى رحمه الله فى تفسير هذه الآية : الناس على ثلاثة منازل : المهاجرون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجهد ألاَّ تخرج من هذه المنازل »[2] .

ولقد كان من نعمة الله على المسلمين الأوائل بالإسلام أن كانوا ثلاثة أنواع يتسابقون فى الفضل :

● **المهاجرون** : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[3] .

● **والأنصار** : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[4] وقد ضرب هؤلاء الأنصار فى الأخوة فى الإسلام أمثلة نادرة لم تعرف الإنسانية فى تاريخها نظيراً .

● **والتابعون** ومَنْ بعدهم إلى يوم القيامة من صالحى المؤمنين المتآخين فى الإسلام الذين : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[5] .

إن الأخوة فى الإسلام توجب على المسلم أن يذكر إخوانه الذين سبقوه بالإيمان بالخير وأن يدعو لهم بالمغفرة ، وإذا كان ذلك الشأن فيمن مضوا ، فكيف يكون الشأن فيمن يعايشونه ويتآخون معه فى الإسلام ؟

---

(١) سورة الحشر : ١٠ . (٢) القرطبى : تفسيره : ٨ / ٦٥١٠ .
(٣) سورة الحشر : ٨ . (٤) سورة الحشر : ٩ . (٥) سورة الحشر : ١٠ .

* وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(1) .

والأخوة فى هذه الآية تعنى الأخوة فى الإسلام وفى الدين وهى أثبت وأقوى من أخوة النسب — كما أوضحنا ذلك آنفاً — وهذه الأخوة هى المعول عليها بين المسلمين ليمارسوا من خلالها كل أنواع العمل المطلوبة من أجل الإسلام :

الدعوة بوسائلها المعروفة ،
والحركة بشروطها وآدابها ،
والتربية بأنواعها ومراحلها ،
والتنظيم بمفرداته كلها .
والتمكين بعد تأمين كل احتياجاته .
والمحافظة على هذا التمكين حتى يقوم الناس لرب العالمين .

* قال عز شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(2) .

قال القرطبى : « قيل إنها نزلت فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ اغتابا رفيقهما ، وذلك أن النبى ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما . فضم سلمان إلى رجلين ، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهىء لهما شيئاً ، فجاءا فلم يجدا طعاماً وإداماً ، فقالا له : انطلق فاطلب لنا من النبى ﷺ طعاماً وإداماً ، فذهب فقال له النبى ﷺ : « اذهب إلى أسامة ابن زيد فقل له : هل عندك من فضل طعام فليعطك » — وكان أسامة خازن النبى ﷺ ، فذهب إليه ، فقال له أسامة : ما عندى شىء ، فرجع إليهما فأخبرهما فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل ، ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً ، فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة

---

(1) سورة الحجرات : 10 .
(2) سورة الحجرات : 12 .

لغار ماؤها ، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء ، فرآهما النبى ﷺ فقال : « ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما ، فقالا : يا نبى الله ، والله ما أكلنا فى يومنا هذا لحماً ولا غيره فقال : « ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان وأسامة » فنزلت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ ذكره الثعلبى »[1] .

إن مجرد ظن السوء بالأخ المسلم حرام حذر منه القرآن الكريم ، وطالب بالتخلى عن كثير من الظن لأن قليلاً من الظن يوقع فى الإثم .

* * *

(١) القرطبى : تفسيره : ٧ / ٦١٥١ . مرجع سابق .

ب – نصوص من السنة النبوية المطهرة

من الأحاديث النبوية المطهرة التى توضح مكانة الأخوة فى الإسلام ما نذكره فيما يلى :

● روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » .

وزاد الإمام مسلم على ذلك فى روايته قوله : « كما أمركم الله » .

عن أبى هريرة أيضاً ، وعن أنس رضى الله عنه .

وهذا الحديث الشريف فيه أمر بأن يتآخى المسلمون فى الإسلام وقال شراح الحديث : إن هذا الحديث يوجب على المسلمين أن يتركوا تلك المنهيات عنها ليكونوا إذا تركوها إخواناً كما أمرهم الله سبحانه أن يكونوا .

ومعنى أمر الله للمسلمين أن يكونوا إخواناً أى يلتزموا بما أمر الله وينتهوا عما نهى ويحرزوا من الصفات الفاضلة التى أشرنا إليها آنفاً ما يصيرون به إخواناً فى الإسلام .

وكل ما تضمنه هذا الحديث الشريف من أوامر ونواهٍ هو جامع لمعانى الأخوة ، وإسناد الأمر بالأخوة لله سبحانه – « كما أمركم الله » مع أن رسول الله ﷺ هو القائل ليس فيه أدنى خلل – إلا عند الذين فى قلوبهم مرض – لأن الرسول ﷺ هو المبلغ عن ربه ، أو يكون إسناد الأمر إلى الله سبحانه إشارة وتذكيراً بقوله جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

● روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم

كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

فالأخوة فى الإسلام مطلب شرعى دلت عليه النصوص الإسلامية فى هذين الحديثين الشريفين وغيرهما مما سنذكر فى قوله ﷺ : « كونا عباد الله إخواناً كما أمركم ربكم » وفى قوله : والمسلم أخو المسلم ... » .

ودلت على ذلك الأحاديث النبوية التالية :

● روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آخى أخاً فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله » أى إلا بهذه المؤاخاة .

● وقال ابن قتيبة الدينورى : فى الحديث المرفوع : « المرء كثير بأخيه »[1] .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا تهجروا ولا تدابروا ولا تحسسوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار : ٣ / ١ – ط دار الكتب المصرية .

والأخوة فى الإسلام تقوى الأواصر بين المسلمين وتصوغ منهم كياناً واحداً متماسكاً ...

● روى الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

● وروى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير أيضاً رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

● وروى مسلم عن النعمان بن بشير أيضاً رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

والأخوة فى الإسلام تنبنى على الحب فى الله والبغض فيه ، لأن ذلك هو المعيار الدقيق لهذه الأخوة الراشدة ، والأحاديث النبوية الدالة على ذلك كثيرة تذكر منها :

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » .

● وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « أن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله عز وجل قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته

فيه » .

● وروى الترمذى بسنده عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه إذا لقيه ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويتبع جنازته إذا مات ، ويحب له ما يحب لنفسه » .

● وروى الحاكم بسنده أن أبا إدريس الخولانى رضى الله عنه قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : إنى أحبك فى الله ، فقال له : أبشر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ، ويخاف الناس وهم لا يخافون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هم يا رسول الله ؟ فقال : « هم المتحابون فى الله » .

● وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن حول العرش منابر من نور ، عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا : يا رسول الله ﷺ صفهم لنا : فقال : « هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله ، والمتزاورون فى الله » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبى ﷺ فقال : « أى عرى الإسلام أوسط – وفى رواية أوثق – قالوا : الصلاة ، قال : حسنة وما هى بها ، قالوا الزكاة ، قال حسنة ، وما هى بها ، قالوا صيام رمضان ، قال حسن وما هو به ، قالوا : الحج ، قال حسن وما هو به ، قالوا : الجهاد ، قال حسن وماهو به . قال : إن أوسط عرى الإيمان أن تحب فى الله وأن تبغض فى الله » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : « أتدرون أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال قائل : الصلاة والزكاة ، وقال قائل الجهاد ، قال : إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الحب فى الله والبغض فى الله » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « من أحب – وفى رواية من سره – أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا الله عز وجل » .

● وروى أحمد بسنده عن عمرو بن الجموح رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله ،فإذا أحب لله تبارك وتعالى ، وأبغض لله تبارك وتعالى ، فقد استحق الولاء من الله تعالى ، وإن أوليائى من عبادى وأحبابى من خلقى الذين يذكرون بذكرى ، وأذكر بذكرهم » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرق والغربى ، فيقال : مَنْ هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » .

● وروى أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أَحَبّ عبدٌ عبداً لله عز وجل إلا أكرم ربه عز وجل » .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى مسلم الخولانى التابعى رحمه الله قال : دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبى ﷺ ، فإذا فيهم شاب أكحل العيْنيْن براق الثنايا ساكت ، فإذا امترى القوم فى شىء أقبلوا عليه فسألوه ، فقلت لجليسى من هذا ؟ قال : هذا معاذ بن جبل ، فوقع له فى نفسى حب ، فكنت معهم حتى تفرقوا ، ثم هجرّتُ إلى المسجد فإذا معاذ بن جبل قائم يصلى إلى سارية ، فسكت لا يكلمنى ، فصليت ، ثم جلست فاحتبيت برداء لى ، ثم جلس فسكتَ لا يكلمنى ، وسكتُ لا أكلمه ، ثم قلتُ له : والله إنى لأحبك ، قال : فيم تحبنى ؟ قلت : فى الله تبارك وتعالى ، فأخذنى بحبوتى فجرّنى إليه هنية ثم قال : أبشر إن كنتَ صادقاً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : المتحابون فى الله فى جلالى ، له منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء – وفى رواية – فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله – وفى رواية أخرى – يوضع لهم كراسى من نور يغبطهم بمجلسهم من الرب النبيون والصديقون والشهداء . قال أبو مسلم الخولانى : فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فقلت : يا أبا الوليد ألا أحدثك بما حدثنى معاذ بن جبل فى المتحابين ؟ قال : فأنا أحدثك عن النبى ﷺ يرفعه إلى الرب عز وجل قال : حقت محبتى للمتحابين فىّ ، وحقت محبتى للمتزاورين فىّ ، وحقت محبتى للمتباذلين فىّ ، وحقت محبتى للمتواصلين فىّ » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يـٰأيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء

يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله » ، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبى الله ﷺ فقال : يا رسول الله ناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ؟ انعتهم لنا – يعنى صفهم لنا – فَسُرَّ وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابى ، فقال رسول الله ﷺ : « هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا فى الله وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فَيُجلسهُم عليها ، فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء الله تعالى ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والأخوة فى الإسلام تهتز بالهجر والقطيعة ، ولذلك حرص الإسلام على النهى عن القطيعة بين المسلمين ، وخوف من عواقبها أمام الله تبارك وتعالى وحذر من الشحناء بين المتآخين فى الله .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : اقتتل غلامان ، غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار ، فنادى المهاجر أو المهاجرون : يا للمهاجرين ، ونادى الأنصارى : يا للأنصار ؛ فخرج رسول الله ﷺ فقال : « ما هذا » ؟ دعوى أهل الجاهلية ؟ قالوا : يارسول الله ، إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر ، قال : « فلا بأس ، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلوماً نصره » .

ولأن للأخوة فى الإسلام تلك المكانة فى النصوص الإسلامية فإن النبى ﷺ وضع للمسلمين المعايير التى يختار على أساسها الأخ المسلم من يؤاخيه من المسلمين .

● روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » .

● وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقى » .

● وروى الترمذى بسنده أن يزيد بن نُعامة الضبى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ؟ فإنه أوصل للمودة » .

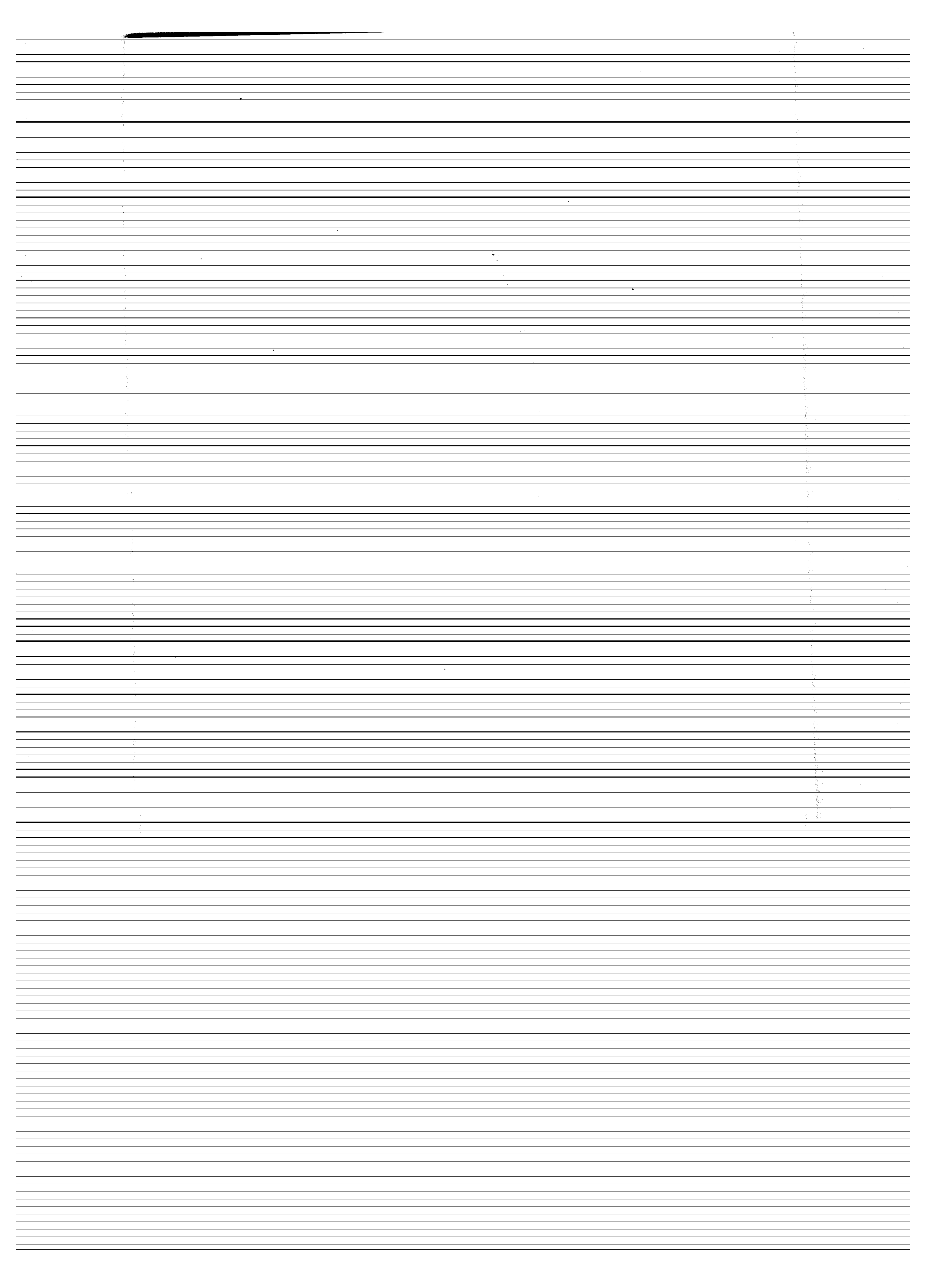
وبعد فلعل مكانة الأخوة فى الإسلام قد اتضحت من خلال ما سقت من آيات قرآنية كريمة ومن أحاديث نبوية شريفة ، وليست العبرة فى معرفة هذه المكانة بكثرة ما ورد فيها من نصوص إسلامية مع أننا ما أوردنا منها إلا القليل ، ولكن العبرة فى هذه الأخوة بمدى التزام المسلمين بشروط هذه الأخوة فى الإسلام وبحقوقها وواجباتها ، لأن هذا الالتزام هو الذى يساعد على بناء المجتمع المسلم القادر على التمكين لدين الله فى الأرض ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله سبحانه وتعالى .

الباب الأول

الأخوة فى الإسلام
بين الحقوق والواجبات

ويتناول :

التمهـــــيد :
والفصل الأول : حقوق المسلم على أخيه المسلم عموماً .
والفصل الثانى : حقوق المسلم على أخيه المسلم فى مجال العمل من أجل الإسلام .



التمهيد :

بعون من الله وأمل فى توفيقه نحاول فى هذا الباب الأول من هذا الكتاب – بعد أن عالجنا فى مدخله تحديد المفاهيم للمصطلحات السائدة فيه كالأخوة والأخوة فى الإسلام ، ودرجات هذه الأخوة ومراحلها ، ومكانتها فى النصوص الإسلامية الموثقة – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – نحاول هنا أن نوضح ما لهذه الأخوة فى الإسلام من حقوق وواجبات يتبادلها المتآخون فى الإسلام .

وقد جعلنا هذا الباب مشتملاً على فصلين اثنين :

الأول منهما يتحدث عن حقوق المسلم عموماً نحو أخيه المسلم ، وهى ف الوقت نفسه تمثل واجبات المسلم نحو أخيه المسلم ، عامدين إلى أن نردَّ هذه الحقوق وتلك الواجبات إلى أصولها الإسلامية من الكتاب والسنة ، لأن هذا مبدأ لدينا فى كل ما نكتب وهو تأصيل كل ما له علاقة بصلة المسلمين بعضهم ببعض ، أى ردُّه إلى أصوله الإسلامية .

وهذه الحقوق العامة بين المتآخين فى الإسلام هى ف جوهرها آداب إسلامية رفيعة المستوى الإنسانى ، لم تعرف لها الإنسانية نظيراً قبل الإسلام ، وما أظنها ستعرف لها نظيراً فى مستقبل البشرية إلا أن تصبح هذه البشرية كلها مؤمنة بالله متآخية فى الإسلام آخذة بشروط هذه الأخوة وآدابها وقيمها السامية .

وهذه الحقوق العامة فى صورتها المجملة هى ف تصورنا فى هذا الكتاب ما نشير إليه فيما يلى :

– حق المسلم على أخيه فى الإسلام فى ستره ،
– وحقه فى العفو عنه إذا أساء أو قصر ،
– وحقه فى الإحسان إليه ،
– وحقه فى قضاء حاجاته ،

– وحقه فى السكوت عن عيوبه ،
– وحقه فى أن ينطق له أخوه بما يحب ،
– وحقه فى الدعاء له حيًّا وميتاً ،
– وحقه فى الوفاء له ،
– وحقه فى التخفيف عنه .

مؤيدين كل هذه الحقوق بالنصوص الإسلامية الموثقة .

والفصل الثانى نتحدث فيه بعون الله عن حقوق المسلم نحو أخيه المسلم فى مجالات العمل الإسلامى المتعارف عليها بين معظم العاملين من أجل الإسلام ، وهى المجالات التى نشير إليها فيما يلى :

– مجال الدعوة إلى الله – **فقهها** ومراحلها وشروطها وآدابها ،
– ومجال الحركة من أجل الإسلام وما يلزمها من عمل وتخطيط وتنظيم ومتطلبات ، ومايحكمها من أهداف وسياسات ووسائل ،
– ومجال التربية وما تحتاج إليه من توجيه وتنسيق وتخطيط وتوظيف وما تستدعيه من مراحل .
– ومجال التوريث وتناقل الخبرات وتوظيف المعلومات حتى يفيد الطريف من التليد ، والشادى من المتمكن العريق ، وكى لا يظل الإسلاميون يبدأون من نقطة البداية فى العمل من أجل الإسلام ، وإنما يبدأون من حيث انتهى من سبقوهم فى مجال العمل من أجل الإسلام .
– ومجال الترشيح ، وتزكية الصالح منهم ليتولى عملاً معيناً من الأعمال التى تعود على الإسلام والمسلمين بالخير فى الدين والدنيا ، ترشيحه لهذا العمل من أجل أن تسد ثغرة لابد من سدها ومن أجل ألا يتولى العمل من ليس أهلاً له .

فكل مجال من هذه المجالات تتعلق فيه بالمسلم حقوق نحو أخيه المسلم يجب عليه أن يؤديها بدقة وإخلاص والتزام .

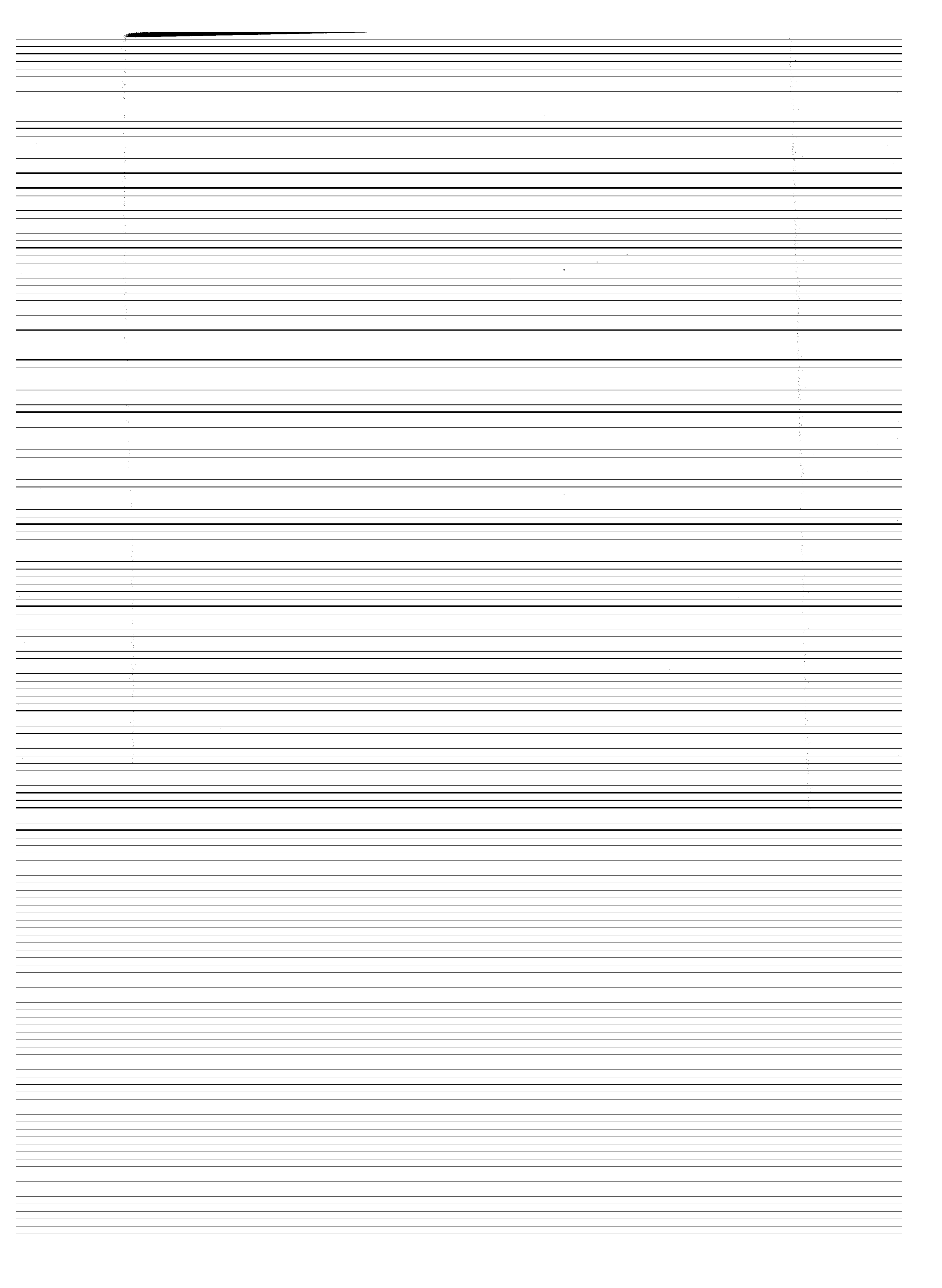
وهدفنا من هذا الباب بفصليه أن نرد المسلمين المتآخين فى الإسلام فى زماننا هذا –

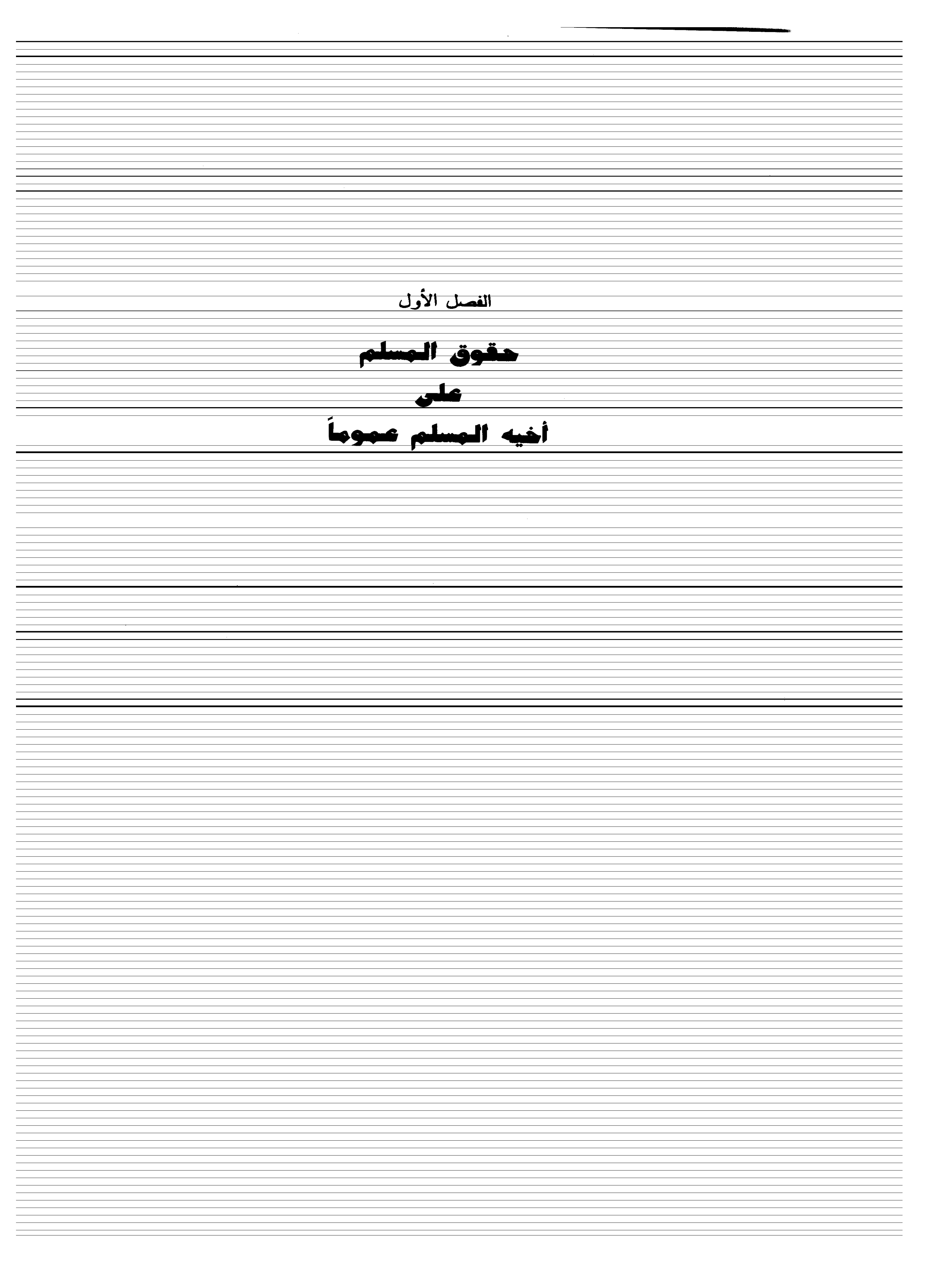
وما أكثرهم بفضل من الله ونعمة - إلى المعين الصافى - الكتاب والسنة الذى يجب عليهم أن يستقوا منه ويعرفوا من خلاله حقوق الأخوة الإسلامية وواجباتها ، كى لا يكون هناك تجاوز لهذه الحقوق أو إخلال بواجبات تلك الأخوة عن جهل أو غفلة ، ولكى يكون المسلمون بهذه الأخوة الإسلامية أقرب إلى نصر الله لهم وتمكينه إياهم من تحكيم منهجه الخاتم التام فى عباده الذين فضلهم على كثير ممن خلق .

إن من المسلَّم به بين المهمومين بقضايا العمل من أجل الإسلام أن المسلمين ما أُتوا من مقتل مثل ما أُتوا من بُعدهم عن هذا المنهج ، وتجاهلهم لأحكامه وشروطه وآدابه ، وبخاصة فى مجال التآخى فى الإسلام الذى يجعل منهم صفاً واحداً فى مواجهة أعدائهم وأعداء دينهم ومَنهجه .

والله سبحانه من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

* * *





الفصل الأول

حقوق المسلم
على
أخيه المسلم عموماً



حقوق المسلم على أخيه المسلم عموماً

سبق أن أوضحنا بين يدى الكتاب وفى مدخله أن المسلمين جميعاً إخوة فى الله سبحانه أو فى الإسلام ، وهذه الأخوة ليست نافلة من نوافل الدين وإنما هى من الواجبات التى قررها الإسلام فى الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة – بل عمل مارسه النبى ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة واستقرار الإسلام هناك إذ آخى بين المسلمين مهاجرين وأنصاراً ، واتخذ هو لنفسه من بين المسلمين أخاً ، وكان لهذه الأخوة آثار عميقة فى غرس الحب والمودة بين المسلمين ودعم التعاون على البر والتقوى – حتى بلغت بهم حد التوارث كما يتوارث الأرحام ، ثم نسخ التوارث وبقيت الأخوة فى الإسلام – على نحو ما سنفصله فى حينه من هذا الكتاب –

هذه الأخوة فى الإسلام تقوى وتحسن وتؤتى أفضل ثمارها إذا أحسن الأخ اختيار من يؤاخيه فى الإسلام فاصطفاه من بين المسلمين تقياً ورعاً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، كما أن هذه الأخوة تضعف وتسوء ، ولا تعطى من ثمارها ما يرجى منها إذا ساء اختيار من يؤاخى فى الإسلام ، بحيث لم تتضح فيه صفات المسلم الملتزم بأحكام الإسلام وشروطه وآدابه .

ولقد كان أسلافنا رحمهم الله يعقدون فيما بينهم عقود أخوة فى الإسلام بعد اصطفاء وانتقاء لمن يؤاخون فى الله ، وكان لهذه العقود من الحقوق ما لا يقل عن أى عقد آخر من العقود المبرمة بين المسلمين المحاطة بما يكفل لها الصحة والنفاذ .

ولقد كانت هذه الأخوة بين أسلافنا معظمهم ، إذ كانوا يرون أن الأخوة فى الإسلام هى الأصل ، وأن البديل عنها هو العزلة والانفراد ، وكانوا مؤمنين بأن أخوة الناس وصحبتهم ومخالطتهم هى الأصل أخذاً بقول رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده عن شيخ من أصحاب النبى ﷺ أراه عن النبى ﷺ قال : « إن المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذى لا يخالط الناس ولا يصبر

على أذاهم » قال ابن عدى : كان شُعبة يرى أنه ابن عمر رضى الله عنهما ، وكلهم يحبون أن يكونوا فى المنزلة التى هى خير » .

إن الإسلام قد نزل الأخ فى الإسلام من أخيه بمنزلة النفس فقد روى الإمام البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ولهذه الأخوة فى الإسلام حقوق عامة من أبرزها ما نسوق الحديث عنه فيما يلى :

١ - سَتْر المسلم لأخيه المسلم

إن ستر المسلم على أخيه المسلم إذا رآه على معصية حق لمن ارتكب المعصية على أخيه الذى رآه على تلك المعصية ، وهذا من عظمة التشريع الإسلامى فى فتح باب التوبة أمام من عصى قبل أن يفضح فيشهر به ويعرف بذلك بين الناس فربما ازداد جراءة على المعصية فيكون ذلك إفساداً له كما ورد ذلك فى بعض الأحاديث النبوية التى سوف نذكرها بعد قليل ، وعوناً للشيطان عليه كما ورد ذلك فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة مما سنذكر .

وستر المسلم لأخيه المسلم جزاؤه عند الله الجنة وعفو الله سبحانه ومغفرته ورضاه .

وفى ذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها ما يلى :

● روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

والأخ فى الإسلام صلته أقوى وأشد من صلة الصاحب أو الجار ، وأفضل أنواع الخير له أن تستر عليه إذا رأيته على إثم أو معصية .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة » .

● وروى الطبرانى فى الأوسط والصغير بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة » .

● وروى أبو داود بسنده عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له : « يا معاوية إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » .

● وروى أبو داود بسنده عن أبى برزة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته ، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته » .

● وروى الحاكم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إنى لأذكر أول رجل قطعه النبى ﷺ : أُتى بسارق فقطعه ، فكأنما أسف وجهه ، فقالوا : يا رسول الله كأنك كرهت قطعه ، فقال : وما يمنعنى لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم ، فقالوا : ألا عفوت عنه ؟ فقال : إنه ينبغى للسلطان إذا انتهى إليه حدّ أن يقيمه ، إن الله عفو يحب العفو ، وقرأ : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

● وروى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يُدنِى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ، فيقول : نعم أى رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هالك قال : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك الوم ، فَيُعْطَى كتاب حسناته ، وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » .

٢ - ورد غيبة أخيه المسلم

رد غيبة المسلم تعنى أن على المسلم أن يدافع عن أخيه المسلم إن ذكر أمامه بشر ، والأصل ألا يستمع إلى كلمة سيئة فى حق أخيه المسلم ، فإن حدث وسمع فإن عليه ردها والإنكار على قائلها ، يحفظ بذلك حق أخيه المسلم ، فإن عجز عن الرد أو الإنكار فإن عليه أن يفارق المجلس الذى يغتاب فيه أحد من المسلمين .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[1] وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] .

ومعنى ذلك أن على المسلم نحو أخيه المسلم أن يحمى ظهره فى غيبته فضلاً عن أنه لا يغتابه بذكر عيب فيه ، فضلاً عن أن يبهته بذكر عيب ليس فيه ، إن تلك هى صيانة للمجتمع من هذا الشر الذى يفسد العلاقات ويقطع الوشائج ويعين الشيطان على الإنسان .

● روى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من رَدّ عن عرض أخيه رَدَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة » .

● وروى البخارى بسنده عن عِتْبان بن مالك رضى الله عنه - وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً من الأنصار - أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله قد أنكرت بصرى وأنا أصلى لقومى فإذا كانت الأمطار سال الواى الذى بينى وبينهم

---

(١) سورة الإسراء : ٣٦ . (٢) سورة الأنعام : ٦٨ .

لم أسطتع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم ، ووددتُ يا رسول الله أنك تأتينى فتصلى فى بيتى فأتخذه مصلى ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « سأفعل إن شاء الله » قال عتبان فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار ، فاستأذن رسولُ الله ﷺ فأذنتُ له ، فلم يجلس حتى دخل البيت ، ثم قال : أين تحب أن أصلى من بيتك ؟ قال : فأشرت له إلى ناحية من البيت ، فقام رسول الله ﷺ فكبر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم . قال : وحبسناه على خزيرة — دقيق يطبخ بشحم — صنعناها له قال : فثاب فى البيت رجال من أهل الدار — أى أهل المحلة أو الحى — ذوو عدل فاجتمعوا ، فقال قائل منهم : أين مالك بن الدُّخَيْشن أو ابن الدُّخشن ؟ فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقل ذلك ألا تراه قد قال : لا إلٰه إلا الله يريد بذلك وجه الله ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين ، قال رسول الله ﷺ : فإن الله قد حرم على النار من قال لا إلٰه إلا الله يبتغى بذلك وجه الله » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : وساق حديثه الطويل فى تخلفه عن غزوة تبوك ومن هذا الحديث قوله : قال رسول الله ﷺ وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل : من بنى سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه . فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ » .

بهكذا يحافظ الإسلام على الأخوة فى الإسلام أن تخدش بكلمة تقال فى غيبة من قيلت فيه ، حتى ولو كانت هذه الكلمة من عيوبه ، ويجب على المسلم أن يرد غيبة أخيه المسلم .

٣ – عفو المسلم عن أخيه المسلم

هذا حق أكيد على المسلم نحو أخيه المسلم ، وهو من الحقوق التى إذا مارسها المسلمون وثقوا عرى الأخوة الإسلامية فيما بينهم ، وأصبحوا بذلك قريبين من رضا الله وتأييده ونصره .

إن عفو المسلم عن أخيه المسلم هو الأصل ، بل إن الله تبارك وتعالى أمر المسلم أن يعفو عمن ظلمه من المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله فى تفسر هذه الآية « والعافين عن الناس » ... يعفون عمن ظلمهم فى أنفسهم فلا يبقى فى أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكمل الأحوال ولهذا قال : « والله يحب المحسنين »[2] .

وأمر الله سبحانه بالعفو عمن أساء ولو كانت إساءته شتيمة وإهانة ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3] .

قال المفسّرون فى قوله تعالى : « خذ العفو » أى من أخلاق الناس وأعمالهم ، وفى صحيح البخارى بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : إنما أنزل خذ العفو من أخلاق الناس ، أى تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك[4] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٤ . (٢) ابن كثير القرشى : تفسيره : ١ / ٤٠٦ .
(٣) سورة الأعراف : ١٩٩ . (٤) ابن كثير : تفسيره : ٢ / ٢٧٧ .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] وهنا أثنى الله على العفو والمغفرة من المسلم نحو أخيه المسلم حتى لو شتمه كما سنذكر ذلك فى الحديث النبوى الشريف بعد قليل .

ومن العفو عن المسلم ما ألزم الله به المسلم نحو أخيه المسلم حتى لو قد أساء إليه فتوعد برد الإساءة وحلف على ذلك ، كما فى قصة أبى بكر الصديق مع ابن خالته مسطح ابن أثاثة الذى تحدث بالشر عن أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق فتوعده أبو بكر وحلف أن يقطع عنه صلة كان يؤديها إليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

وقد جاء فى السنة النبوية فى عفو المسلم عن أخيه المسلم ما نسوقه فيما يلى :

● روى الحاكم بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس إذا ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ما الذى أضحكك ؟ قال : رجلان من أمتى جيشا بين يدى رب العزة ، فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من هذا ، فقال الله تعالى : ردّ على أخيك مظلمته . فقال : يارب لم يبق لى من حسناتى شىء ، فقال : يارب فليحمل عنى من أوزارى ، ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء فقال : إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال : فيقول الله تعالى : أى للمتظلم : ارفع بصرك فانظر فى الجنان ، فقال : يارب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأى نبى هذا أو لأى صديق أو لأى شهيد ؟ قال الله تعالى : هذا لمن أعطى الثمن ، قال يارب ومن يملك ذلك ، قال أنت تملكه ، قال بماذا يارب قال : بعفوك عن أخيك ، قال : يارب قد عفوت عنه ، فيقول الله تعالى : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ، ثم قال ﷺ : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » .

● وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

(١) سورة الشورى : ٤٣ . (٢) سورة النور : ٢٢ .

ﷺ : « رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال ، فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ منه وليس ثمت دينار ولا درهم ، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم تكن له حسنات حملت عليه من سيئاتهم » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله ألا رفعه الله عز وجل » .

● وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن أبى بن كعب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من سرَّه أن يشرف له فى البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ، ويصل من قطعه » .

● وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين العافون عن الناس ، هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم ، وحق على كل امرىء مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رجلاً شتم أبا بكر رضى الله عنه والنبى ﷺ جالس ، فجعل النبى ﷺ يعجب ويتبسم ، فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله ، فغضب النبى ﷺ وقام ، فلحقه أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إنه كان يشتمنى وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت ؟ قال : « إنه كان معك ملك يردّ عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان ، ثم قال : « يا أبا بكر ثلاث كلهن حق : ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ ! فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك » .

٤ – وإحسان المسلم إلى أخيه المسلم

من حقوق المسلم على أخيه المسلم أن يحسن إليه فى كل موقف يستدعى الإحسان ، فقد طالب الإسلام بذلك عموماً وطالب بالإحسان إلى الأخ فى الإسلام على وجه الخصوص .

فمن الإحسان أن يحسن المسلم كل ما يقول وما يفعل ، ومن الإحسان أن يحسن المسلم إلى أخيه المسلم ، وكلا هذين النوعين من الإحسان يمكن فهمهما من الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[١] .

والإحسان أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه كما ورد فى الحديث : « وما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

والذى نحب أن نتحدث عنه هنا هو إحسان المسلم إلى أخيه المسلم فإن الله تعالى « يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض ، حتى أن الطائر فى سجنك والسنور فى دارك لا ينبغى أن تقصر فى تعهده بإحسانك »[٢] .

ولإحسان الأخ إلى أخيه فى الإسلام وجوه كثيرة نذكر منها ما يلى :

أ – أن يزوره ويعوده ويهدى إليه ولا يبيع على بيعه ولا يخطب على خطبته ولا يهجره فوق ثلاث : بكل هذه الأنواع من الإحسان وردت أحاديث نبوية شريف منها ما يلى :

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ « أن رجلاً زار أخاً له فى قرية ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا ،

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .

(١) القرطبى : تفسيره : ٣ / ٣٧٨٢ – ط الشعب – مرجع سابق .

غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال : فإنى رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبَّك كما أحببته فيه » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن رجلاً زار أخاً له فى الله فأرصد الله له ملكاً ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلاناً ، فقال : ألحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : لقرابة بينك وبينه ؟ قال : لا ، قال فبنعمة له عندك ؟ قال : لا ، قال : فَبِمَ ؟ قال : أحبه فى الله ، قال : فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » .

● وروى ابن عدى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما زار رجل رجلاً فى الله إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع » قيل وما خرفة الجنة ؟ قال : جناها ، والمعنى أن من عاد أخاً له مريضاً فكأنه فى بستان يجتنى ثمره .

ومن إحسان المسلم إلى أخيه المسلم أن يقدم له الهدية بمناسبة وبغير مناسبة .

● روى الإمام مالك بسنده عن عبد الله الخراسانى رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ : « تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » .

● وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « تهادوا فإن الهدية تذهب وَحَر الصدور ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » .

● وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « لا يبيع أحدكم على بيع بعض ولا يخطب أحدكم على خطبة بعض » .

● وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

ﷺ : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه » .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

● وروى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً » .

● وروى الإمام مالك بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا » .

ب – وأن يبتسم فى وجهه ويساعده فى كل ما يقدر عليه :

● روى الترمذى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك ، والعظم عن الطريق لك صدقة » .

● وروى الترمذى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » .

● وروى الديلمى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم ، وأن تحب تائبهم » .

● وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

جـ – وألاّ يُضَارّه لا يهدده جادًّا أو مازحاً ولا يُعَيّره :

ومعنى : ألاّ يضاره أى لا يتسبب فى أن يلحق به ضررٌ أدنى ضرر ، مادى كان هذا الضرر أو معنوى .

● روى الترمذى بسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به » .

● وروى الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله » .

● وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

● وروى البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يرمى رجل رجلاً بالفسق أو الكفر إلاَّ ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المتسابّان ما قالا ، فعلى البادى منهما حتى يعتدى المظلوم » .

● وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه » .

● وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما » .

● وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول : قال أبو القاسم ﷺ : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاً لأبيه وأمه » .

● وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا

يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » .

والآية القرآنية الجامعة فى هذا كله هى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1] قال القرطبى فى تفسيرها : إذاية المؤمنين والمؤمنات هى أيضاً بالأفعال والأقوال القبيحة ، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق ، وهذه الآية نظير الآية التى فى النساء : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ كما قال هنا . وقد قيل : إن من الإذاية تعييره بحسب مذموم ، أو حرفة مذمومة أو شيء يثقل عليه إذا سمعه لأن أذاه فى الجملة حرام »[2] .

د – وحق المسلم على أخيه المسلم فى قضاء حاجاته .

وهذا نوع من إحسان المسلم إلى أخيه المسلم ، وقد سبق أن أوضحنا أن الأخوة فى الإسلام تبدأ بالتعارف فالتآلف فالتفاهم فالرعاية والتفقد ، فالتعاون والتناصر ، إذ بمجموع ذلك كله تكون الأخوة فى الإسلام .

ولا يستطيع المسلم أن يقضى حاجات أخيه المسلم إلا إذا كان عارفاً به وبظروفه وما يحيط به .

والأصل فى أدب قضاء المسلم لحاجات أخيه المسلم أن يقوم بذلك دون أن يطلبه أخوه منه ، فضلاً عن أن يرجوه فضلاً عن أن يلح عليه ، لأن ذلك حقه الذى أوجبته الأخوة فى الإسلام من خلال النصوص الإسلامية :

● فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

● وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٨ .

(٢) القرطبى : تفسيره : ٦ / ٥٣٢٢ – ط الشعب – مرجع سابق .

الله ﷺ : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

● وروى البخارى لسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « ... ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » .

غير أن حاجات المسلم على أخيه المسلم يجب عليه قضاؤها له بشروط نذكر منها ما يلى :

١ - أن تكون هذه الحاجة من المباح الذى أحله الله .

٢ - وأن يكون من يقضى هذه الحاجات قادراً عليها إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وعليه أن يتشفع له عند من يقضيها .

٣ - وأن يكون قضاؤه لهذه الحاجات مصحوباً بالبشاشة والاستبشار .

٤ - وألا ينتظر حتى يطلب منه أخوه قضاء حاجاته .

وغير ذلك من الشروط والآداب الإنسانية الرفيعة .

والقاعدة العامة فى قضاء حاجات المسلمين أنّ من قدر على قضاء هذه الحاجات المباحة فقد أوجبت الأخوة فى الإسلام عليه أن يقضيها ، فإن لم يستطع فإنه يتشفع له فى قضائها ، سواء أكان هذا التشفع إلى سلطان أم مسئول أم واحد من الناس ، وسواء أكانت الحاجة كفَّ ظلم أم إسقاط تعزير ، أم تخليص حق لصاحبه أو لمحتاج أو غير ذلك .

أما أن يشفع له فى حق من حدود الله تعالى فذلك حرام ، كما تحرم الشفاعة التى تؤدى إلى تتميم باطل ، أو إبطال حق أو نحو ذلك .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : اشفعوا تؤجروا ، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب » .

بل إن قضاء حاجات المسلمين صدقة يتقرب بها إلى الله من لم يجد فرصة ليتصدق بمال .

● روى البخارى بسنده عن أبى بردة عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ : « على كل مسلم صدقة ، قالوا يا نبى الله ، فمن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فإن لم يجد ؟ قال يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يجد قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنهما له صدقة » .

وأدنى درجات قيام المسلم بحاجة أخيه المسلم هو أن يقضى له حاجته عند السؤال والطلب ، وأدب ذلك أن يكون قضاؤها مصحوباً بالبشاشة والاستبشار وإظهار الفرح .

وقد قال بعض أسلافنا الصالحين : « إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى — فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية : ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] .

وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة ، فجاءه بهدية فقال : ما هذا ؟ قال : لما أسديت إلىّ ، فقال : خذ مالك عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى » .

وقال الإمام الغزالى رحمه الله فى كتابه : (إحياء علوم الدين) : « كان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة ، يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ، ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته .

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت ؟ هل لكم ملح ؟ هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه ، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة ، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها » .

● روى الطبرانى بسنده عن أبى عتبة الخولانى رضى الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) سورة الأنعام : ٣٦ .

ﷺ : « ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب ، فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها » أى أصفاها من الذنوب وأصلبها فى الدين وأرقها على الإخوان .

وقال الحسن البصرى : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا وأولادنا يذكروننا بالدنيا ، وإخواننا يذكروننا بالآخرة .

ونستطيع أن نجمل القول فى هذا الحق الخاص بقضاء الحاجات أن يكون الأخ فى حاجة أخيه مثل ما يعنى بحاجة نفسه ، وأن يتفقد أخاه من نوع حاجاته ووقت احتياجه ، غير غافل عن أحواله كلها ، مغنياً له عن السؤال أو الطلب أو الانتظار حتى تظهر الحاجة ، ويقوم الأخ بحاجة أخيه بحيث لا يرى لنفسه فى قيامه بقضاء حاجاته أى حق له على أخيه ، فضلاً عن أن يشعر بالتفضل عليه .

ومن أدب قضاء حاجات الأخ المسلم أن يقدم ذلك على حاجة نفسه وتلك منزلة الإيثار التى امتدحها القرآن الكريم فى قوله سبحانه وتعالى فى حق الأنصار حين استقبلوا إخوانهم المهاجرين : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

لقد عامل الأنصار إخوانهم المهاجرين بالإيثار – وهو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الأخروية وذلك – فى الغالب – ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة .

وذكر ابن المبارك بسنده : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم تَلَكَّأْ ساعة فى البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها ، فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه فى بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ، ثم قال : تعالى يا جارية ، اذهبى بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها ، فرجع الغلام إلى

---

(١) سورة الحشر : ٩ .

عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، وقال : اذهب بهذا إلى معاذ ابن جبل وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال : وصله الله ورحمه وقال : يا جارية : اذهبى إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا ، فاطَّلَعت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق فى الخرقة إلا ديناران قد جابهما إليها ، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسُرَّ بذلك عمر وقال : إنهم إخوة بعضهم من بعض »[1] .

وقال حذيفة العدوى : « انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى – ومعى شيء من الماء – وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به فقلت له : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فإذا أنا برجل يقول : آه . آه فأشار إلىَّ ابن عمى أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه . آه ، فأشار هشام أن انطلق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات »[2] .

« وحكى عن أبى الحسن الأنطاكى : أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرى ، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم ، فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام ، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل فيه أحد شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه »[3] .

والإيثار مع الخصاصة – وهى الحاجة – هو أعلى درجات الإيثار .

– والشح والبخل سواء ، وفسرَّ ابن مسعود رضى الله عه البخل بأنه إمساك الرجل ماله ، والشح بأنه أكل مال أخيك ظلماً .

– وقال ابن جبير : الشح معناه منع الزكاة وادخار الحرام .

– وقال الليث : الشح ترك الفرائض وانتهاك المحارم .

– وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من اتبع هواه ولم يقبل الإيمان فذلك الشحيح .

– وقال أنس رضى الله عنه قال النبى ﷺ : « برىء من الشح من أدَّى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة » .

---

(١)،(٢)،(٣) القرطبى : تفسيره : ٨ / ٦٥٠٦ – ٦٥٠٧ – مرجع سابق .

- وقال أبو الهياج الأسدى : رأيت رجلاً فى الطواف يدعو: اللهم قنى شح نفسى ، لا يزيد على ذلك شيئاً ، فقلت له ، فقال : إذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم أفعل ، فإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - »[1] .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

---

(١) السابق : ٨ / ٦٥٠٨ .

٥ - وسكوت المسلم على عيوب أخيه فى الإسلام

من حق المسلم على أخيه المسلم أن يرعى شروط هذه الأخوة فى الإسلام وآدابها فى السكوت والكلام ، أى أنها حقوق كثيرة يتعلق بعضها بالسكوت عن عيوبه وهو ما سوف نتحدث عنه الآن - ويتعلق بعضها بالكلام وهو ما سنتحدث عنه بعد ذلك فى هذا الفصل من الكتاب إذا أذن الله .

إن الإسلام يحرص على نقاء هذه العلاقة الأخوية فى السر والعلن ويبرئها من أن تمس بأذى أو شر .

وحقوق المسلم على أخيه المسلم فى السكوت كثيرة نذكر منها ما يلى :

أ - حقه فى أن يسكت أخوه عن ذكر عيوبه بلسانه .

ب - وحقه فى أن يسكت عن ذكر عيوبه بقلبه .

ج - وحقه فى أن يسكت عن مماراته ومجادلته .

د - وحقه فى أن يسكت عن إفشاء سره .

ولكل حق من هذه الحقوق حديث نرجو أن نوضحه فى هذه الصفحات والله ولى التوفيق .

أ – حقه فى السكوت عن عيوبه بلسانه

حق الأخ على أخيه فى الإسلام أن يسكت عن الحديث عن عيوبه بلسانه متحدثاً بها إلى الناس ، وسواء أكان ذلك فى حضوره أو فى غيبته .

والسكوت عن ذكر العيوب هو نوع من كَف الأذى ، وذلك مطلب شرعى أصيل ، للأحاديث النبوية الشريفة التى ذكرناها آنفاً الداعية إلى المحافظة على الأخ فى الإسلام من أن يناله من أخيه ضرر أو شر مثل قوله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وقوله : « ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به » . وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « فإن تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك »[1] .

وما من شك فى أن سلامة الأخ من لسان أخيه تعنى ألا يذكر عنه عيباً ، لأن ذكر هذه العيوب مضارة المسلم ، وهى شر إذا ترك كان من الصدقات .

• روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ لم يكن يواجه أحداً بشىء يكرهه » .

• وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام – وفى رواية : من جار السوء الذى إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره » .

ونستطيع من خلال الهدى النبوى أن نتصور آداباً لستر المسلم عيوب أخيه المسلم وهى ما يلى :

– أن يسكت تماماً عن ذكر أى عيب يعلمه فى أخيه فى حضوره أو فى غيبته ، لأن ذلك أذى له ومضارة .

(١) ذكرنا هذ الأحاديث الثلاثة وخرجناها فيما سبق من هذ الفصل .

- وأن يسكت عن تبليغه بقدح غيره فيه ، لأن المبلغ كالعائب أو كالشاتم ، وتلك مضارّة بأخيه .
- وأن يسكت عموماً عن كل كلام يكرهه أخوه جملة وتفصيلاً إلا فى مجالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- وأن يسكت عن ذكر مساوىء أهل أخيه وأقاربه لأن ذلك من الغيبة وهى حرام منصوص على حرمتها .

وللإمام ابن المبارك رحمه الله كلمة جامعة فى عدم التعرض لذكر عيوب المسلم يقول فيها : « المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات » وذلك متساوق مع الحديث النبوى الشريف الذى رواه الدّارمى وهو : « خير الأصحاب خيرهم لصاحبه وخير الجيران خيرهم لجاره » بسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

ب – وحقه فى أن يسكت عن عيوبه بقلبه

ومعنى هذا الحق ألا يسىء المسلم الظن بأخيه المسلم لأن سوء الظن منهى عنه وهو غيبة القلب ، كما أن ذكر المسلم بما يكره غيبة اللسان ، والله تبارك وتعالى يقول فى شأن من يغتاب : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[1] قال ابن عباس رضى الله عنهما : « إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة فى الدين وقبيح فى النفوس »[2] .

وذكر العيب باللسان غيبة والغيبة تكون بذكر العَيْب فى الخَلْق والخُلُق والدين .

● روى أبو داود بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالتْ : قلت للنبى ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا – تعنى قصيرة – فقال : « لقد قلت كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته » قالت : وحكيت له إنساناً فقال : « ما أحب أنى حكيت إنساناً وأن لى كذا وكذا » .

● وروى أبو داود بسنده عن المستورِدَ[1] رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ، ومن كسى ثوباً برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة » .

ومن خلال هذه النصوص نستطيع أن نستخلص آداباً للسكوت عن عيوب الأخ المسلم بالقلب نذكر منها ما يلى :

– ألا يحمل المسلم قول أخيه المسلم ولا عمله على وجه فاسد مادام فى الإمكان

(١) سورة الحجرات : ١٢ . (٢) القرطبى : تفسيره : ٧ / ٦٥١٦ – مرجع سابق .

(١) هو المستورد بن شداد رضى الله عنه صحابى من أهل مكة سكن الكوفة وشهد فتح مصر وتوفى بالإسكندرية له سبعة أحاديث منها حديثان فى صحيح مسلم .

أن يحمله على وجه حسن .

- وأن يحمل ما يشاهده مما لا يرضاه على السهو منه أو النسيان لأن ذلك من حسن ظن المسلم بأخيه المسلم .

- وأن يشرب قلبه حسن الاعتقاد فى صلاح أخيه ، فإن صدر عنه قول أو فعل يحتمل الصواب والخطأ ، فإن حسن اعتقاده فى أخيه يجعله يحسن الظن به ويحمل ذلك على الأحسن ، وإلا وقع فى سوء الظن بأخيه ، والظن حرام بقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » .

وحكى الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله أن عيسى عليه السلام قال للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائماً وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ قالوا : نستره ونغطيه ، قال : بل تكشفون عورته ، قالوا : سبحان الله !!! من يفعل هذا ؟ فقال : أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها »[1] .

ومن المقرر فى الإسلام أن المسلم يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه – كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية التى ذكرنا آنفاً – وما من شك فى أن كل مسلم ينتظر من أخيه أن يسكت عن عيوبه ومساويه لأنه يحب أن يسكت أخوه عن عيوبه ومساويه .

- وأن يباعد بين نفسه وبين الحقد والحسد أن يدخلا قلبه نحو أخيه ، لأن الحقد على المسلم أو الحسد له – فى غير الغبطة أى تمنى نفس النعمة دون تمنى زوالها عن المنعم عليه – حرام ، كما دلت على ذلك نصوص إسلامية كثيرة ذكرنا بعضها آنفاً وسنذكر بعضها فيما يأتى من هذا الكتاب .

والحقد هو أن يمسك أحد الناس العداوة لأخيه فى قلبه ، وأن يتربص لفرصتها ، والحقد والضغن سواء .

أما الحسد فهو أن يتمنى زوال نعمة أنعمها الله على أحد من خلقه سواء أتمنى أن تكون له هذه النعمة أو لا تكون وسواء أكانت نعمة فى الدين أو فى الدنيا .

(١) الإمام أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ٢ / ١٥٦ – ط الحلبى مصر .

وكل من الحقد والحسد حرام منهى عنه ، لأن المؤمنين إخوة لا ينبغى لأحد منهم أن يضمر الحقد أو الحسد نحو أخيه ، وإنما هى المحبة والألفة والتعاون والتناصر على نحو ما بينا آنفاً ، ومن لم يبرىء قلبه من الحقد والحسد فقد عصى الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين ، وقد وردت أحاديث نبوية فى النهى عن هذا .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ... » .

● وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال : العشب » .

والحسد مذموم ، وصاحبه مغموم ، كما قال أسلافنا رحمهم الله ، وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : لاتعادوا نعم الله ، قيل له : ومن يعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، يقول الله فى بعض الكتب : الحسود عدو نعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى »[1] .

ويقال : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء وأول ذنب عصى الله به فى الأرض ، فأما فى السماء فحسد إبليس لآدم عليه السلام ، وأما فى الأرض فحسد قابيل هابيل »[2] .

● روى الترمذى بسنده عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفسى محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحابيتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

والحسد نوعان : مذموم ومحمود . فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله من أخيك المسلم ، سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا ، وهذا النوع الذى ذمه الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3] وإنما كان مذموماً لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

---

(١) القرطبى : تفسيره : ٥ / ٢٥١ ط دار الكتب المصرية . (٢) السابق : ٥ / ٢٥٢ .

(٣) سورة النساء : ٥٤ .

وأما المحمود فهو ما جاء فى صحيح الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » كما رواه ابن ماجة بسنده عن سالم عن أبيه رضى الله عنه .

● وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

والغبطة هى أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ، ولا يزول عنه خيره ، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[1] .

وبعد : فإن المسلم يجب أن يخلو قلبه من أى حقد أو حسد نحو أخيه فى الإسلام حتى يبرأ من الإثم والمعصية ، ويسلم له دينه ، وتهنأ له دنياه .

(١) سورة المطففين : ٢٦ .

جـ - وحق المسلم فى أن يسكت أخوه عن مماراته ومجادلته

المـراء هـو : الشك والجدل .

والجدال هو : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة .

والجـدل هو : اللدد فى الخصومة والقدرة عليها .

وقد أمرنا النبى ﷺ بترك المراء حتى لو كنا على الحق ، فضلاً عن تحريمه لمن كان مُبْطِلاً .

● روى أبو داود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خلقه » .

● وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الكذب - أى المراء بالباطل - وهو باطل بنى الله له قصراً فى ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » .

● وروى الدارمى بسنده عن يحيى بن أبى كثير قال : قال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه : « دع المراء فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان » .

● وروى الدارمى بسنده عن محمد بن واسع قال : كان مسلم بن يسار يقول : إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغى الشيطان زلته » .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « لا تمار سفيهاً فيؤذيك ولا حليماً فيقليك » .

وعند التأمل فى حق الأخ على أخيه فى ترك مماراته وجداله يتبين لنا أن المماراة والجدال من أكبر الأسباب لإثارة نار الأحقاد بين الإخوان ، ولأن المماراة والمجادلة هى التى تُفْضِى إلى التقاطع والتدابر ، لأن هذا التقاطع يحدث أولا بالأراء ثم يحدث بالأقوال ، ثم يكون بالأبدان ، وقد ذكرنا فيما مضى الحديث النبوى الشريف الذى

رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه وفيه نهى عن التقاطع والتدابر والتباغض والتحاسد ، وهو : « ... لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً » .

كما أن فى هذا الحديث الشريف قوله ﷺ : « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » وأشد الاحتقار المماراة ، وبيان ذلك أن من مارى أخاه فقد رد عليه كلامه ونسبه إلى الجهل والحمق أو الغفلة والسهو ، وذلك كله داخل فى الاحتقار ، والاحتقار شر منهى عنه بهذا الحديث الشريف وغيره ، فضلاً عما فيه من إيغار الصدور .

● وروى الديلمى فى « الفردوس » بسنده عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال : ذروا المراء لقلة خيره ، وذروا المراء فإن نفعه قليل وأنه يهيج العداوة بين الإخوان » .

● وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه » .

والمماراة نافية عن صاحبها ، حسن الخلق ، وحسن الخلق مطلب أساسى فى الإسلام دعت إليه أحاديث نبوية كثيرة ، ذكرنا بعضا آنفاً ونذكر منها الآن ما يلى :

● روى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

● وروى أيضاً بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما من شىء أثقل فى الميزان من حسن الخلق » .

● وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم بسط الوجه وحسن الخُلق » .

د – وحقه فى ألا يفشى له سراً

من أحكام الإسلام وآدابه – كما سبق أن أوضحنا ستر على المسلم أخيه المسلم – وحفظ سر الأخ وعدم إفشائه من الستر الذى طالبتنا به النصوص الإسلامية – كما ذكرنا آنفاً وكما نذكر الآن :

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة ... » .

● وروى الطبرانى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها إلا دخل الجنة » .

● وروى الحاكم بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها » .

● وروى أبو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حدَّث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة » .

● وروى أبو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس يسفك فيه دم حرام ، ومجلس يستحل فيه فرج حرام ، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله » .

● وروى أبو بكر بن بلال فى مكارم الأخلاق بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يغشى على صاحبه ما يكره » .

● وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن عمر رضى الله عنه حين تأيمت بنته حفصة قال : لقيت عثمان بن عفان رضى الله عنه فعرضت عليه حفصة فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ؟ قال : سأنظر فى أمرى ، فلبثت

ليالى ثم لقينى فقال : قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا ، فلقيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر رضى الله عنه فلم يرجع إلىّ شيئاً ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبثت ليالى ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقينى أبو بكر فقال : لعلك وجدتَ علىّ حين عرضتَ علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ؟ فقلت نعم . قال : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىّ إلا أنى كنت علمت أن النبى ﷺ ذكرها ، فلم أكن لأفشى سرَّ رسول الله ﷺ ، ولو تركها النبى ﷺ لقبلتها » .

وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما : إنى أرى هذا الرجل – يعنى عمر بن الخطاب – يقدمك على الأشياخ فاحفظ عنى خمساً :

لا تُفْشِيَنّ له سراً ، ولا تغتابنّ عنده أحداً ، ولا تُجْرِيَنَّ عليه كذباً ، ولا تعصين له أمراً ، ولا يطلعن منك على خيانة .

فقال الشعبى ، كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف »[1] .

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين : ٢ / ١٥٨ ، مرجع سابق .

٦ – ونطق المسلم لأخيه فى الإسلام بما يحب

كما أوضحنا أن السكوت عن المعايب من حق المسلم على أخيه المسلم ، فإن نطق السلم لأخيه المسلم بما يحب أن يستمع إليه من حقوقه كذلك ، بل ذلك حق أوكد وأوثق ، فالسكوت ترك ، والنطق فعل ، والسكوت كفٌّ للأذى ، والنطق له ، بما يحب تودد وتآلف وتوثيق لعرى الأخوة فى الله . وذلك انطلاقاً من أن حب الأخ لأخيه فى الله واجب شرعى طالبت به تلك النصوص الإسلامية التى ذكرنا كثيراً منها فى حديثنا عن مكانة الأخوة فى الإسلام .

وليس يوثق هذه الأخوة شيء مثل أن يسمع الأخ من أخيه ما يحب ، وفى سبيل توضيح هذه الأمور التى يجب أن ينطق بها الأخ لأخيه فى الإسلام ، نعد منها ما يلى :

أ – أن يدعوه بأحب الأسماء إليه .

ب –وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسن أحواله دون ملق أو رياء فى مدح أو ذم .

جـ – وأن يبلغه ثناء من أثنى عليه فى غيبته دون مبالغة أو تهويل قد يعين الشيطان عليه .

د – وأن يثنى على أولاده وأهله ، وصفته ، وفعله وعقله وخلقه وهيئته وجميع ما يفرح به .

هـ – وأن يشكره على صنيعه معه حتى لو كان ذلك فى نيته ولم ينفذه بعد .

و – وأن يدافع عنه فى حضوره وغيبته مع الالتزام بالحق فى هذا الدفاع .

ز – وأن ينصحه ويعلمه فى السر والعلن .

ولنلق ضوءً على كل أدب من هذه الآداب التى يتطلبها نطق الأخ لأخيه فى الإسلام بما يحب والله ولى التوفيق .

أ – حقه فى أن يدعوه أخوه بأحب الأسماء إليه

الكلام الطيب عموماً مطلوب من المسلم فى التعامل مع كل مسلم قال الله تعالى يخاطب رسولنا ﷺ ويعلمنا : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وقال عز شأنه : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2] .

● روى الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « ... والكلمة الطيبة صدقة » .

● وروىَ البخارى بسنده عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

والكلمة إنما تكون طيبة إذا كانت مختارة بحيث ترضى الله تبارك وتعالى ، وبحيث تكون بعيدة عن الفحش والبذاء ، ولا تتضمن إساءة لأحد حتى لو كانت هذه الإساءة مجرد جرح شعوره أو حيائه – مما ألف الناس الاستهانة به – ولا يشك فى أن بعض الناس قد يؤذيه أن ينادى باسم من أسمائه ليس أحب الأسماء إليه ، ونحن المسلمين مطالبون بأن ينادى كل منا أخاه بأحب أسمائه إليه فى غيبته أو حضوره وصولاً إلى إرضائه الذى هو مطلب فى حد ذاته مادام ذلك الإرضاء لا يخالف شيئاً من آداب الإسلام .

وقد أثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « ثلاث يُصْفِين لك ودّ أخيك ، أن تسلم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسع له فى المجلس .. وتدعوه بأحب الأسماء إليه » .

إن نداءه بأحب الأسماء إليه يوثق أخوته فى الإسلام ، ويزيد من اقتناعه بأن أخاه الذى

---

(١) سورة الحجر : ٨٨ . (٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

دعاه بأحب الأسماء إليه يحبه ويحب أن يسمعه ما يحب ، ويعلنه أن ذلك من أدب الإسلام فيأخذ هو به فى نداء أى أخ مسلم ، ومن هنا يصطبغ المجتمع بصبغة المحبة والمودة التى تربط بين القلب .

وإن هذا الحق للأخ على أخيه فى الإسلام يمثل قيمة عظيمة من القيم الإسلامية التى تغرس حسن العلاقة بين المسلمين ، وتوضح مدى ما تتغلغل به قيم هذا الدين فى نشر المودة والتآلف بين الناس ، وتقنع من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن الإسلام دين الحياة ودين الوئام والمحبة والأخوة ودين المستقبل المشرق .

ب – وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسن أحواله

وهذا الثناء ليس هو المدح فى المواجهة لأن ذلك المدح ذمّه الإسلام وجعل هذا المادح جديراً بأن يحثى فى وجهه التراب ، وحذر من أن ذلك قد يعين الشيطان على هذا الممدوح إذا قد يصيبه بالعجب أو الغرور .

وعلى قدر ما بغّض الإسلام فى أن يمدح الرجل أخاه أو يثنى عليه فى وجهه خشية أن يغتر الممدوح ، فإنه جعل من حق الأخ على أخيه فى الإسلام أن يثنى عليه فى غيبته ، لأن ذلك يحقق أكثر من فائدة نشير إلى بعضها فيما يلى :

- أن يبعد المثنى عن مظنة المن والرياء لأن الممدوح ليس حاضراً بل هو غائب عن مجلس المدح .
- وأنه يرفع عن المثنى كثيراً من الحرج ، إذ لم يعن الشيطان بمدحه على أخيه .
- ويوثق المحبة والأخوة حين يعلم الممدوح أن أخاه قد أثنى عليه فى غيبته .
- وفيه مما يسر لهذا الأدب وهو أن ينطق لأخيه بما يحب .

وتزداد أهمية هذا الثناء إذا كان قد أثنى عليه بما فيه من محاسن عندما يكون الثناء أمام من ينفعه هذا الثناء فيحسّن رأيه فى الممدوح ويزداد احتراماً له ورغبة فى أن يتصف بمثل صفاته .

وأدب الإسلام عندما يثنى أحد المسلمين على أخ له فى الإسلام فيزكيه بهذا الثناء أن يقول : أحسبه كذلك ولا أزكى على الله أحداً .

● روى أبو داود بسنده عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه رضى الله عنه أن رجلاً أثنى على رجل عند النبى[1] ﷺ فقال له : « قطعت عنق صاحبك » ثلاث

---

(١) أى وكان الممدوح فى نفس المجلس لأن الثناء بظهر الغيب لا بأس به مادام ملتزماً بأدب الإسلام .

مرات ثم قال : « إذا مدح أحدكم صاحبه لا محالة فليقل : إنى أحسبه كذلك ولا أزكى على الله أحداً » – وفى رواية « ولا أزكيه » .

أما أن يعرف الأخ عن أخيه فى الإسلام محاسن ومحاب ثم يسكت عنها فإن ذلك أقرب إلى الحسد – أعاذنا الله منه – وهو منهى عنه محظور – كما أوضحنا آنفاً .

إن هدا الثناء من أدب الأخوة فى الإسلام ، وهو موضع الرضا من الله تبارك وتعالى مادام قد التزم فيه المثنى بأدب الإسلام فى الثناء .

جـ – وأن يبلغه ثناء من أثنى عليه فى غيبته

إن الهدف من حقوق الأخ نحو أخيه بأن ينطق بما يحب هو أن تتوثق هذه الأخوة وتقوى أواصرها ، وكل عمل يرضى الله تبارك وتعالى ويؤدى إلى تحقيق هذا الهدف هو مطلب محبب إلى المسلم الملتزم بآداب دينه .

ومن صميم هذه الأعمال الناجحة فى توثيق عرى المحبة والأخوة فى الإسلام أن يبلغ الأخ أخاه بأى ثناء أثناه عليه أحد الناس – مادام ذلك فى حدود أدب الإسلام – لأن ذلك فضلاً عما فيه من توثيق عرى الأخوة فى الإسلام ، فإن فيه كذلك تحسيناً للصلة بين المثنِى والمثنَى عليه ، وفى كل ذلك دعم للروابط الأخوية فى الإسلام .

● روى أبو داود بسنده عن السائب رضى الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ ، فجعلوا يثنون على ويذكرونى ، فقال رسول الله ﷺ : « أنا أعلمكم » يعنى به ، قلت : صدقت بأبى أنت وأمى ، كنت شريكى ، فنعم الشريك كنت لا تدارى ولا تمارى » .

إن هذا الحق قد يبدو إذا لم يتأمل فى مقاصده وأهدافه وكأنه غير هام أو غير ضرورى ، ولكن عند التأمل والتعمق نستطيع أن نرى لهذا الحق من الفوائد الاجتماعية ما نشير إلى بعضه فيما يلى :

- أن هذا الخلق يوثق العلاقة بين ثلاثة أطراف من المسلمين المثنِى والمثنَى عليه ومن نقل هذا الثناء وفى ذلك دعم للمحبة فى الله .
- وأن هذا الخلق عندما يكون عاماً ويمارسه المسلمون جميعاً تتسع دائرة المحبة بين المسلمين وتزداد الثقة بين أكبر عدو من المسلمين .
- وأن هذا الخلق يشيع الكلمة الطيبة فى المجتمع المسلم ويحاصر الكلمة الخبيثة ، وفى هذا الخير كل الخير .

والإسلام حريص على أن تسود العلاقات الطيبة بين المسلمين جميعاً ، والمجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على التعاطف والمرحمة ، والتعاون على البر والتقوى ، ونبذ التعاون على الإثم والعدوان ، وكل ذلك إنما يربو ويزكو شيوع الكلمة الطيبة وتبليغ من أُثنى عليه بهذا الثناء مع الالتزام بأدب الإسلام فى ذلك .

د – وأن يثنى علي أولاده وأهله وكل ظروفه

أحب أن أؤكد أن هذا الثناء على أولاد هذا الأخ فى الإسلام وعلى أهله وذويه وما يحيط به ليس من النفاق أو الملق والرياء وإنما هو أسلوب مهذب ورقيق وفيه رفق فى التعامل مع هذا الأخ فى الإسلام مع ضرورة التنبيه على أن هذا الثناء والذى سبقه لابد فيهما من مراعاة أدب الإسلام ، ولابد من بعدهما عن المبالغة فضلاً عن الكذب ، وأن يظلا دائماً فى موقع تحسين ما يقبل التحسين .

وما دام من حق الأخ أن ينطق له أخوه بما يحب من أجل توثيق رابطة الأخوة ، فإن الكلام المحبب إلى النفس مطلوب بل مرغوب فيه .

وليس أدخل للسرور فى نفس المؤمن من أن يخاطبه أخوه بالكلمة الطيبة وإلا يواجهه بشيء يكرهه كما كان ذلك شأن النبى ﷺ دائماً ، وأن يثنى عليه وعلى ولده وأهله وذويه – فى غير مواجهته ، وبحيث يكون ذلك موافقاً لأدب الإسلام كما أشرنا غير مرة

وعلى الأخ الذى أثنى عليه أخوه أن يتقى الله فيما سمع أو عرف من هذا الثناء ، فإن وجد هذا الثناء فى محله لاتصافه بما وصف به حمد الله سبحانه وسأله المزيد من هذا الخير ، وشكر الله على تلك النعم ، وإن وجد غير ذلك استعان بالله وحاول أن يكون عند حسن ظن إخوانه به فأصلح من شأن نفسه بحيث تتوفر فيه هذه الصفات ، فذلك شأن المسلم الصادق مع ربه ونفسه الذى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه .

وكل أخ يستطيع أن يثنى على أخيه فى ظل الموازين الشرعية التى ذكرنا – وهى ترك المبالغة والكذب وعدم الثناء عليه فى وجهه – لأن كل واحد من المسلمين فيه جوانب من الخير والصلاح يمكن أن تستحق الثناء ، والماهر من الإخوة هو الذى يستطيع معرفة هذه الجوانب ثم يصفها ، ويثنى على صاحبها فى غير مواجهته .

وكل من نظر إلى أخيه بعين الرضا والحب فى الله وجد فيه ما يستحق الثناء ، كما أن عين السخط لا تجعله يرى سوى المثالب والعيوب ، ونحن منهيون – كما أوضحنا

ذلك آنفاً – أن ننظر إلى إخواننا بعين السخط فضلاً عن عدم الرضا .

وكل مسلم يستطيع أن يُرضى أخاه فى الإسلام بتمسكه بأخلاق القرآن أو أن يسخطه بتنحيه عن هذه الصفات ولقد حدث ذلك بالنسبة لبعض المسلمين أمام النبى ﷺ ، فقد روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى بكرة رضى الله عنه أن رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ ، فلما كان من الغد ذمّه ، فقال النبى ﷺ : « أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه » ، فقال : والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم ، إنه أرضانى بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبنى اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحراً » وما أنكر عليه النبى ﷺ الثناء فى حق أخيه .

هـ – وأن يشكره على صنيعه معه

إن المسلم أى مسلم لا يمكن أن يطيع الله ولا يعصيه ، كما أنه لا يمكن أن يعصى الله ولا يطيعه ، بل الخير كل الخير فى أن تكون طاعته أكثر من معصيته ، ومادام المسلم كذلك فمن المستبعد ألا يمارس المعروف مع غيره من الناس فضلاً عن إخوانه .

وكل مسلم صُنِع معه معروف وجب عليه أن يشكر من صنع هذا المعروف ويقدره ، لأن هذا الشكر واجب لما ورد فى السنة النبوية :

● روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « لا يشكرُ الله من لا يشكر الناس » .

● وروى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أُعطى عطاء فوَجَدَ فليَجْزِ به ، فإن لم يجد فليثن به ، فمن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » .

● وروى الترمذى بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ صُنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ الثناء » .

والأصل فيمن يصنع مع أخيه معروفاً أن يجزيه أخوه عنه بمعروف مماثل أو أكبر إن استطاع ، فإن لم يستطع – أى لم يجد – فليثن ، كما ورد فى الحديث النبوى السابق : « من أعطى عطاء فوجد ... » .

ومعنى ذلك أن الثناء أو الشكر يجب أن يكوت متبادلاً بين الأخوين ، وذلك أدب الإسلام وخلقه .

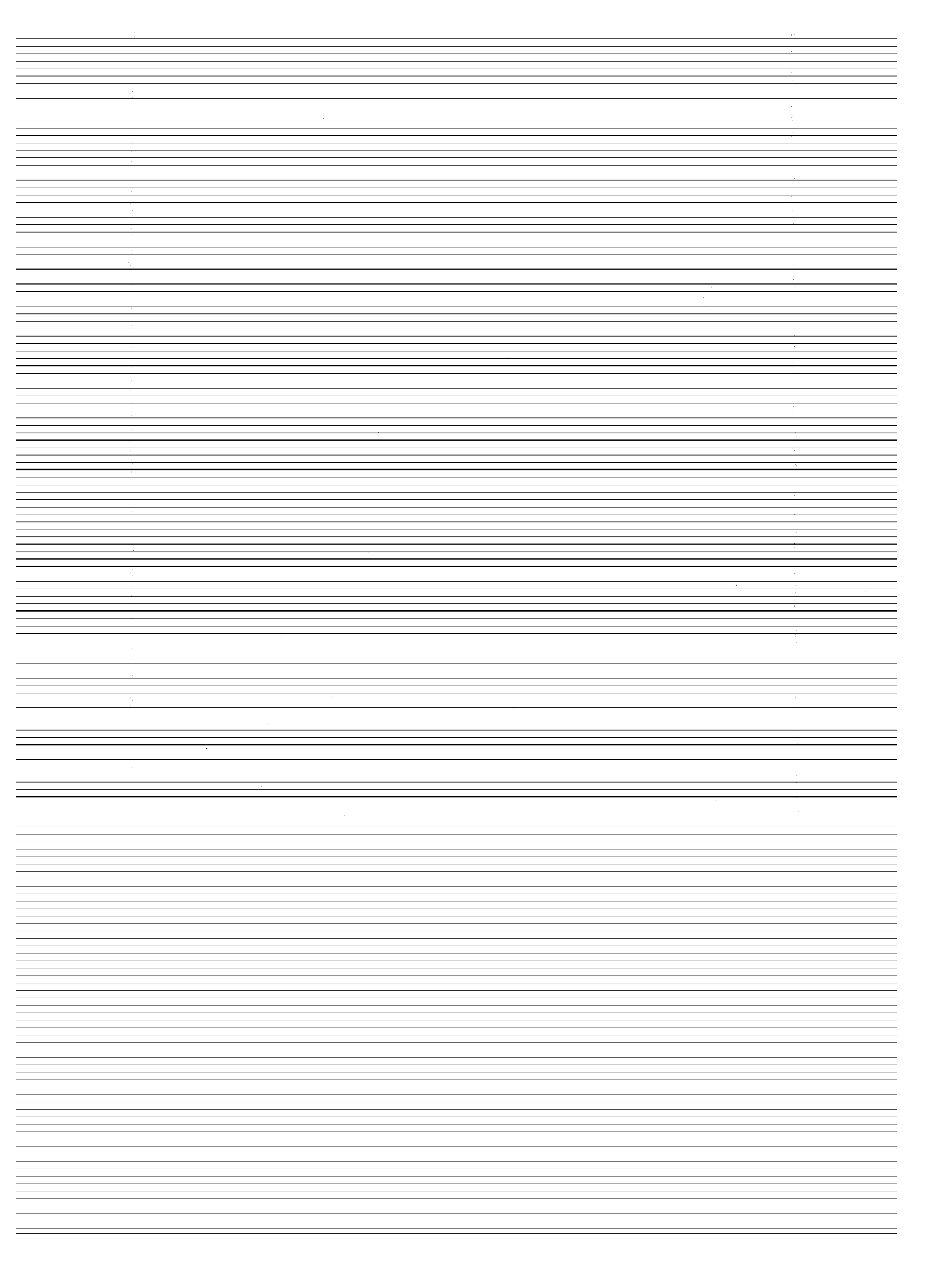
ومهما يكن ذلك الصنيع ضئيلاً أو قليلاً فإن الإسلام يوجب على المسلم أن يشكر عليه :

● روى الإمام أحمد بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال النبى

ﷺ على هذه الأعواد أو على هذا المنبر : « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو يمشى فى شدة الحر انقطع شسع نعله ، فجاءه رجل بشسع فوضعه فى نعله ، فقال رسول الله ﷺ : « لو تعلم ما حملتَ عليه رسول الله - ﷺ - لم تفعل ما حملتَ عليه رسول الله » .

أى أن الرجل الذى قَدَّم الشسع للنبى ﷺ قد كلَّف النبى ﷺ بهذا الجميل بشىء لا يستطيع أن يكافئه عليه ، ولو علم بذلك الصحابى لم يفعل ، حتى لا يكلف النبى ﷺ بذلك ، وهذا من تواضعه ﷺ ومبالغته فى شكر صانع المعروف .



٧ – وحقه فى أن ينصحه ويعلمه

النصيحة عند المسلمين حق عام لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وهو حق لا يستطيع مسلم أن يتخلى عن أدائه نحو أصحابه ، فقد ثبت وجوب النصيحة على الناصح بأحاديث نبوية شريفة نذكر منها ما يلى :

● روى الإمام مسلم بسنده عن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

● وروى الشيخان بسنديهما عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » .

● وروى الشيخان بسنديهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وتعليم المسلم كنصيحته حق له على كل قادر عليه من المسلمين وهو مع الأخ فى الإسلام أوجب .

ودليل وجوب تعليم المسلم لأخيه المسلم قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[1] وفى تفسير هذه الآية جاءت هذا الأقوال :

« قال الحسن وقتادة : هى فى كل من أوتى علم شىء من الكتاب ، فمن علم شيئاً فليعلمه ، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة .

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٧ .

وقال محمد بن كعب : لا يحل لعالم أن يسكت عن علمه ولا للجاهل أن يسكت على جهله .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ، ما حدثتكم بشيء ، ثم تلا هذه الآية »[1] .

« وقال الحسن بن عمارة : أتيت الزهرى بعد ما ترك الحديث ، فألفيته على بابه فقلت : إنى رأيت أن تحدثنى ، فقال : أما علمت أنى تركت الحديث ؟ فقلت : إما أن تحدثنى وإما أن أحدثك ، قال : حدثنى : قلت حدثنى الحكم بن عتيبة عن يحيى ابن الخزار قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا ، قال فحدثنى أربعين حديثاً »[2] .

ومواساة الأخ أخاه بالمال عند الحاجة واجبة ، فمواساته بالعلم عند الحاجة واجبة كذلك ، وبخاصة إذا كان العلم هو العلم بالدين .

وإرشادالأخ أخاه إلى كل ما ينفعه فى دينه ودنياه واجب مادامت هناك قدرة على هذا الإرشاد وحاجة الأخ إليه ، فإذا لم يصادف هذا الإرشاد قبولاً ولا عملاً عند من قدم إليه فعلى الأخ أن ينصح أخاه مبصراً إياه بآفات ترك العمل بالعلم ويخوفه من العلم دون عمل ومن العمل على غير علم ، وينبهه إلى أن ذلك من العيوب التى يجب أن يتخلى عنها ويحسّن له الحسن ويقبح له القبيح .

ويجب أن يكون ذلك فى السر بحيث لا يطلع عليه أحد ، فإن نصحه أحد إخوانه أمام أحد خرجت النصيحة إلى حيز أن تكون توبيخاً وتقريعاً ، فإن زاد عدد من نصحه أمامهم تجاوزت النصيحة إلى التشهير والفضيحة ، وهدا كله غير جائز .

والمسلم مرآة أخيه بمعنى أنه يرى فيه من عيوب نفسه ما لا يراه من نفسه .

وللإمام الشافعى رحمه الله كلمة فى سرية النصيحة وعلنيتها ، قال فيها : من وعظ

---

(١) القرطبى : تفسيره : ٢ / ١٥٤٦ ط الشعب مصر .
(٢) السابق : ٢ / ١٥٤٧ .

أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .

« وقال أسلافنا من العلماء رحمهم الله : إن الله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سراً ، وقد يدفع كتاب عمله مختوماً إلى الملائكة الذين يمضون به إلى الجنة ، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوماً ليقرأه ، وأما أهل المقت فينادون على رءوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزياً وافتضاحاً »[1] .

ولهذه النصيحة الواجبة من المسلم نحو أخيه فى الإسلام ، آداب وأخلاقيات درج على مراعاتها أسلافنا رحمهم الله ، وهى آداب نابعة من أخلاق الإسلام ، وسوف نذكر منها ما يلى :

أ – البعد فى إسداء النصيحة عن المداهنة

قالوا : وإنما تكون النصيحة مداهنة إذا نصحت أخاك من أجل حظ نفسك ومنفعتك الشخصية ، أو لتحقيق أغراضك وأهوائك ، فإن هذه النصيحة لا تستهدف صالح أخيك وإنما تستهدف صالحك أنت ، وهذا خطأ ومراءاة ومداهنة يرفضها أدب الإسلام وتأباها أخلاقه .

وكيف تستقيم هذه النصيحة أو تصح فضلاً عن أن تنفع وفيها مداهنة ؟ وكيف تجوز المداهنة مع أن الأصل هو الإخلاص للأخ فى الإسلام وإخلاص النصيحة ؟

وكيف تتصور أخوة فى الإسلام بين أخوين يعامل أحدهما أخاه بالمداهنة أو الرياء أو إيثار حظ النفس ؟

ب – والتزام الإغضاء فى معظم الأحوال

من أدب النصيحة الإغضاء أى تجاهل الموقف الذى يوجب النصيحة إلى حين واحتمال المكروه والأذى .

وشرط جواز هذا الإغضاء أن يكون من أجل الدّين وسلامته ، ومع أمل ورجاء

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين : ٢ / ١٦٠ – مرجع سابق .

فى أن ينصلح حال المنصوح ، عندئذ يكون التغاضى أو الإغضاء مطلباً جوهرياً ، ويكون تركه إخلالاً بواجبات المناصحة ، بل إخلالاً بواجبات الأخوة فى الإسلام .

إن إغضاء الأخ عن أخيه وقد رآه على موقف يستوجب النصح هو نوع من السَّتْر عليه وذلك واجب كما عرفنا ذلك ونحن نتحدث عن ستر المسلم على أخيه المسلم .

وعلى الأخ أن يظل على حال الإغضاء عن أخيه حتى يرى ما لا يمكن السكوت عليه ، كإصرار المنصوح على الاستمرار فى الخطأ أو متابعة الذنب ، وبشرط أن تكون النصيحة فى السر ، وبالحكمة والموعظة الحسنة .

جـ - وأن يكون العيب الذى ينصح الأخ أخاه بالتخلى عنه من العيوب التى لا يعرفها المنصوح عن نفسه

وذلك أن تنبيه الأخ لأخيه ونصحه له بالتخلى عن عيب واضح يعرفه المنصوح عن نفسه ، فيه إيحاش للقلب وتجاهل لحقوق الأخوة فى الإسلام .

إن تنبيه الأخ لأخيه على عيب لا يعرفه المنصوح عن نفسه هو من باب شفقة الأخ على أخيه وهى باب واسع فى استمالة القلب وإيناسه ، وبخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن المنصوح يرحب بالنصيحة من أجل دينه ، بل على المنصوح أن يشكر الناصح لأنه صنع به معروفاً ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله كما أوردنا فى الحديث النبوى السابق .

وتلك هى الترجمة الحقيقية لمعنى أن يكون المؤمن مرآة لأخيه المؤمن إذا رأى فيه أذى وجب عليه أن يميطه عنه وبهذا يتكامل بناء المجتمع المسلم .

د - وأن يستهدى الأخ أخاه عيوبه

وهذا من أدب النصيحة أيضاً ، وهذا الأدب يلتزم به المنصوح ، إذ المؤمن الحريص على أن يترقى فى مدارج الطريق إلى الله تستشرف نفسه دائماً إلى أن يتعرف أى عيوب تعوقه أو تعترض طريقه ، ولن يجد أكثر إخلاصاً له وحباً من أخيه الذى جمعت بينه وبينه أخوة فى الإسلام ، فعليه أن يطلب منه تبصيره بعيوبه .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستهدى عيوبه من إخوانه

ويقول : رحم الله امرءً أهدى إلى أخيه عيوبه . وقد طبق ذلك عمر رضى الله عنه عملياً حين قال لسلمان الفارسي رضى الله عنه وقد قدم عليه : ما الذى بلغك عنى مما تكره ؟ فاستعفى سلمان من الإجابة فألح عليه عمر فقال سلمان : بلغنى أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل ، وبلغنى أنك تجمع إدامين على مائدة واحدة ، فقال عمر : أما هذان فقد كفيتهما ، فهل بلغك غيرهما ؟ قال : لا .

هـ – وأن يحب المنصوح ناصحه

وذلك من أدب النصيحة أيضاً بإهدائه النصح لأخيه إنما يختار له أحسن الطرق المؤدية إلى رضا الله تبارك وتعالى ، ومن كان هذا شأنه فهو أولى أن يُحَب ويدعى له .

ومن المتعارف عليه بين الصالحين أنه لا يكره الناصح ولا يضيق له أو بنصحه إلا الغافل أو الأحمق ، لأنه عندما كره الناصح كره الخير لنفسه فى دينه ودنياه ولا عاقل يفعل ذلك فضلاً عن رجل صالح يرغب فى أن يستكثر من الخير فى دينه ودنياه .

ومن المتعارف عليه كذلك أن كراهية الناصح تصدر غالباً من مستكبر مكذب للحق معاند له ، لا يستفيق من هده الغفلة إلا بعد فوات الأوان أو فوات الأخذ بالنصيحة ، وقد طالب نبى الله صالح عليه السلام قومه بعبادة الله وحده ، وجاءهم على ذلك ببينة الناقة ، وذكرهم بنعم الله عليهم ، فكفروا وكذبوا وعقروا الناقة ، وعتوا عن أمر ربهم ، فأخذتهم الرجفة ، فتولى عنهم نبيهم وقال لهم كما جاء فى القرآن الكريم :

﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾[1] .

فمن لم يحب ناصحه فقد أشبه المكذبين المعاندين الذين هم فى غفلة معرضون .

و – وأن يسكت الأخ أحياناً عن نصيحة أخيه

وذلك من أدب النصيحة أيضاً ، إذ قد يكون العيب الذى فى أخيه من عيوب الطبع التى يقهر الإنسان عليها ، ولا يستطيع أن يتخلص منها ، وعندئذ فلا جدوى من النصيحة وإنما يسكت عنها الناصح ، ويستر على أخيه هذا العيب وخصوصاً إذا كان المنصوح يخفى هذا العيب .

(١) سورة الأعراف : ٧٩ .

فإذا كان المنصوح يظهر هذا العيب فعلى الناصح أن يتلطف فى نصيحته ، فيلجأ إلى التصريح حيناً وإلى التعريض أحياناً ، وفى كلتا الحالتين التصريح والتعريض يشترط ألا يؤدى ذلك إلى إيحاش قلبه أو نفوره من أخيه .

وعندما يعلم الناصح من أخيه أن النصح لا يؤثر فيه لأن هذا العيب الذى ينصح بالتخلى عنه من عيوب الطبع والجبلة فإن السكوت عن النصيحة يتعين ، ولكن إلى حين ، فإذا أتيحت فرصة للنصيحة عاد الناصح إلى النصيحة ، لأن الهدف هو صالح أخيه فى دينه ودنياه .

هكذا يتناصح المسلمون ورائد الناصح أن ينقل أخاه بهذه النصيحة من حال إلى أحسن منها ، ورائد المنصوح أن يقبل النصيحة وأن يحب ناصحه ويدعو له ، وعلى هذا النحو كان أسلافنا من صالحى المؤمنين يتناصحون ، ونحن بحاجة مستمرة إلى أن يكون هذا شأننا فى النصيحة الآن وفيما نستقبل من أيامنا ، لأن النصيحة كما بدا لنا تقوم على قيم أخلاقية ، وهذه القيم ثابتة لا يدخلها تغيير ولا تبديل .

ز – وأن يتسامح الأخ مع أخيه ويعفو ويصفح

وهذا الخلق من أدب النصيحة ، ومن أسباب توثيق عرى الأخوة فى الإسلام ، غير أن لذلك شروطاً نذكر منها ما يلى :

– أن يكون هذا التسامح والصفح والعفو من حق الناصح الذى يملكه ، وإنما يكون ذلك كذلك إذا كان التسامح والصفح والعفو عن حق من حقوق الناصح على المنصوح قصر فيها المنصوح ، فلأخيه عندئذ أن يتنازل عن حقه ويعفو ويصفح ، وهو بذلك داخل فى دائرة الإحسان متجاوز لدائرة العدل ، وذلك من فضل الله ونعمه .

– وألا يكون التسامح والعفو والصفح عن حق من حقوق الله تعالى ، لأن الناصح لا يملك هذا التسامح والعفو وإنما يملكه من أوجب هذه الحقوق سبحانه وتعالى ، والناصح فى ذلك مخير بين أن يستر أو أن يتلطف أو أن يعرِّض أو يصرح – كما أوضحنا آنفاً – .

وبعد : فتلك آداب النصيحة فى التعامل بين المسلمين عموماً وبين المتآخين فى الإسلام على وجه الخصوص إذ هما اللذان اجتمعا على الله وافترقا عليه .

٨ - وحق المسلم على أخيه المسلم فى الوفاء

الوفاء هو : الثبات على الحب وإدامته فى حياة الأخ ثم بعد موته لأولاده وأصدقائه .

والوفاء عند المسلمين إنما يقوم على الحب فى الله ، والحب فى الله يستهدف الآخرة وما عند الله أى يستهدف الذى هو أبقى والذى هو خير .

وهذا الوفاء بمعنى الثبات على الحب فى الله مشروط بأن يكون الحب اجتماعاً على الله وافتراقاً عليه .

ومن معانى الوفاء : الإكمال والإتمام ، ووفى بعهده أى تممه ، ولم ينقض حفظه ، وضده الغدر لأن الغدر ترك .

والوفاء من معانيه : الأداء .
والوفاء بالعهد يعنى العمل بمقتضى العهد .
والرجل الوفى هو الذى يأخذ ويعطى الحق .

وبكل هذه المعانى بالإضافة إلى معنى الثبات على الحب وإدامته ، فإن المقرر بين المسلمين أن للأخ على أخيه فى الإسلام كل أنواع هذا الوفاء .

ولكى نزيد الأمر إيضاحاً نحاول أن نفصل القول فى أنواع هذا الوفاء بين المتآخين فى الإسلام فنقول وبالله التوفيق :

- للأخ على أخيه فى الإسلام الوفاء بمعنى أن يثبت على حبه فى الله مادام مجتمعين عليه ، بل الوفاء له من أخيه حتى موته ، حيث يتوجه وفاؤه لأولاده وذويه من بعده ، بل إلى أقاربه ، وأصدقائه وكل من كان يحبهم ويحبونه .
- وله على أخيه الوفاء بمعنى إتمام العهد الذى بينهما وهو عهد الله وميثاقه على التآخى فى الإسلام والعمل من أجله ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، والمضى فى

طريق الدعوة إلى الله حتى يفضى كل منهما إلى ربه .

- وله عليه الوفاء بمعنى أن يؤدى له كل ما عليه نحو أخيه من حقوق ، وأن يقوم بكل ما توجبه عليه الأخوة فى الإسلام من أقوال وأفعال ودعاء وقضاء حاجات ورد غيبة ونصيحة وتعليم ...

- وله عليه الوفاء بالعهد أى العمل بمقتضى هذا العهد ومقتضاه فى مجال الأخوة فى الإسلام أن ينزل أخاه منزلة نفسه ، بل يؤثره على نفسه ، مقتضاه كذلك أن يمضى معه فى طريق الدعوة إلى الله ابتداء من الكلمة والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وصولاً بذلك معه وبمعاونته ومناصرته إلى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، ومقتضى العهد أن يعينه فى كل ذلك وأن يناصره ويؤازره ويستر عليه كل ما يعلم عنه من خلل ، وأن يسدده وينصحه ما وجد إلى هذه النصيحة سبيلاً .

- وله عليه الوفاء بمعنى أن يكون وفياً معه ، يأخذ منه الحق ويعطيه إياه ولا يتنازل عن هذا أو ذاك .

فلماذا كان للأخ فى الإسلام على أخيه كل هذا الوفاء ؟

لأن القرآن الكريم أمر بالوفاء بالعهد ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[2] .

وأمر القرآن الكريم بالوفاء بالعقود ، قال الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾[3] .

والعهد هو حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ، وسُمِّىَ الموثق الذى تلزم مراعاته عهداً .

والعقد عهد بين طرفين يلزمهما الوفاء به .

وعهد الله هو ما أخذه الله علينا من أن نعبده لا نشرك به شيئاً ، أو هو جميع

---

(١) سورة النحل : ٩١ . (٢) سورة الإسراء : ٣٤ . (٣) سورة المائدة : ١ .

أوامره ونواهيه ووصاياه سبحانه وتعالى .

والوفاء بالعهد أضيف إلى الله سبحانه لأنه شاهد عليه يطلع على المتعاهدين فيه ، فكان الذى يفى بعده مع غيره يفى بعهد الله سبحانه وتعالى .

والعهد يسأل عن الوفاء به المتعاهدون أمام الله تعالى ، لأنه سبحانه طالب بالوفاء به .

والعقود التى طالب الله سبحانه وتعالى بالوفاء بها ، هى كل ما عقده الإنسان على نفسه لله من الطاعات والأعمال الصالحة التى تقرها الشريعة الإسلامية ، وكل ما عقده الإنسان بينه وبين غيره من عقود البيع والشراء والإجارة والمناكحة والطلاق والمزارعة وغيرها بشرط ألا يكون شيء من ذلك خارجاً عن حدود الشريعة وأحكامها .

بكل ذلك يجب الوفاء شرعاً لأن الله أمر بذلك .

والأخوة فى الإسلام أو التآخى فيه عهد أو عقد واجبٌ الوفاء كتلك العهود والعقود .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، « أوفوا بالعقود » : معناه بما أحل الله وبما حرم ، وبما فرض وبما حَدَّ فى جميع الأشياء .

والعهود والعقود شروط يشرطها صاحب العهد على نفسه ، ووفاؤه بها لازم شرعاً لقول النبى ﷺ ، فيما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما : « المسلمون عند شروطهم » .

● وروى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ... فقام رسول الله ﷺ فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ، فهو باطل وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق وشروطه أوثق ... »[1] .

فالشرط أو العهد أو العقد الذى يجب الوفاء به هو الموافق لما فى كتاب الله تعالى ؛ فإن ظهر فيه ما يخالفه رُدَّ ، لقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أم المؤمنين

---

(١) القرطبى : تفسيره : ٣ / ٢٠٣٠ ط الشعب ، مصر .

عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ » .

وقد حذر الإسلام من الغدر ، وترك الوفاء ، بل جعل ذلك الغادر خصماً لرسول الله ﷺ ، فقد روى الطبرانى بسنده فى الصغير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أَعْطَى بِيَ ثم غدر ، يعني عهد الله ، ورجل باع حُرًّا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره » .

وإذا كانت المؤاخاة فى الإسلام تستوجب هذا الوفاء بل كل الوفاء فإنما كانت كذلك لأن النبى ﷺ كان من أبرز أعماله النبوية بعد قدومه إلى دار الهجرة – المدينة المنورة – أن آخى بين المهاجرين والأنصار .

قال ابن إسحق : « وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال – فيما بلغنا – ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل – : « تآخوا فى الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : هذا أخى ... »[1] .

● وروى الترمذى بسنده عن يزيد بن نعامة الضبى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ؟ فإنه أوصل للمودة » . ويروى مثل هذا الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

● وروى الطبرانى فى الأوسط الصغير بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحبكم إلىّ الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان » .

وإن طريق الدعوة إلى الله ملىء بالعقبات والمتاعب بل الفتن والمحن ، ومن أجل ذلك فإن هذا الطريق يحدث وحشة لمن يسير فيه وحده ، بل ربما سببت متاعب هذا الطريق لبعض الدعاة إلى الله توجساً وخوفاً وأحياناً نكوصاً وتراجعاً ، ولا يذهب هذه الوحشة ولا يبدد هذه المخاوف ، ولا يعين على الصبر على تلك الفتن والمحن وتخطى هذه العقبات مثل الأخوة فى الله على هذه الطريق ، فهى التى تحدث الأنس والطمأنينة ،

---
(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ١ / ٥٠٤ ط الحلبى القاهرة .

وتهون المتاعب ، وتعلم الصبر والاحتساب عند الله تبارك وتعالى ، وتدع العدو الباغى كالذى استهوته الشياطين – ليبطش بالحق وأهله – فى الأرض ، تدعه حيران لا يدرك ولا يستوعب ولا يفهم سر احتمال هذه الفتن والمحن ، وما وراء هذا الاحتمال إلا إصرار على الحق وأخوة تحمى هذا الإصرار وتمده بأقوى أسبابه .

وإن هذا الوفاء بين المتآخين فى الإسلام نابع من الحب والإيثار – كما ذكرنا طرفاً من ذلك آنفاً – ولقد حفل تاريخ الإخوة فى الإسلام بمواقف وفاء على مر التاريخ أكثر من أن تحصى ، ولا يزالون المتآخون فى الله حتى يومنا هذا يضربون فى ذلك أروع الأمثال .

– ومن وفاء المسلم لأخيه المسلم أن يدوم على وفائه له مهما تكن الأسباب إلا أن نجده حيث نهاه الله ، فإننا ننصحه على النحو الذى أوضحنا فى النصيحة فإن قطع الوفاء لأخيه فإنه عندئذ ينصر الشيطان وأتباعه ، لأن الشيطان هو الذى وسوس بقطع الوفاء ، وما وجد الشيطان متواخيين فى الله إلا فرق بينهما بإغراء أحدهما بذنب يرتكبه فى حق أخيه قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[1] قال العلماء فى تفسير هذه الآية الكريمة : « أمر الله تعالى فى هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة ، بحسن الأدب وإلانة القول ، وخفض الجناح ، واطراح نزغات الشيطان ، وقال رسول الله ﷺ : « وكونوا عباد الله إخواناً »[2] .

وكان بشر يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه ، وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين .

– ومن وفاء الأخ لأخيه ألا يسمع فيه أو فى حقه أو فى أولاده أو ذويه ، لأن الاستماع إلى ذلك يوغر صدر الأخ على أخيه ، ولا ينبغى أن ينخدع أحد الإخوة بمن يحدثه عن أخيه فيظهر له رضاه عنه وحبه له ، ثم يتناوله بالتعريض أو التلميح ، وقد نبهنا إلى خطأ ذلك فيما سلف من حقوق الأخ على أخيه فى الإسلام .

وهذا الوفاء لأخيه يجب أن يستمر حتى بعد موته لأولاده وذويه ومحبيه ،

(١) سورة الإسراء : ٥٣ . (٢) القرطبى تفسيره : ٥ / ٣٨٩٣ .

ولقد كان رسول الله ﷺ مضرب المثل فى الوفاء بعد الموت ، روى الحاكم فى مستدركه بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : إن رسول الله ﷺ أكرم عجوزاً دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال : إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » وفى رواية وإن حسن العهد من الإيمان » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

● وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

● وروى البخارى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال لى النبى ﷺ : « لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا فبسط يديه ثلاث مرات ، فلم يجىء مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضى الله عنه فنادى : من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا ، فأتيته وقلت له : إن النبى ﷺ قال لى كذا وكذا ، فحثى لى حثية فعددتها فإذا هى خمسمائة فقال لى : خذ مثليها » وهذا من أبى بكر وفاء بعدة رسول الله ﷺ .

٩ – وحقه فى التخفيف عنه

من حق المسلم على أخيه المسلم أن يخفف عنه فى كل الأمور ، وألا يشق عليه فى شىء ، لأن الأخوة فى الإسلام رفق ومودة وحب فى الله ، وهذه المعانى لا تتناسب مع مطالبة الأخ لأخيه بما يشق عليه .

ومشاقة المسلم تكليف له بما لا يطيق والله تبارك وتعالى يقول : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] .

وتكليف الأخ فى الإسلام بما لا يطيق مضارة له ، قد سبق أن ذكرنا نهى النبى ﷺ عن مضارة المؤمن ، فيما رواه الترمذى بسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به » .

وإذا كان رب العباد لا يكلف أحداً من خلقه بما لا يطيق ، فكيف يليق بأحد المسلمين أن يكلف أخاه بما لا يطيق أو بما يشق عليه ؟

إن تخفيف الأخ على أخيه مطلب شرعى مؤيد بالنصوص الإسلامية من الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

ولتخفيف الأخ على أخيه فى الإسلام آداب يجب أن تراعى ، نذكر منها ما يلى :

أ – ألا يكلّف أخاه بما يشق عليه

إن المسلم الذى يفقه دينه لا يطلب من أحد فضلاً عن أن يطلب من أخيه فى الإسلام أى أمر يشق عليه ، بل لا يطلب منه أمراً يستطيع هو أن يقوم به ، لأن ذلك من تمام حب الأخ لأخيه ، فضلاً عن أهمية أن يُؤثر الأخ أخاه على نفسه – كما ذكرنا ذلك آنفاً – بل إن كبار النفوس من الناس وأصحاب الأخلاق الفاضلة منهم يرفضون

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

أن يحمل عنهم أحد شيئاً مادياً كان أو معنوياً ماداموا هم قادرين على حمله ، أو قادرين على الصبر عليه ، والحرمان منه .

ومن أدب المسلم ألا يسأل أحداً شيئاً ، فقد كان ذلك أدب النبوة ، فقد روى الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ كان لا يسأل أحداً شيئاً ، ولا يرد شيئاً » .

وتكليف الناس بما يشق عليهم أو بما لا يشق عليهم أحياناً فيه تخل من صاحب الشيء عن القيام بحاجته أو استئجار من يقوم له بها ، إذ الأصل فى المسلم أن يعف عن سؤال أخيه شيئاً مادياً أو معنوياً ، وذلك مفهوم من كلمات النبى ﷺ .

● روى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استعف أعفه الله » وعموم الحديث يعنى ترك المسألة أيا كان نوعها لأن ذلك هو التعفف .

ومن إكرام الأخ لأخيه فى الإسلام ألا يطلب منه شيئاً ، وإنما يبادر هو إلى أن يقدم لأخيه بأى عمل أو أمر يشعر أن أخاه فى حاجة إليه ، وإذا كان ذلك من آداب التخفيف من الأخ على أخيه ، فكيف بمن يكلف أخاه القيام بمصالحه والسهر على شئونه وأموره ؟ إن مثل ذلك يعد استخداماً من الأخ لأخيه ، وهذا لا يليق ولا يجوز إلا فى ظروف محدودة معروفة .

ولإبراهيم ابن أدهم رحمه الله فى ذلك كلمة نافعة هى : « سؤال الحاجات من الناس هى الحجاب بينك وبين الله تعالى ، فأنزل حاجتك بمن يملك الضر والنفع ، وليكن مفزعك إلى الله تعالى يكفيك الله ما سواه وتعيش مسروراً » .

ب – وألاَّ يطالبه بأن يؤدى إليه حقوقه

حقوق الأخ على أخيه فى الإسلام كثيرة أشرنا إلى بعضها فيما سلف من هذا الفصل من الكتاب ، ونذكر بعضها الآن كما وردت فى عدد من الأحاديث النبوية الشريفة وهذه الحقوق إنما يؤديها المسلم نحو أخيه عن طيب خاطر وبمبادرة منه بحيث لا ينتظر أن يذكره أخوه بها فضلاً عن أن يطالبه بها ، فهى فى مجموعها تؤدى إلى التحبب إلى الناس باصطناع المعروف معهم .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

ﷺ : « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » .

● وروى الديلمى فى الفردوس بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم ، وأن تحب تائبهم » .

وهذه الحقوق الأربعة يدخل تحتها ما لا حصر له من الأعمال التى تعتبر من حق المسلم على أخيه فى الإسلام وأن عليه أن يؤديها نحوه من تلقاء نفسه وبمحض رضاه ورغبته .

● وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعون خصلة – أعلاهن منيحة العنز – ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة » .

قال ابن حجر فى شرح هذا الحديث : « ... وقد حض رسول الله ﷺ على أبواب من أبواب الخير والبر لا تحصى ... ومعلوم أنه ﷺ كان عالماً بالأربعين المذكورة وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها ، وذلك خشية أن يكون التعيين لها فى هذا فى غيرها من أبواب البر ، قال ابن بطال : وقد بلغنى أن بعضهم تطلبها فوجدها تزيد على الأربعين ، فمما زاده : إعانة الصانع ، والصنعة للأخرق ، وإعطاء شسع النعل ، والستر على المسلم ، والذب عن عرضه ، وإدخال السرور عليه ، والتفسح فى المجلس ، والدلالة على الخير ، والكلام الطيب والغرس ، والزرع ، والشفاعة ، وعيادة المريض ، والمصافحة ، والمحبة فى الله ، والبغض لأجله ، والمجالسة لله ، والتزاور ، والنصح ، والرحمة – وكلها فى الأحاديث الصحيحة ... »[1] .

إن من أدب الأخوة فى الإسلام أن يقوم الأخ نحو أخيه بكل هذه الحقوق ، فإن

---

(١) ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٥ / ٢٩٠ ط دار الريان للتراث – القاهرة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م .

قصر فى بعضها فليس لأخيه أن يطالبه بها وإنما يلتمس له العذر ويتسامح ، ويعفو ، ولا يمنعه ذلك من أن يجتهد هو فى أداء حقوق أخيه عليه .

إن الأخوة فى الإسلام لا تتوثق بين الأخوين إلا برعاية هذه الحقوق ، وبترك مطالبة أخيك بها إن قصر فيها أو فى بعضها .

ج – وألاَّ يطالبه بالتواضع معه بل يتواضع هو له

التواضع لله سبحانه ، وخفض الجناح للمؤمنين من أبرز الصفات الحميدة فى المسلم ، وكان هذا التواضع من صفات النبى ﷺ فقد خاطبه الله تبارك وتعالى بقوله :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وامتدح الله المؤمنين الذين يحبون الله ويحبهم الله بأنهم متواضعون قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2] فأذلة هنا تعنى الرأفة والرحمة واللين – وذاك هو التواضع .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » .

● وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه : « إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبى ﷺ ، فتنطلق به حيث شاءت » .

● وروى أبو الشيخ الأصبهانى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويتبع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم خيبر ويوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته إكاف من ليف » .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٥ . (٢) سورة المائدة : ٥٤ .

إنه لا يليق بالمسلم أن يطلب من أخيه أن يتواضع له ، بل عليه أن يتواضع هو لأخيه ، لأن ذلك هو خلق الإسلام وأدبه ، وقد كان من عمل النبى ﷺ ، فقد كان يكره أن يقوم الناس له عندما يقبل عليهم .

● روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : « لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون مقعده من كراهيته لذلك » .

● وروى الترمذى بسنده عن أبى مجلز قال : خرج معاوية فقام ابن الزبير وابن صفوان حين رأوه فقال : اجلسا . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سَرّه أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ من النار » .

وقال بعض أسلافنا الصالحين : من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم ، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه منه فقد أتعبهم ، ومن لم يقتض فهم المفضل عليهم .

د – وأن يعامله ببساطة ودون تكلف

البساطة سمة من سمات المسلم ، وعلامة على فقهه لدينه ، وبساطة الوجه طلاقته وتلألؤه ، وبساطة اليد انطلاقها فى الناس بالمعروف .

والمقصود بالبساطة فى معاملة الأخ لأخيه المسلم أن يرى الأخ نفسه دون إخوانه ، وأن يحسن بهم الظن ، فى حين يَسىء الظن بنفسه – وتلك من كياسة المؤمن – فإذا رأى إخوانه خيراً من نفسه ، فعندئذ يكون هو خيراً منهم إذا كان من المؤمنين المحسنين .

والبساطة ضد التكلف وهو ما يفعله الإنسان بمشقة وتصنع وهو نوعان :

محمــود : وهو ما يفعله الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذى يتعاطاه سهلاً عليه ويصير كلفا به ، وبهذا النظر يستعمل التكليف فى العبادات .

ومذموم : وهو ما يتحراه الإنسان مداراة ، وهو الذى عناه النبى ﷺ فى قوله : « أنا وأتقياء أمتى براء من التكلف » رواه الدارقطنى فى الأفراد ، وفى رواية : « ألا إنى برىء من التكلف وصالحو أمتى » .

● وللإمام على رضى الله عنه : « شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجاك إلى اعتذار » .

● ولعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : « المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه » .

● وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه قوله : « أثقل إخوانى علىّ من يتكلف وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى » .

● وقال رجل للجنيد : قد عز الإخوان فى هذا الزمان ... أين أخ لى فى الله ؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده الرجل ثلاثاً ، فلما أكثر قال له الجنيد : إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل ، وإن أردت أخا فى الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك » فسكت الرجل .

● وروى ابن عدى فى الكامل بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المرء على دين خليله ، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له » .

هـ – وأن يحسن الظن بأخيه وأن يراه أفضل منه

المسلم مطالب بأن يحسن الظن بأخيه ، وفى الوقت نفسه عليه أن يسىء الظن بنفسه وتلك من علامات الكياسة .

ففى وجوب إحسان الظن بالمسلمين عموماً ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾(1) .

● وروى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ... » .

فالظن فى الآية الكريمة وفى الحديث النبوى الشريف هو التهمة ، ومحل النهى هو تهمة لا سبب لها يوجبها ، كمن يظن بأحد أنه ارتكب فاحشة أو شرب الخمر ، ولم

(1) سورة الحجرات : ١٢ .

يظهر عليه ما يقتضى ذلك .

قال أسلافنا من العلماء : « والذى يميز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها : أن كل ما لم تُعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب ، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح ، وأُونست منه الأمانة فى الظاهر ، فظن الفساد به والخيانة محرم .

بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطى الرِّيَب والمجاهرة بالخبائث .

— والظن فى الشريعة قسمان :

محمــود : وهو ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه .

ومذموم : وهو ما لم يسلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه ، ودليل ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾[1] وقوله عز شأنه : ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[2] .

● وعن النبى ﷺ : « إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء »[3] .

● وعن الحسن : كنا فى زمن الظن بالناس فيه حرام ، وأنت اليوم فى زمن اعمل واسكت وظن فى الناس ما شئت »[4] .

« وأكثر العلماء على أن الظن القبيح من ظاهره الخير لا يجوز ، وأنه لا حرج فى الظن بما ظاهره القبح »[5] .

هكذا ينبغى أن يحسن الأخ بأخيه الظن .

---

(١) سورة النور : ١٢ .   (٢) سورة الفتح : ١٢ .
(٣) القرطبى تفسيره : ٧ / ٦١٥٢ ولم أجده فى الكتب الثمانية .
(٤) السابق : ٧ / ٦١٥٢ . ط الشعب القاهرة دون تاريخ .   (٥) السابق : ٦١٥٣/٧ .

وعلى الأخ أن يرى أخاه أفضل منه ، أى أن يدين نفسه قبل أن يدين أخاه .

● روى الترمذى بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » .

● قال سفيان : « إذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فأنت شر الناس » ومعنى ذلك أن يكون الإنسان معتقداً فى نفسه أنها كذلك وأن يجاهدها ليبعدها عن الشر ويجوز بها إلى الخير »[1] .

ومن آداب الأخوة فى الإسلام أن ترى نفسك أقل من أخيك ، وأن تراه خيراً منك ، قال أبو معاوية الأسود : « إخوانى كلهم خير منى ، قيل كيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لى الفضل عليه ، ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى »[2] .

ومن آداب الأخوة أن تعطى لأخيك إذا تحدث إليك الاهتمام الذى يجعلك لا تصرف وجهك عنه أثناء حديثه إليك ، فتلك سنة نبينا محمد ﷺ .

● روى الترمذى فى الشمائل بسنده عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يعطى كل من جلس إليه نصيباً من وجهه ، وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول » .

● وروى الأصبهانى فى كتابه « أخلاق » النبى ﷺ بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : ما رأيت رجلاً قط أخذ بيد رسول الله ﷺ ، فيترك يده حتى يكون الرجل هو ينزع يده » .

وبعد فهذه مفردات فى حق المسلم على أخيه المسلم فى وجوب التخفيف عنه ، إذا أخذ المتآخون فى الله بها استطاعوا أن يوثقوا عرى هذه الأخوة فى الإسلام وأن يشقوا طريقهم نحو ما يريدون .

---

(١)،(٢) السابق : ٧ / ٦١٥٣ .

١٠ – وحق المسلم على أخيه المسلم فى الدعاء له فى حياته وبعد مماته

هذا الحق كسابقيه من الحقوق ثابت دلت عليه أحكام الشريعة وحببت فيه أخلاقياتها وآدابها ، وأشارت إليه نصوصها الشريفة .

● ففى القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

قال المفسرون : قوله تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم ... » يعنى التابعين ، ومن دخل فى الإسلام إلى يوم القيامة .

وقال ابن أبى ليلى : الناس على ثلاثة منازل : المهاجرون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان – الأنصار – ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل .

● وروى مصعب بن سعد قال : الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة ، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت »[١] .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا : ألسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟

---

(١) سورة الحشر : ١٠ . (١) القرطبى : تفسيره : ٨ / ٦٥١٠ مرجع سابق .

فقال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم – أى سابقهم ومتقدمهم – على الحوض ، ألا ، ليذادَنّ رجال عن حوضى كما يزاد البعير الضال ، أناديهم ، ألا هَلُمّ فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول سحقاً سحقاً » .

ففى هذا الحديث الشريف يبين لنا رسول الله ﷺ أن إخوان النبى ﷺ إخوان أصحابه هم كل من يأتى بعدهم ، وهؤلاء الذين يأتون بعد النبى ﷺ أن يدعوا لمن سبقهم من المؤمنين ويستغفروا لهم ، لأنهم مدحوا فى كلام الله بهذه الصفة وهى استغفارهم لأنفسهم ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان وهم المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم .

● وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « ما دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » .

● وروى أبو داود بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة ، آمين ولك بمثل » .

● وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن أسرع الدعاء إجابةً دعوة غائب لغائب » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول : « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل ».

● وروى مثله ابن ماجة بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه أيضاً ولفظ ابن ماجة : « دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك يؤمن على دعائه كلما دعا له بخير قال : آمين ولك بمثله » .

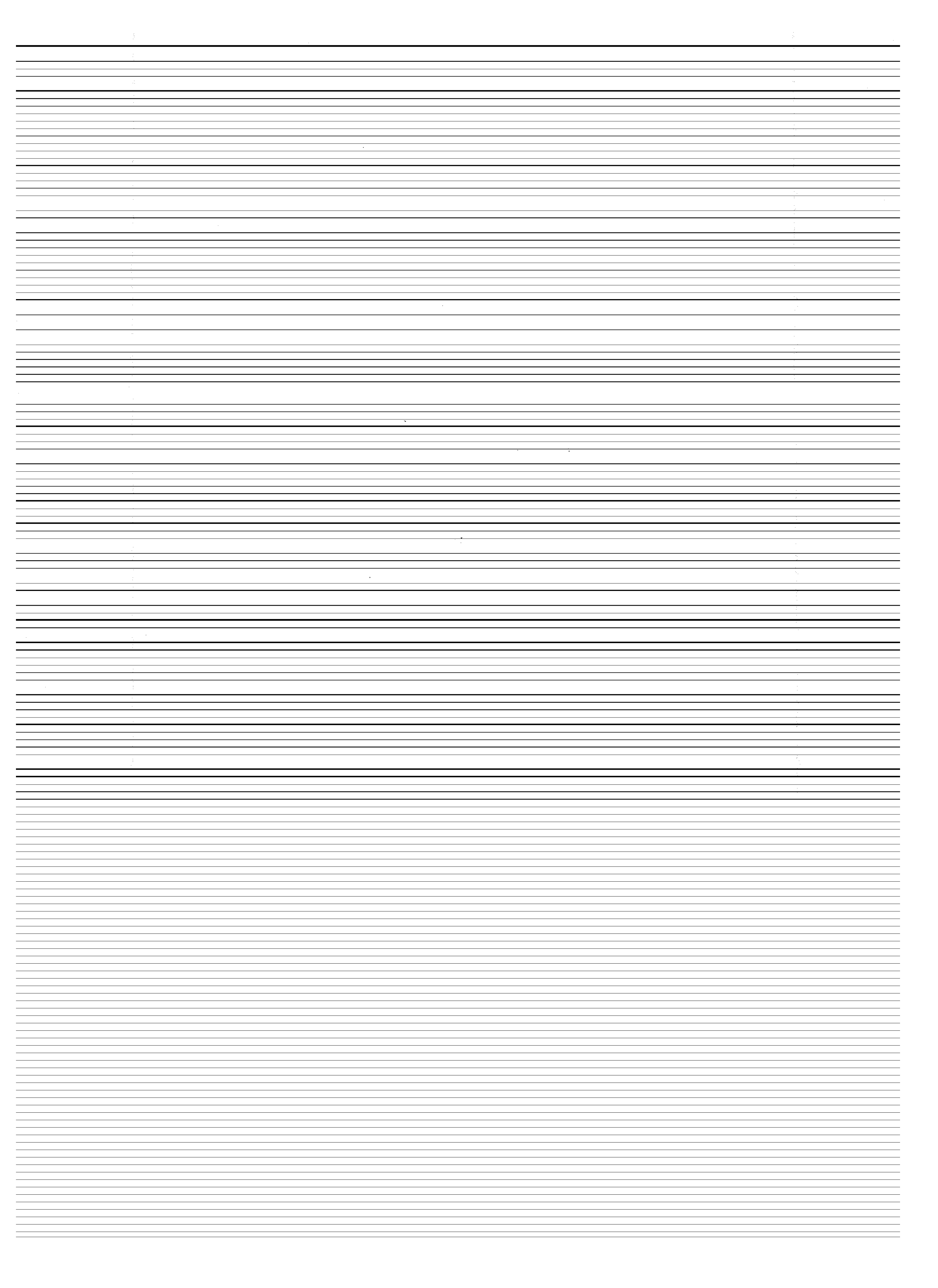
● ويروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه كان يقول : إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم » .

هذه هى النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة النبوية المطهرة الدالة على حق الأخ على أخيه فى الإسلام أن له فى حياته أمامه وبظهر الغيب ، وأن يدعو له بالخير بعد مماته ، وما ذلك إلا دعم لرابطة الأخوة فى الإسلام وتوثيق لعراها .

وبعد ، فقد ذكرنا فى هذا الفصل الأول من الباب الأول من حقوق المسلم على أخيه فى الإسلام عشرة حقوق رأينا أنها أهم تلك الحقوق . التى تؤدى إلى تعميق الروابط بين المتآخين فى الإسلام ، نُذِكّر بذلك والذكرى تنفع المؤمنين وإذا ذكروا وانتفعوا دنوا من أهدافهم وهى إقامة المجتمع المسلم فالحكومة التى تطبق شرع الله على عباد الله .

الفصل الثانى

حق المسلم على أخيه المسلم
فى مجال العمل من أجل الإسلام



حق المسلم على أخيه المسلم
فى مجال العمل من أجل الإسلام

نحاول فى هذا الفصل بحول من الله ، وأمل فى التوفيق أن نوضح حقوق المسلم على أخيه فى الإسلام فى مجال العمل من أجل الإسلام ، وإذا كان العمل من أجل الإسلام يقوم – كما نتصور – على أسس أو عُمدُ خمسة هى :

★ **الدعوة إلى الله** أى إقامة الناس على صراط الله المستقيم ومنهجه الشامل المتكامل المحتوى على عناصر أساسية هى : الإيمان بمفرداته والإسلام بأركانه والعدل بأنواعه والإحسان بنوعيه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأحكامه وشروطه وآدابه ، والجهاد فى سبيل الله بأهدافه وأحكامه وآدابه .

وما تستوجبه الدعوة إلى الله من شرح لهذا المنهج وتفسير لمفرداته تفسيراً يلائم الزمان والمكان والناس ، ومن تكوين للأفراد القادرين على حمل أعباء هذه الدعوة العاملين وفقهها حتى يمكن لدين الله فى عباد الله ثم المحافظة على هذا التمكين بكل وسيلة مشروعة ومتاحة .

★ **والحركة بهذا المنهج** فى الناس بالاختلاط بهم والعمل على تحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية ، والقدرة على التأثير فيهم وجذبهم نحو ما يصلحهم ويصلح بهم ، والقدرة على التعرف على ما بينهم من فروق واستعدادات ومواهب ، ومَدّ كل منهم بما يلائمه من العمل والنشاط بحيث لا يعمل إلا فيما يحب ولا يعمل إلا ما يطيق ، وبراعة المسلم فى مجال الحركة أن يولد حب العمل للإسلام فى نفوس من يتحرك إليهم من الناس .

★ **والتربية الإسلامية** أى الأسلوب الأمثل فى التعامل مع الفطرة البشرية توجيهاً مباشراً بالكلمة والمنهج وغير مباشر بالقدوة ، وفقاً لمنهج خاص وسياسة خاصة ووسائل

خاصة لإحداث تغيير فى الإنسان ليصبح إنساناً صالحاً يعمل لإرضاء ربه سبحانه وتعالى .

وهذه التربية تبدأ ببناء الإنسان المسلم بناء صحيحاً ثم بناء البيت المسلم فالمجتمع المسلم فالأمة المسلمة التى تستطيع أن تمكن لدين الله فى الأرض ، على أن يكون ذلك كله مبيناً على فقه الدعوة إلى الله ومراحلها وأهدافها ووسائلها لأن التربية الإسلامية لا تنفصل أبداً عن الاستفادة بفقه الدعوة وفقه الحركة وفقه التنظيم والإرادة .

★ **والتخطيط** بما يتطلبه من وضع الخطط وفق خريطة احتياجات مع تحديد الأهداف فى أوعية زمنية ، وتحديد السياسات والوسائل ، وحشد الطاقات والموارد مادية وغير مادية وتوظيفها توظيفاً جيداً لتحقيق الأهداف .

★ **وإعداد القيادات** التى يتطلبها العمل الإسلامى فى مجالاته المتعددة وهى كثيرة منها ما يحتاج إليه فى مجال الدعوة والحركة والتربية والتخطيط إذ المسلَّم به أنَّ عملاً بغير قيادة لا يمكن أن يحقق أهدافه وبخاصة إذا كان عملاً غير فردى ، وتكوين القيادات والاحتياج إليها دائماً أصيل وعريق فى الإسلام ترمز إليه بقوة كلمة النبى ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه : « إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » وشارحو السنة يرون أن هذا الحديث يدل على أن هذه القيادة أو الإمارة تحول بين المسلمين وبين الفرقة واختلاف الكلمة .

ونحن ندرك أن الإمارات أو القيادات فى كل مجال من مجالات العمل الإسلامى توحد كلمة المسلمين وتحول بينهم وبين الفرقة .

سوف نحاول فى هذا الفصل أن نوضح حق المسلم على أخيه المسلم فى هذه المجالات من أجل العمل للإسلام إذ فى كل مجال حقوق للمسلم على أخيه المسلم، حقوق واجبة الأداء ، يوجبها عليه إيمانه وإسلامه وصلاحه وحرصه على أن يكون من المحسنين .

ومن البديهى أن المسلمين ما لم يعملوا بجد وإخلاص فى كل مجال من هذه المجالات الخمسة ، فلن تقوم لهم قائمة ، ولن يستطيعوا أن يمارسوا الاستخلاف فى الأرض على وجهه الصحيح ولا إعمار الأرض على نحو ما طالبهم به ربهم ولا التمكين لدين الله فى الأرض ، ولم يستطيعوا تأمين حاضرهم فضلاً عن تأمين مستقبلهم .

العمل للإسلام فى هذه المجالات هو العمل الذى أخذ به أسلافنا رضوان الله عليهم ، فأرضوا ربهم سبحانه وتعالى ، وأقاموا دولتهم دولة الحق التى ملأت المجتمعات التى حكمتها عدلاً ومرحمة ، وعندما تركوا العمل فى هذه المجالات ضعفوا وذلوا وصاروا نهبة لأعدائهم فساموهم العذاب والقهر وظلموهم فى ديارهم ، وأموالهم واستولوا على بلادهم ، وتلك قصة معروفة تتكرر فى كل حقبة تطول أو تقصر من الزمان ، بل هى سنة من سنن الله فى المسلمين ، إذا استمسكوا بمنهج الله وعاشوا على نظامه والتزموا بأحكامه وآدابه ، غلبوا وسادوا وكانت لهم العزة والمكانة ، إذ يقول القرآن الكريم : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] بل وما يكون للمسلمين ذلك التمسك بالمنهج إلا إذا أخذوا بقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[2] وبقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[3] وبقول النبى ﷺ فيما رواه الإمام مالك بسنده عن مالك – جد عمرو بن عوف – رضى الله عنه : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه » .

وبعد هذه المقدمة ، **ما هى حقوق المسلم على أخيه فى الإسلام فى كل مجال من هذه المجالات ؟**

(١) سورة المنافقون : ٨ .   (٢) سورة الحشر : ٧ .   (٣) سورة الأنعام : ١٥٣ .

١ – حق الأخ على أخيه فى مجال الدعوة

الدعوة إلى الله – كما أوضحنا بالتفصيل[١] – فى كتاب لنا موسع واجبة على كل مسلم ومسلمة مادام قادراً عليها ، وقد أوجبها قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] وبذلك لا يملك مسلم أو مسلمة أن ينكص عن هذه السبيل وهى الدعوة إلى الله أو يتراجع عن أداء واجباتها إلا وهو مقصر فى حق نفسه وفى حق دينه .

والدعوة إلى الله لها استعداد وإعداد .

والاستعداد نعنى به القدرة على أداء واجبات الدعوة ، القدرة الفعلية والبدنية ، بحيث لا يكون الداعى إلى الله من أهل العجز أو عدم الاستطاعة .

والإعداد هو أن يؤهل الداعى نفسه للقيام بأعباء الدعوة إلى الله روحياً وعقلياً وبدنياً .

أ – أما الإعداد الروحى :

فعليه أن يروّض روحه على تقوى الله وطاعته ، والإكثار من النوافل ، وممارسة الإحسان فى كل أمره . فإن أداء النوافل – والأصل أنه أدى الفرائض على وجهها الصحيح – ليزداد بهذه النوافل إلى الله قرباً ، فيرضى الله عنه ، فإذا رضى الله عنه كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ... وبذلك يجرى الله على يديه النصر ، وييسر له بدعوته التمكين لدين الله فى الأرض .

كما أن هذه الرياضة الروحية تعنى أن يصبح هذا الداعى شاعراً شعوراً عميقاً بوجود الله ومراقبته فيحترز من كل ما لا يرضيه ، ويقبل عليه ويحبه ويرضى بقضائه وقدره .

(١) انظر كتابنا الموسع : فقه الدعوة إلى الله – نشر دار الوفاء بمصر .   (٢) سورة يوسف : ١٠٨ .

وفى كل خطوة من هذه الخطوات فى الطريق إلى إعداد الداعى نفسه للقيام بأعباء الدعوة إلى الله ، واستهال نصر الله وتأييده يحتاج الأخ إلى عون أخيه فى الإسلام ، وهذا العون حق من حقوقه عليه ، فخير الإخوان أو الأصحاب من إذا نسيت ذكرك وإذا ذكرت أعانك ، والله سبحانه فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه – كما ذكرنا هذه النصوص فى الفصل الأول من هذا الباب[1] .

وعون الأخ لأخيه فى هذه المجالات قد تكون له صور عديدة نذكر منها ما يلى :

* مشاركته فى الذكر والنوافل والتلاوة للقرآن الكريم ، كأن يشارك أخاه فى أذكار وأوراد ، وأن يشاركه فى صوم يوم والإفطار معه ، وأن يشاركه فى تلاوة القرآن الكريم ، أو أن يقوم معه الليل أو بعض الليل .
* وقد يشاركه بزيارة القبور لإحياء هذه السنة وأخذ العبرة والعظة وتذكر الآخرة ورقيق القلب .
* وقد يشاركه فى عيادة مريض أو مرضى فى المستشفى وتقديم لهذا المريض ، وترطيب قلبه بهدية أو نحوها .
* وقد يشاركه بالتعاون معه فى كفالة يتيم أو رعاية أرملة بتقديم الخدمات والمنافع لهما ، وفى هذا كله ما فيه من رضى الله تعالى .

وقد يشاركه فى غير ذلك من أعمال البر والخير التى يتقرب بها المسلم إلى ربه برعايته لأحد المسلمين .

ب – وأما إعداد العقل :

* فيكون بطلب العلم النافع فى الدين والدنيا ، ويكون بالقراءة والثقافة التى تمكنه من الإلمام بما حوله من ظروف المسلمين فى بلده ، أو فى بلدان العالم الإسلامى .
* ويكون بتدريب العقل على التأمل والتفكر والتدبر فى عظيم صنع الله وجليل خلقه وإبداعه ، كالتأمل والتفكر فى نفس الإنسان وذاته وما منحه الله من نعم ، والتأمل فى سائر مخلوقاته ، فإن ذلك يقوى العقل ويشحذه ، ويصفى الإيمان من الشوائب والأوضار .

(١) انظر فى ذلك الفصل حقوق المسلم على أخيه المسلم بعامة .

* ومن إعداد العقل وصقله منعه من الاشتطاط والجنوح والجموح ، لأن الله سبحانه هيأ هذا العقل لإدراكات بعينها فى عالم المحسوسات ، ولم يعطه القدرة على تخيل عالم الغيب كذات الله سبحانه ، فكلما فكر العقل فى هيئة لله سبحانه جنح وجمع ولم يحصل من وراء ذلك على طائل .

* ومن إعداد العقل وصله بالمصادر الجيدة الموثقة للعلم والمعرفة ، وهى كتاب الله الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والسيرة النبوية المطهرة ، والعلم بتاريخ الدعاة إلى الله من الأنبياء والرسل والصالحين ، وفقه أصول الدعوة إلى الله ومعرفة أهدافها ووسائلها ومراحلها ...

إن كل هذه المعلومات تعد العقل إعداداً جيداً وتغذيه وترشده ، وترسم له الطريق الواضحة المعالم البينة المراحل وفى كل ذلك يحتاج الأخ إلى عون أخيه المسلم ودعمه وتأييده والدعاء له .

إن على الأخ المسلم أن يعين أخاه فى كل ذلك ما وجد إلى عونه سبيلاً لأن ذلك واجب عليه وهو حق لأخيه ، فقد يعينه فى مشاركته فى طلب العلم ومدارسته ، أو يكون ذلك بتشجيعه على التفكر والتأمل والتدبر ، وقد يعينه بالحوار والمدارسة والمساءلة ، وقد يعينه بتوفير مصادر العلم والمعرفة له ، وقد يعينه بمدارسة حول المصلحين المجددين من المسلمين .

جـ - وأما إعداد البدن :

فإن الداعى إلى الله عليه أن يعد بدنه لتحمل أعباء الدعوة إلى الله لأن قوة البدن مطلب شرعى إذ المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

* وأول هذا الإعداد أن يبادر بعمل الفحوص الطبية التى يستوثق بها من ظروفه الصحية فيعالج منها ما يحتاج إلى علاج قبل أن يزيد المرض أو يتفاقم ، وهذا هو شأن كل مسلم وليس الداعى إلى الله وحده .

* وأن يلزم نفسه بالأخذ بأسباب قوة البدن مثل الاعتدال فى الطعام والشراب والملبس والمسكن بتجنب الإسراف فى ذلك أو التقتير فيه .

* وإبعاد بدنه عن أسباب الضعف البدنى وموجباته مثل الكيوف والعادات الضارة فى المطعم والمشرب والملبس ، والسَّهَر فضلاً عن الإسراف فيه ، والترف والتنعم أو الحرمان والتزهد ، فإن كل ذلك من أسباب ضعف البدن .

* والالتزام ببرنامج رياضى يومى ينشط البدن ويحتفظ له بلياقته وقدرته على العطاء ، وتمكنه من حمل أعباء الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وأفضل رياضة المسلم الرماية والسباحة وركوب الخيل ، أو بلغة عصرنا هذه رياضات الدفاع عن النفس ورياضات مهاجمة العدو .

والأخ المسلم مَطالب فى هذا المجال بما يعين أخاه به من أنواع المعونة ، ليشجعه بذلك على الأخذ بأسباب قوة البدن وتجنب أسباب ضعفه ، ونقترح فى هذا المجال ما يلى :

– المشاركة فى الرحلات الخلوية والنيلية والبحرية مع ضرورة أن يتضمن برنامج الرحلة أنواعاً من الرياضة البدنية والتعود على تحمل الجوع والعطش وبذل المجهود البدنى ، وكلما اجتمع على هذا العمل عدد من الإخوة كلما كان ذلك أجدى وأعون على تكرار هذه الرحلات المفيدة للنفس والروح والبدن .

– والمشاركة فى المخيمات والمعسكرات الكشفية ، وأى أنشطة رياضية فى النوادى التى يشترك فيها الإخوة ، مع ضرورة أن يكون برنامج المخيم ، أو المعسكر يستهدف أهدافاً إسلامية ويدرب الإخوة على أن يعيشوا يومهم وليلتهم طوال المخيم بأسلوب وتقيد بأدب الإسلام فى الطعام والشراب والنوم واليقظة والحركة والسكون وسائر الأنشطة[1] .

– ومشاركة الأخ أخاه فى تدريبات الرياضة البدنية ، حتى لو كانت هذه التدريبات فى المنازل أو النوادى ، لأن هذه المشاركة – كما قلت آنفاً – تشجع وتسلى وتشعر الأخ بأنه يقوم بعمل هام يشاركه فيه إخوانه ، فضلاً عما فى هذه المشاركة من تناقل الخبرات الرياضية وتذليل الصعاب

(١) للتعرف على برامج الرحلات والمخيمات بتفصيل – انظر للمؤلف : وسائل التربية – نشر دار الوفاء بالمنصورة ١٩٨٩م .

فى أى نوع من أنواعها .

إن الهدف من ذلك كله أن يعين الأخ أخاه فى الإسلام على أن يكون قوياً فى بدنه ، لأن المؤمن القوى هو القادر على حمل أعباء الدعوة إلى الله ، وهو أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

وفى مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، يجد الأخ نفسه مطالباً بأن يعمل من أجل الدعوة إلى الله فى حقول ثلاثة :

- حقل الدعوة الفردية ، وما يستتبعه من متطلبات .
- ومجال الحلقة الخاصة ، وما يستوجبه من خبرات .
- ومجال الدعوة العامة ، وما يستلزمه من قدرات .

وهو مطالب فى هذه الحقول أو المجالات كلها بأن يكون عمله متوازياً يواكب بعضه بعضاً ، إذا هو مطالب بعمل فى كل مجال من هذه المجالات ، وليحذر أى عامل فى مجال الدعوة إلى الله أن يتصور أن عمله فى هذه المجالات يمكن أن يكون على شكل متوال بحيث يعمل فى الدعوة الفردية فإذا انتهى منها بدأ فى العمل فى الحلقة الخاصة ، فإذا انتهى من ذلك عمل فى الدعوة العامة ، فإن هذا التصور من معوقات العمل من أجل الإسلام .

وكذلك شأن الداعى إلى الله وهو يعمل فى مراحل الدعوة تعريفاً وتكويناً ، وتنفيذاً ، ففى التعريف يشرح أصول الإسلام وقواعده وأركانه من إيمان وإسلام وإحسان وعدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وإعداد للجهاد فى سبيل الله ، ويعلم المدعو كيف يفسر النص الإسلامى تفسيراً ملائماً للعصر وللناس ، كما يعلمهم كيفية إزالة الشبهات ورد المفتريات ، ويبصره بمعقوات العمل الإسلامى ، ويتدارس معه كيفية التغلب عليها ، ويعمل جاهداً على جمع الناس على الإسلام ومبادئه وأخلاقه ، ويوجههم نحو الفهم والعمل والإيجابية ، ليحقق من وراء ذلك أهداف هذه المرحلة وهى : التعريف بالإسلام تعريفاً ملائماً ، وتكوين قاعدة عريضة من المدعوين الفاهمين ، وتكوين قاعدة أخرى من العاملين من أجل الإسلام ، وتكوين قاعدة عريضة من المنتظمين فى العمل الإسلامى الجماعى ، وتكوين قاعدة محدودة العدد من المتفقهين فى الدين وتكوين قاعدة

معقولة من المؤهلين للمرحلة التالية للتعريف وهى مرحلة التكوين ، والداعى إلى الله يجد نفسه مطالباً بالأخذ بوسائل عديدة من أجل تحقيق هذه الأهداف كالتربية والإعداد وتكوين الجماعات وتكوين المجموعات والتوريث والترشيح .

ثم يعمل فى مرحلة التكوين حيث يصطفى أصلح العناصر عن مرحلة التعريف ممن يتوسم فيهم القدرة على مواصلة العمل من أجل الإسلام على مستوى أعمق وأحوج إلى الجهد والوقت ، ويحاول فى هذه المرحلة التكوينية أن يعمق فهم الأفراد للإسلام أصوله وقواعده وأخلاقه مع الالتزام بمنهجه ونظامه ، وذلك بعقد صلات جيدة عميقة بين الناس ، وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفقه شريعة الإسلام ، وأن يعمق فيهم التدين العملى ، بحيث يصبح المسلم أنموذجاً لما يدعو إليه من قيم رفيعة ومثل فاضلة ، ويعمق معارفهم وثقافتهم الإسلامية ويهيىء معرفة مناسبة لظروف العالم الإسلامى وظروف الأقليات الإسلامية بصورة ملائمة ، ويعمق خبراتهم لمواصلة العمل ويدربهم على إدارة مجموعة أو جماعة أو ندوة أو غيرها ، وأن يهيىء لبعضهم الثقافة الخاصة فى مجالات الدعوة والحركة والتنظيم والإدارة ليحقق من وراء ذلك أهداف هذه المرحلة التكوينية ، وتلك المرحلة فى كلمات[1] هى : اصطفاء العناصر الصالحة من مرحلة التعريف لتحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله – فى مرحلة التنفيذ – وتربية عناصرها تربية متكاملة روحياً وعقلياً وخلقياً وبدنياً واجتماعياً وسياسياً وإنتاجياً ، فضلاً عن ثقافة إسلامية متخصصة ، وتوظيف الطاقات المادية والبشرية لصالح العمل الإسلامى ، مع استعانته فى الوصول إلى هذه الأهداف بالوسائل المعروفة من أسرة وكتيبة ورحلة ودورة وندوة ومخيم ومؤتمر ، وما يعن له من وسائل أخرى ، مع ضرورة أن يمارس فى هذه المرحلة كسابقتها فنّى التوريث والترشيح .

ثم يجد الداعى إلى الله نفسه مطالباً بالعمل فى مرحلة التنفيذ أى مرحلة الإخوة الصادقين أو المجاهدين ، محاولاً أن يصل فيهم إلى تحقيق أركان العمل للأخ الصادق المجاهد وهى :

الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والتجرد ، والثبات ، والأخوة والثقة .

(١) لمعرفة أبعاد هذه المرحلة وغيرها من المراحل : انظر لنا كتاب فقه الدعوة إلى الله – نشر دار الوفاء ١٩٩٠م

ثم يصل الداعى إلى الله بمجموعة منهم – أى من أهل هذه المرحلة – إلى درجة النظر فى فقه الإسلام والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الإسلامية .

ثم يصل بمجموعة منهم إلى فقه القيادة فى مجالات العمل من أجل الإسلام ، مع توريثهم صفات هؤلاء القادة ، وتدريبهم على ممارسة هذه الأعمال القيادية .

ووسائل الداعى إلى الله فى الوصول إلى أهداف هذه المرحلة التنفيذية هى الدورات المكثفة والندوات الموجهة والمخيمات والرحلات الهادفة أو ما يراه ملائماً من وسائل أخرى تعينه على الوصول إلى هدفه .

وفى كل هذه المراحل يجب أن يجد الأخ من أخيه فى الإسلام كل عون لأن ذلك حقه عليه كما أوضحنا ذلك فى الفصل الأول من هذا الباب .

٢ – حق الأخ على أخيه فى مجال الحركة

إذا كانت الدعوة إلى الله هى التوسع الأفقى بتكثير عدد المدعوين الفاهمين للإسلام العاملين وفق منهجه ونظامه ... فإن الحركة هى توسع أفقى ورأسى معاً ، أى يلحظ فيها إلى جانب العدد الكثير نوعية هذا العدد وعمق فهمه للإسلام والتزامه الدقيق بالمنهج وأخلاقه وآدابه ، كما أن الحركة تعنى فيما تعنيه تبصير الناس بضرورة التواصى بالحق ودعمه بحماته الذائدين عنه ، وبضرورة الصبر على التمسك بالحق وتحمل صعوبات هذا التمسك أو المحن التى سوف تترتب عليه .

وللحركة كما للدعوة مجالات عديدة فى العمل من أجل الإسلام وفى جميع هذه المجالات – التى سنذكرها بعد قليل – فإن الأخ المسلم محتاج دائماً إلى عون أخيه له فى كل هذه المجالات .

وإذا كانت الدعوة إلى الله واجباً شرعياً – كما أوضحنا ذلك آنفاً – فإن الحركة بالإسلام والعمل الإسلامى واجب كذلك ، ما يستطيع المسلم الراغب فى رضاء ربه سبحانه وتعالى أن يتخلى عنه ، مهما تحمل فى سبيل أدائه من متاعب ومشقات ، وكل ذلك استجابة لنصوص إسلامية ، أوضحناها وسردناها فى النقطة الثالثة من المدخل فى هذا الكتاب وقد أشرنا هناك إلى جملة من هذه النصوص[١] أما سائر هذه النصوص فسوف يتكفل بها هذا الكتاب عندما يكتمل بفضل من الله ونعمة .

مفـردات الحـركـة

والخلاصة أن الحركة بالعمل من أجل الإسلام مطلب رئيس وأن لهذه الحركة مفردات عديدة نذكر منها ما يلى[٢] :

(١) انظر مكانة الأخوة فى الإسلام فى النصوص الإسلامية من مدخل هذا الكتاب .

(٢) تحدثنا عن الحركة ومفرداتها فى كتابنا (فقه الدعوة إلى الله) على نحو ، وهنا نتحدث عنها على نحو آخر ، وفى كل خير بإذن الله تعالى .

أ – القدرة على الاختلاط بالناس ومعايشتهم ومشاركتهم فى كثير مما يأملونه ويألمون منه ، مع الرغبة فى هذه المخالطة وتلك المعايشة ، رغبة نابعة من داخل النفس تحركها رغبة فى رضا الله تبارك وتعالى ، واقتداء بسنة المعصوم ﷺ فيما ورد عنه من أحاديث تحبب فى الناس وفى الاختلاط بهم والصبر على أذاهم مما أوردنا فى هذا الكتاب .

وليس بمقبول ممن يريد أن يكون من أصحاب الحركة بالعمل الإسلامى أن يعزف عن لقاء الناس والاختلاط بهم ، لأن هذا العزوف قعود عن المكانة الفاضلة والدرجة المستحسنة ، والأصل ألا يرضى مسلم لنفسه دون هذا .

ب – وحب الناس النابع من القلب المؤمن ، الحب الذى لا تحركه رغبة أو رهبة الحب فى الله ومن أجله سبحانه ، الحب الذى يكون الاجتماع فيه على الله كما يكون فيه الافتراق عليه ، الحب الخالص على غير أرحام بين المتحابين تعطف أحدهما على الآخر .

هذا الحب للناس سمة يجب أن تكون بارزة فى رجل الحركة إذ هو الذى يدفعه إلى الاختلاط بالناس والقرب منهم والتعاطف مع مشكلاتهم انطلاقاً من فهمه الصحيح لدينه وأخلاقه هذا الدين وآدابه .

إن تعامل رجل الحركة مع الناس بالحب هو الأصل بل هو المطلوب فى هذا المجال وهو أفضل من التعامل معهم بالعدل والإنصاف ، لأن التعامل بالحب إحسان ، والإحسان دائماً فوق العدل وأولى منه بالقبول ، والله سبحانه أمر بالعدل والإحسان ، ولكن الإحسان دائماً فوق العدل .

جـ – ورغبة فى خدمة الناس بجلب النفع لهم ودفع الشر عنهم حسبة لوجه الله تعالى ، وهذه الرغبة إنما تتولد عن حب الناس ، وهذه وذاك من أحكام إسلامنا وأخلاقه ، بل إن جلب الخير للناس أساس من أسس الشريعة عبر عنه أسلافنا تارة بعبارة « المصالح المرسلة » وتارة بتلك القاعدة السائدة فى علم أصول الفقه وهو قولهم : « حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله » .

ودفع المضرة والشر عن الناس أساس أصيل فى شريعتنا عبر عنه الأسلاف

رضوان الله عليهم فيما يروونه عن النبى ﷺ من قوله فيما رواه ابن ماجة بسنده مرة عن عبادة بن الصامت ، ومرة عن ابن عباس رضى الله عنهم : « لا ضَرَر ولا ضرار » عبر عنه علماء أصول الفقه بقولهم : « سَدُّ الذرائع » وهى قاعدة من قواعد التشريع .

د - وأن يُحبِّبَ نفسه إلى الناس بحيث يصبح محبوباً لديهم ، وذلك هو رجل الحركة المألف ، كما روى الإمام أحمد بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمن مألف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وكيف يتصور أن يجذب أحد الناس إلى العمل والبذل من أجل هذا الدين دون أن يكون محبوباً لديهم ؟

وليس لرجل الحركة - من أجل أن يحبه الناس - أن يتقرب إليهم بما لا يجوز شرعاً ، ولا أن يسكت لهم عن باطل ارتكبوه ، وإنما هى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، وخير من ذلك كله أن يروا فيه دائماً الرجل المتمسك بدينه الحريص على الاقتداء بسنة الرسول ﷺ .

هـ - وأن تكون لديه القدرة على التأثير فيهم بجذبهم إلى الفكرة الإسلامية التى يتحرك من أجلها ، وضمهم على نضج إلى الصف الذى الذى ينتمى إليه ، وتحبيبهم فى العمل الجماعى من أجل الإسلام ، وإقناعهم بضرورة التضحية بالجهد والوقت والمال من أجل أن تسود مبادىء هذا الدين وقيمه وأخلاقه .

رجل الحركة هو العنصر المؤثر فى العمل من أجل الإسلام العنصر الفاعل القادر على تحريك سواه نحو الحق والخير والهدى ، أى نحو الإسلام مبادئه وقيمه .

وإن هذا التأثير فى الناس ليس سهلاً ولا يمكن أن يأتى عفواً ، ولا يكفى فيه أن يكون الناس متقبلين له فحسب ، ذلك أن التأثير فى الناس يعنى توفر صفتين فى رجل الحركة كل منهما على جانب كبير من الأهمية وهما :

* **الفاعلية :**

أى إنتاج أثر حاسم فى زمن محدود فى مجال حركته فى الناس .

* **والنفوذ :**

وهو نوع من السلطة المقبولة لدى الآخرين ، دون التحكم فيهم أو الإكراه لهم .

ومن يفقد من رجال الحركة هاتين الصفتين فإن نجاحه فى الحركة بالعمل الإسلامى ينعدم أو يضعف إلى حد كبير .

عناصـر التـأثير

وللتأثير فى الناس عناصر كثيرة يمكن أن نردها جميعاً إلى قسمين :

قسم ذاتى ، وآخر موضوعى ولكل منهما مفردات نذكر منها ما يلى :

*** العنصر الذاتى فى التأثير :**

لكى يكون رجل الحركة قادراً على التأثير فى الناس يجب أن تتوفر فيه الصفات الذاتية التالية :

١ - أن يكون مؤمناً بما يتحرك من أجله إيماناً مبنياً على الاقتناع بالعمل وأهميته وضرورته وفائدته له ولغيره من الناس فى الدنيا والآخرة .

٢ - وأن يكون حريصاً على تطبيق ما آمن به من أخلاق وقيم على نفسه تطبيقاً عملياً ، حتى يكون أنموذجاً لما يرغب أن يتحرك الناس إليه من عمل من أجل الإسلام .

٣ - وأن يكون فاهماً لأهداف ما يتحرك من أجله مستوعباً لسياساته ووسائله عارفاً بآدابه وأخلاقياته .

٤ - وأن يكون مخلصاً فى أقواله وأعماله وحركته كلها يبتغى من وراء ذلك كله وجه الله لا وجه السمعة والشهرة بين أهل الحركة أو بين الناس .

٥ - وأن يكون رحب الصدر سمح الخلق ، يسع الناس وما يواجهون الدعاة والحركيين به من المضايقات والتحدى ، يسعهم بأخلاقه لأنه لا يستطيع أن يسعهم بغير ذلك من ماله وما يملكه من أعراض الدنيا .

٦ - وأن يكون دقيق الملاحظة لَمَّاحاً سريع البديهة ، ذا قدر ملائم من الفطنة والذكاء ، لأن هذا الذكاء وتلك الفطنة من أهم ما يجذب الناس ويؤثر فيهم - ولهذا كانت الفطنة أو الفطانة من صفات الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام .

٧ – وأن يكون يقظ الشعور سريع الاستجابة للمواقف قادراً على التفاعل معها والاستفادة منها ، والاهتداء بإيحاءاتها فى حركته من أجل العمل الإسلامى .

٨ – وأن يكون صبوراً حليماً قادراً دائماً على العفو والتسامح واستيعاب غلطات الناس بل أخطائهم ، لا يغضب ولا يثور ولا يتلفظ بألفاظ جارحة أو غير مقبولة .

٩ – وأن يكون ذا قدرة على حسن اختيار الألفاظ والعبارات التى يتعامل بها مع الناس ، فرب كلمة أو عبارة يسيء اختيارها وهو يتحدث إلى أحد الناس تنفر عنه وعما يتحرك من أجله ، والأحاديث النبوية الدالة على أهمية ذلك كثيرة من مثل ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقل أحدكم : اسق ربك ، أطعم ربك ، وضّىء ربك ، ولا يقل أحدكم ربى ، وليقل سيدى ومولاى ، ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى وغلامى .

وما رواه مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ، ولكن ليقل : لقست نفسى » .

وما رواه مسلم بسنده عن علقمة بن وائل عن أبيه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لا تقولوا الكرم ولكن قولوا : العنب والحبلة » .

ومارواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب .

١٠– وأن يكون مثقف الفكر ملماً بما يحيط به وبعالمه الإسلامى من قضايا ومسائل ، وله فى ذلك رؤية من منظور إسلامى ، حتى يكون قادراً على الإقناع ، لأن الإقناع من أهم أسباب التأثير فى الناس .

١١– وأن يكون حسن السمت مقبول المظهر نظيفاً نقياً يلبس فى غير إسراف ولا مخيلة ويتكلم فى غير تقعر ولا تشدق ولا فيهقة ، وأن تكون حركاته ومشيه وكلامه وكل عمله مما يحفظ عليه وقار المسلم وهيبته .

١٢– وأن يكون صحيح البدن سليم الحواس ، ليست فيه صفة تنفر الناس عنه كبعض

العيوب الخِلْقية ، فإنه عندئذ لا يؤثر فى الناس لأنهم فى الغالب ينفرون منه ، ولكنه على الرغم من ذلك يستطيع أن يعمل من أجل الإسلام فى مجالات كثيرة غير مجالى الدعوة والحركة ، وكل ميسَّر لما خلق له .

هذا عن العنصر الذاتى فى التأثير ...

*** أما العنصر الموضوعى فى التأثير :**

فلكى يكون رجل الحركة قادراً على التأثير فى الناس يجب أن تتوفر فيه صفات كثيرة نذكر منها ما يلى :

ولابد لى أن أنبه قبل سرد هذه الصفات أنها متداخلة مع الصفات الذاتية إلى حد كبير ، لأن الصفات الموضوعية فى جملتها متصلة بالموضوع الذى يتحرك فى مجاله رجل الحركة ، ومادام الذى يتحرك إنساناً فإن ذاته هى التى تلم بالموضوع ولا يمكن أن نتصور موضوعاً تستوعب أبعاده دون إنسان يستوعب ، ويحسن العرض والعمل فيما استوعب ، لهذا قد يبدوا أن بعض الصفات التى نذكرها هنا قد تعزى إلى الصفات الذاتية التى ذكرنا آنفاً ، لكن بين النوعين من الصفات فروقاً دقيقة يلحظها ، من أطال التفكر والتدبر ، ومن لم يفعل فله أن يجمع كل الصفات تحت عناصر التأثير الذاتى ولا حرج فى ذلك ولا تجاوز إن شاء الله .

١ – لأن موضوع العمل والحركة هو الإسلام فإن أهم صفة من أجل التأثير فى الناس هى أن يكون رجل الحركة حافظاً لأكبر قدر من القرآن الكريم ، مع فهم جيد وقدرة على استنباط الأخلاق والقيم والآداب من هذا النص القرآنى الكريم .

٢ – وأن يكون كذلك حافظاً لقدر جيد من أحاديث النبى ﷺ ، فإنها خير الزاد والمتاع لكل من يتصدى للدعوة والحركة من أجل الإسلام بشرط أن يكون ذلك مع فهم واستيعاب وقدرة على الشرح والتحليل .

٣ – وأن يكون ملماً واعياً بمفردات السيرة النبوية المطهرة وما فيها من تفاصيل لأنها السنة العملية ، وقلَّما نؤثر فى الناس إسلامياً إلا إذا كانت سيرة النبى ﷺ معيناً نأخذ منه ونعطى الناس منه ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم .

٤ – وأن يكون على صلة وثيقة بالفقه الإسلامى إذ هو الترجمة العملية لنصوص الإسلام

كما اهتدى إليها أسلافنا من أجلة الأئمة والعلماء ، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يعيشه المسلمون فى العصور المختلفة من تغيرات تتيح لهم فى كل عصر – وبخاصة الفقهاء منهم – أن يستلهموا النصوص الإسلامية ما يمكنهم من احتواء هذه المتغيرات ومواجهتها بالطريقة العلمية التى تحقق للمسلمين مصالحهم فى الدين والدنيا .

كل ذلك بشرط ألا يكون هناك انتقاص لجهود أسلافنا من العلماء فضلاً عن الزراية بما وصلوا إليه إذ الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وكما قال أسلافنا : حيثما تكون المصلحة فثم شرع الله .

ومن أكبر نعم الله علينا معشر المسلمين أن أعطانا الكتاب والسنة النبوية لنستنبط منهما ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا وهما باقيان فى الأرض ما بقيت الأرض لأن الله سبحانه تكفل بحفظهما ، ثم أنعم الله علينا بشريعة سمحت لنا بأن نأخذ بالإجماع والقياس والاستحسان وسد الذرائع لنواجه بذلك أى متغيرات تعترى حياتنا ، ونحن متمسكون بالمنهج القويم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٥ – وأن يكون ملماً بتاريخ الإسلام من لدن عهد الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابيعهم ، إلماماً يستوعب به أحداث هذا التاريخ وأهم أعمال رجاله فى العصور المختلفة ، وبخاصة ما يتصل بأسباب سقوط دول وقيام دول فإن تلك هى العبرة فى استيعاب التاريخ ، ولذلك حدثنا القرآن الكريم ، وقص علينا تواريخ الأنبياء والمرسلين بل تاريخ كثير من الأقوام الذين آمنوا والذين كفروا وعاندوا والذين نافقوا ، لنستفيد من ذلك كله ، ثم نفيد غيرنا من الناس ، فلقد قال الله سبحانه وتعالى ويوجهنا إلى أخذ العبرة من هذا القصص القرآنى العظيم : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

٦ – وأن يكون عارفاً بتاريخ الحركات الإسلامية الإصلاحية ، وملماً بسير المصلحين المجددين ، وبخاصة من سموا مجددى القرون ، لأن فى ذلك من الدروس والعبر

---

(١) سورة يوسف : ١١١ .

ما يجعل الحركة الإسلامية فى مأمن من أى عقبة أو عثرة وما يجعل الانطلاق بالحركة الإسلامية فى مجالاتها المتعددة أكثر يسراً وسهولة وأكثر قدرة على رسم الأبعاد فى طريق الحركة الإسلامية .

٧ - وأن يكون عالماً بأصول الدعوة والحركة عارفاً لأبعادها وأهدافها العامة وأهدافها المرحلية ، وسياساتها العامة وسياساتها المرحلية أو القطرية ، ومستوعباً لأركانها وأنواعها ومراحلها وتاريخها ووسائلها وأسبابها ونتائجها[1] لأنه بغير ذلك لا يستطيع أن يشق طريقه ولا أن يؤثر فى الناس .

٨ - وأن يكون له رصيد جيد من الثقافة الإسلامية العامة ونعنى بذلك إضافة إلى القرآن الكريم ، والسنة النبوية والسيرة العطرة وفقه الشريعة ، أن يكون له إلمام ما ببعض العلوم الإسلامية مثل :

- علم أصول التفسير - تفسير القرآن الكريم -
- وعلم أصول الحديث - علم الحديث ودرايه -
- وعلم أصول الفقه
- وعلم اللغة العربية لغة القرآن
- وعلم التوحيد - العقائد -

٩ - وأن يكون له علم جيد بظروف العالم الإسلامى الذى ينتمى إليه ، ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وعدد دوله وأهمية هذه الدول فى عصرنا الحاضر ، وماذا يمكن أن تفعل من أجل الحركة الإسلامية .

١٠- وأن تكون لديه معرفة بالأقليات المسلمة أين تعيش وفى ظل أى ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وماذا يمكن أن تقدم لها الحركة الإسلامية ؟

١١- وأن يكون على علم ودراية بالشبهات والمفتريات الموجهة ضد الإسلام وقادة المسلمين ، عالماً بالتيارات التى تحرك إثارة هذه الشبهات والمفتريات وتختار لها أوقاتاً معينة ومدركاً لأهداف هذه الشبهات ، وقادراً على ردها وتفنيدها بموضوعية

---

(١) للتوسع فى ذلك انظر كتابنا الموسع : فقه الدعوة إلى الله .

وحياد ، ودون تهجم على مردديها ، وإنما يواجهون بالأدلة والبراهين التى تعيد الحق إلى وضعه الصحيح ، مع معرفته الوثيقة بما يعبث به بعض المستشرقين وكثير من اليهود والصليبيين فى تجسيم هذه الشبهات وتضخيم هذه المفتريات .

إن تلك الصفة لرجل الحركة ألزم ما تكون فى عصرنا هذا عصر سرعة الاتصال وسرعة ترديد الشائعات عبر وسائل الإعلام المتعددة .

١٢- وأن تكون له دراسة واعية خاصة بالمجتمع الذى يعيش فيه تركيبه السكانى ، والقيم السائدة فيه ، وأهم موروثاته العلمية والفنية ومدى تمسكه بها أو إهماله لها باسم الحداثة والعصرية ، وله إلمام بما يوجد فى هذا المجتمع أو يسود فيه من تيارات ومذاهب اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها ، ليحسن التعامل مع هذه التيارات ومن يتحركوا بفعلها ، التعامل الإسلامى الذى لا يعرف التحامل ولا التهاتر ولا التهجم على من يختلف معنا فى الرأى أو العقيدة .

إن الرجل الحركى مبعث هداية ومصدر علم ومعرفة ومنارة شامخة فى دياجير الظُّلم والأوهام .

١٣- وأن تكون لديه معلومات ومعارف بالجماعات الإسلامية المعاصرة له ، لأن هذه الجماعات كثيرة ومتنوعة ، وهى وإن كانت فى مجموعها نبيلة الهدف والغاية إلا أن بعضها يهمل فى تحرى الوسيلة ، وبعضها تغيم أمامه الرؤية وبعضها يسرع فى التهجم على جماعة إسلامية تواكبها على نفس الطريق .

ورجل الحركة فى مثل هذه الظروف عليه أن يكون محباً لهذه الجماعات كلها ، راغباً فى أن يقدم لها نصح المؤمن لأخيه دون تجريح أو تشهير ، أو تقابل من شأن أحد لأن رغبته فى إسداء الخير للناس صفة أساسية فيه - كما أسلفنا -

١٤- وأن تكون له خبرة ودراية بالتربية الإسلامية ، فهو مرب يجب أن تتوافر فيه معظم صفات المربى أو كلها ، فإلى جانب علمه بأهداف التربية الإسلامية والقيم التى تنبع منها هذه الأهداف والسياسات التى تحقق من خلالها هذه الأهداف ، والوسائل المعنية على ذلك ، وميادين التربية الإسلامية التى تبدأ بالبيت ثم المدرسة ثم المجتمع ، لأن الإلمام بكل ذلك مطلب فى رجل الحركة لا يمكن التغاضى عنه .

١٥- وأن تكون لديه قدرة على فقه الموازنات بين الأعمال التى يقوم بها فى مجال الحركة من أجل الإسلام ، وهذه الموازنات وفقهها الدقيق هى القاعدة الجليلة فى معرفة فقه الأولويات ، إذ ربما كانت البداية بعمل من عملين أو أعمال هى الأوجب والأرشد ، ومن فضل الله علينا أن ديننا الإسلامى يعلمنا ضرورة الموازنات بين سائر أعمالنا ويرشدنا إلى : بأيها نبدأ فى كثير جداً من أمور حياتنا .

هذه هى العناصر الموضوعية التى تجعل رجل الحركة أكثر قدرة على التأثير فيمن يتحرك بينهم من الناس فإذا انضافت هذه العناصر الموضوعية إلى ما ذكرناه من عناصر ذاتية وتوفرت فى رجل الحركة استطاع أن يكون ذا قدرة - فاعلية ونفوذ - فيمن يجذبهم إلى فكرته .

ونعود بعد هذه الجولة فى القدرة على التأثير إلى سرد مفردات الحركة ، فنذكر منها :

و - وأن تكون لديه القدرة على تجميع الناس حول الإسلام والعمل من أجله والإخلاص فى هذا العمل ، موضحاً لهم الأهداف العامة للإسلام فى الحياة ، والأهداف المرحلية للعمل الإسلامى فى بلده الذى يعيش فيه وزمنه الذى يحيا فيه ، لأن الأهداف المرحلية مرتبطة دائماً بالوعاء الزمنى وبالوعاء المكانى وبظروف الناس وما يعانونه فى حياتهم .

وإن مجرد تجميع الناس وجذبهم نحو العمل من أجل الإسلام لا يكفى ، وإنما يتبعه ويواكبه تبصير بمفردات هذا العمل وظروفه والعوائق التى قد تقوم دونه وكيفية التغلب عليها .

وإن رجل الحركة مطالب بأن يقنع الناس ويبلغ رضاهم فى استجابتهم لما يطالبهم به من عمل من أجل الإسلام ، إن الإقناع أصل فى عمل رجل الحركة ، وإن الاقتناع هو الذى يحوله الإنسان إلى العمل وإلى الإجادة فيه وبلوغ الناس حد الرضا فى الاستجابة لما يحييهم من أمور الدين والدنيا ، يحييهم الحياة الإنسانية الكريمة هو الذى يجعلهم فى ثبات على الحق ، وتحمل لكل أعباء الثبات على الحق ، وإذا ثبت الناس على الحق فلابد أن يمكن الله لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، لأنهم

بهذا الثبات قد حققوا الإيمان والعمل الصالح فاستحقوا وعد الله سبحانه ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(1) .

وإن علامة بارزة فى رجل الحركة أن تكون له القدرة على جمع الناس وعلى استمرارهم فى هذا التجميع حتى تتحقق الغاية .

ز – ومن مفردات الحركة القدرة على تصنيف الناس بعد تجميعهم ، لأن مجرد تجميعهم ليس هدفاً فى ذاته وإنما هو وسيلة إلى هذا التصنيف .

وتصنيف الناس ليس عملاً سهلاً أو يستطيعه كل مخلص لدينه من الناس ، وإنما هو عمل يعتمد على خبرة عميقة وعلم جيد بطبائع الناس ، وما يحسنون وما لا يحسنون بل ما يستطيعون وما لا يستطيعون ، والتصنيف يحتاج إلى معرفة دقيقة بأهدافه العامة والمرحلية ووسائله وأنواعه فيما يتصل بالعمل الإسلامى .

ونستطيع أن نشير إلى بعض أنواع التصنيف فيما يلى :

١ – تصنيف حسب الأعمار ، لأن لكل عمر درجة اهتمام معينة بالناس والأشياء .

٢ – وتصنيف حسب المستوى الثقافى ، لأن التباين الثقافى يصعب عملية التوجيه والتربية .

٣ – وتصنيف حسب القدرات العقلية والروحية والبدنية والانفعالية ، فإن جمع الشبه إلى شبيهه فى هذه النواحى أعون على أن يكون استيعابهم وتلقيهم أجود وأسرع .

---

(1) سورة النور : ٥٥ .

٤ – وتصنيف حسب القدرة على العطاء والبذل والتضحية بالجهد والوقت والمال من أجل العمل الإسلامى .

٥ – وتصنيف حسب السابقة والخبرة فى مجال العمل الإسلامى ، لأن السابقة فى ذلك خبرة عملية تمس الحاجة إليها من ظروف عديدة .

٦ – وتصنيف حسب مجموعة الصفات القيادية ومدى توفرها فى المصنَّف ومن أبرز هذه الصفات : الذكاء ، والقدرة على التخطيط ، والقدرة على إصدار الحكم الصائب ، والقدرة على احتواء المشكلات ، والقدرة على الحسم فى حنو ، والقدرة على اتخاذ القرار ...

٧ – وتصنيف حسب القدرة على الابتكار والإبداع ، فذلك هام بل فى غاية الأهمية عند تصنيف الناس .

إلى غير ذلك من أنواع التصنيف التى يتطلبها عمل بعينه فى زمن بعينه فى بيئة بعينها ، مما لا نستطيع الحديث عنه هنا فضلاً عن استيعابه .

ح – ومن مفردات الحركة – بعد التصنيف – التعامل مع كل صنف بما يصلحه ويصلح به ، وذلك أن التصنيف فى حد ذاته ليس هدفاً نصل إليه ونقول آن لنا أن نستريح وإنما هو وسيلة تُيَسِّر حسن التعامل مع المصنَّفين .

والتعامل مع المصنفين يحتاج إلى وضع منهج تسدد به الأقوال والأعمال وترسم فيه الحدود والأبعاد وتوضع به الخطط وتحدد الخطوات .

وهذا المنهج الذى يعامل به المصنَّفون يجب أن تتوفر فيه الصفات التالية :

١ – أن تكون فيه القدرة على الاستجابة لسد حاجات المصنَّفين حسب أنواعهم .

٢ – وأن يرسم لهم طريق الترقى فى الوصول إلى الغايات والأهداف دون طفْرَة أو تسرع .

٣ – وأن يربط بين قلوبهم وعقولهم بروابط روحية وعلمية وعملية وعبادية تزيد من حب بعضهم لبعض ، وتنمى فيهم الحب فى الله وإخلاص العمل له .

٤ - وأن يعين كلا منهم على أن تسدد أقواله وأعماله فلا ينطق إلا بما فيه رضا لله تعالى ولا يعمل إلا ما فيه رضا له سبحانه وتعالى ، وأن يدرك أنه محاسب على كل ما يقول أو يعمل .

٥ - وأن يعترن المنهج بما بين الناس من فروق فردية نتيجة لما منحهم الله سبحانه من مواهب واستعدادت .

٦ - وأن يحدد لهم المنهج مصادر المعلومات والمعارف وأن مرجعياتهم فى كل ذلك معتمدة على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة ، وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والمصلحين المجددين من قادة المسلمين الذين عرفوا بالصلاح .

٧ - وأن يهتم المنهج بالكشف عما لدى كل صنف من الناس من مواهب وقدرات ، وأن يعمل على تنميتها وتطويرها نحو الأحسن والأرضى لله تعالى .

ط - ومن مفردات الحركة القدرة على توظيف الناس وتوظيف طاقاتهم فيما يعود عليهم بالنفع فى الدين والدنيا .

والتوظيف هنا يعنى أمرين جوهرين فى عرف من يهتمون بالحركة الإسلامية والعمل من أجلها دعوةً وحركةً وتنظيماً وإدارة ، هما :

١ - إيجاد الوظيفة أى العمل الذى يكلف به أحد الناس ولن يستطيع إيجاد هذه الوظيفة إلا رجل الحركة الذى يعرف أنواعه المطلوبة من أجل الإسلام ويعرف متطلبات كل عمل من هذه الأعمال ، ويعرف أهلية من يجب أن يقوم بهذا العمل من الناس .

٢ - وتوظيف كل فيما يستطيع بل فيما يحب من الأعمال ، وذلك انطلاقاً من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾[1] .

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

مع مراعاة أن الوسع – فيما نتصور – يعنى حدَّيْه الأدنى والأعلى ، بمعنى أن توظيف إنسان فى عمل ليس فى وسعه فى الحد الأعلى للوسع – أى لا يطيقه – خطأ يؤدى إلى تعطيل العمل لأنه قد كلف من لا يطيقه .

وكذلك توظيف إنسان فى عمل هو أقل مما فى وسعه خطأ كذلك يؤدى إلى هدر طاقة المكلف بتعطيلها عن إدارة عمل هى قادرة عليه ، فضلاً عما فى ذلك من تعويق العمل نفسه ، ونظرة العامل للعمل باستهانة مما يؤدى إلى عدم الإحسان .

أما ما يحب من الأعمال ، فإن على رجل الحركة أن يولد فى نفس من يعمل حباً للعمل أياً كان نوعه طالما أن هذا مما يرضى الله ، بمعنى أن هذا العامل إن أبدى رغبة فى عمل يحبه فبها ونعمت ، وإن لم يبد فإن على رجل الحركة أن يولد فى نفسه حب العمل الذى تتطلبه الحركة وذلك خشية أن يضيع عمل لا يجد مَنْ يحبه من الناس .

ى – ومن مفردات الحركة القدرة على التقويم ورصد النتائج والمتابعة ، فرجل الحركة لا يتم عمله على الصورة الحسنى إلا إذا قومه أولاً بأول وعرف من خلال هذا التقويم أسباب النجاح وأسباب الفشل ورصد المعوقات وفكر فى كيفية التغلب عليها أولاً بأول لأن تراكم العمل أو المضى فيه فترة طويلة ثم العودة إلى تقويمه يضيع العمل نفسه إذ يحول بيننا وبين أن ندرك الخلل قبل أن يستفحل فيستعصى على الإصلاح ورجل الحركة وهو يقوّم عليه أن يقوم العمل نفسه ويقوم الزمان الذى استغرقه إنجازه ويقوم المكان الذى تم فيه العمل ، ويقوم الفرد والأفراد الذين قاموا به .

ولا يتم هذا التقويم على وجهه الصحيح إلا إذا كان رجل الحركة قد رسم فى ذهنه صورة واضحة دقيقة للعمل فى صورته المثلى ، وقاس على ذلك ما تم إنجازه .

وكذلك الشأن فى المتابعة ، والمتابعة فى عرفنا هى الاهتمام بالعمل بعد التكليف به والاهتمام بالعاملين بعد تكليفهم بحيث يسأل رجل الحركة ويتابع ويرى هل تم العمل على وجهه أم قامت دونه معوقات ؟ ثم يعمل جاهداً على التغلب على هذه المعوقات ، ثم يتابع هل أدّى المكلف ما عليه أم قصر فى الأداء ؟ وما سبب هذا التقصير ؟ ثم يعمل على تلافى هذه الأسباب ومعاونة المكلف فيما كلف به حتى يأمن على العمل والعامل معاً .

تلك هى المتابعة التى نريد وليست المتابعة - كما هو سائد فى عرف الناس ، تفتيش وتتبع لأخطاء الناس واطلاع على عوراتهم - إن المسلم لا يتتبع عورات أخيه ولا يتصيد أخطاءه ، وإنما يعينه ويسدده .

وبعد :

فإن كل مجال من مجالات الحركة وكل مفردة من مفرداتها مما ذكرنا من هذه المفردات العشر ، إن كل عامل يحتاج إلى عون الأخ لأخيه فى الإسلام ، ولولا أن نطيل لذكرنا أنواع العون فى كل مجال ، ولكننا نتركها للباقة الأخ المسلم وكياسته والظروف التى تحيط به وبأخيه وبالعمل الذى يقوم به .

إن العمل من أجل الإسلام يحتاج دائماً إلى عون الأخ لأخيه فى الإسلام ودعمه والتيسير عليه بتذليل العقبات مادام ذلك مستطاعاً .

وإذا كان هذا هو حق المسلم على أخيه المسلم الذى توجبه أخوة الإيمان ونصوص الإسلام فى هذا المجال المحدود مجال الحركة الإسلامية ، فما بالنا بحق المسلم على أخيه فى الإسلام فى المجالات الأكبر والأوسع إن الحق عندئذ يكون أكبر وأوجب ؟

ما بالنا بالعمل من أجل الإسلام على مستوى العالم الإسلامى ؟ وبخاصة فى ظل التيارات المعادية للإسلام والمسلمين وتأثيرها ؟ وعلى وجه أخص فى مواجهة ما يعرف اليوم بالنظام العالمى الجديد الذى تتربع عليه وتسوده وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية .

إن هذا النظام العالمى الجديد الذى تبنته أمريكا أفرز ولا يزال يفرز عداء للإسلام والمسلمين سافراً بعد أن كان مستتراً ووقحاً بعد أن كان على استحياء ، وعسكرياً بعد

أن كان ثقافياً أو فكرياً أو حضارياً أو خداعاً بالتسليح والتسلح وبيع آلة الحرب لتستهلك فى حروب هم الذى يحرشون لها ويشبون نارها ولمواجهة أعداء هم الذين زرعوهم فى أرضنا وبين ديارنا ، ولقد كانت وما تزال هيئة الأمم المتحدة تكيل للإسلام بأكثر الكيل ظلماً وتجامل إسرائيل ، وتتعهد أمريكا وأوربا أن تسلحها بأكثر وأقوى مما يتسلح به العرب جميعاً ، والسلاح لليهود دون مقابل ، ولنا بأبهض الأثمان وأفدح الديون وأضرى أنواع التحكم فى هذا السلاح .

أما النظام العالمى الجديد الذى يزعمون أنه نتيجة لحرب الخليج فهو فى الواقع قبل حرب الخليج[1] بل هو الذى أدى إليها ، وقد أفرز من العداء للإسلام والمسلمين ما نسوق طرفاً منه فيما يلى :

١ – التحرش المستمر بإيران والتضييق عليها وإثارة الفتن بينها وبين جيرانها .
٢ – ومشكلة الحدود بين إيران والإمارات .
٣ – ومشكلة الحدود بين السعودية وقطر .
٤ – ومشكلة الحدود بين السعودية واليمن .
٥ – ومشكلة الحدود بين مصر والسودان .
٦ – ومشكلة الفرقة بين مجاهدى أفغانستان .
٧ – وهمجية حرب الصرب ضد مسلمى البوسنة والهرسك مع التخاذل المزرى من أوربا وأمريكا وهيئة الأمم فى وضع حد لهذه الإبادة الجماعية للمسلمين فى البوسنة والهرسك .

وناهيك عما دبروه من حرب بين باكستان والهند حول كشمير ، وبين باكستان وبنجلاديش التى كانت جزءا من باكستان ، وما حدث ويحدث فى الولايات المسلمة فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى واتحاد يوغوسلافيا .

وما أدى إليه الأمر فى الصومال المسلم الجائع العارى الذى يوشك أن يموت من العطش ...

---

(١) بدليل أن خطة : عاصفة الصحراء التى قضت على العراق وضعت خطتها قبل الحرب بسنتين أو أكثر كما ذكروا هم ثم أغروا صدام بشن الحرب على الكويت عن طريق سفيرتهم .

وما سوف تأتى به الأيام ويلبس زى النظام العالمى الجديد أو مسوح هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها العادل المنصف الذى يكيل بمكاييل عديدة حسب الهوى واللون والعرق والدين ويدعى غير ذلك !!!

ألا يحتاج ذلك كله إلى معونة المسلم لأخيه فى الإسلام لمواجهة هذه الوحوش الضارية من أوربا وأمريكا واليهود الذين يكيدون للإسلام والمسلمين ؟

ألا إن ذلك أوجب وأكبر .ولكن المسلمين لا يدركون أبعاد هذه المؤامرات أو لعلهم يدركون ولكنهم يخافون !!!

٣ - وحق الأخ على أخيه فى مجال التربية

إن تربية المسلم والمسلمة ناشئاً فى بيته ، ودارجاً إلى مدرسته ، وشاباً يرتاد معاهد التعليم وجامعاته ، وزوجاً ورباً لأسرة يلى أمورها ويأخذ بيده قوامتها ، ووالداً ذا رعية مسئولاً عن رعيته وقاضياً بين الناس يحكم بينهم بالعدل ، وحاكماً يسوس الناس إلى ما يصلح لهم أمر دينهم ودنياهم ..

إن كل هذه الأنواع من التربية الإسلامية ضرورية لا غنى عنها بحال ، ومستمرة ما ينبغى أن تتوقف بحال ، لأنها تتولى بجدارة بناء لبنات المجتمع ودعائمه من :

- الفرد المسلم الذى تبنى شخصيته بناءً صحيحاً متكاملاً .
- والبيت المسلم الذى يرتكز على أبوين صالحين جمع بينهما نظام الإسلام فى بناء المجتمع الذى يبدأ بالأسرة .
- والمجتمع المسلم الذى تشكله مجموعات من الأسر المسلمة الصالحة .
- والحكومة المسلمة التى تطبق شريعة الله على عباد الله .
- والإمامة أو الخلافة أو الرئاسة الإسلامية التى تجمع كلمة المسلمين وتوحد صفوفهم تحت راية الإسلام وفى ظل منهجه ونظامه .

وكل ذلك تبنيه التربية الإسلامية وتحافظ عليها بعد أن تتم بناءه .

وليس عبثاً ولا اعتباطاً ولا جاء بغير قصد أو حكمة بالغة أن يجعل الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله مربين معلمين للناس فى كل فترة من الزمان يضل الناس فيها الطريق إلى الله ، حتى كان خاتمهم محمد ﷺ الذى صرح بقوله : « إنما بعثتُ معلماً »[(١)] .

ومهما قلنا عن التربية وأهميتها وضرورتها وضرورة استمرارها فلن نبلغ ما نريد

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه .

فضلاً عن أن نوفيها حقها من الحديث ، لأن ذلك يحتاج إلى أسفار[١] .

*** ما تقدمه التربية الإسلامية للناس :**

غير أننا نكتفى هنا بأن نشير إلى أهم ما يمكن أن تقدمه التربية الإسلامية لمن تربيه وفق منهجها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحسبنا هذا الآن – ولو مد الله فى العمر وأعان ووفق أكملنا ما كتبناه فى التربية الإسلامية وجعلناه فى أيدى الناس – فمما تقدمه التربية الإسلامية لمن تربيه ما يلى :

١ – أنها تربى الفرد تربية إسلامية صحيحة متكاملة ، روحياً وخلقياً وعقلياً وجسمياً واجتماعياً وسياسياً ، بحيث لا تدع جانباً من جوانب شخصيته إلا وتعنى به وتنميه نحو الأحسن والأرضى لله تبارك وتعالى .

والإنسان بهذه التربية الشاملة المتكاملة يستطيع أن يتعامل تعاملاً صحيحاً وحسناً مع ربه الذى أنعم عليه بنعمة الحياة ونعمة الإسلام ، فيعمل وفق منهجه للإنسان فى الحياة فيحقق بهذا المنهج سعادة الدنيا والآخرة .

ويستطيع بهذه التربية وفق هذا المنهج أن يحسن التعامل مع نفسه ، يعرفها ويعرف حقيقتها ووظيفتها فى الحياة الدنيا ، وما تستطيعه وما تعجز عنه فلا يكلف نفسه فوق طاقاتها ولا يتركها دون تكاليف .

ويستطيع بهذه التربية أن يتعامل مع الشيطان وسائر قوى الشر ، فيتخذه عدوًّا لأنه له عدو ، ولا يستجيب لوسوسته وهمزه ولمزه فيحيا حياة إنسانية كريمةنقية من نفث الشياطين من الجن والإنس .

ويستطيع بهذه التربية أن يتعامل مع بيته زوجه وأولاده وكل من فى بيته من أرحام أو أقارب تلك المعاملة التى يعطى فيها كل ذى حق حقه ، ويلزم كل ذى واجب بواجبه فيسهم بذلك فى تكوين البيت المسلم الملتزم بمنهج الله فى حياته المشارك فى تكوين المجتمع المسلم الكبير .

---

(٢) لنا فى ذلك محاولة من أربعة كتب : المدخل إلى التربية الإسلامية وتربية الناشىء المسلم والتربية فى المدرسة والتربية فى المجتمع ظهر منها كتاب واحد هو تربية الناشىء المسلم ، ونستعين الله على إصدار باقيها بإذن الله.

ويستطيع بهذه التربية أن يتعامل مع المجتمع الذى يعيش فيه عطاءً وأخذاً وصيانة وحماية لما يسوده من قيم ومبادىء جاء بها منهج الإسلام فى الحياة ، يؤدى فى هذا المجتمع كل ما عليه من واجبات أدبية أو مادية ويمارس ما له على المجتمع من حقوق كذلك ، فمنهج الإسلام فى الحياة الاجتماعية هو التوازن بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع ، ولا يضحى بالفرد من أجل المجتمع ولا بالمجتمع من أجل الفرد — كما تفعل النظم الاجتماعية الغربية ، فتثبت فى كل يوم فشلا فى العلاقة بين الفرد والمجتمع وتحول هذه العلاقة إلى علاقة صراع وعداء بدلاً من أن تكون — كما يفعل الإسلام — علاقة تواؤم وتوازن وانسجام .

ويستطيع بهذه التربية أن يتعامل مع غير المسلمين تعاملاً إنسانياً كريماً كما شرعه منهج الإسلام ، وهو تعامل يمكن أن يلخص فى كلمات هى : العدل والبر والإحسان طالما كانت الصلات بعيدة عن الحروب ولواحقها ، فإن كانت حروب فهناك معاملة كريمة إنسانية فى أدب الحرب والجهاد فى منهج الإسلام .

٢ — وأن هذه التربية الإسلامية تمده بالعلم الصحيح والمعرفة الحقة ، العلم الصحيح بإلـه الناس رب الناس والمعرفة الحقة القائمة على الإدراك مع التفكر والتدبر لآثار هذه المعرفة ، وتصله بمصادر العلم ونوافذه وهى العقل والحس والشعور ، وتهيىء له مراجع العلم وأصوله وأمهات مسائله وقضاياه وهى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته العطرة .

وتغذى فيه وسائل المعرفة من تفكر وتدبر وتأمل ، وتحيطه بسياج من أمْن الاشتطاط أو الانحراف ، وفى ذلك الخير كل الخير للإنسان الذى كرمه ربه وفضله على كثير ممن خلق .

وتهيىء له العلم والمعرفة معاً بتاريخ الإسلام وتاريخ قادة المسلمين ومصلحيهم فى العصور المتعددة التى حفلت بهؤلاء الهداة المجددين ، ليكون لهم من ذلك الزاد والمتاع والخبرة والاستفادة من تلك التجارب .

٣ — وهذه التربية الإسلامية تبسط أمام المسلم أنماط السلوك الإنسانى الراشد والسلوك الإنسانى الآثم بما تقدمه له من فقه بالحلال والحرام ، وأنواع لهذا الحرام ومفرداته ليمتنع عن ممارسته فيحيا حياة إنسانية كريمة .

وتعلمه أن الحرام ما حرمه الشرع كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[1] وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]

وغيرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى نصت على ما حرم الله وحرمت شريعة الإسلام .

وما وراء الحرام فى منهج الإسلام حلال لا يستطيع أحد أن يحرمه على الناس بحجة من الحجج ، وكثير مما يحيط بحياة الإنسان حلال طيب ، قال الله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[4]

وقال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[5] .

---

(١) سورة الأنعام : ١١٩ . (٢) سورة الأنعام : ١٥١ – ١٥٣ .
(٣) سورة البقرة : ١٧٣ . (٤) سورة الأعراف : ٣٢ . (٥) سورة البقرة : ١٦٨ .

إن التربية الإسلامية وهى تفقه الإنسان فى الحلال والحرام إنما تعلمه ما ينفعه وما يضره فى دنياه وآخرته ، وتضبط له لسانه ويده وسائر جوارحه .

٤ — والتربية الإسلامية تغرس فى نفس المسلم حب إخوانه فى الدين ، وتعلمه كيف يتعامل معهم بهذا الحب الرشيد ، وكيف يؤثر بحبه أهل الحق والصلاح ويوظف هذا الحب لصالحهم فى الدين والدنيا ، ثم توضح له بمزيد من التفصيل والتوفيق ما عليه من واجبات نحو إخوانه فى الإسلام وتلزمه بأداء هذه الواجبات وما له عليهم من حقوق فيأخذها إن كان عادلاً ويتنازل عنها إن أراد أن يبلغ بعمله درجة الإحسان .

وهذه التربية الإسلامية هى التى تربطه بعالمه الإسلامى وأمته المسلمة التى وحَّدَتْ بينها شهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » وتغذى فيه الاهتمام بأمر المسلمين فى أى مكان ، لأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

إن المسلم الذى يربى على أنه جزء من أمة إسلامية كبيرة مترامية الأطراف فى هذه المعمورة يزيد عدد أفرادها عن ألف مليون من البشر ، ويصل حجمها إلى ربع سكان العالم ، وهو ذاك الذى يربى فيه الولاء للإسلام والاعتزاز بالانتماء إليه .

٥ — والتربية الإسلامية تعلم الإنسان اللين والرفق مع الحزم والحسم .

التعامل مع الناس فى الإسلام يجب أن يخلو من العنف إلا فى حرب وجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فالعنف يشين كل شىء يدخل فيه ، بينما الرفق يزين كل شىء يدخل فيه .

والتربية الإسلامية تطبع المسلم على أن يكون هيناً ليناً رفيقاً فى التعامل مع الناس ، بل التعامل مع الأشياء ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] وكان من خلق النبى ﷺ أنه لا يواجه أحداً بما يكره ذلك الأحد ، غير أن اللين والرفق لا ينفى أن يغضب المسلم لانتهاك حرمة من حرمات الله فيحزم ويحسم غيرةً منه على حرمات الله

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .

أن تنتهك ، وذاك هو التوازن فى بناء شخصية المسلم الذى تحرص التربية الإسلامية على طبع الناس عليه ، القدرة على بذل اللين والرفق ، والرحمة عند الداعى إلى ذلك ، والقدرة على الحزم والحسم والغضب عند انتهاك حرمة من حرمات الله سبحانه وتعالى .

٦ – والتربية الإسلامية تعلم الإنسان أن ممارسته الدعوة إلى الله واجب فرضه الله تعالى بما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١] .

وتفقهه بأصول الدعوة وأركانها وأهدافها ووسائلها وأنها تخضع لأساليب معروفة هى : الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن ، والعدل ، والإحسان ، والصبر ، والاحتساب ، وتجنب اليأس وترك الضيق بمن يعاندون ، والتقوى[٢] .

وتقدم التربية الإسلامية للمسلم حياة الأنبياء والمرسلين فى قصص قرآنى وقصص نبوى تؤخذ منه العبرة ويأنس به الدعاة إلى الله فى طريق الدعوة فيولد لديهم الثبات على الدعوة والصبر على ما يصيبهم فى سبيلها من متاعب ومشقات ، ويؤثرون ما عند الله على ما عند الناس .

٧ – والتربية الإسلامية تقدم للإنسان المعلومات والخبرات التى تمكنه من القدرة على مواجهة المتغيرات فى حياته وذلك أن هذه المتغيرات مستمرة فى حياة الإنسان كلما خطا خطوة فى طريق إعمار الأرض والإفادة بما أودع الله فيها من خيرات ونعم ، وهذه المتغيرات قد تلجىء الغافلين من الناس إلى الاستجابة لها مع التنازل عن قليل أو كثير من قيم الإسلام وأخلاقه وآدابه ، وربما أحكامه .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٢) للتوسع فى ذلك : انظر لنا : فقه الدعوة إلى الله .

والتربية الإسلامية تحول بين الإنسان وبين هذا الانزلاق أو الانحراف مع المتغيرات بل مواكبتها بروح إسلامية تتشبث بما أحل الله وترفض ما حرّم مهما كان شأن هذا المتغير أو المستحدث ، إنما تمكن الإنسان من أن يطبع كل شيء فى حياته بطابع الإسلام ، ويلتزم بمفردات منهجه فى كل ما يحيط به من ثوابت أو متغيرات مع ضرورة البعد عن الجمود والتقليد ، وكيف يجمد المسلم أو يقلد وله فى الإجماع والقياس والمصالح المرسلة وسد الذرائع ما يمكنه من مواجهة أى متغير والحكم عليه من خلال منهج الإسلام ونظامه فى الحياة .

٨ – والتربية الإسلامية تبصر المسلم بفقه الأخوة فى الإسلام ، فتعرفه الأخوة فى الإسلام بين الحقوق والواجبات سواء أكانت حقوقاً عامة أو خاصة فى مجال الدعوة والحركة والتربية والتخطيط وإعداد القيادات وتوقفه بدقة على وجوب العمل من أجل الإسلام وحاجته المسلحة إلى الأخوة ، وترصد له معوقات العمل الإسلامى ، وتوضح له كيف توظف هذه الأخوة فى الإسلام لصالح الإسلام والمسلمين ، وكيف يتحول هذا التوظيف للأخوة إلى واجبات فردية وأخرى اجتماعية أو جماعية .

وتعرض التربية الإسلامية للمسلمين قضية الأخوة فى الإسلام بين الأهداف والسياسات والوسائل[1] .

ولا تزال التربية الإسلامية بالمسلم تعلم وتفقه وتبصر بالأخوة فى الله أو فى الإسلام حتى يصبح عباد الله إخواناً ، كما أمر بذلك النبى ﷺ فى قوله : « ... وكونوا عباد الله إخواناً » وكما آخى هو بين المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم .

٩ – والتربية الإسلامية تبصر المسلم بأهمية الحركة والتنظيم والإدارة فى حياة المسلم عموماً وفى مجال العمل الإسلامى على وجه الخصوص ، فتنفى عن الفكر

---

(١) وفقه الأخوة فى الإسلام هو موضوع هذا الكتاب .

الإسلامى كل ما له صلة بالتواكل والكسل وترك الأخذ بالأسباب ، تقيم أكبر وزن للتعريف بأهداف الحركة الإسلامية وسياساتها ووسائلها ومجالاتها ليعرف كل مسلم أين مكانه فى العمل من أجل الإسلام فيتحرك فيه فاهماً مخلصاً عاملاً صابراً محتسباً عند الله كل ما يصيبه فى حركته من نصب أو وصب .

وتبصره بضرورة التخطيط والتنظيم لتتم إدارة العمل فى الحركة الإسلامية على وجهها الصحيح ، إذ للتنظيم أهدافه وسياساته وأنواعه ووسائله ، وليس عند المسلمين شىء أو أمر يمكن أن يؤدى بغير تنظيم وتنسيق وإلا وقع تارك هذا فى معصية وإثم وضيع على المسلمين وعلى نفسه خيراً كثيراً ، وأتاح لأعداء الإسلام المتربصين به فرصة نقد بل سخرية واستهزاء ووصف للمسلمين بالفوضى والغوغائية والعجز عن الإدارة الصحيحة ، والتنظيم المحكم ، والمسلمون بمنهجهم بريئون من ذلك كله .

١٠- والتربية الإسلامية تنقل إلى المسلم خبرات من سبقوه من إخوانه فى الإسلام على درب العمل الإسلامى ، إذ تأخذ على عاتقها رصد هذه الخبرات والمحافظة عليها حتى تصل إلى الأجيال اللاحقة كاملة مدروسة مُحلَّلَة ليفيد منها المسلم فى كل عمل من أجل الإسلام يقوم به ، إذ الخطر كل الخطر أن يبدأ المسلمون فى كل مكان أو زمان بما بدأ به سواهم فيقعون فى التكرار ويحولون بين أنفسهم وبين الإكمال والاكتمال ، ويحرمون العمل الإسلامى من النضج والقدرة على الاستجابة للمتطلبات .

أما أن يبدأ المسلمون من حيث انتهى إخوانهم على درب العمل فإن ذلك يحقق للمسلمين وللإسلام وللعمل نفسه أحسن الظروف وأفضل النتائج ، مع قدرة جيدة على التغلب على المعوقات التى قد تؤدى إلى الإبطاء بالعمل أو التقصير فيه .

إن التربية الإسلامية تجعل تقديم هذه الخبرات والسوابق من أبرز برامجها بل وأهمها

فى تربية المسلمين .

١١- والتربية الإسلامية تبصر المسلم بحاضر العالم الإسلامى وتعرفه بواجبه نحو هذا الحاضر ، فهى ترصد أحداث العالم الإسلامى رصداً دقيقاً نابعاً من إحساسها بأن ذلك واجب ، وتعرض هذه النتائج على الناس بعد تحليل لهذه الأحداث وتلك التيارات التى يخص بها العالم الإسلامى ، وهى تيارات معادية يحركها الأعداء التقليديون للعالم الإسلامى الطامعون فى خيراته وأرضه الراغبون فى إخمال عقيدته وأحكامه وأخلاقه وآدابه من الصهيونيين والصليبيين والملحدين الذين لا يعترفون بخالق السمٰوات والأرض .

إن التربية الإسلامية أمينة على أن توصل للناس هذه الحقائق وتعلمهم إياها كما تعلمهم مبادىء القراءة ومبادىء الحساب ، وما لم تدخل ذلك فى مناهجها فلا يمكن أن تسمى تربية إسلامية .

أما اكتفاء التربية المعاصرة - التى شوهها أعداء الإسلام وصرفوها عن توجهها الصحيح - التى تعنى فقط بما يسمى التربية الوطنية أو القومية ، فإنها تنظر إلى الوطن والقومية بأضيق أنواع النظر وأكثره سطحية وأملئه بالغفلة والذهول عن الحق ؛ وذلك أن الوطنية والقومية فى مفهوم التربية الإسلامية هى العالم الإسلامى كله وطن المسلمين جميعاً الذين فرقهم أعداؤهم وقسموا لهم وطنهم إلى أوطان وأغروهم بالعداوة والبغضاء ، وأثاروا بينهم قضايا هذه الحدود المصطنعة وحولوا قوميتهم - وهى فى الأصل « لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله » إلى قوميات عرقية وجنسية ولغوية - مع أن لغة الإسلام هى العربية لغة القرآن الكريم - وهكذا أسهمت التربية المعاصرة فى تكريس الفرقة والخصام وتوسيع هذا الخلاف على الحدود ، والتنافس المقيت بين لغات الشعوب الإسلامية وتفضيل بعضها على بعض وإيثار هذه اللغات على العربية لغة القرآن الكريم بغية قطع اللسان العربى لينقطع فهم القرآن والسنة النبوية فيدخل بذلك المسلمون فى متاهات من الحيرة والضلال

والضياع وتلك طريق اتجه إليها العالم الإسلامى المعاصر ، ولن يخرجه منها إلا التربية الإسلامية التى تعمق فيه الإحساس بأن العالم الإسلامى كله هو وطنه وأن القومية الإسلامية هى قوميته ، وليقل من شاء ما شاء فى الاعتراض على هذا النداء أو الشعار أو الفهم ، فإن التجرد عن الهوى والخروج من تخدير أعداء الإسلام الأقوياء بما ينفثون من سموم فى فكرنا وثقافتنا وقيمنا التربوية ، والخلاص من سحر الحضارة الغربية المزرية بالحضارة الإسلامية – على الرغم من أنها قامت على فكرها وعلمها وتقنيتها[1] – إن ذلك هو الذى يقنع بالوطنية الإسلامية والقومية الإسلامية .

إن التربية الإسلامية ما لم توجه الناشئة إلى هذا الوعى وهذا الفهم ، فسوف تقع فى نفس الخطأ مهما كان القائمون عليها مخلصين لدينهم ، لأنه عندئذ يكون الإخلاص غير الواعى وغير القادر على تدبر عواقب الأمور .

إن الغزو الفكرى والثقافى بل الحضارى الذى يعانى منه العالم الإسلامى المعاصر ، ذلك الغزو الذى أفرز عند كثير من مثقفى المسلمين ولاء لكل ما هو غير إسلامى ، بل عداء لكل ما هو إسلامى مع رميه بالجمود واتهامه بالرجعية إن هذا الغزو لن يخلص المسلمين منه إلا تربية إسلامية راشدة يقوم عليها ويحمى مبادئها ، وقيمها الدعاة الفاهمون الذين يتأملون ويتدبرون ويحسبون لكل خطوة يخطونها ألف حساب وحساب .

١٢- والتربية الإسلامية تهيىء للمسلمين أنسب الأساليب وأحسنها وأرضاها لله ، وأوفقها مع شريعة الإسلام فى ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا .

ذلك من صميم عمل التربية الإسلامية ، وذلك أن كثيراً من المسلمين المخلصين لدينهم لا يتعمقون الفهم ولا يستطيعون الوصول إلى درجة الفقه فى هذه القضايا فتختلف عندهم الممارسات عما يجب أن تكون عليه ، لأن الرؤية العلمية عندهم غائمة ، ولأنهم يناقشون هذه القضايا اليوم بمثل ما ناقشها به مسلمو القرون

---

(١) للتوسع : انظر لنا : التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطريق التغلب عليه – نشر دار الوفاء ١٩٩٣م .

السابقة مع التغير الواضح بين ظروف الماضين من أسلافنا وظروفنا نحن أبناء هذا الزمان - القرن الخامس عشر الهجرى -

ووجه الحق فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينبغى أن نصل إليه من خلال دراسات مستفيضة من علماء الإسلام وعلماء الاجتماع وعلماء السياسة والاقتصاد فى مجمع يضع الانتهاء برأى فقهى اجتماعى سياسى فى القضية هدفه الأول والأخير .

وفى سبق منا متواضع ومن غير افتيات على حق هؤلاء العلماء فى الانتهاء من ذلك إلى رأى معين ، نسوق هذا التصور لهذه القضايا سائلين الله التوفيق :

أ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على مستوى الأفراد وارد بل واجب للنصوص الإسلامية الكثيرة التى أوجبته من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[1] .

لكن بشرط ألا يؤدى الأمر بالمعروف إلى منكر ، وألا يؤدى النهى عن المنكر إلى منكر أشد من المنهى عنه ، وفى هاتين الحالتين حسب المؤمن أن ينهى ويغير بقلبه وذلك أضعف الإيمان .

ب - والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على مستوى الجماعات واجب كذلك للنصوص الإسلامية التى أوجبته[1] .

لكن بشرط ألا يؤدى الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر إلى صراعات بين الجماعات ولا صراعات بين الناس عموماً - أى فتنة - فإن أدى إلى ذلك فإن النهى باللسان أو بالقلب فيه مقنع وكفاية وللإسلام أحكامه وآدابه فى التعامل مع الفتن .

جـ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من خلال الحكومات والحكام مطلب شرعى تأثم الحكومة التى لا تمارسه ، وهى تمارسه فى داخل أرضها وسلطانها دون حرج أو خوف من مغبة لأن الأمر بيدها ، وهى مطالبة بأن تأطر الناس

(١) أوردنا هذه النصوص فى كتابنا : مع العقيدة والحركة والمنهج . نشر دار الوفاء للطباعة والنشر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م .

على الحق أطراً وتقصرهم عليه قصراً ، لأن الله سبحانه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . كما هو معروف .

ولكن بشرط ألا تمارس هذه الحكومة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج سلطانها لما قد يترتب على ذلك من الحروب والفتن ، وفى تلك الحال فإن الإنكار باللسان والقلب يسع تلك الحكومة المسلمة .

وأما الجهاد فى سبيل الله فنقول فيه :

أ – الجهاد الأكبر والأصعب وهو جهاد النفس والشيطان واجب كل مسلم ومسلمة لا ينفك عنه هذا الواجب إلى أن يلقى الله .

وهذا الجهاد يعنى أن يلزم المسلم نفسه بما أمر الله وينهاها عما نهى ويحملها على التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل ، وذلك شأن المسلم دائماً دون شرط ومجال مجاهدة النفس والهوى ومجاهدة الشيطان الذى يجرى من ابن آدم مجرى الدم مجال واسع وفيه من الوسائل والرياضات الروحية والبدنية التى شرعها الإسلام ما يمكن المسلم من أن ينضى شيطانه ويتعبه ولا يجعل له سلطاناً على نفسه .

والمسلم الذى يقعد عن مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه آثم عاص لربه يتبع خطوات الشيطان ولا يتخذه عدوا ولا ينهى النفس عن الهوى .

ب – وجهاد العدو بالإعداد له والكيد والأخذ بكل أسباب القوة الموازية أو المتميزة على قوة العدو مطلب شرعى كذلك دل عليه قول الله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴾[1] .

غير أن الجهاد فى سبيل الله على هذا النمط لمواجهة أعداء الإسلام هو واجب الحكومة المسلمة ، وليس واجباً على الأفراد إلا فى حدود

---

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

انضمامهم إلى هذا الجيش وتضحيتهم بأموالهم بل بأنفسهم فى سبيل هذه المعركة التى تستهدف القضاء على أعداء الله لتكون كلمة الله هى العليا .

أما جهاد حكومة مسلمة ظالمة والحكم عليها بالكفر ، فذلك ما لا يجوز فى الإسلام إلا بشروط واعتبارات قليلاً ما تتيسر أو تتاح ، وليس من المصلحة بحال الحكم على مسلم بأنه كافر لأن علم ذلك عند الله أصلاً ، ثم هو يحتاج إلى أدلة وبراهين كثيرة لابد من توفرها قبل جهاده وحربه ، وما ذلك بممكن إلا عند إنكاره معلوماً من الدين بالضرورة أو إتيانه أمراً لا يحتمل وجهاً غير الكفر أو استهزائه بالإسلام أو بنبى الإسلام ﷺ ... إلى آخر ما يلحق بذلك من أدلة على كفره حتى يجوز جهاده وحربه .

إن التربية الإسلامية هى التى تتكفل بتوضيح كل هذه الأمور وتعلمها للمسلمين بعد دراستها والانتهاء فيها إلى آراء مجمع العلماء الذين اقترحنا أنواعهم آنفاً ، ذلك عمل التربية الإسلامية الأساسى المستمر فى البيت والمدرسة والمجتمع ، بحيث لا تتخلى عنه إلا وقد فقدت وصفها بأنها إسلامية .

وبعد : فإن كل مجال من مجالات التربية الإسلامية التى عددنا منها اثنى عشر مجالاً – وما هى بجميعها – إن كل هذه المجالات يحتاج فيها الأخ إلى عون أخيه فى الإسلام .

ولا سبيل أمامنا إلى تفصيل هذا العون فى كل مجال ، ولكننا نذكر بأصول هذه الأنواع من العون كما هى معروفة فى ديننا الحنيف وهى :

أ – التعاون على البر والتقوى .

ب – ورفض التعاون على الإثم والعدوان .

جـ – وتذكير الأخ لأخيه فى الإسلام عند النسيان .

د – وإعانة الأخ لأخيه عند التذكر .

هـ – وأن يشارك الأخ أخاه فى حمل هموم العمل من أجل الإسلام فى هذه المجالات العديدة .

و – وألا ينتظر حتى يطلب أخوه منه المعونة وإنما يبادر هو إلى ذلك من نفسه .

ز – وأن يخلص النية فى هذا العون ولا يتطلع إلى ثناء أحد ولا إلى شكره وإنما يقصد بذلك كله وجه الله سبحانه وتعالى .

إن عون الأخ لأخيه فى الإسلام ما لم يكن على هذا النحو فلن تستطيع التربية الإسلامية أن تحقق أهدافها ، وبالتالى فلن يستطيع المسلمون أن يصلوا فى مجالات العمل الإسلامى كله إلى الهدف الكبير وهو الوصول إلى تمكين دين الله فى الأرض ، والتحاكم إلى منهج الله فى كل صغير وكبير .

وإن استقراء تاريخ المسلمين فى ماضيهم البعيد أو القريب ليؤكد هذه الحقيقة ، إذ المسلمون بخير ما تعاونوا وتناصروا وتآزروا على فعل الخير وعلى هجر الشر والباطل .

إن معظم الأعمال العظيمة بل الحروب التى حقق فيها المسلمون انتصاراً على أعدائهم فى مختلف عصورهم كان من بين أسباب النجاح والفوز فيها التعاون بين المسلمين وجعل كلمتهم سواء .

وإن أى عدو انتصر على المسلمين فى معركة مّا حربية أو علمية أو حضارية إنما هزمهم لأنهم فقدوا روح التعاون فيما بينهم ، مما أدى إلى ذهاب ريحهم فضعفهم فتمكن عدوهم منهم فهزمهم ، إن التاريخ ينطق بذلك فى كل أطواره ، والمسلمون بحاجة دائماً إلى أن يعيدوا قراءة التاريخ وإلى دقة التحليل والاستنباط .

٤ - وحق الأخ على أخيه فى الإسلام فى مجال التخطيط

لكى تكون الفروق واضحة بين التخطيط والتنظيم فإن علينا أن نتحدث عن كل واحد منهما فى إيجاز على النحو التالى :

* **التخطيط هو :**

أسلوب فى التنظيم يهدف إلى استخدام الموارد على أفضل وجه ممكن ، وفقاً لأهداف محدودة .

أو هو : وضع الخطة التى يسير عليها العمل والقائمون به .

- وليس التخطيط بهذا المعنى غريباً على الإسلام ، فالإسلام منهج ونظام يقوم على خطة يسير عليها سلوك الإنسان فردياً وجماعياً ويلتزم بها المسلمون والمسلمات فى كل أمورهم الدينية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والدنيوية كالبيع والزواج والطلاق وسائر المعاملات ، فليس شىء من ذلك إلا خاضع لخطة .
- وليس التخطيط بهذا المعنى غريباً على الإنسانية كلها إذ هى بحاجة دائمة إلى أن يضع كل قبيل من أبنائها لنفسه خطة يسير عليها عملها والقائمون عليه .
- أقول هذا لأنفى عن بعض الأذهان الخطأ فى تصور أن التخطيط من منجزات الحضارة الغربية وحدها ، تأثراً بظروف أن الحضارة الغربية هى الغالبة المسيطرة اليوم .

* **والتنظيم هو :**

العملية التى تفرق بين جزء وآخر من الناحية الوظيفية وتنشىء فى نفس الوقت كياناً مركباً متكاملاً من العلاقات الوظيفية داخل الكيان الكلى .

* وأهم أنواع التنظيم هو التنظيم الإدارى وهو التركيب الهيكلى بوحداته ووظائفه

وأفراده الذين يتعاونون معاً فى أداء واجبات تحقيق الأهداف الموضوعة .

– ولا يتم التنظيم الإدارى على وجهه إلا إذا توفر فيه ما يلى :

- تحديد الواجبات .
- وتحديد الاختصاصات .
- وتجميع الواجبات فى وظائف .
- وتجميع الوظائف فى أقسام وإدارات .

– **وأنواع التنظيم عديدة منها :**

- التنظيم الرأسى ،
- والتنظيم الهرمى ،
- والتنظيم المدرَّج ،
- والتنظيم الوظيفى ،
- والتنظيم المشترك ،
- والتنظيم الاجتماعى ،
- والتنظيم الاستشارى ،
- والتنظيم الرسمى ،
- والتنظيم غير الرسمى .

وكل هذه الأنواع يمكن الالتجاء إلى كل منها أو إلى أكثر من واحد منها لإنجاز العمل وضبط سلوك العاملين .

* وكل عمل من أجل الإسلام لا يخضع لأسلوب فى التنظيم – أى تخطيط – يهدف إلى استخدام الموارد مادية ومعنوية على الوجه الأمثل وفى الزمن الأمثل وبالتكلفة الأمثل ليحقق أهداف العمل ، هو فاشل أو عاجز عن تحقيق أهدافه ومن أجل ذلك نحن بحاجة هنا إلى أن نوضح متطلبات التخطيط فى ذاته ، ومتطلباته فيمن يخطط ، وأن نحدد العوامل المؤثرة فى التخطيط ، حتى يتضح لنا الأمر ونعرف بدقة كيف يكون عون الأخ لأخيه فى الإسلام فى مجال التخطيط أو التنظيم ليمضى بذلك العمل الإسلامى نحو

هدفه دون معوقات أو عراقيل .

أولاً : متطلبات التخطيط فى ذاته :

يحتاج التخطيط دائماً لكى ينجح إلى متطلبات كثيرة تكفل له النجاح إن روعيت ، نذكر منها ما يلى :

أ – تحديد الاحتياجات بعمل خارطة لها على كل مستوى من مستويات الاحتياج مثل :

- الأفراد ،
- وأنواع العمل ،
- وأنواع الموارد المادية والمعنوية ،
- والموازنات بين هذه الاحتياجات ،
- وتحديد الأولويات .

ب – وتحديد الأهداف التى يستهدفها التخطيط للعمل الإسلامى مثل :

- الأهداف العامة ،
- والأهداف المرحلية ،
- وتحديد الوعاء الزمنى لكل هدف بحيث تقاس على هذا الزمن النتائج .

جـ – وتحديد السياسات الموصلة إلى تحقيق الأهداف والسياسات هى طرق التفكير التى تحقق ما يلى :

- أداء العمل بصورة جيدة ،
- والتنسيق بين الأنشطة المتعددة فى العمل ،
- والتنسيق بين الأفراد .

د – وتحديد الوسائل ، وهى مجموعة الأنشطة المتوالية أو المتوازية التى تعين على الوصول إلى الهدف ، ولكى تنجح هذه الوسائل فى الوصول إلى الهدف يجب

أن تتوفر لها الصفات التالية :

● أن تكون مشروعة أى تقرها الشريعة الإسلامية أى ليس فيها مخالفة لما جاءت به الشريعة .

● وأن تكون متاحة وفى استطاعة من يلجأ إليها .

● وأن تكون مرنة قابلة للتغيير عند الظروف المعينة الداعية إلى ذلك .

هـ – وتحديد الواجبات ، وهذه الواجبات منها ما هو واجب على الفرد ، ومنها ما هو واجب على البيت المسلم ومنها ما هو واجب على أى جماعة إسلامية ، ومنها ما هو واجب المجتمع كله ، ومنها ما هو واجب على الحكومة المسلمة .

وفى جميع الأحوال فإن هذا الواجب ينقسم إلى :

● واجب عينى لابد من أدائه .

● وواجب كفائى إذا قام به البعض وتحققت به الكفاية سقط عن غير القائمين به ، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع .

و – وتحديد مراحل العمل ، وطبيعة كل مرحلة ، وما تحتاج إليه ، ويكون تحديد المراحل على صورته الصحيحة إذا توفرت له الظروف التالية :

– أبعاد المرحلة زمانياً ومكانياً .

– وطبيعة المرحلة وطبيعة العمل فيها .

– وأهداف المرحلة ووسائلها .

– ومتطلبات المرحلة من الموارد البشرية والمادية والمعنوية .

– ومكان هذه المرحلة ومكانتها من العمل الإسلامى .

ز – وتحديد الموارد المالية اللازمة للعمل .

ويجب أن يكون وفق دراسة تحدد فيها النقاط التالية :

– موارد المال وحجمه المتوقع .

– ومصارف المال ومدى ملاءمتها للموارد .
– وترتيب أولويات فى الإنفاق .

ثانياً : متطلبات فيمن يقوم بالتخطيط :

هذا التخطيط أو التنظيم يحتاج إلى صفات يجب أن تتوفر فى كل من يقوم به ، ونستطيع أن نذكر من هذه الصفات ما يلى :

أ – الذكاء وبعد النظر والقدرة على التجريد والتصور الدقيق الواعى لأبعاد الخطة وآثارها ومتطلباتها .

ب – والقدرة على التحليل والتعليل وإصدار الأحكام الصائبة على الناس والأشياء والمواقف لتجمع أسباب ذلك لديه .

جـ – والقدرة على اتخاذ القرار بناء على التحليل الجيد والتعليل المقبول دون تردد أو توجس لثقته فى قراره .

د – والأمانة والقوة ، لأن الأمانة تؤكد مصداقية من يقوم بالتخطيط والتنظيم وحرصه على أن يأخذ التخطيط طريقه إلى الناس والحياة محاطاً بظروف تهيىء له أسباب النجاح لما اتصف به من واقعية وملاءمة لإمكانات الناس ، ولأن القوة هنا تعنى أن من يقوم بالتخطيط متمكن من أسبابه قادر على أن يرسم له الأبعاد والأهداف والسياسات والوسائل لما يتمتع به هذا المخطِّط من إمكانيات علمية وفنية واسعة .

هـ – والفهم الدقيق لطبائع من يشملهم التخطيط والتنظيم ومدى ما يستطيعون من عمل لإخراج التخطيط والتنظيم إلى حيز التنفيذ ، وتأكده من أن متطلبات العمل وفق هذا التخطيط فى مستوى طاقة الناس وليس فوق ما يستطيعون .

و – والقدرة على تتبع المعوقات والمشكلات ومنعها من التفاقم والاستشراء أولاً باحتوائها واستيعابها ، ثم العمل على إزالتها أو حل إشكاليتها بعد ذلك .

ز – والمرونة وسعة الأفق ورحابة الصدر فى التعامل مع مفردات الخطة وأنواع التنظيم ، بحيث يستطيع أن يبدل ويغير ويبادر ويؤجل وفق ما تمليه عليه رؤيته العميقة الجيدة لأبعاد خطته وأنواع تنظيمه .

ح – والصبر والمثابرة والاستمرارية ، لأن من يخطط وينظم يكون بحاجة إلى هذه الصفات ، إذ يتجنب بها التسرع فضلاً عن النزق ، ويتخلى بها عن القلق وفقد القدرة على الاحتمال ، وتدفعه إلى الاستمرار فى متابعة أجزاء الخطة وأنواع التنظيم ، فيكون ذلك كله من عوامل نجاح الخطة والتنظيم وفعاليتهما وكفاءتهما .

ط – والقدرة على الإبداع والابتكار ، ومواكبة المتغيرات ومواجهتها بما يجعلها لا تخالف شيئاً من شريعة الإسلام .

ثالثاً : العوامل المؤثرة فى التخطيط :

التخطيط والتنظيم لا يتمان فى فراغ ، ومن أجل هذا يخضعان لعوامل كثيرة مؤثرة فيهما بشكل مباشر أحياناً وبشكل غير مباشر أحياناً أخرى ، لذلك يجب وضع هذه العوامل فى الاعتبار أثناء التخطيط والتنظيم .

ومن أهم هذه العوامل ما يلى :

أ – فلسفة التخطيط أو التنظيم والقيم التى يستمد منها أهدافه وسياساته ووسائله ، والأفكار والتوجهات التى تسيطر على المخططين والمنظمين ، وهم يمارسون عمليتى التخطيط والتنظيم .

ب – منهج التنظيم الذى يحدد للمخطط ما ينبغى أن يحشد له من طاقات وموارد مادية أو معنوية تلزم العمل وتخرجه إلى حيز التنفيذ .

جـ – ونوع التنظيم الذى يخطط له ، والتنظيم أنواع منه ما هو للناشئين والشباب ، وما هو للطلاب أو العمال أو الفلاحين ، وما هو للمهنيين ، وما هو لأساتذة المدارس والجامعات ، وما هو للنساء .

إن مراعاة نوع التنظيم تيسر على المخطط أن يضع خطته ، وتعطى الخطة قدرة وصلاحية للتطبيق إذ هى قد وُضِعَت لنوع معين من الناس ، وأخذت كافة الاعتبارات فى الحسبان أثناء التخطيط .

وهذا المراعاة لنوعية التنظيم تؤثر تأثيراً مباشراً فى التخطيط فتحدد مساره وتغيره عند اللزوم وتحدد أهدافه وتوضح أساليبه ووسائله وتمكن من قياس النتائج بدقة

وتلافى القصور بسرعة وفعالية .

د - ومرحلية التنظيم الذى يخطط له ، إذ التخطيط يخضع دائماً لمرحليات العمل من أجل الإسلام ، ولكل عمل إسلامى مراحل متعددة ، سواء أكان ذلك فى مجال الدعوة الفردية أو الدعوة فى حلقة خاصة أو الدعوة فى المسجد ، أم كان فى مجال الحركة ، بل تكاد المرحليات تكون تجزيئاً منطقياً لكل عمل إنسانى ناجح .

ولكل مرحلة من مراحل الدعوة - على سبيل المثال - طبيعة تميزها عن سواها ، وأبعاد تحكم توجهها وأهدافها ووسائل تخصها ، فضلاً عن متطلبات يجب توفرها فى القائمين عليها ومراحل الدعوة المعروفة بين العاملين فى الحركة الإسلامية أصبحت معروفة الأهداف والوسائل بل محددة الأسماء والصفات ، وهى مراحل التعريف والتكوين والتنفيذ والتمكين والمحافظة على التمكين .

هـ - وقوة التنظيم من حيث قيادته وأفراده ومنهجه وواقعية هذا المنهج ، وأهدافه ووسائله ، وزمانه ومكانه وظروف البيئة التى يطبق فيها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، إذ كل ذلك يؤثر فى التخطيط إيجاباً وسلباً وبشكل مباشر أو غير مباشر .

و - وهيكلية التنظيم ، وهل هى مركزية توجد السلطة فيه فى يد واحدة ، أم غير مركزية توزع فيها السلطات على أكثر من واحد من قياداته .

مع ضرورة تحديد هذه السلطة وهل هي رئاسية أو هرمية أو شكلية ... إلخ إن كل ذلك يؤثر فى التخطيط تأثيراً فعالاً ومباشراً .

ز - والظروف المحلية للتنظيم أو الظروف الطارئة عليه ، كأن يكون التخطيط لتنظيم فى بلد ينعم بالحرية أو يفتقدها أو يسمح له بقدر منها ، وكأن يكون التخطيط لتنظيم فى بلد تعيش ظروف حرب ساخنة أو باردة .

ومثل أن يكون التخطيط لتنظيم لبلد تنتشر فيه أمراض أو أوبئة معينة ، أو تتفشى فيه عادات وسلوكيات معينة إن كل ذلك من العوامل المؤثرة فى التخطيط والتنظيم .

ح - والطريقة التى حصل بها المخططون على المعلومات وهل هى دقيقة وموثقة وحديثة

أم تفقد هذه الصفات ، لأن لذلك تأثيره على التخطيط لأى تنظيم لأى عمل .

ط - ونوع المعلومات وكمها وكفايتها للتخطيط وعونها لمن يخطط ، لأن التخطيط الذى لا تكتمل له المعلومات نوعاً وكَماً لا يمكن أن ينجح فى تحقيق غرضه ، وبخاصة أننا نعيش عصر الثروة فى المعلومات وسهولة الحصول عليها ولا تخطيط بغير معلومات .

كل هذه العوامل المؤثرة فى التخطيط لتنظيم ما تأثيراً مباشراً أو غير مباشر إذا روعيت والتزم بها المخططون ضمنوا بها - بعد توفيق الله - النجاح وتحقيق ما يصبون إليه من أهداف وإذا لم تراع وبالتالى لم تلتزم تعثر التنظيم والعمل للإسلام وربما احتار المحللون بعد ذلك فى معرفة أسباب تعثره وفشله وربما اختلفوا فى تعرف ذلك إلى حد الخصام .

رابعاً : مجالات التعاون بين الإخوة فى التخطيط :

وكل هذه المجالات من التخطيط والتنظيم للعمل الإسلامى تحتاج بالضرورة إلى عون الأخ لأخيه فى الإسلام ، وقد يكون العون فى مجال التخطيط بأحد الأمور التالية :

أ - تقديم النصيحة والخبرة لمن يخطط إذا كان الأخ من أهل التخصص والقدرة على التخطيط ليعدل أو يكمل .

ب - وتقديم العون بالمشاركة فى التخطيط نفسه إذا كان من أهل الاختصاص ، لأن المنطق السائد فى العمل من أجل الإسلام هو الاثنين خير من الواحد ، والثلاثة خير من الاثنين ، والأربعة خير من الثلاثة ... وهكذا ، وقد سبق لنا التنبيه على أن المسلم فى أى عمل يجب أن يبدأ من حيث انتهى سابقة ، حتى لا نقع فى التكرار أو الأزدواجية فنهدر الجهد والوقت والمال .

ج - وقد يكون العون بالاستجابة لمتطلبات التنظيم والمسارعة فى تطبيقه وتحقيق أهدافه من خلال سياساته وأساليبه ووسائله .

د - وقد يكون العون بإتاحة الفرصة للتخطيط ليعبر عن نفسه دون عوائق أو اعتراضات .

هـ – وقد يكون العون بتقويم التخطيط ومتابعة القائمين عليه وبذل الجهد فى إنجاز مفرداته .

٥ - وحق الأخ على أخيه فى مجال إعداد القيادات

إعداد القيادات للعمل من أجل الإسلام عمل على جانب كبير من الأهمية ، إذ لا عمل بدون قيادة توجه وترسم الخطة وتقود الأفراد والمجموعات فيه لتحقيق أهدافه .

والقائد والرئيس والأمير والمسئول بمعنى واحد ، ونظام الإسلام يقضى بأن يؤمر على الثلاثة واحد منهم لو كانوا فى سفر فما بالنا إذا كانوا أكثر ؟

وما بالنا إذا كانوا يقومون بعمل أهم من السفر وأطول زمناً منه ؟

وما بالنا إذا كانوا يواجهون عدوا يكيد ويتربص ؟

أولاً : الصفات التي يجب أن تتوفر فى القيادى :

إن القيادة لأى عمل من أهم عوامل النجاح فيه ، ولذلك كان من الضرورى أن تتوفر فيمن يقود عملاً ، سواء أكان هذا القائد فرداً أم جماعة ، صفات أساسية نذكر منها ما يلى :

أ - القدرات العقلية :

أى الذكاء والقدرة على التجريد ، وعلى النظرة العميقة الشاملة للأمور ، والقدرة على النظرة الموضوعية المحايدة وكلا القدرتين تساعد بدقة على الربط بين أنماط السلوك المختلفة للعاملين فى المكان والزمان اللذين يتم فيهما العمل وبغير هذا الربط قد تختل الأعمال وقد تتناقض وقد تكرر وقد يعوق بعضها بعضا ، والقيادة ذات القدرة العقلية المتعمقة للموضوعية هى التى تستطيع هذا الربط وهو جوهرى وضرورى .

وكلا القدرتين تساعد على التنسيق بين الأعمال أو القرارات التى تصدر فى مناطق عديدة من الإقليم الذى يتم فيه العمل فتتمكن القيادة حينئذ من توجيه العمل نحو الهدف المحدد دون قلق أو اضطراب فضلاً عن تضارب أو اختلاف .

ب - والمهارات الإنسانية :

ونعنى بها قدرة من يتولى القيادة على أن يسلك السلوك الإنسانى الإسلامى فى علاقته بربه ، وبنفسه ، وبالناس عموماً ، وبمن يقودهم على وجه الخصوص .

ونستطيع أن نتعرف سلوكه الإنسانى الإسلامى من خلال تعامله فى مجالين هما :

- قيادته هو ، وإلى أى حد تحظى بثقته فى إخلاصها وكفاءتها للعمل ، إلى أى حد يعطيها من نفسه الحب والاحترام والتقدير ، وإلى أى حد يلزم نفسه بطاعة قيادته فى غير معصية لله ، وإلى أى مدى يفترض فى نفسه الخطأ ، ويفترض فى قيادته الصواب ؟
- ومجال من يقودهم من العاملين من أجل الإسلام ، حيث يمكن أن نحكم عليه من خلال تعامله معهم فنقول إن لديه قدرات إنسانية إسلامية ، أو هو محروم من ذلك ، وإنما نستطيع ذلك من خلال ما يلى :

• طبيعة اتصاله بمن يقودهم ، وهل هى صلة أخوة فى الإسلام أو صلة رئيس بمرءوس .

• ومدى ما تحمله هذه الصلة من مودة ورحمة وحرص على حقوق الأخوة وواجباتها .

• ومدى استعداده لتحمل أخلاطهم واستيعاب مشكلاتهم وقدرته على حلها .

• ومدى حبه لهم وإشفاقه عليهم وتكليفهم بما يطيقون فى ضوء حرصه على العمل نفسه .

• ومدى قدرته على معونة من يقودهم ومتابعتهم فى أداء أعمالهم .

• ومدى ما له من حب واحترام وتقدير فى نفوس الذين يقودهم ، وما هم مستعدون له من طاعته فى غير معصية لله .

• ومدى قدرته على التفاعل مع الأحداث والمواقف بروح الوالد المربّى القائد المحنك .

إن كل تلك المعايير التى تقيس بها كفاءته فى قيادته إنما تتوفر له إذا كان الطابع الإنسانى الإسلامى هو الغالب عليه ، ولذلك شرط فيه وفى صلاحه للقيادة .

جـ – والمهارات الفنية :

وإذا كانت القدرات العقلية ذكاء ممنوحاً من الله لمن شاء من عباده ، وكان الطابع الإنسانى الإسلامى فى العلاقات بالناس نتيجة لتفاعل الإنسان مع ما أمر الله به وما نهى عنه ، فإن المهارات الفنية مردها إلى السابقة والخبرة والقدرة على الاستفادة من تجارب من سبقوه على درب العمل من أجل الإسلام .

وهذه المهارات الفنية فى مجال إعداد القيادات ذات وزن كبير وأثر خطير ، وتقوم فى معظمها على العلم والمعرفة والثقافة العامة والخاصة ، ويمكن أن نشير إلى أمور هامة نميز بها ما لدى القيادى من مهارات فنية ، فيما يلى :

- حجم معلوماته ووثاقة مصادرها .
- ونوع هذه المعلومات وأهمية هذا النوع فى عمله القيادى .
- ومعرفته بطبيعة العمل الذى يقود الناس فيه ومتطلبات هذا العمل من طاقات وموارد .
- وأهمية هذا العمل بالنسبة للعمل الإسلامى بعامة ومدى إدراكه للروابط بين هذا الجزء من العمل وذاك الكل المتمثل فى العمل كله .
- ومدى فقهه لمسئولياته ومعرفته بواجباته كلها واستعداده لأدائها جميعاً على الوجه الأفضل ، ومدى معرفته لحقوقه بالنسبة لمن يقودهم ، ومدى رغبته فى التسامح فى بعض هذه الحقوق ليدخل بهذا التسامح فى درجة الإحسان .
- ومدى إدراكه لطبيعة موقعه القيادى من القادة الموازين له ، وكيفية تعامله مع هؤلاء الزملاء .
- ومدى وعيه بمكان قيادته ومكانتها مقارنة بقيادات العمل الإسلامى فى أماكن أخرى .
- ومدى تفانيه فى عمله وتجرده من أى انتماء آخر وثباته على مبدئه وعقيدته

مهما كانت المغريات الصارفة عن ذلك الانتماء ، فإن ذلك هو الوعى الصحيح للقيادى الجيد .

وبعد : فإن هذه المهارات الأساسية فى إعداد القيادات هى التى تسهم فى إنجاز العمل على وجهه الصحيح المرضى لله تبارك وتعالى ، الآمن من التعثر والفشل .

ثانياً : أهمية هذه الصفات :

- وأحب أن أؤكد أن هذه المهارات الثلاثة يجب أن تكون فى القيادى متكاملة لا يستغنى بواحد منها عن سواها .
- وأؤكد كذلك أن هذه المهارات متواكبة متوازية وأنها فى الأهمية بالنسبة للقيادة على درجة واحدة .
- وأن هذه الصفات قد تكون الحاجة إلى بعضها فى مجال عمل أهم من الحاجة إلى بعضها الآخر ، وعلى سبيل المثال :

● عند إعداد قيادة على أدنى مستويات القيادة ، فإن صفة المهارة الفنية تصبح أولى من أختيها صفتى الطابع الإنسانى والنظرة العقلية التجريدية .

● وعند إعداد قيادة على المستويات العليا ، فإن صفة النظرة العقلية التجريدية ، تصبح أولى من أختيها صفتى الطابع الإنسانى والمهارة الفنية .

● وأن هذه الثلاثة لازمة لكل عمل قيادى وإنما رتبنا هذه الأولويات من قبيل الفرض العقلى الجدلى . وفى كل مجال من مجالات القيادة فإن الأخ فى عون أخيه المسلم لا يتخلى عنه ولا يضن عليه بنصيحة أو خبرة .

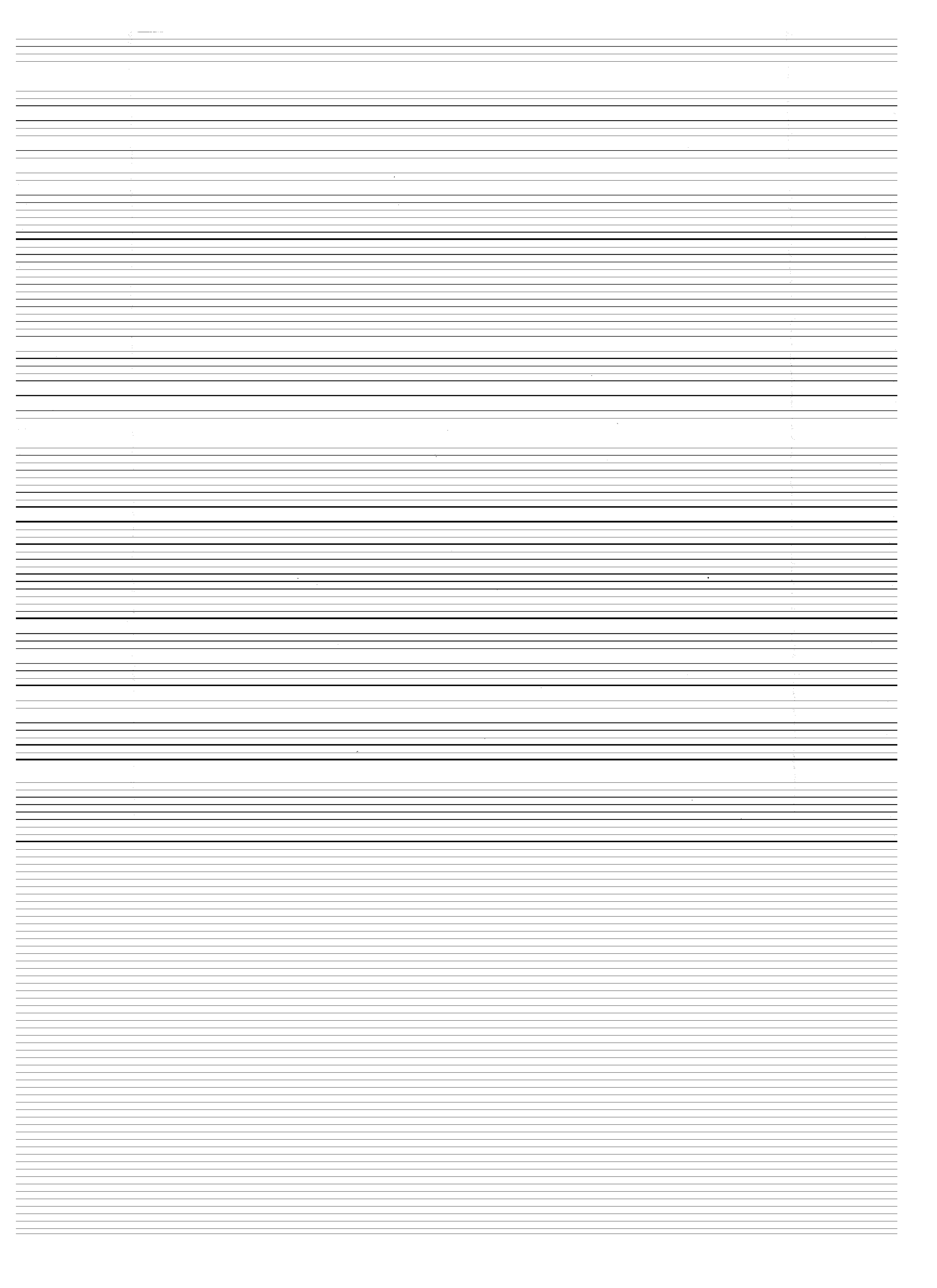
وبعد :

فإنى أؤكد فى نهاية هذا الفصل أن للأخ على أخيه المسلم حقوقاً فى تلك المجالات الخمسة وهى :

الدعوة ، والحركة ، والتربية ، والتخطيط ، وإعداد القيادات .

كما نؤكد أن عملاً إسلامياً مّا لا يتم على وجهه الصحيح إلا إذا أدى الأخ نحو أخيه فى الإسلام هذه الحقوق ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

* * *



الباب الثانى

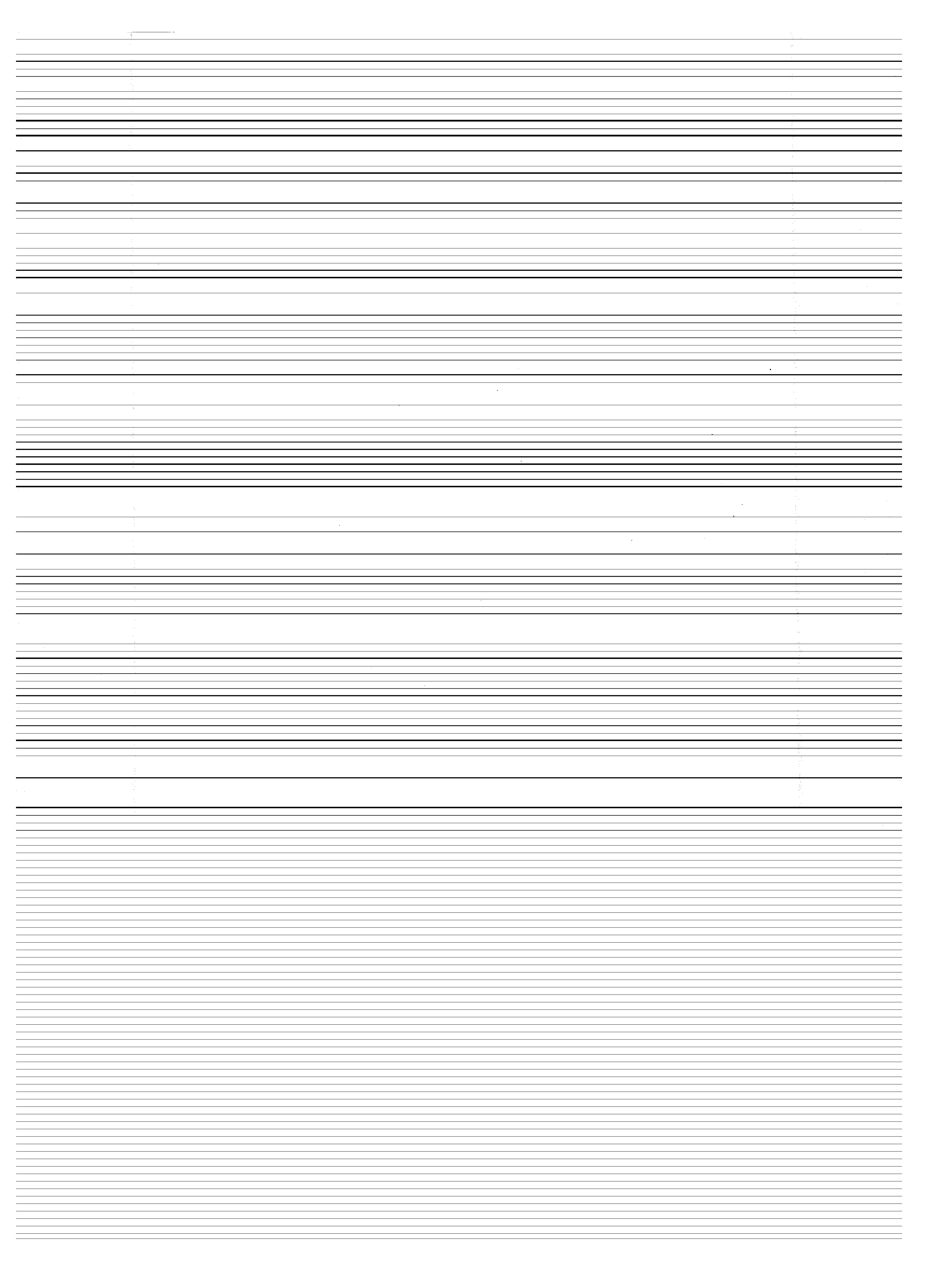
العمل من أجل الإسلام وحاجته إلى الأخوة

ويتناول :

التمهيـــــــــد :

والفصل الأول : أسباب نجاح العمل من أجل الإسلام .

والفصل الثانى : معوقات العمل من أجل الإسلام .



التمهيـــد :

العمل من أجل الإسلام واجب شرعى ، سواء منه ما كان يخص الفرد أو الجماعة أو المجتمع أو الحكومة ، لأن الله تبارك وتعالى طالب به كل المسلمين فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] فهذا خطاب للجميع يطالبهم بالعمل ، والعمل الذى يطالب به الله عباده هو العمل الصالح الذى يعبر عن الإيمان ويترجمه .

وهذا العمل الواجب شرعاً لا يعين عليه شىء مثل التآخى فى الإسلام ، لما فى هذا التآخى من تعاون وتآزر وتكافل وتناصر ، وكل ذلك يعين على أداء هذا العمل الواجب شرعاً من أجل الإسلام .

وهذا العمل من أجل الإسلام له مفردات كثيرة ، كلها تعبر عن الإيمان الصحيح ، وتعزز الانتماء إلى الإسلام ومنهجه ونظامه ، ونستطيع أن نشير إلى أهم هذه المفردات فيما يلى :

- الالتزام بما فرض الله من عبادات وأخلاق وآداب ، فذلك من صميم العمل من أجل الإسلام ، بل ذلك هو القاعدة التى يقوم عليها الإيمان ، والأركان التى يعتمد عليها الإسلام .

- والالتزام بما شرع الله من معاملات فى مجال الأحوال الشخصية ، والأحوال العامة ، كتشريعات بناء الأسرة وتشريعات تنظيم المجتمع ، فذلك عمل يعبر عن الإسلام أصدق تعبير .

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥ .

● والالتزام بما أوجب الله علينا أن نتحلى به من فضائل ، وما أمرنا أن نتخلى عنه من رذائل ، أى جملة القيم الاجتماعية التى يؤدى التمسك بها إلى الضبط الاجتماعى فى مختلف أنماط السلوك الإنسانى ، ذلك من صميم الإيمان الذى يعبر عن الإسلام .

● والتعاون على البر والتقوى – لا على الإثم والعدوان – وهو أمر موجه إلى جميع الخلق ، ليتعاونوا على فعل كل ما أمر الله به ، وعلى ترك كل ما نهى الله عنه ، سواء فى ذلك ما كان واجباً أم مندوباً ، وحراماً أم مكروهاً ، وهو العمل من أجل أن تستقر النظم الإسلامية للمجتمع ، ومن أجل أن يرضى الله سبحانه – وذلك هو التقوى – وإذا كان البر هو ما يرضى الناس والتقوى هى ما يرضى الله ، فإن التعاون على البر والتقوى هو الذى يتمم السعادة ويعمم النعمة .

● والدعوة إلى الله وفق شروطها وآدابها – وهى مما فرض الله على المسلمين والمسلمات فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] هذه الدعوة إلى الله عمل ضرورى من أجل الإسلام يحتاج إلى تضافر الجهود والتعاون الذى يكون بين المتآخين فى الإسلام .

● والاختلاط بالناس وحبهم والرغبة فى تقديم العون والنصح لهم ، ودعم انتمائهم للإسلام هو حركة مكملة للدعوة ، وكلاهما عمل ضرورى من أجل الإسلام ، ينبغى أن تتوحد فيه الجهود وتتضامن الصفوف ، وما الطريق إلى ذلك إلا فى الأخوة فى الإسلام وما تتضمنه من حقوق وواجبات .

● وتكوين البيت المسلم وإعداده ليكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع المسلم ، وإحاطة هذا المجتمع المسلم بسياج من أحكام الإسلام وشروطه وآدابه ، عمل من أجل الإسلام يحتاج دائماً إلى التعاون والتناصر ، وسبيل ذلك هو التآخى فى الإسلام – على نحو ما بينا فى مكانة الأخوة فى النصوص الإسلامية ، وفى حقوق المسلم على أخيه المسلم عموماً أو فى مجال العمل من أجل الإسلام .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

● والتواصى بالحق والتواصى بالصبر وهو من صميم مقتضيات الإيمان والإسلام ، لأن الواجب هو أن يحب المسلمون بعضهم بعضاً ويتواصوا بالحق – أى التوحيد أو القرآن أو الله سبحانه وتعالى – ويتواصوا بالصبر عن معاصى الله سبحانه وتعالى ، والصبر على متاعب التمسك بالحق ومتاعب العقبات التى يقيمها الأعداء فى طريق الحق طريق الله سبحانه وتعالى ، وطريق هذا التواصى هو الأخوة فى الإسلام .

كل هذه الأمور أو المفردات وغيرها مما لم نذكره الآن من صميم العمل من أجل الإسلام ، بل لا نجاوز الحقيقة إن قلنا : إنها العمل الإسلامى ذاته إذا خلصت فيها النوايا واتجهت إلى الله سبحانه وتعالى .

وهذه الأمور لا يستطيع أن يؤديها المسلمون أداءً صحيحاً إلا إذا كانوا متآخين فى الله ، وكان كل منهم مرآة صادقة لأخيه يميط عنه الأذى ، ويحيطه ويدعمه ، ويعينه على تسديد خطاه فى شئون دينه ودنياه ، وذلك أن التآخى فى الإسلام من أهم أسباب النجاح للعمل الإسلامى ، كما سنوضح ذلك بعون الله وتوفيقه فى الفصل الأول من هذا الباب ، ولقد أدرك المسلمون هذه الإشارة أو تلك الحقيقة من هدى النبى ﷺ وعمله بعد وصوله إلى دار هجرته ﷺ ، إذ كان أول عمل له هو بناء المسجد وبعد ذلك آخى بين المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ، ففهم المسلمون من ذلك أن النبى ﷺ يقول لهم بلسان الحال : منطلق العمل للإسلام من المسجد ، وأسباب النجاح فى العمل هى الأخوة فى الله !!!

وإذا تكفل الفصل الأول من هذا الباب بتوضيح أسباب النجاح فى العمل الإسلامى وارتباط هذا النجاح بالتآخى فى الإسلام ، فإن الفصل الثانى من هذا الباب سوف يتكفل بإذن الله ببيان المعوقات والعراقيل التى يبثها أعداء الإسلام فى طريق العمل الإسلامى .

إن النتيجة التى أريد أن أصل إليها فى هذا الباب الثانى من الكتاب هى التأكيد على أن العمل من أجل الإسلام ضرورة إيمان وضرورة إسلام ، ولا يمكن أن يقوم إيمان أو إسلام دون عمل صالح وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية .

كما أود أن أؤكد حقيقة قد تكون خافية على بعض المسلمين بعض الخفاء وهى : أن المسلمين على مر التاريخ ما قامت لهم دولة إلا أن يكون المسلمون الذين نجحوا فى

إقامتها على هذا النحو الذى ذكرنا من الالتزام بمفردات العمل من أجل الإسلام ، وأنهم ما انفرطت لهم دولة أو تفرقت لهم وحدة إلا أن يكونوا قد فرطوا فى مفردات العمل من أجل الإسلام ، وأن مفردات العمل من أجل الإسلام لا يعين عليها شىء مثل التآخى فى الله والالتزام بشروط هذه الأخوة وآدابها .

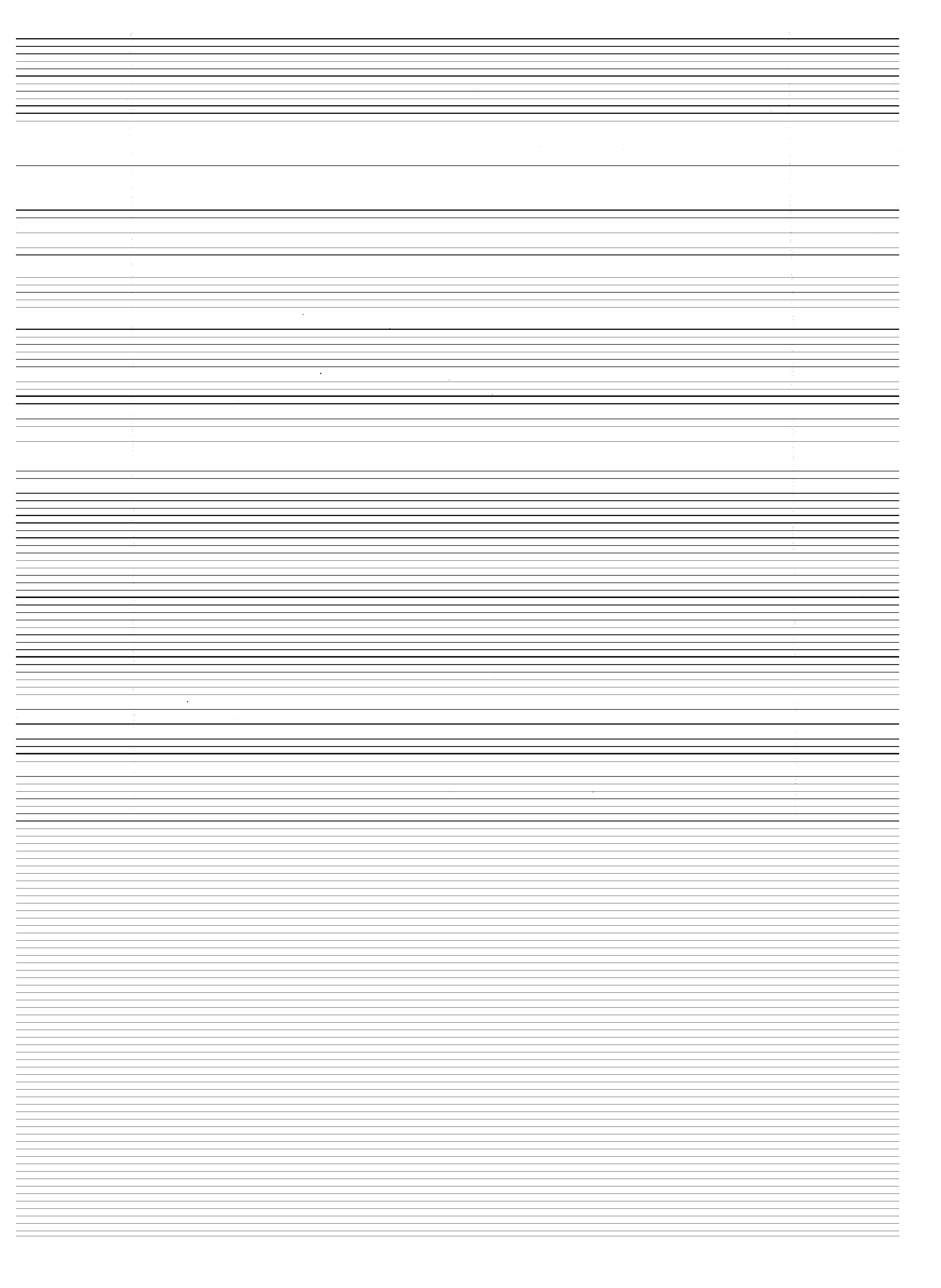
وإن هذه الحقيقة من الثوابت الراسخة فى تاريخ المسلمين ، الماضى والحاضر ، بل وفى مستقبلهم كذلك .

لابد من التزام بالإسلام وعمل بمنهجه وتآخ فى الإسلام يعين على هذا وذاك .

ذاك ما نرجو أن نوفق فى توضيحه فى هذا الباب من الكتاب ، والله المستعان به فى كل قول وعمل .

الفصل الأول

أسباب نجاح العمل
من أجل الإسلام



أسباب نجاح العمل من أجل الإسلام

العمل من أجل الإسلام لا يحقق النجاح إلا إذا توافرت له أسباب كثيرة يقوم عليها هذا النجاح ، ونعنى بالنجاح الفوز والظفر بالمطلوب ، أى تحقيق الأهداف والوصول إلى المقاصد النبيلة التى دعا الإسلام إلى الوصول إليها ، وهى فى إجمال شديد إرضاء الله سبحانه بتوحيده وعبادته وفق ما شرع وامتثال أمره واجتناب ما نهى الله ، كما جاءنا بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

وأسباب النجاح كلها لا يعين عليها شىء مثل أن يكون الآخذون بهذه الأسباب متآخين فى الله يجتمعون عليه ويفترقون عليه ، ويعرفون لهذه الأخوة حقوقها وواجباتها ويؤدون تلك الواجبات وينعمون بهذه الحقوق امتثالاً لأمر الله سبحانه ، واحتساباً للثواب عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . .

فما هذه الأسباب ؟

ذلك ما نوضحه فيما يلى :

السبب الأول : إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى .

إن الركيزة الأولى التى يقوم عليها العمل الإسلامى الناجح هى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره أى الاعتقاد الصحيح فى كل ذلك .

وصحة العقيدة فى هذه الحقائق الكبرى هى التى تعكس العمل الصالح فى العبادات والمعاملات والأخلاق ، وهى التى تلزم بتحقيق أركان الإسلام وقواعده ، لأن هذا العمل الصالح هو ترجمان الإيمان ومصداقه .

ولا يصلح العمل فى مجالاته تلك من عقيدة وعبادة ومعاملة وخلق وسلوك إلا إذا كان خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى ، قال جل شأنه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] أى أن على المسلم أن يقصد وجه بكل عمل صالح يقوم به ، لأن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا ما كان طيباً وكان خالصاً له سبحانه وتعالى .

وقال جل وعلا : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[2] .

وقد روى ابن ماجة بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان » .

وروى ابن ماجة بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راضٍ » .

فالمؤمن المخلص لله بقلبه وعمله وقوله هو المؤمن حقاً ، وهو الجدير بأن يؤيده الله وينصره على أعدائه ، لأن الله سبحانه وتعالى وعد بذلك ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فقال جل شأنه : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .(٢) سورة البينة : ٥ . (٣) سورة الروم : ٤٧ .

والعمل من أجل الإسلام فى واحد من تحليلاته هو معركة بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، وأقوى أسلحة هذه المعركة وأمضاها – بعد الأخذ بأسباب القوة المادية المضاهية لقوة العدو المادية أو المتفوقة عليها – هو الإيمان بالله وإخلاص العمل له سبحانه وتعالى .

ويخطىء من يتصور أن العمل من أجل الإسلام لا يستفز أعداء الحق ، ويمعن فى الخطأ من يتصور أن هؤلاء الأعداء لا يضعون العراقيل فى الطريق ، ولا يقل عن هذين خطأ من يتصور أن العمل من أجل الإسلام يمكن أن يتم على وجهه بغير إخلاص ، فلقد روى الدارقطنى بسنده عن الضحاك بن قيس الفهرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معى شريكاً فهو لشريكى ، يـٰأيها الناس أخلصوا أعمالكم لله فإن الله تعالى لا يقبل إلا ما خلص له ، ولا تقولوا هذا لله وللرحم ، فإنها للرحم وليس لله منها شىء ، ولاتقولوا هذه لله ولوجوهكم فإنها لوجوهكم ، وليس لله منها شىء » .

أعداء العمل من أجل الإسلام

وحسبنا هنا أن نشير إلى نوعين من أعداء العمل الإسلامى يقاومونه ويبثون أمامه العقبات والعراقيل حفاظاً منهم على مصالحهم الدنيوية ، وخشية من هذان الإسلام الذين يجهلونه غالباً ويجهلون ما يدعو إليه من عدل وإحسان وبر ، أو يكرهون ما يدعو إليه !!!

هذا النوعان من أعداء العمل الإسلامى هما :

أ – الأعداء الصرحاء .

ب – والأعداء الغير الصرحاء .

وكل منهم يضع أمام العمل من أجل الإسلام العقبات والعراقيل ولنتحدث عن كل منهما على انفراد .

أولاً : أعداء الإسلام الصرحاء :

وهؤلاء يعلنون عداءهم للإسلام والمسلمين ، ولكل عمل من أجل الإسلام ، ولكل ما هو إسلامى بصفة عامة ، وهؤلاء قد ملأت الأباطيل أنفسهم وملكت عليهم عدواتهم للإسلام زمام أمورهم كلها ، فأخذوا يبثون العقبات والعراقيل فى طريق كل عمل من أجل الإسلام ، ولنذكر من تلك العقبات بعض الشواهد والأمثال :

*** عقبات يبثونها فى فكر الأمة الإسلامية وثقافتها وأدبها ولغتها :**

وهذه العقابت تستهدف صرف المسلمين عن الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية وأدب الإسلام ولغته ، وفى بيان ذلك نقول :

● لقد اتسعت دائرة الأفكار المضادة للإسلام التى طرحت على المسلمين وبهرجت وزينت إلى حد المكافأة على اعتناق هذه الأفكار مكافأة مادية وأدبية .

وهذه الأفكار المعادية للإسلام إنما كانت معادية لأنها دائماً زائفة عن الحق ، منكرة للخالق ، منافقة للخلق ، ملحدة خارجة على العقيدة الإسلامية ، منافية لكل ما جاءت به الشريعة الإسلامية .

هذه الأفكار يروجونها ويبهرجونها ليلهوا المسلمين عن عقيدتهم الصحيحة وليشغلوهم بهذا الفكر الزائف المزوق الذى ما فتىء يقدم فى كل يوم دليلاً على زيفه وتناقضه مع إنسانية الإنسان واستعداده لأن يهوى وينهار – كما حدث مع الفكر الشيوعى الاشتراكى فى هذا العقد الذى نعيشه ، وكما سيحدث مع الأنظمة العسكرية وأساليب الحكم الشمولية المتسلطة الظالمة ، بل كما سيحدث غداً مع الأنظمة الرأسمالية التى تتشدق بالحرية والديموقراطية ، فى حين تناقض نفسها وهى تتحدى حقوق الناس وحرياتهم فى أوطانهم ، كما هو مشاهد فى أكثر من مكان فى العالم اليوم ، وفى ظل النظام العالمى الجديد – إن كل تلك الأنظمة سوف تلفظ أنفاسها عما قريب لمناقضتها لحقوق الإنسان مهما تشدقت بأنها تحافظ عليها ، لأنها تهددها بنفسها فى عقر دارها فيما تمارسه مع السود من الأمريكان ومن المسلمين من الأوربيين ، ومن أطفال العراق وكبار السن منهم الذي يذلونهم بمنع الأدوية والأغذية وبيع نفطهم ، ومن المسلمين فى سائر أنحاء العالم الذين يحرمونهم من التسلح إلا بما يرونه هم ، ومن العرب الذين يصرون على أن تبقى إسرائيل أقوى تسلحاً من العرب أجمعين !!!

هذه هي حقوق الإنسان التي يعرفون ويمارسون ، لذلك فليس بمستبعد على تلك الأنظمة أن تلفظ أنفاسها عما قريب لأنها أنظمة عنصرية فى جوهرها عرقية فى مخبرها ، متعصبة للجنس وللدين فى حقيقتها ، مهما زعموا غير ذلك ومهما ساندوه بمنظمات رسمية كهيئة الأمم وغيرها التى تحسن أن تكيل بكيلين وتزن بميزانين — وما أحداث البوسنة والهرسك منا ببعيد — إن يوم انهيارها آت أقرب مما يظنون .

ومع بالغ الأسف نجد بعض المسلمين الغافلين قد انخدعوا بهذه الأفكار والنظريات فأخذوا بها تاركين منهج الله ونظامه ، كما فعل مشئوم تركيا مصطفى كمال وأمثاله من كبار الغافلين أو من كبار أعداء الإسلام والعمل من أجله ، وهؤلاء قد أخذوا ينهارون من الداخل بدليل غرقهم فى الديون والتبعية وفقد القدرة على اتخاذ القرار ، والانهزام فى كل معركة عسكرية أو سياسية أو اقتصادية ، وسريعاً ما سوف ينهارون من الخارج كما سبقهم إلى ذلك : الاتحاد السوفيتى واتحاد يوغسلافيا وغيرهما ، سوف ينهارون بانهيار النظم التى أخذوا بها ، وإنّ غداً لناظره لقريب .

● إن الأعداء الصرحاء شوهوا الأفكار على هذا النحو ، ثم ملئوا الساحات الإسلامية بثقافات معادية للإسلام منتمية إلى كل ما هو معادٍ للإسلام وثقافته وما تذخر به هذه الثقافة من قيم نافعة للناس فى دنياهم وأخراهم .

وعلى رأس هذه الثقافات التى روجوها تلك الثقافات التى تستمد وتستوحى الوثنيات اليونانية وغيرها وتتخذ منها مصادر أساسية فى مواجهة الثقافة الإسلامية التى تستمد وتستوحى وتصدر عن الكتاب والسنة والسيرة النبوية المطهرة ، وما أفرزته عقول المسلمين الملتزمين بقيم الإسلام وأخلاقه ، حيث قدمت للحضارة الإنسانية ما لم تستطع ثقافة أخرى أن تقدمه بهذه الكفاءة والفاعلية .

ولا ينبغى أن ننخدع فى الثقافة المادية التى يقدمون لنا كالمسكن والأثاث والملبس وسائر الأدوات والآلات ، والمخترعات ، وغيرها من مظاهر الحياة .

ولنا عبرة فى « الماركسية » المنهارة حين أخذت تؤكد للمخدوعين الواهمين أن الثقافة المادية هى صاحبة الكلمة الفصل فى النظام الاجتماعى كله ، ثم انهار هذا النظام فانكشفت سوءاته أمام الجميع بانهيار الماركسية والشيوعية والاشتراكية والأنظمة الشمولية الظالمة — فى هذا العقد الذى نعيشه الآن — العقد الأخير من القرن العشرين

من ميلاد المسيح عليه السلام .

● بل إن الثقافة غير المادية وما تقدمه فى مجال المهارات والمعارف والمعايير والمعتقدات والاتجاهات ، بل اللغة التى تنتقل من جيل إلى جيل ... كل ذلك لم يستطع أن يواكب فطرة الإنسان السوى التى فطره الله عليها ، فضلاً عن أن يستجيب لمتطلباتها المشروعة .

ونتوقع أن تنهار الثقافة غير المادية كما انهارت الثقافة المادية لأن مصارها – كسابقتها – غير موثقة ، ولأنها غير قادرة على التجاوب مع فطرة الإنسان .

● بل إن هناك تحدياً لغوياً أدبياً يحاولون أن يحملوا لغة القرآن الكريم وأدب تلك اللغة وتراثها ، تلك اللغة التى اختارها الله سبحانه ، دون غيرها من اللغات ليجعلها لغة آخر كتبه السماوية على لسان آخر أنبيائه وخاتم رسله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، إذ لولا كمال هذه اللغة وما فيها من قدرة على مواكبة متغيرات الحياة الإنسانية فى مختلف أزمانها ما اختارها الله سبحانه وتعالى لذلك .

إن هؤلاء الأعداء الصرحاء مازالوا يثون كل هذه العقبات فى طريق العمل الإسلامى ليصرفوا المسلمين عن مصادر قوتهم وعزتهم وتحضرهم وهو الإسلام ومنهجه فى الحياة .

*** وعقبات يثونها فى طريق التمسك بأخلاق الإسلام :**

إن الإسلام قد جاء بقيم أخلاقية إذا التزم الناس بها عاشوا أكرم حياة إنسانية ، تعطى الإنسان كامل حقوقه ، وتلزمه بجميع واجباته ، وتعدل بينه فرداً وبين المجتمع جماعة ، فلا تسمح لأى منهما أن يحيف على الآخر أو ينتقص شيئاً من حقه ، وهذا هو التوازن الذى تفقده أو تفقد معظمه أى قيم خلقية أخرى من خارج الإسلام .

ولأن هذه الأخلاق الإسلامية تستطيع دائماً – إذا وجدت من يتمسك بها – أن تصنع مجتمعات تنعم بالحرية والعدل ، فإن أعداء الإسلام يحاربون هذه الأخلاق الإسلامية ما وسعتهم الحرب والحيل ، لما يرون فيها من تحدٍّ لهم بوصفهم أعداء الحرية والعدل على المستوى الإنسانى وإن زعموا غير ذلك فهم فى داخل مجتمعاتهم – كما أشرنا من قبل – لا يمارسون الحرية والعدل بميزانهما الصحيح – فكيف بهم مع سائر الناس ،

أو مع شعوب العالم الثالث أو النامى ، فضلاً عن دول العالم الإسلامى أو دول العالم العربى ؟

إن نتيجة التمسك بأخلاق الإسلام هى أن يخرج العالم الإسلامى كله من التبعية المنظورة وغير المنظورة لعالم الغرب أو دول الصناعة والثراء ، فكيف يسكت الغرب عن هذه المحاولات ؟

إن للأعداء فى محاربة أخلاق الإسلام وسائل وأساليب عديدة نشير إلى بعضها دون حصر فيما يلى :

- الزعم بأن التمسك بأخلاق الإسلام وما توجبه من التزام بالفضائل واجتناب للرذائل هو حجر على الحرية الشخصية للإنسان فى أن يفعل ما يريد !!!
- والادعاء بأن ممارسة الإنسان لشهواته لا ينبغى أن يحدها نظام ، لأن التعبير عن الغرائز عندهم أمر لا يستحى منه ولو كان على قارعة الطريق أو فى الحدائق العامة وكثيراً ما يسندون ذلك بالقوانين .
- والإقرار بأن محاسن المرأة ومفاتنها ما ينبغى أن تحجب عن أعين الناظرين ، ويموهون بأن التمتع بالنظر إلى الجمال حق لكل الناس ، ومن هنا عملت بيوت الأزياء على إبراز ، مفاتن المرأة وعَرَّت معظم جسدها وجعلتها نهبة للعيون والشهوات .
- وتقرير أن اللواط أو السحاق « الشذوذ الجنسى » من حق الإنسان أن يمارسه إذا أراد ، ولا يمنعه من ذلك تشريع سماوى نبيل يوجه الغريزة إلى وجهتها السليمة فيحفظ الحرث والنسل ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك إذ أقروا أن للإنسان أن يأتى البهيمة !!!
- وجعلوا تعاطى الخمور – وهى أم الكبائر – بديلاً عند ذوى الثراء والمكانة من شرب الماء ، وردد بعضهم أن شرب المياه للحيوان أما الإنسان فله الخمور !!! وفى كثير من البلاد لا تجد فيها مياها للشرب بقدر ما تجد خموراً ومسكرات !!!
- وجعلوا من موائد الميسر منتديات يذهب إليها علية القوم ووجهاؤهم ، ثم تنتقل

العدوى – والناس على دين ملوكهم – إلى سفلة القوم ومغموريهم حتى يبيع الرجل منهم ملبسه أو مسكنه أو زوجته أو بنته ثمناً للمقامرة ، ويهولهم أن يحرم الإسلام الميسر ، فيحاربون هذه الأخلاق التى تحفظ على الناس أموالهم وأعراضهم وكرامتهم !!!

- ويجعلون القاعدة هى القروض بالربا الذى يستغل إلى أسوأ حد حاجة المحتاجين ، ويحولهم إلى فقر مستمر قلما يمكنهم الخروج من دائرته ، الأفراد والدول فى ذلك سواء ، ويذهلون من تبنى الأخلاق الإسلامية للقرض الحسن دون فائدة ، فيشنون على تحريم الربا حرباً شعواء .

- ويتخذون من الكذب والخداع أسلوباً فى التعامل ويزورون الأمور إذ يعتبرون هذه الجرائم أو الكبائر مهارة ولباقة وقدرة على الاستفادة من الظروف ،متناسين أن ذلك مناف تماماً لاحترام الإنسان وتقدير إنسانيته وكرامة تلك الإنسانية .

إلى غير ذلك مما لا أستطيع أن أحصى هنا ...

وهدفهم أن يحال بين الأخلاق الإسلامية فى صورتها العملية وبين ممارسة الناس لها ، ليحققوا من وراء ذلك أهدافهم فى الاستمرار فى حرمان الناس من حقوقهم فى الحرية والعدل .

هكذا يفعل أعداء الإسلام ، وأعداء الأخلاق الإسلامية فى المسلمين وفى كل عمل من أجل الإسلام ، والعجب أن يستجيب لهم المسلمون كالقطعان التى تساق إلى المجازر !!!

*** وعقبات فى طريق تربية الناشئين والشباب :**

إن هذا المجال كان أهم ما وجه إليه أعداء الإسلام الصرحاء ضرباتهم ، إن ضرب التربية الإسلامية ، يؤدى إلى أن يحقق العدو علينا انتصاراً فى أى مجال من مجالات الحياة سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً بصفة عامة .

إن التربية هى التى تصنع شخصية الإنسان وتحدد توجهاته وأنماط سلوكه ، وما يحبه وما يكره فى الحياة ، وإذا تركت التربية الإسلامية تؤدى وظيفتها فلن يجد أعداء الإسلام لهم موطىء قدم في العالم الإسلامى ، فضلاً عن نفوذ منظور تحميه القواعد

العسكرية أو غير منظور تحميه المعاهدات السرية أو المعلنة .

ومن أجل ذلك وجه الأعداء للتربية الإسلامية بالغ الضربات وأكثرها ضراوة ، ونستطيع أن نذكر من ذلك ما يلى :

- أشرف الأعداء على مؤسسات التعليم فى كل بلدان العالم الإسلامى التى وقعت تحت سيطرتهم سياسياً واقتصادياً فوجهوا سياسته وأهدافه ووسائله نحو ما يباعد بين التعليم وأسس التربية الإسلامية ، حيث أشرفوا هم على تصميم المناهج وإعداد المعلمين واختيار المقررات الدراسية ، مما لا يزال أمره واضحاً حتى يومنا هذا فى كثير من بلدان العالم الإسلامى .

- والأصل فى التربية الإسلامية أن تستقى قيمها وأهدافها من الكتاب والسنة فى كل مفرداتها ومقرراتها الدراسية ، لكن الأعداء حصروا التربية الإسلامية فى خطة التعليم فى درس أو درسين فى الأسبوع وضنوا عليها حتى باسم التربية الإسلامية فسموها التربية الدينية .

- وشنوا حرباً ضروساً على الأزهر بوصفه مؤسسة تحمى علوم الإسلام وعلوم اللغة العربية ، فأخملوه وأخملوا المتخرجين فيه وحصروهم فى أدنى الوظائف وأقل الرواتب وسخروا منهم ومن ملابسهم ومما يدرسون للناشئة ومما يعلمون الناس — وكان لتلك الحرب قصة محبوكة لا تزال تعطى تأثيراتها وسمومها حتى الآن .

- وفرضوا لغاتهم على مدارسنا ومعاهدنا لإخمال لغة الإسلام ، أو لغات الأقاليم التى سيطروا عليها ، ولم يكتفوا بذلك وإنما أنشأوا فى كل بلدان العالم الإسلامى مدارس ومعاهد وكليات لتدريس لغاتهم وعاداتهم وما يحبون أن يشيع بين أبناء المسلمين ، فى حركة التنافس حول مستقبل الأمة الإسلامية ليكون وفق ما يريدون ، وقد خرجوا فى مدارسهم من أبناء المسلمين من يعطون ولاءهم لتلك اللغات وثقافتها ومعارفها !!!

- ومكنوا بما لهم من نفوذ سياسى واقتصادى للمتخرجين فى مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم من المناصب القيادية والوظائف العليا والرواتب الكبيرة والوجاهة والمكانة .

- وأغروا معظم بلدان العالم الإسلامى ببعث أبنائهم فى بلاد هؤلاء الأعداء ليتعلموا فيها ويحملوا فكرها ويوالوا ثقافتها وقيمها ، فانساقت هذه البلدان إلى ذلك راغبة أو راهبة يخاف حكامها أن ينحوا عن كراسيهم بانقلابات ثورية عسكرية أو فتن داخلية أو جيوش أجنبية غازية ، يمكن أن تعتقل الحكام فى بلادهم وتسوقهم إلى بلاد الأعداء حيث يحاكمون هناك بأى تهمة حتى ولو كانت الاتجار بالمخدرات !!!

وتاريخنا يشهد بأن كثيراً ممن تعلموا أو أكملوا تعليمهم فى الغرب عادوا وهم أشد ولاء للغرب من الغربيين أنفسهم ، ولولا الإطالة لذكرنا أسماء هؤلاء الذين انسلخوا من قوميتهم وعروبتهم وربما إسلامهم – والله أعلم بقلوب عباده – بما تهجموا على كل ما هو إسلامى ووالوا كل ما هو غربى حتى فى الزواج وما تقوم به الأم من تربية لأبنائها !!!

*** وعقبات فى النظم الاجتماعية الإسلامية :**

هذه النظم الاجتماعية الإسلامية التى جاءت بها شريعة الإسلام لتنظيم العلاقة بين الأفراد فى مختلف شئونهم وبين العائلات ، بل بين الجيران الأدانى والأقاصى ، ولكى يلتزم بها المجتمع كله – يخضع لما تدعو إليه – وهى لا تدعو إلا لما فيه صالح الإنسان والمجتمع فى الدين والدنيا – هذه النظم لقيت من الحرب وإقامة العقبات والعراقيل فى طريقها ما نشير إلى بعضه فيما يلى :

- أول هذه النظم الاجتماعية الإسلامية هو الزواج ، وقد وجهت إليه الضربات ، فزعموا أن عقود الزواج فى الإسلام عقود إذعان بالنسبة للمرأة مع زوجها !!!

– وزعموا أن تعدد الزوجات جريمة بينما تعدد الخليلات لا حرج فيه ولا ظلم يقع على المرأة !!!

– وزعموا أن الطلاق نقطة ضعف فى العلاقات الأسرية فهاجموه وتركوا الانفصال النفسى والجسدى بين الرجل وزوجه دون طلاق ليبحث كل منهما عن خليل أو خليلة للتنفيس عن غريزته !!!

– وأقاموا الدنيا ولم تقعد بعد على أن تكون قوامة الرجل على المرأة فى الحياة الزوجية هى الأصل ، ورأوا فى ذلك عدواناً على حرية المرأة وحقها

فى عدم الاستماع إلى زوجها أو احترامه !!!

- وثانى هذه النظم هى تربية الأبناء – وقد تحدثنا عنها آنفاً .
- وثالث هذه النظم هى العلاقات بين الأقارب والأرحام بل الجيران والأصدقاء ، وفى كل ذلك كان لهم مكر وكيد يستهدف اقتلاع القيم الخلقية الإسلامية التى يجب أن تظلل هذه العلاقات ، ويأخذ الناس بما هو سائد فى المجتمعات الغربية حيث لا حق لغريب ولا جار فضلاً عن صديق أو سائل أو محروم ، وحيث المادية واللهاث من أجل الحصول على أسباب المعيشة يمنع الجار أن يلقى التحية على جاره ، وحيث الصلف والأنانية كما هو مشاهد لكل من يتردد على تلك البلاد ، وحيث دور إيواء المسنين التى يلقى فيها الآباء والأمهات فضلاً عن الأجداد والجدات لأن السن تقدمت بهم ، وإن كان لهم من الأبناء والأحفاد من يجب أن يعنوا بهم وبرعايتهم !!!
- ورابع هذه النظم هى نظم الاقتصاد وتداول المال بين الناس والالتزام بأداء الحقوق المتعلقة بالمال كالزكاة والوصية وغيرهما .

وقد حرص الأعداء على أن يقيموا فى هذا الطريق عقبات تمثلت فى الربا والاحتكار وبيع الرجل على بيع أخيه واستغلال الغنى للفقير ، وعدم الاعتراف بحق فى المال للسائل والمحروم فضلاً عن عدم الالتزام بالزكاة ، وتزهيد الناس فى الصدقات !!!

- وخامس هذه النظم هى نظام الحكم ، وطرق إقامة الحكومة المسلمة والإمام أو الخليفة المسلم الذى تجتمع عليه كلمة المسلمين وتتوحد تحت قيادته جيوشهم لتجاهد فى سبيل الله أعداء الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقد بذل الغرب ما وسعه وتحالف مع كل عدو له حتى تمكنوا فى النهاية من إسقاط آخر دولة خلافة إسلامية على الرغم مما كان فى بعض حكامها من تجاوزات ، وجندوا لذلك مشئوم تركيا وأعوانه أعوان الشياطين .

ومن يوم ذاك لم تقم للمسلمين حكومة إسلامية إلا وعملوا على حربها وإسقاطها ، وجاءوا بالعلمانية لتحل محل الإسلامية فى نظام الحكم .

إن هدف الأعداء الصرحاء من بث هذه العقبات والعراقيل أن يحولوا بين العمل من أجل الإسلام وبين بلوغ أهدافه ، بتأمين الناس على حاضرهم ومستقبلهم وإقامة أنظمة لحياتهم تضمن لهم أن ينالوا حقوقهم كلها ، ويؤدوا واجباتهم كلها فى تنسيق وفاعلية وكفاءة .

ثانياً : أعداء الإسلام غير الصرحاء :

كان هؤلاء الأعداء غير صرحاء ، لأنهم فى الغالب من المسلمين الذين ليست لديهم الجرأة على المجاهرة بعدائهم لدينهم ، لذلك لجئوا إلى المداراة والمواربة – ولا نريد أن ندخل فى نواياهم – وإنما أعمالهم هى التى تدل عليهم ..

*** أسباب هذا العداء**

فكيف يعادى من كان من المسلمين دينه ؟

الإجابة على هذا السؤال تستدعى ذكر بعض الأسباب فيما يلى :

أ – قد يكون المسلم منافقاً يظهر خلاف ما يبطن ونحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر .

ب – وقد يكون هذا العدو المضمر ، غير ملتزم بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه ، إذ يرى فى هذا الالتزام قيوداً ومشقة – دون نظر إلى ما عند الله من ثواب على هذه المشقة .

جـ – وقد يكون هذا العدو المضمَر قد ربى فى أسرة غير ملتزمة بالإسلام من تلك الأسر التى تقلد غير المسلمين فى أخلاقهم وعاداتهم ، وتزرى بأخلاق الإسلام وتستهين بآدابه .

د – وقد يكون قد ربى فى مدرسة أجنبية من مدارس الإرساليات ، ومدارس التبشير التى كثرت فى عدد كبير من بلدان العالم الإسلامى ، وهذه المدارس ما لم ترب المتعلمين فيها على كراهة أخلاق الإسلام وآدابه فإنها تحمل فى نفوسهم هذه القيم ، فى مقابل إحياء قيمها وأخلاقها التى هى فى الواقع لا تكلف المتخلق بها مشقة ولا عناء فضلاً عن أن تطلق له الحرية فى التعبير عن رغباته .

هـ – وقد يكون معتنقاً لفكرة أو مذهب معاد للإسلام كما كان ولا يزال بعض

الشيوعيين والاشتراكيين والماركسيين واليساريين والملحدين والعلمانيين – على الرغم من إعلان هذه المذاهب عن فشلها لمناقضتها للفطرة الإنسانية – ولكنها المكابرة والعناد والهروب من التكاليف .

و – وقد يكون من هؤلاء الناس الذين يشقون طريقهم فى الحياة لاهين عابثين لا يعرفون من الحياة إلا ما يحقق لهم شهواتهم ولذائذهم ، ويرون فى الإسلام قيداً على تحقيق هذه الشهوات إذ يرسم القنوات والطرق المشروعة التى يعبر فيها الإنسان عن غرائزه .

ز – وقد يكون ممن خدعه أعداء الإسلام الصرحاء فأعطوه وأرضوه من جاه أو مال ، أو منوه بذلك فانطلق فى ولائه لأعداء دينه ، مضمرا عداءه لدينه يكيد له ما وسعه الكيد مادام مستتراً يتصور أن أحداً لا يعرف عنه هذا العداء .

وهؤلاء الأعداء غير الصرحاء لهم فى المجتمعات المسلمة مكانة ومناصب ووجاهة ، وكثيرون منهم أصحاب أقلام يتصدرون الصحف والمجلات ومختلف وسائل الإعلام التى مكنهم منها الأعداء الصرحاء المسيطرون على معظم بلدان العالم الإسلامى فيدسون السم فيما يكتبون وفيما يوجهون من وسائل إعلامية من خلال السينما والتلفاز والمذياع والصحف وغيرها ... وإن نظرة إلى « الأفلام » السينمائية والتلفازية ، وإلى المسرحيات والتمثيليات ، والقصص والروايات التى تنشر فى وسائل الإعلام ... إن نظرة إلى ذلك كله مع تأمل فى مضمونه وأهدافه لتؤكد لنا كم يعادى الإسلام بهذا السيل الجارف من هذا الإنتاج .

ولقد أدت هذه الحملات المنظمة المدعومة من الحكومات من خلال أجهزة الإعلام منذ إسقاط الخلافة الإسلامية فى تركيا وإلى اليوم ، إلى بلبلة واضطراب ومغالطات فى الحديث عن الإسلام ، وتضليل متعمد قاده عدد من المستشرقين وأتباعهم وتلاميذهم ، وحمل وزره بعض الكتاب والمؤلفين وكثير من العاملين فى أجهزة الإعلام ومؤسساته .

* نتائج هذا العداء

وقد أفرزت هذه الحملات طوائف من المسلمين ضلوا طريق الصواب ، ونستطيع أن نحصى من هذه الطوائف عدداً غير قليل نشير إليه فيما يلى :

أ – طائفة من المسلمين يجهلون مقاصد الشريعة من كثرة ما ضللوا بما كتب قادة هذه الحملات ، فاختلط عليهم الحق بالباطل ، ومع ذلك فهم بحكم مكانتهم يكتبون عن الإسلام كتابة من يعلم – وهم لا يعلمون – فَيَضِلون ويُضلون كثيراً من الناس .

ب – وطائفة أوهمها قادة تلك الحملات أن الإسلام عبادة وعلاقة شخصية بين العبد وربه ، ويجهلون أن الإسلام منهج متكامل للحياة الإنسانية ، وأن العبادات كلها فى الإسلام جزء من منهج الإسلام وأن سائر المنهج يتناول العقيدة الصحيحة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وأن ترجمة هذا الإيمان هى العبادة والمعاملات مع الله ومع النفس ومع الشيطان ومع الناس مؤمنهم وغير مؤمنهم ، وأن هذا المنهج لم يدع مفردة من مفردات الحياة الإنسانية إلا وضع لها أحكاماً وآداباً .

جـ – وطائفة تخشى الإسلام ولا تعرف عنه إلا أنه نظام يقطع الأيدى فى السرقة الصغرى ، ويقطع الأيدى والأرجل فى السرقة الكبرى – الحرابة – ويجلد من زنا ، وهو غير محصن ومن شرب الخمر ومن قذف المحصنين والمحصنات كأنهم بهذه الخشية يسلمون بأن المجتمع الذى يعيشون فيه مجتمع من المجرمين والمرتكبين !!! مع أن هذه الحدود هى الحماية الحقيقية للمجتمع من الفساد والمفسدين .

د – وطائفة وقر فى نفوسها – بتأثير هذه الحملات التشويهية – أن المسلمين متعصبون أهل عنف وتطرف ، ويربطون بين هذه الدعاوى وبين تصرفات فردية لأفراد لا يعرفون الإسلام معرفة صحيحة .

ثم تنطلق هذه الطائفة منادية بأن نظام الحكم فى الإسلام يقوم على التعصب والتطرف والعنف فى التعامل مع الناس .

وحسبنا ما يدل عليه هذا التصور من باطل وإفك وزور لا يسانده منطق ولا عقل ، فضلاً عن الحق والحقيقة .

هـ – وطائفة من المسلمين يزعمون – عن سوء قصد أو سوء فهم – أن الإسلام جهامة وصرامة وكآبة وحزن ، ويؤيدون مقالتهم تلك بأن بعض المسلمين يتصفون بهذه

الصفات ، جاهلين أو متجاهلين حقيقة الإسلام وجوهره ، إذ هو دين يوجب البشاشة والبساطة والابتسامة وأن تلقى أخاك بوجه طلق ، وقد روينا فى ذلك أحاديث نبوية كثيرة[1] .

و - وطائفة من المسلمين يتصورون - بتأثير هذه الحملات - أن الإسلام يرجع القهقرى بالناس ، وأنه كان ملائماً للناس اليوم فى القرن أو القرون الأولى من الهجرة وأنه لم يعد ملائماً للناس فى هذه القرن الخامس عشر الهجرى . مع أنهم فى ذلك جد واهمين ، إذ ليس كالإسلام منهج ونظام قادر دائماً - بحكم تشريعاته ومصادرها - على أن يواكب كل المتغيرات ، وأن يوجهها الوجهة التى تحقق مصلحة الناس فى أى زمان وأى مكان ، وأنه وحده الدين الخالى تماماً من الكهنوت ومن سلطة رجال الدين ، وتلك علامة بارزة على حيويته وقدرته على مواكبة المتغيرات .

ز - وطائفة من المسلمين يتصورون - بتأثير هذه الحملات - أن الإسلام دين لا دولة ، وعبادة لا حكومة ولا سياسة وينادون بعدم تسييس الدين أو عدم تديين السياسة ، وهم بذلك أجهل من أن يفهموا حقيقة الدين أو جوهر السياسة ، وأبعد ما يكونون عن المفهوم الصحيح للدين وللدولة ، إذ الدين عندهم عبادة وكهنوت والدولة عندهم تسلط وإرهاب للناس ونظام حكم كل همه أن يؤمن الحاكم .

إن هؤلاء إنما يرددون ما قاله الأجانب عن الإسلام الأعداء الصرحاء ، دون وعى منهم بما يقال ولا بما هم يرددون .

إن أحد هؤلاء الأجانب سمى المنافقين فى كتاب له معروف[2] حزب المعارضة الإسلامى !!!

فلا أولئك أنصفوا ولا هؤلاء فهموا ، وأصبحوا جميعاً فى بث العراقيل سواء .

تلك صورة مجملة لما أفرزته تلك الحملات وهذا العداء الصريح أو المضمر للإسلام

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الأول من هذا الكتاب وإحسان المسلم إلى أخيه المسلم ومفردات هذا الإحسان .

(٢) مونتجمرى وات فى كتابه : محمد فى المدينة .

وللعمل من أجل الإسلام ومهما زعم هؤلاء وأولئك من أنهم أنصار الحرية والديموقراطية فإننا نسوق مثلاً واحداً على كذبهم فى هذا الادعاء ، إذ يحمله الدليل الدامغ على كذبهم وافترائهم هم ومن يمشون فى ركابهم من بعض حكام العالم الإسلامى ، نسوق هذا المثل فيما يلى :

ثالثاً : موقف كاشف لنوايا الأعداء صرحاء وغير صرحاء:

ما أخزى الأعداء الصرحاء والمضمرين موقف أكد خداعهم وتناقضهم مع ما يعلنون من مبادىء ، وحقدهم على الإسلام وكل ما هو إسلامى مثل موقفهم مع جبهة الإنقاذ فى الجزائر ، فقد كان فضيحة لهم بكل مقياس تقاس به فضيحة ...

وذلك أن انتخابات حرة لم تمسها يد التزوير كالعادة أدت إلى نجاح جبهة الإنقاذ وحيازتها لمعظم مقاعد مجلس الشعب أو المجلس النيابى — وهنا قامت قيامة أعداء الإسلام الصرحاء وأذنابهم المضمرين ، وخافت أمريكا من هذه النتيجة وذعرت أوربا ، ومسَّ فرنسا طائف من الجنون وتنادوا مصبحين وممسين أن احذروا على ديموقراطيتكم أن يمارسها المسلمون ، بل شككوا فى الديموقراطية ذاتها مادامت قد سمحت للمسلمين بالظهور ، وحدث انقلاب فى الجزائر المسلمة ونحى رئيس الدولة أو أجبر على الاستقالة وجيء برئيس مبعد يعيش فى المنفى ويحمل الولاء لكل ما هو غير إسلامى فشن حرباً ضارية على جبهة الإنقاذ الإسلامى سجن قادتها وقتل فى الشوارع كثيراً من أفرادها وأعلن أنه من أجل الديموقراطية يقضى على الديموقراطية مادامت قد جاءت بالمسلمين !!!

• لقد كشفت الديموقراطية بهذا العمل عن سوءتها وسوف تظل هذه السوأة بارزة تخزى حكام الجزائر مئات السنين الآتية ، وحتى ولو جاء على الناس زمن ينسون فيه جهاد الجزائر من أجل التحرر من الاستعمار الفرنسى وتضحيتهم بمليون شهيد ، لو نسى الناس ذلك فلن ينسى الناس ولا التاريخ هذا التنكر للحق وللديموقراطية فيما حدث لجبهة الإنقاذ الإسلامى فى الجزائر على يد القادة الذين خرجوا من النفوذ الفرنسى على بلادهم بالحرب ودماء الشهداء ، ثم دخلوا فيه طواعية واختياراً ، بضرب جبهة الإنقاذ الإسلامى كما تريد دول الغرب !!!

وبعد : فإن كل أولئك الأعداء للعمل الإسلامى فى وضح النهار ، أولئك الذين

يبيتون ما لا يُرضى من القول ، إنما يحاولون جاهدين أن يحولوا بين الإسلام وبين أن يكون منهجاً للناس فى حياتهم ، لأنهم يوقنون أن مع هذا المنهج لا ظلم ولا تجبر ولا استغلال للناس ، وذلك معناه أن يحرموا من فوائد كل ذلك ، لأنهم اعتادوا التحاكم إلى النظم والنظريات التى انهار شطرها فى شرق أوربا وفيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى والاتحاد اليوغسلافى ، ولسوف يخفق شطرها الثانى فى الغرب فى أوربا وأمريكا ، لسبب بسيط واضح هو أنهم يحكمون الناس بقوانين وضيعة جائرة تحقق مصالحهم الشخصية بقدر ما تضر الناس ، لأنها قوانين تكيل بمكيالين وتزن بميزانين .

وليست قصة التباكى على الديموقراطية فى السودان - بعد أن قامت فيه حكومة تتحاكم إلى شريعة الله - بأغرب من قصة التنكر للديموقراطية فى الجزائر !!!

وما قصة إثار الحروب بين البلدان الإسلامية كالعراق وإيران والعراق والكويت بأغرب مما حدث فى الجزائر !!!

وما قصة عون إسرائيل على الاستيلاء على أرض فلسطين وعونها فى استمرارها فى العدوان ، وعونها فى التوسع على حساب العرب ، وعونها بأن تكون عسكرياً أقوى من كل الدول العربية مجتمعة وتعهد أمريكا بذلك ، ليس هذا بأغرب مما حدث فى الجزائر !!!

وليست خدعة النظام العالمى الجديد التى تقوده أمريكا بعد انهيار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى - لكى تقود العالم إلى ما يحقق مصالحها الذاتية وحدها - حيث يحتمل أن تتضارب هذه المصالح مع مصالح أوربا فيدب بينهما خلاف - ليست هذه الخدعة بأغرب مما حدث فى الجزائر !!!

وليس تحريش العراق بالكويت بقصد ضرب العراق والقضاء على قوته العسكرية والاقتصادية لصالح إسرائيل قبل الكويت ليس ذلك ولا حرب الخليج كلها ولا تبرير إقامة القواعد العسكرية على الأرض العربية ، وتقديم أمريكا « لفاتورة » حساب لتكاليف هذه الحرب تشتمل حتى على ثمن معجون الأسنان[1] الذى استعمله الجنود الأمريكان .

---

(١) جريدة الأهرام العدد ٣٨٦٧١ الصادر يوم ٢٢/١٠/٩٢ عمود أنيس منصور .

ليس كل ذلك بغريب عما حدث فى الجزائر باسم الديموقراطية ولا بغريب عم يحتمل أن يحدث لو استطاع الإسلاميون أن يقيموا دولة ولو فى أحد الكواكب غير الأرض !!!

والحديث عن ذلك وأمثاله ذو شجون ....

وبعد : فأحب أن أذكر بأن أسباب النجاح فى العمل الإسلامى التى على قمتها الإيمان بالله وإخلاص العمل له ، مهما حاول أعداء الإسلام أن يضعوا فى طريق العمل من أجل الإسلام من عقبات وعراقيل ، فإن التغلب على كل هذه العقبات إنما يكون بالتآخى فى الإسلام ، وذلك أن هذا التآخى يوجب تعاوناً على البر والتقوى أى على ما ينفع الناس وما يرضى الله سبحانه وتعالى ، كما يوجب تواصياً بالحق والصبر ، وكل ذلك له أثره على إزالة هذه العقبات والعراقيل .

إن الأخوة فى الإسلام توجب على الأخ نحو أخيه التناصر والتآزر - على نحو ما بينا آنفاً - من أجل التغلب على هذه العقبات ، وبغير هذا التآخى فى الإسلام فهيهات أن يحدث تغلب على هذه العقبات .

إن التآخى فى الإسلام يعنى جمع كلمة المسلمين على الحق والخير والهدى ، ويعنى الالتزام بهذا الحق والتواصى به والجهاد فى سبيله والتضحية من أجله ، كما يعنى توحيد الصفوف للمسلمين ، وإبراز جماعاتهم ووحدتهم وفى الجماعة قوة وفى الفرقة ضعف وضياع .

والمسلمون بغير جماعة وتجمع وتوحد وخلافة أو إمارة أو رئاسة لن يكون لهم وزن ، ولن تسود لهم كلمة ولن يستطيعوا أن يواجهوا عدوا صريحاً ولا غير صريح ، ولا أن يكيدوا لمن يكيد لهم ويقعد لهم بكل مرصد .

وطريق الجماعة والتجمع هو الأخوة فى الإسلام ، ولنا فيما صنع رسولنا الكريم بعد وصوله إلى دار هجرته أسوة حسنة ، فقد أقر هذه الأخوة وأكدها بوثيقة مكتوبة وقال للسملين فى أكثر من حديث شريف - مما ذكرنا آنفاً - « كونوا عباد الله إخواناً » .

وقد أطلنا الحديث فى هذه النقطة الأولى من أسباب نجاح العمل من أجل الإسلام لأنها أهم الأسباب ، إذ هى إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى .

والسبب الثانى : تحديد الهدف ووضوح الرؤية .

إن الركيزة الثانية لنجاح العمل الإسلامى ، هى تحديد الهدف أو الأهداف مع وضوح الرؤية عموماً ووضوحها لهذا الهدف على وجه الخصوص .

وليس أجدر بالنجاح والفلاح من إنسان يعمل وقد حدد هدفه وعرف غايته من عمله ، بل عرف خطواته فى السعى نحو الهدف ووضحت له معالم الطريق الذى سيسلكه للوصول إلى هدفه ، بل عرف بدقة وتفصيل ما يتطلبه تحقيق الهدف من أعمال وأعباء .

ومادام العمل من أجل الإسلام متشعباً على النحو الذى سوف نفصله بعد قليل ، حيث تكون بدايته التآخى فى الإسلام ويستمر ولا ينتهى إلا إذا وجدت الحكومة الإسلامية التى تطبق شرع الله على عباد الله ، مادام العمل متشعباً إلى هذا الحد فإن تحديد الهدف بالنسبة لكل عمل يعد مطلباً أساسياً لا ينجح العمل إلا به .

أولاً : الهدف الكبير بالنسبة للعمل الإسلامى

فما هو الهدف العام أو الكبير الذى يسعى إليه العمل من أجل الإسلام ؟ إن الإجابة على هذا السؤال هى المفتاح الذى تفتح به أبواب العمل الإسلامى باباً بعد باب .

إن هذا الهدف فى كلمات هو : العمل على إيجاد حكومة إسلامية مؤهلة لحمل الوصف بـ « إسلامية » ولن تتأهل لهذا الوصف إلا إذا اتخذت من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منهجاً للحياة ، وتحاكمت إلى الشريعة الإسلامية فى كل أمور الحياة » ، وليس يهم شكل الحكومة بمقدار ما يهم جوهرها . وإنما يهم أن تكون هذه الحكومة الإسلامية قد جاءت نتيجة اختيار صحيح وشورى صحيحة ، لأنها بذلك تكون قد نالت ثقة الناس ، ولابد أن تكون هذه الحكومة ملتزمة أمام من اختاروها بتطبيقها الشريعة ومستمرة فى هذا التطبيق فإن لم تفعل فقدت صفتها « إسلامية » وفقدت أهليتها وصلاحيتها .

إن هذا الهدف الكبير يجب أن يكون واضحاً ومحدداً لدى من يعملون من أجل الإسلام ، لأن سائر الأعمال الأخرى فرعية تؤدى إلى هذا العمل الرئيسى ، وجزئية تفضى إلى هذا العمل الكلى ، ومرحلية تنتهى بهذا العمل العام .

إن هذا الهدف يجب أن تتضح رؤيته تماماً ، وأن تعرف الخطوات إليه خطوة خطوة ، معرفة تزيل اللبس والخفاء عن أى خطوة ، وتحدد اتجاهها فى الطريق وحركتها ومداها .

ومن المعروف أن هذا الهدف العام أو الكبير هو : العمل على إيجاد الحكومة الإسلامية ... لا يعين على الوصول إليه بدقة ومهارة مثل التآخى فى الإسلام ، والالتزام بواجبات هذا التآخى وحقوقه ، وعندئذ تنطلق هذه الجموع المتآخية فى الإسلام لتحقق الأهداف الفرعية أو الجزئية أو المرحلية فى أداء تظله وتحكمه شروط التآخى فى الإسلام وآدابه ، ليفضى هذا الأداء المتناسق المتعاون إلى إيجاد الحكومة الإسلامية .

ثانياً : الأهداف الجزئية أو المرحلية للعمل الإسلامى

وهذا الهدف الكبير تندرج تحته أهداف يعين الوصول إليها على الوصول إلى الهدف الكبير ، ونستطيع أن نعد من هذه الأهداف الجزئية أو الفرعية أو المرحلية ما يلى :

* تكوين الفرد المسلم الملتزم بالإسلام المعتز بالانتماء إليه ، بتعريفه بالإسلام ، وبناء شخصيته بناء إسلامياً متكاملاً يمكنه من أداء واجباته فى حياته وفى دعوته وحركته وعمله من أجل الإسلام ، مع لحظ أن ظروف الدعوة والحركة والعمل قد تختلف من جيل إلى جيل ومن إقليم إلى آخر ومن ظروف إلى أخرى ، وبالتالى فإن المرحلية والجزئية قد تؤدى إلى فقه أولويات بعينها ، يصبح من الضرورى أن تلتزم .

* وتكوين البيت المسلم ، بحيث تكون قاعدته وركيزته الزوجة المسلمة الصالحة ذات الدين ، البيت الذى تظله آداب الإسلام وتسوده أحكامه ، ويتيح لأبنائه وذريته أن ينشئوا تنشئة إسلامية صحيحة ، ويتعامل مع الأقارب والأرحام والجيران تعاملاً إسلامياً يلتزم بمنهج الإسلام فى كل مفردات الحياة الأسرية .

* وتكوين المجتمع المسلم الملتزم بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه ، بحيث تصبح مرافق المجتمع موافقة لشرع الله ، بيوته وأنديته ومساجده وحدائقه وشوارعه وكل ما فيه ، وكذلك مواعيد العمل فيه وأوقات الراحة ، واحترام نظام الإسلام فى النوم واليقظة ، والكلام والصمت ، والضبط الاجتماعى لحياة الناس وما يأتون

وما يدعون من خلال ما أحل الإسلام وما حرم .

* وتربية الناشئة فى مدارسهم ومعاهدهم تربية إسلامية تتبع دائماً الأسلوب الأمثل فى التعامل مع الفطرة توجيها مباشراً بالكلمة والمنهج والكتاب والمعلم والخطة والمدرسة ، أو غير مباشر بالقدوة ، وفق منهج خاص ووسائل خاصة لبناء شخصيته بناء إسلامياً متكاملاً .

مع تربية الناس جميعاً فى التعامل اليومى وفق أحكام الإسلام وأخلاقه – وهى التربية المستمرة – ومع استمرار اليقظة والمتابعة لأى انحراف عن أحكام الإسلام وأخلاقه لسرعة إقامته على الجادة .

وفى هذه المجالات من التربية لابد من فقه موازنات يتبعه فقه أولويات فى هذا العمل التربوى الجليل .

* وإعداد القيادات الواعية فى مجالات العمل الإسلامى كله ، قيادة فى مجال الدعوة وأخرى فى مجال الحركة وثالثة فى مجال التنظيم والإدارة ، ورابعة فى مجال الاقتصاد ، وخامسة فى مجال السياسة ، وسابعة فى مجال التربية ، وثامنة فى مجال الإعلام ، وتاسعة فى مجالات العلم المتعددة ، وعاشرة فى مجال التقنية ، وهكذا حتى يشمل هذا الإعداد كل مجال من مجالات الحياة .

وهنا لابد من تحديد أولويات فى هذه القيادات إذ ظروف مجتمع ما قد تتطلب القيادة فى مجال قبل آخر ، فلابد من المرونة والاستجابة لمثل هذه المتطلبات ، وإلا فقد العمل الإسلامى قدرته على مواكبة المتغيرات .

والسبب الثالث : شرعية الوسائل الموصلة للأهداف .

على قدر ما رينا ونحن نتحدث عن الهدف الكبير والأهداف الجزئية أو المرحلية من نبل هذه الأهداف وإنسانيتها ، على قدر ما يجب أن ندقق فى الوسائل التى تحقق هذه الأهداف النبيلة ، بحيث تكون الوسيلة فى نبل الهدف ولا تقل عنه إنسانية وكمالاً .

إن كثيراً من الناس يبهرهم نبل الهدف ، فربما صرفهم هذا الانبهار بنبل الهدف عن نبل الوسيلة ، فحدث نفسه بأن يحقق هذا الهدف النبيل بأى وسيلة متاحة دون التدقيق فى نبل الوسيلة وشرعيتها .

والمسلمون لا ينحون هذا المنحى أبداً ، مع أن أهدافهم وأهداف العلم الإسلامى كله من أنبل الأهداف وأكثرها إنسانية ونفعاً للناس ، لأن كل عمل يقوم به المسلم وكل وسيلة من وسائل وصوله إلى إكمال العمل لابد أن تكون شرعية أى صافية من شوائب الحرام أو الكراهية ، لأن الحرام والمكروه عمل خبيث ، والإسلام ينادى بأن الله تبارك وتعالى طيب لا يقبل من العمل إلا ما كان طيباً .

وسوف نتحدث بعون الله فى شرعية الوسائل الموصلة للأهداف فى مجالين :

الأول : الشروط فى الوسائل .

والثانى : أنواع هذه الوسائل ، والله الموفق المعين .

أولاً : الشروط فى الوسائل

يحرص الإسلام فى تشريعاته أشد الحرص على أن تكون الوسيلة التى تحقق الهدف المشروع مما أباح الله ، ومما يخلو من شوائب الحرام والكراهية – لأن المكروه قريب من الحرام كما يرى ذلك بعض أسلافنا من العلماء – وذلك أن الشريعة جعلت الحرام بيّنا والحلال بينا .

وعند التأمل والتفكر نجد الحرام جالباً للضرر دائماً ، الضرر فى الدين والدنيا أو أحدهما ، ولولا ذلك ما حرمه الله سبحانه وتعالى ، ولا ينبغى أن نخدع بقول من يقولون : إن الحرام هو ما جاءت حرمته فى كتاب الله يستهدفون من وراء تلك القاله أمراً خطيراً وجرماً كبيراً هو أن ما لم يجىء تحريمه فى القرآن الكريم فهو حلال – بقصد

تضييق دائرة الحرام – لأن النبى ﷺ نبه على خطأ هذا النكر وذلك القول فقد روى ابن ماجة بسنده عن المقدام بن معد يكرب الكندى أن رسول الله ﷺ قال : « يوشك الرجل متكئاً على أريكته يُحدِّث بحديث من حديثى ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » .

كما لا ينبغى أن نخدع بأقوال من يوسعون دائرة الحرام حتى يصبح الناس وقد حرم عليهم كثير مما أحل لهم – بقصد الاحتياط وتوقى الوقوع فى الحرام – فإن هؤلاء حذر منهم ومن فهمهم القرآن الكريم نفسه ، فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[1] وذلك أن الحرام ما ورد تحريمه فى الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس أو تحقق الضرر فى الدين أو الدنيا أو فيهما معاً .

وبعد هذه المقدمة نقول : إن الشروط التى يجب توفرها فى الوسائل أو التى يجب أن تخلو منها الوسائل كثيرة نذكر منها ما يلى :

* ألا تكون متضمنة لشىء حرام .

ومعنى ذلك أن تكون الوسيلة خالية من :

- الظلم بكل أنواعه لأن الله حرمه على نفسه وعلى الناس إلى أبد الآبدين .
- والغش لأنه حرام كما ورد ذلك فى كلام المعصوم ﷺ ، « من غشنا فليس منا » .
- والكذب لأنه كبيرة من الكبائر .
- وليس فيها ممارسة لشىء حرمه الله .
- ولا تثير فتنة ولا بغضاء .
- ولا تشق على الناس فتلكفهم بما لا يطيقون .
- وأن تخلوا من البدعة لأن البدعة حرام بنص حديث النبى ﷺ : « ...

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

وكل بدعة ضلالة ... » والبدعة كما عرفها العلماء هى : طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية ، يُقصد بالسلوك عليها ما يُقصد بالطريقة الشرعية « وتكون فى العبادات وفى العادات » ، ومن فضل الله علينا أن الشريعة جاءت كاملة قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] .

* وأن تكون الوسيلة خالية مما كرّه فيه الشرع :

والمكروه فى الشريعة قد يطلق ويراد به الحرام – وقد تحدثنا عن الحرام آنفاً –

– وقد يطلق المكروه ويراد به ترك ما مصلحته راجحة وإن لم يكن منهياً عنه كترك المندوبات – والمندوب ما كان فعله خيراً من تركه – أو – ما يمدح على فعله ولا يذم على تركه – أى أن المندوب هو المطلوب فعله شرعاً من غير ذم على تركه ، والمندوب طاعة باتفاق العلماء .

فالوسيلة لا ينبغى أن تتضمن ترك المندوب .

– وأن تخلوا الوسيلة من أى شىء فيه شبهة لأن تقوى الشبهات مطلب شرعى لأنها تؤدى إلى عدم الوقوع فى الحرام .

– وأن تخلو من أى قول أو عمل يخل بكرامة الإنسان وتكريم الله سبحانه له .

* وأن تكون الوسيلة قادرة على تحقيق الهدف الذى استعملت من أجله ، فإن لم تكن كذلك كانت عبثاً ولهواً وتضييعاً للوقت والجهد والمال ، وكل ذلك غير جائز .

* وأن تكون ملائمة لمتغيرات الزمان والمكان ، لكى تكون متقبلة عند الناس ،

---

(١) سورة المائدة : ٣ .

وداخلة فى إطار أن نطلب من الناس ونحدثهم بما يعرفون خشية أن يكذب الله ورسوله .

ثانياً : أنواع الوسائل

تتنوع الوسائل فى العمل الإسلامى من أجل تحقيق الأهداف – إلى أنواع عديدة ، ولكننا نستطيع أن نقسمها جميعاً إلى قسمين ، هما :

* **الوسائل العامة وهى :**

- جمع الناس على فعل الخير مثل : تلاوة القرآن الكريم ، ومدارسته ومدارسة السنة النبوية والسيرة المطهرة .
- وحضور حلقة أو حلقات فى المساجد للذكر أو العبادة أو طلب العلم ، أو تعليم الآخرين .
- وحضور المحاضرات والندوات والدورات النافعة للمسلم فى دينه ودنياه .
- والتعاون على البر : والبر هو ما ينفع الناس من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر ، أو تذكير بأيام الله وأيام الله نعمه وبلاؤه – كما ورد ذلك على لسان المعصوم ﷺ روى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا موسى عليه السلام فى قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعمه وبلاؤه ... » ومن البر : الصدقة ، ومنه : عون المحتاج ، ومنه : زيارة المريض . وكل ما ينفع الناس .
- والتعاون على التقوى ، والتقوى هى كل ما يرضى الله تبارك وتعالى .
- والأعمال التى تزكى القلب وتطهره من العوائق والشوائب وذلك مثل : زيارة القبور ، وقيام الليل ، والتهجد ، والاستغفار ، والتوبة وتجديدها ، والإكثار من نوافل الصوم والصلاة والصدقة والذكر ...
- وارتياد المساجد وانتظار الصلوات فيها ، والاعتكاف وتنظيف المساجد وترتيبها وتأثيثها .

- ـ وممارسة الدعوة إلى الله على مستوى الدعوة الفردية أو الحلقة الخاصة أو الحلقة العامة .
- ـ والتعاون فى بناء المدارس والمشافى ودور إيواء العاجزين وأمثالهم .

* والوسائل الخاصة وهى :

أ - إحياء روح الأخوة فى الإسلام بين الناس :

وتلك وسيلة من أهم الوسائل لتحقيق الأهداف ، لأن هذه الأخوة فى الله إذا أحييت بين الناس وفق شروطها وآدابها والتزم بها المسلمون من خلال ممارسة واجباتها وحقوقها فإنها تعين على تحقيق أى أهداف فى العمل الإسلامى الذى يتطلب مجهوداً مشتركة .

إن الأخوة فى الإسلام تجدد العزم وتهون العمل وتعين على التغلب على مشاقه ، وتعلم الحب فى الله وتدرب على الإيثار ، وكل تلك أمور أساسية فى نجاح أى عمل يقوم عليه جمع من الناس .

وإن إشاعة روح الأخوة فى الإسلام فى المجتمع تضبط أداء الأفراد وتجعل توجهاتهم صحيحة وأعمالهم صالحة مباركاً فيها ، وليس فى إمكان الأنظمة والقوانين الوضعية ومن يحرسونها من شرط أن تقيم الناس على الجادة مثل ما تفعل روح الأخوة فى الإسلام إن هى شاعت بين الناس .

ب - وتربية الأبناء تربية إسلامية :

وهذه التربية للأبناء منذ مولدهم فى داخل الأسرة فى بيت ذى طابع إسلامى وأبوين ملتزمين بالإسلام وإلى أن يدفع به إلى المسجد مع أحد والديه ليعتاد المسجد ، وفى ذهابه للمدرسة ومتابعة عمله فيها ، ومتابعته فى اختيار أصدقائه من أقربائه أو جيرانه كل ذلك من صميم تربية الأبناء على الأخذ بأسباب نجاح العمل الإسلامى الذى يشاركون فيه صغاراً أو كباراً .

إن هؤلاء الصغار إذا ربوا على أن يكونوا إخوة فى الإسلام فإنهم يشقون طريقهم فى طلب العلم وفى الحياة نفسها وفى العمل من أجل الإسلام ، كانوا جديرين بتحقيق النجاح والفلاح .

ج – وصبغ المجتمع بصبغة الاسلام :

وهذه الوسيلة من أوسع الوسائل الخاصة وأشملها ، ونعنى بهذه الصبغة الإسلامية أن تكون الفطرة التى فطر الله عليها الناس هى السائدة فى المجتمع ، وهى ما يتلاءم مع قيم الإسلام وأخلاقه وآدابه .

وإذا كانت الفطرة هى ابتداء الخلق – كما يقول ذلك أسلافنا من العلماء ، فإن ابتداء الخلق للناس كان على الإسلام ، وهو أحسن صبغة ، قال الله تعالى : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[1] .

وذلك أن الناس إذا تركوا من غير شبه ومفتريات يثيرها أعداء الإسلام فاءوا إلى فطرتهم التى فطرهم الله عليها وهى الإسلام وأحكامه وأخلاقه وآدابه .

ذلك إجمال ما نريده فى قولنا صبغة المجتمع بصبغة الإسلام أما تفصيل هذا الإجمال فنشير منه إلى نقاط أهمها :

- تشجيع الناس على التحلى بكل فضيلة دعا إليها الإسلام واتخاذ النبى ﷺ قدوة لهم .
- وتشجيعهم على التخلى عن كل رذيلة نهى الإسلام عن الاتصاف بها .
- وتعويد الناس على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى ظل شروطهما وآدابهما .
- وأن يكون الناس إخوة فى الإسلام يحب بعضهم بعضاً ويعطى كل منهم لأخيه كل حقوقه – على نحو ما أوضحنا آنفاً .
- وأن يشجع الناس على أداء حقوق الجار ذى القربى والجار الجنب أى القريب والصاحب بالجنب .. روى القرطبى فى تفسيره بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « الجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، وجار له

---

(١) سورة البقرة : ١٣٨ .

حقان ، وجار له حق واحد ، فأما الجار الذى له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب ، وله حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، والجار الذى له حقان فهو الجار المسلم فله حق الجوار وحق الإسلام ، والجار الذى له حق واحد هو الكافر له حق الجوار »[1] .

– وأن يشجع الناس على أن يؤدوا حق اليتامى والأرامل والمساكين وكل ذى حاجة من أفراد المجتمع مسلمين وغير مسلمين ، فرعاية هؤلاء من صميم صبغة المجتمع بصبغة الإسلام .

خرج الإمام الحافظ أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الأزدى (٣٣٢ – ٤٠٩ هـ) من حفاظ الحديث بمصر – بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضم يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر ، ومن أذهب الله كريمتيه فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه قالوا : وما كريمتاه ؟ قال : عيناه ومن كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يبن أو يمتن غفرت له ذنوبه ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر ، فناده رجل من الأعراب ممن هاجر فقال : يا رسول الله ، أو اثنتين ؟ فقال رسول الله ﷺ : أو اثنتين » . وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا حدّث بهذا الحديث قال : هذا والله من غرائب الحديث وغرره .

– ومن صبغ المجتمع بصبغة الإسلام أن يتعاطف الناس ويتراحموا ويتكافلوا ، روى الشيخان بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

---

(١) القرطبى تفسيره : ٢ / ١٧٥٤ ط الشعب – القاهرة .

والأصل فى المسلمين أن يتكافلوا فيما بينهم سواء أكان التكافل فى الحياة أو بعد الممات ، روى البخارى بسنده عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن النبى ﷺ أُتى بجنازة ليصلى عليها فقال : « هل عليه من دين ؟ قالوا : لا ، فصلى عليه ، ثم أُتى بجنازة أخرى ، فقال : هل عليه من دين ؟ قالوا : نعم ، قال : صلوا على صاحبكم ، قال أبو قتادة : علىَّ دينه يا رسول الله ، فصلى عليه » .

– وأن يمارس الناس جميعاً ، القادرون منهم الدعوة إلى الله . فالدعوة واجب كل مسلم ومسلمة – كما ذكرنا ذلك آنفاً – فلو أصبح المسلمون والمسلمات دعاة إلى الله لأدى ذلك إلى أن يلتزم الناس بمنهج الإسلام فى الحياة ، وفى هذا الالتزام ما فيه من صالح المسلم فى دينه ودنياه .

إن ممارسة الدعوة إلى الله هى تأكيد لصبغة المجتمع بصبغة الإسلام ، وإن أعداء الإسلام لا يفزعهم شىء مثلما يفزعهم أن يكون المسلمون والمسلمات جميعاً دعاة إلى الله ، ومن أجل ذلك يضعون فى طريق الدعوة إلى الله كثيراً من العقبات ، ويخترعون فى كل يوم صوارف تصرف المسلمين عن الدعوة إلى الله وعن فقهها الفقه الصحيح ، وإذا قعد المسلمون والمسلمات عن الدعوة إلى الله ضعفوا وهانوا وأصبحوا لقمة سائغة أمام هؤلاء الأعداء .

– وأن يعد كل واحد من المسلمين نفسه للجهاد فى سبيل الله .

المجتمع المسلم مجتمع مجاهد فى سبيل الله ، لأن الله تبارك وتعالى فرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة ماداموا قادرين عليه ، وكل يجاهد حسبما تقتضيه الظروف والملابسات للرجل جهاد وللمرأة جهاد .

والجهاد فى سبيل الله أنواع ، ويتراوح ما بين فرض عينى وفرض كفائى ، وسوف نتحدث عنه بعد قليل .

وللجهاد أحكام وآداب تلتمس فى كتب السنة والفقه الإسلامى وعلى المسلم أن يعد نفسه للقيام بأعباء الجهاد فى سبيل الله عندما تدعو إلى ذلك داعية الجهاد ، وهذا الإعداد منه ما هو معنوى نفسى وهو توطين النفس على الجهاد فى سبيل الله ، وما هو مادى بإعداد الجسم والمال وما يلزم للجهاد .

د - وإحياء مبدأ الشورى والعمل به :

ما أصيب المسلمون بشر من تجاهل الشورى فى أنظمة الحكم المتعددة فى العالم الإسلامى المعاصر ، ليحل محلها استبداد كثير من الأنظمة بالسياسات التى يحكمون بها الناس .

لقد ضربت العالم الإسلامى المعاصر - فى حدود نصف قرن مضى من وقتنا هذا - موجات من الانقلابات العسكرية التى تعادى - بحكم تكوينها وطبيعة تفكيرها وعملها - حرية الرأى والشورى وإعطاء أحد أو مؤسسة الحق فى إبداء الرأى فضلاً عن استشارة المؤسسات العسكرية لها فى شىء من أمور النظام السياسى أو الاقتصادى للبلاد ، بحيث يمكن القول بأن أنظمة الحكم العسكرية فى ذاتها قضاء على الشورى وإعلاء لشأن « الدكتاتورية » .

وإن من أهم الوسائل التى تكفل النجاح للعمل الإسلامى أن يحيا مبدأ الشورى ويؤخذ به فى حياة الناس ، وذلك أن الشورى هى أهم ما يميز منهج الإسلام فى الحياة ، إذ بها يمارس الناس حقوقهم وحرياتهم واختيار حكامهم ومراقبتهم بل محاسبتهم ، مع أدائهم لواجبهم فى كل مجال من مجالات الحياة .

إن الشورى فى المنهج الإسلامى هى الضمان الأكيد لإنسانية الإنسان ، وتمتعه بكافة حقوقه ، وصيانة مصالحه الدينية والدنيوية ، بل إن الشورى هى الإطار الصحيح الذى يحافظ على مقاصد الشريعة الإسلامية وهى : صيانة الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، لأن ممارسة الشورى وتطبيقها هو الذى يصون هذه المقاصد لا أن تصان بعدالة حاكم أو سلطان ، إذ يمكن أن يكون هذا الحاكم جائراً فتضيع هذ المقاصد الأساسية التى تحفظ على الإنسان إنسانيته .

إن صيانة هذه الحقوق يجب أن تكون قراراً تتخذه جماعة المسلمين تعبيراً عن

إرادتها ، وليس تعبيراً عن إرادة حاكم مهما كان عادلاً ، وإن جماعة المسلمين – أهل الرأى والحل والعقد – وهى تتخذ هذا القرار بوجوب الشورى ، تتيح لكل صاحب رأى أن يعبر عن رأيه ، وعليها أن تحترم هذا الرأى حتى لو لم يتفق مع القرار النهائى لها فى أمورها ، وحسب الرأى وصاحبه أنه اجتهاد يؤجر عليه ، وتلك هى الحرية التى كفلها الإسلام لأصحاب الآراء المعارضة ، بشرط واحد ، هو أن يحترم صاحب هذا الرأى وأن يُلتزم بما تفضى إليه الشورى من قرار .

إن كل فرد فى المجتمع المسلم من حقه أن يعبر عن رأيه ، واجتهاده فى كل أمر من أمور المجتمع السياسى منها وغير السياسى استشير فى ذلك الأمر أو لم يستشر ، مادام هذا الرأى لا يصطدم مع ثوابت الشريعة الإسلامية وأسسها وهى الأمور التى تتصل بما يلى :

– **العقـــيدة :**

وما تتطلبه من نبذ المعتقدات الفاسدة ، وتحقيق مفردات الإيمان ، وترجمة هذا الإيمان إلى عمل صالح يتفق مع منهج الإسلام فى الحياة .

– **والعبـــادة :**

وما يلازمها من ضرورة نبذ التسليم لأى منهج غير منهج الله نبذ استغناء واستعلاء ، وتحقيق أركان الإسلام ، ودعوة الناس إلى الله ، وتربية الناس وفق منهج الإسلام فى التربية .

– **والقيـم الخلقية :**

وما تدعو إليه من التخلى عن فاسد الأخلاق وراذلها ، والتحلى بأخلاق القرآن وأخلاق النبى ﷺ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والأخذ بمبدأى العدل والإحسان والالتزام بالجهاد فى سبيل الله .

لأن تلك هى الثوابت التى لا تقبل التغيير مهما تغير الزمان أو المكان أو الناس ، وهذه الثوابت ليست بحاجة إلى أن تؤخذ فيها الشورى بأى صورة من الصور .

أما المتغيرات – وهى ما وراء تلك الثوابت فإن الأصل فى التعامل معها هو التشاور

والشورى ، بل ذلك يعد من السمات الأصيلة فى المجتمع المسلم ، إذ الشورى مبدأ اجتماعى فضلاً عن كونه سياساً ، ويؤيد هذا أن الآية الكريمة التى تحدثت عن الشورى جاءت فى سورة من السور التى نزلت على النبى ﷺ وهو بمكة ، ولم يكن النبى ﷺ قد أقام الدولة بعد ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ يصف المسلمين الذين آمنوا بالله ، وقد جاء هذا الوصف بأنهم أهل شورى بين مجموع صفات بلغت ثلاث عشرة صفة ، كانت صفة الشورى بينها كواسطة العقد سبقتها ست صفات ولحقت بها ست صفات ، وهى فى تمامها هكذا :

﴿ ... وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ :

١ - لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ،

٢ - وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ،

٣ - وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ،

٤ - وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ،

٥ - وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ،

٦ - وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ ،

٧ - وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ،

٨ - وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ،

٩ - وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ،

١٠- وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ،

١١- وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ،

١٢- ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ،

١٣- إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1] .

إن المجتمع المسلم الذى يتخلى عن الشورى يتخلى عن صفة أساسية من صفات المسلمين ، وإن المجتمع المسلم ، ما يليق به أن يستبدل نظاماً بالشورى ، حتى ولو كانت « الديموقراطية » لأننا لا ينبغى أن نلجأ إلى البديل إلا إذا فقدنا الأصيل ، الحمد لله لم نفقد هذا الأصيل ولا نجد عناء فى التعامل به .

إن « الديموقراطية » فى وضعها الراهن لا تلتزم بأصول شريعتنا فى كثير من مفرداتها فضلاً عن تطبقاتها ، فقد رأيناها رأى العين تكيل بمكيالين وتزن بميزانين فى كثير من القضايا المعاصرة ، وقد يكون الخطأ ليس فى « الديموقراطية » ذاتها ولكنه خطأ فى الذين طبقوها ... ليكن ذلك كذلك ، لكن ما حاجتنا نحن إليها وعندنا ما هو أفضل منها وهو الشورى ؟

ولو كنت فى مكان دعاة « الديموقراطية » فى الغرب أو فى الشرق لأخفيت وجهى خجلاً مما حدث فى الجزائر ، باسم « الديموقراطية » ، إن تنكراً « للديموقراطية » بلغ بأصحابها ما يشبه المسَّ من الجنون عندما استطاعت جبهة الإنقاذ الإسلامى من خلال صناديق الانتخابات – وهى من أدوات « الديموقراطية » أن تكون على مقربة من تشكيل حكومة إسلامية !!! أتلك هى « الديموقراطية وهؤلاء هم دعاتها من الغرب أو الشرق أو التابعين لهؤلاء أو أولئك من المساكين فى العالم الثالث أو النامى أو الفقير ؟

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد كان دعاة الشيوعية ومكاسب الشعب ، وارفع رأسك يا أخى ، ويا عمال العالم اتحدوا ، يتغنون بفردوس أرضى تهيئه هذه الشعارات الكاذبة للكادحين ، فما لبثت تلك المبادىء وهذه الشعارات أن انهارت على رءوس منظريها وكشفت عن سوءاتها فى كل قطاع من قطاعاتها ، على نحو لم يكن متوقعاً بهذه السرعة ، وما نستبعد أبداً أن تنهار « الديموقراطية » بأيدى دعاتها وحماتها الذين يجدون لها ألف معنى وألف تفسير إلا أن تفرز نظام حكم إسلامى ولو جاء من خلال صناديق الانتخابات الزجاجية الصادقة !!!

---

(١) سورة الشورى : ٣٦ – ٤٣ .

هـ – وأن يترك للناس حرية اختيار من يمثلهم :

وتلك وسيلة هامة من وسائل النجاح فى العمل الإسلامى لأن العمل من أجل الإسلام يتطلب جهوداً ضخمة وعاملين كثيرين . ومستويات متعددة من هؤلاء العاملين ، بحيث تصلح كل طائفة منهم للقيام بما يعهد إليها به من عمل .

ومعنى ذلك – خضوعاً لضرورة هذه المستويات المتعددة – أن يكون للناس أو لكل مجموعة منهم من يمثلهم ويعبر عن آرائهم فى المجالس النيابية والمؤسسات الاجتماعية أو السياسية أو غيرها .

وليس يتلاءم مع الإسلام مبادئه ونظمه ومنهجه أن يكون هؤلاء الممثلون للناس مفروضين على الناس ولم يشارك الناس فى اختيارهم وفق إرادة حرة لا تزوير فيها ولا تضليل ، وليس بجائز – فى الإسلام – أن يختارهم الحاكم أو يعينهم لما فى ذلك من افتيات على حرية الناس فى اختيار من يريدون ليمثلهم فى هذه المجالس والمؤسسات ، فضلاً عما فيه من تسلط الحاكم وانفراده بالأمور ، كأنه يحذو حذو أسلافه من الحكام المستبدين الذين كان أحدهم لا يخجل أن يقول لمن يحكمهم : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ... ﴾[1] .

إن أنظمة الحكم فى بلاد المسلمين اليوم ، القائمة على نظام الحزب الواحد أو التعددية الشكلية التى يصطنعها مسئولو الحزب الواحد ، والتى تحجب الإسلام عن التواجد فى الساحة ، ليست موافقة لمنهج الإسلام ونظامه لأنها تفتات على حقوق الناس فى الاختيار لمن يمثلهم ، وتفتات على المسلمين فى أن يعبروا عن آرائهم أو يكون لهم وجود سياسى بشكل من الأشكال .

إن نظام الإسلام وروحه لا تمنع التعددية مادام كل تجمع أو حزب يرى فى الإصلاح منهجاً لا يعارض منهج الإسلام ولا يختلف معه فى عقيدة أو عبادة أو خلق ، وليختلف مع غير ذلك من المتغيرات ، ما شاء له الاختلاف .

إن أى عمل إسلامى لا ينجح إذا لم تتوفر له هذه الضمانات ، وكل هذه الضمانات هى نتيجة لممارسة الشورى فى إطارها الصحيح .

---

(١) سورة غافر : ٢٩ .

وإن المجتمع المسلم يجب أن يخلو من استبداد حاكم أو حزب بل أى استبداد ، ومن وسائل مقاومة هذا الاستبداد أن تترك للناس حرية فى اختيار من يمثلونهم أو يعبرون فى أى مجالس مهما كان مستواها .

و - وتكوين قيادات للعمل الإسلامى :

العمل من أجل الإسلام ضخم ومتشابك ، ومتعدد ، وله مجالات لا تكاد تحصى ، وهو فى الوقت نفسه درجات يعلو بعضها بعضاً ، وتحتاج إلى ترتيب وتحديد أولويات .

والعمل من أجل الإسلام يحتاج دائماً إلى مخلصين يقومون بأمره ويتوفرون عليه ، وهؤلاء العاملون كثرة تستدعيها مجالاته العديدة ، وثغوره التى تحتاج إلى من يحرسها ، وهذا العدد الضخم من العاملين لا يستطيع أن يؤدى واجباته دون أن تكون له قيادة توجه وتخطط وتنسق وتوظف وتورث أدبيات العمل وأخلاقياته ، وترشح من تراه أهلاً للثقة لكى يتولى عملاً بعينه أو يقود سواه .

وقد سبق لنا أن نبهنا إلى أن الاثنين فى سفر يحتاجان إلى أمير يمثلهم ، وبينا أن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، وأكدنا أن البركة فى الجماعة ، ويد الله مع الجماعة ، والجماعة رحمة ، ومادامت جماعة فلابد لها من قيادة .

وهذه القيادة لا توجد تلقائياً ، وليس من المسلمين من يولد قائداً ، وإنما للقيادة صفات تكتسب وخبرات تمارس وتعلم وأدبيات تورث ، ومسائل فنية يتدرب عليها من أريد له أن يقوم بها ، لا من أرادها ، لأنها إمارة والإمارة عندنا معشر المسلمين من طلبها لا يعطاها ، فإن أخذها لم يعن عليها فإن وُلّيها أعانه الله عليه .

ومن وسائل النجاح فى العمل الإسلامى إعداد القيادات التى تستطيع أن تقود العمل من أجل الإسلام والعاملين فيه ، وإذا كان إعداد العاملين للإسلام يحتاج إلى إعداد ومراحل يمر بها العامل حتى يستطيع أن يؤدى بكفاءة وفعالية ، فما بالنا بالقيادات التى تقود جمهور العاملين ؟

إنه ما لم تعد هذه القيادات إعداد جيداً ، وفى وقت غير قصير ، وبإمكانات غير عاجزة أو قاصرة ، فإن العمل من أجل الإسلام سوف يتعثر أو يطيش أو يقصر دون تحقيق أهدافه ، وفى كل هذه الأحوال فسوف يَحْمِل إثم ذلك ووزره كل من كان قادراً

على إعداد هذه القيادات ثم لم يفعل .

وإن العمل من أجل الإسلام يحتاج إلى قيادات متنوعة يوضع لكل نوع منهج ، وبرنامج وقائمون على التعليم ، والتدريب يستطيعون الأداء الجيد الذى يكون هذه القيادات .

وعلى سبيل المثال فهناك أنواع من القيادات يظل العمل الإسلامى فى مسيس الحاجة إليها ، نشير إلى بعضها فيما يلى :

- **قيادات على مستوى مراحل الدعوة إلى الله : أى :**
  - قيادات لمرحلة التمهيد ،
  - وقيادات لمرحلة التعريف ،
  - وقيادات لمرحلة التكوين ،
  - وقيادات لمرحلة التنفيذ ،
  - وقيادات لمرحلة التمكين ،
  - وقيادة لمرحلة المحافظة على التمكين ،
- **وقيادة على مستوى متطلبات الحركة الإسلامية : أى :**
  - قيادات للتوسع الأفقى فى الناس ،
  - وقيادات للتوسع النوعى – الرأسى – فى الناس ،
  - وقيادات فى المجالات الاجتماعية ،
  - وقيادات فى المجالات السياسية ،
  - وقيادات فى المجالات الاقتصادية ،
  - وقيادات فى المجالات التربوية ،
  - وقيادات فى المجالات الإعلامية ،
  - وقيادات فى المجالات العلمية ،
  - وقيادات فى المجالات المهنية ،
  - وقيادات فى مجالات الطلاب والعمال والفلاحين ،

- وقيادات فى مجالات العمل النسائى ،
- وقيادات فى مجالات رجال الأعمال .

– **وقيادات على مستوى الإدارة والتنظيم : أى :**

- قيادات فى مجال التخطيط ،
- وقيادات فى مجال التنظيم والإدارة ،
- وقيادات فى مجال الإدارة العليا ،
- وقيادات على مستوى العالم العربى ،
- وقيادات على مستوى العالم الإسلامى ،
- وقيادات على مستوى العالم الغربى ،
- وقيادات على مستوى الأقليات المسلمة .

– **وقيادات على كل مستوى من مستويات العمل وما أكثرها** ، ولو شئنا أن نفصل ما وسعتنا هذه الصفحات المخصصة للحديث عن أسباب النجاح فى العمل من أجل الإسلام[1] . بل للحديث عن أحد هذه الأسباب وهو تكوين قيادات للعمل من أجل الإسلام .

ز – ووضع نظام لمحاسبة المقصرين والمهملين :

الثواب والعقاب نظام علمنا إياه رب العزة سبحانه وتعالى ، وهو نظام إصلاحى للناس ، يرسم أمام المجد المخلص فى عمله صورة جميلة ليوم ينال فيه أحسن الجزاء على ما قدم من عمل صالح ، ويضع فى قلبه وحواسه صورة منفرة من يوم يعاقب فيه على التقصير أو الإهمال ، وما بين هذين التصورين تعتدل موازين الناس فى العمل ، ويجتهد كل مسلم أن يضع نفسه حيث ثواب الله وحسن جزائه ، لا حيث عقابه وعدله .

هذا نظام الله سبحانه وتعالى معنا ، وهو أرحم بنا من أنفسنا ، وهو يعلم أن ذلك النظام يصلحنا ويصلح بنا ولذلك أقره ووضع له الموازين يوم القيامة بالحق ، قال الله

(١) هذا الموضوع دراسة أعدت تحت عنوان : فقه القيادة فى العمل من أجل الإسلام – نرجو أن نقدمه للطبع قريباً .

تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[1] وقال جل شأنه : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[2] .

هذا ثواب الآخرة وعقابها ، وهناك ثواب الدنيا وعقابها ، فثواب الدنيا بالنسبة للمسلمين المحسنين هو النصر والفتح والغنيمة قال الله تعالى : ﴿ ... لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾[3] قال القرطبى فى تفسير هذه الآية الكريمة : « للذين أحسنوا » اليوم حسنة فى الدنيا من النصر والفتح والغنيمة ... « ولنعم دار المتقين » قال الحسن : ولنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة » .

وقيل : للذين أحسنوا فى الدنيا حسنة فى الدنيا ، ويكون ذلك زيادة على ثواب الآخرة ، والحسنة الزائدة فى الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة ... وقد تكون الحسنة فى الدنيا الثناء الحسن وفى الآخرة الجزاء » .

وعقاب الدنيا للمقصر والمهمل والمرتكب معروف ، فهو إن ارتكب جرماً فيه حد من حدود الله أقيم عليه الحد ، وإن كان جرماً لا حد فيه عُزّر بما دون الحد ... كما هو معروف فى كتب الفقه الإسلامى ، ولا شفاعة فى حد من حدود الله ، والحدود تطبق على الشريف وغيره دون تمييز بينهما بالشرف والجاه ، فالشريعة فى ذلك عادلة وواضحة وإنسانية فى ثوابها وعقابها .

والعمل من أجل الإسلام لا تتوفر له أسباب النجاح إلا إذا أحيط بسياج من الإحساس بمسئولية كل عامل عن عمله أمام الله أولاً ، وأمام الناس بعد ذلك ، وأنه محاسب على تقصيره أو إهماله أمام الناس إن كان إهماله أو تقصيره يوجب عقاباً حدده الله وقدره ، وما كان دون ذلك من الإهمال أو التقصير فإنه يعرض نفسه للوم والعقاب

(١) سورة الأنبياء : ٤٧ .   (١) سورة الأعراف : ٨ - ٩ .   (٣) سورة النحل : ٣٠ .

أمام إخوانه ، والله سبحانه يجازيه على تقصيره وإهماله بما يشاء أو يغفر له إن شاء .

إن العاملين من أجل الإسلام إذا وضعوا فى اعتبارهم أن عملهم هذا حسبه لوجه الله تعالى ، وأنهم مسئولون عنه بين يدى الله تبارك وتعالى ، وتعاونوا فيما بينهم على ضرورة الالتزام بأخلاقيات العمل الإسلامى وأدبياته ، حال ذلك بينهم وبين التقصير أو الإهمال .

وإن المسلم الذى يرجو الله ويخافه ليدرك تماماً أنه مطالب بالإحسان فى العمل أى مراقبة الله فيه ، وتجويده وإتقانه حتى يبلغ بذلك درجة المحسنين .

وإن من يعمل من أجل الإسلام يعرف ماذا يستطيع وماذا لا يستطيع ، فيمارس من العمل ما هو فى طاقته وإمكانه لا أكثر مما يسطيع ولا أقل مما يستطيع ، لأن ذلك هو الوسع الذى لم يكلف الله أحداً إلا فى حدوده .

إن الذى قبل العمل من أجل الإسلام ومر بمراحل اختبار واختيار يعلم علم اليقين أنه يقف على ثغرة ما ينبغى أن يؤتى الإسلام من قبلها وهو واقف على حراستها وحمايتها ، وهو من أجل ذلك سوف يرحب بأداء العمل على وجه الإحسان ، ولن يضيق بحساب أو عتاب فى الدنيا قد يؤدى إلى تنحيه عن عمله ليتولى ما هو أليق به وبطاقاته ، ولعل ذلك يعفيه أمام الله من موقف هو حريص على ألا يقفه .

إن العامل فى حقل العمل الإسلامى يعرف معنى الالتزام واحتساب الأجر والمثوبة عند الله ، ويعلم علم اليقين أن الله محاسبه عما قصر فيه أو أهمل ، وهو أحرص على أن يسهم فى إنجاح العمل الإسلامى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

والسبب الرابع : الجهاد والتضحية فى سبيل تحقيق الأهداف الواضحة ذات الوسائل المشروعة .

إذا كان العمل من أجل الإسلام له هدف كبير يسعى إلى تحقيقه وهو إيجاد حكومة إسلامية تطبق شرع الله على عباد الله ، فإن تحقيق هذا الهدف الذى اشترطنا أن تكون وسائله مشروعة ، يتطلب عملين أساسيين هما :

أ - الجهاد فى سبيل الله من أجل تحقيق هذا الهدف .

ب - والتضحية بالجهد والوقت والمال والنفس من أجل ذلك .

أ - الجهاد من أجل تحقيق الهدف

الجهاد فى سبيل الله شرع لتكون كلمة الله هى العليا ، ومعنى ذلك أن يسود منهج الله سائر المناهج ، وأن يحكم الناس وفق شريعة الإسلام ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بحكومة إسلامية ، فإقامة الحكومة الإسلامية واجب كما أجمعت على ذلك الأمة وهى لا تقوم بغير جهاد ، ولا يتم لها التمكين إلا بالجهاد ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، كما قرر ذلك أسلافنا رحمهم الله من علماء المسلمين فى مختلف العصور والأزمان .

والجهاد فى سبيل الله أنواع ، وهو بجميع أنواعه مطلوب ومُؤَدٍ بعضه إلى بعض ، ومترتب بعضه على بعض ، وكل مسلم قادر على نوع من هذا الجهاد على نحو ما سنبين ، وهذه من رحمة الله بنا أن يهيىءَ لكل منا حظه من الجهاد فى سبيله ، حتى لا يموت أحدنا وقد حرم من الجهاد فى سبيل الله[1] .

وتلك الأنواع من الجهاد هى :

* **جهاد بالقلب :**

وهو أن ينكر القلب ما يرى من خطأ وخلل عما لا يرضى الله تبارك وتعالى ، ولكنه يعجز عن منعه ومقاومته ، بيده أو بلسانه ، سواء أكان العجز حقيقياً أو حكمياً ،

(١) للتوسع فى موضوع الجهاد : انظر للمؤلف : مع العقيدة والحركة والمنهج نشر دار الوفاء ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م .

فعليه حينئذ أن يرفض هذا الخلل والخطأ وينكره بقلبه .

روى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

*** والجهاد باللسان :**

وهو مقاومة للخطأ والخلل وكل ما لا يرضى الله تعالى باللسان أى الكلمة المسموعة أو المقروءة أو المرئية .

وهو نوع من الجهاد له وزنه فى مقاومة الفساد والانحراف وله قيمة كبرى فى إقرار الحق وتقريره .

روى الشيخان بسنديهما عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » .

وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

وروى النسائى بسنده عن أبى عبد الله طارق بن شهاب رضى الله عنه – البجلى الأحمسى –: أن رجلاً سأل النبى ﷺ – وقد وضع رجله فى الغرز – أى الجهاد أفضل ؟ قال : « كلمة حق عند سلطان جائر » .

*** والجهاد ببذل الجهد والوقت والمال :**

وذلك هو العمل من أجل الإسلام لتحقيق الأهداف أو تقريبها أو إزالة المعوقات من طريقها ، وهذا العمل هو كل ماله علاقة بالدعوة إلى الله فى كل بعد من أبعادها فردية أو فى حلقة خاصة أو عامة ، وكل ماله علاقة بالحركة الإسلامية وما تحتاجه من

تعميق مفاهيم وتثبيت أصول وأداء خدمات للناس وحبهم والتودد إليهم وتصنيفهم وموالاة كل صنف بما يلائمه وقدرة على التأثير فيهم بالحق وتشجيعهم على التواصى به ، والتواصى بالصبر ، وكل ماله علاقة بالتنظيم والإدارة من تخطيط وتنسيق وتوظيف وتوريث وترشيح .

إن هذه الأعمال جميعاً تتطلب جهاداً وعملاً يستهلك الوقت والجهد والمال ، وهو نوع من الجهاد مطلوب ضرورى للعمل من أجل الإسلام بالنسبة لبعض المسلمين ، وقد يكون مندوباً بالنسبة لبعضهم ، لكنه على كل لابد أن يؤدى .

إن هذا النوع من الجهاد لا يعلوه إلا نوع واحد هو الجهاد بالنفس وتقديمها غالية عند الله رخيصة عند صاحبها فى معركة تكون غاية الجهاد فيها هى أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

*** والجهاد ببذل النفس فى سبيل الله :**

وهو الجهاد أى القتال فى سبيل الله ، وله أحكام وشروط وآداب فى الشريعة الإسلامية تلتمس فى كتب الفقه الإسلامى وكتب السنة النبوية المطهرة ، غير أننا نجمل الحديث عنه فى هذه الكلمات الجامعة لعالمين جليلين من علماء الإسلام .

- قال أبو محمد على بن حزم فى كتابه ، « المحلى » : « مسألة : والجهاد فرض على المسلمين ، فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم فى عقر دارهم ويحمى الثغور الإسلامية سقط فرضه عن الباقين . وإلاَّ فلا ، قال الله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾[1] ولا يجوز إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ، ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم ، أذن الأبوان أم لم يأذنا ، إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده ، فلا يحل له ترك من يضيع منهما »

- وقال الموفق ابن قدامة فى كتابه « المغنى » :

« مسألة ... والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ، ويتعين

(١) سورة التوبة : ٤١ .

فى ثلاثة مواضع :

- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ، ويتعين عليه الإقدام .
- وإذا نزل الكفار ببلدة تعيَّن على أهلها قتالهم ودفعهم .
- وإذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه ، وأقل ما يفعل مرة كل عام » .

ولابد لنا أن نتذكر دائماً أن أعداء الأمة الإسلامية يكيدون لها ويقعدون لها بكل مرصد ، ويحاربونها بادئين معتدين كلما أتيحت لهم فرصة - كما حدث هذا مرات عديدة فى تاريخ الأمة الإسلامية -

ولابد للأمة الإسلامية أن تدرك أن من أشد أنواع الغفلة تصور أن أعداء الإسلام قد قعدوا عنه أو فتروا فى الكيد له وحربه وحرب المسلمين ، إنهم فقط يغيرون الوسائل والأساليب مع استمرار العداء وبقاء الكيد واستمرار الرغبة فى شن الحرب ، ولقد نبهنا القرآن الكريم إلى ذلك فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾[1] .

إن على المسلمين وقد نبهوا إلى ذلك أن يعدو أنفسهم بما استطاعوا من قوة لمواجهة هذا العدو المتربص ، وألاّ يضعوا راية الجهاد أبداً ، فإن وضعوها ضعفوا وذلوا وخالفوا أمر دينهم فى وجوب أن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وكل ذلك مما نعوذ بالله منه ومن أسبابه .

ب - والتضحية

وهى بذل الجهد والوقت والمال والنفس ، وكل شيء يستطيع الإنسان أن يضحى به فى سبيل الله لتحقيق الهدف ، وكلما كان الهدف عظيماً ومشروعاً كلما هانت التضحيات فى سبيله .

والجهاد الذى تحدثنا عنه فى اختصار هو فى حقيقته تضحية بل لا يكون جهاد بغير تضحية .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

وكل تضحية فى سبيل الله من أجل العمل الإسلامى يؤجر عليها صاحبها يوم القيامة ، وقد يجعل الله منها سبباً فى تحقيق الهدف وبلوغ النصر فى الدنيا .

ومصداقية التضحية فى ديننا الحنيف ودليل شرعيتها ووجوبها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] فهذه تضحية بالمال والنفس فى سبيل الله لتحقيق نشر الحق وإعلاء كلمة الله وجزاء ذلك عند الله هو أكبر جزاء وأحسنه وهو الجنة .

ولقد كان هذا الشراء وهذا البيع فى زمن باكر من تاريخ الدعوة الإسلامية ، قال الواحدى فى أسباب النزول : قال محمد بن كعب القرظى : لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً – وفى رواية أنافوا على السبعين – قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه : يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : « أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم – وفى رواية وأموالكم – » قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ، فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ... ﴾ الآية .

كما تفهم هذه التضحية فى سبيل الله من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2] ، وتلك التضحية بكثير من أسباب الدنيا من مال وتجارة ونحوها فى سبيل الله ، بمعنى

(١) سورة التوبة : ١١١ . (٢) سورة التوبة : ٢٤ .

أن تكون التضحية من أجل الله ودينه وكتابه ورسوله أحب إلى الإنسان المسلم من أبيه وأمه وأخيه وزوجه وعشيرته وماله وتجارته ومسكنه .

والتضحية بالمال ورد فيها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1] .

وروى البخارى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال : « فإن ماله ما قدّم ، ومال وارثه ما أخّر » .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى أمامة صدّى بن عجلان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ياابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك ، وإن تمسكه شرٌّ لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً ، فقال : رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل » .

وروى الإمام أبو داود بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : الغزو غزوان فأما من ابتغى وجه الله تعالى وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونبهه أجر كله ، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الإمام وأفسد فى الأرض فإنه لم يرجع بالكفاف » .

وكل هذه المطلوبات فى الجهاد فى سبيل الله تضحيات من المجاهد يؤجر عليها أعظم الأجر .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٢ .

وهذه التضحيات بالوقت والجهد والمال والنفس هى التى تساعد على تحقيق الأهداف الإسلامية العديدة وتُعد من أهم أسباب النجاح فى العمل الإسلامى ، وتقرب من الهدف الأكبر وهو إيجاد حكومة إسلامية تحكم بما أنزل الله .

والسبب الخامس : العمل المتواصل ، حتى بلوغ الهدف .

إن الاستمرار فى العمل الهادف المشروع عنصر نجاح فيه لا يقل أهمية عن العمل نفسه فى بعض الأحيان ، وهذا شأن العمل على مستوى الفرد أو على مستوى الأمة كلها ، فعلى مستوى الفرد يجب المحافظة على النجاح الذى حققه بالعمل وما يكون هذا الحفاظ إلا بالاستمرارية ومواصلة العمل ، وكذلك الشأن على مستوى الأمة ، إذ يجب على الأمة أن تحافظ على كل نجاح حققته بالعمل ، أى أن تستمر فى هذا النجاح ، بل ذلك يلحظ بصورة أوضح فى الأعمال التى تؤدى إلى تغيير سياسى وإقامة دول ، حيث إن الاستمرار فى المحافظة على الدولة يهيىء لها الاستمرار والبقاء ، وترك هذه المحافظة أو الاستمرار فى المحافظة يؤدى بالضرورة إلى إسقاط الدولة - والتاريخ ملىء بالشواهد على ذلك - تلك أمور مسلمة فى العمل الهادف المشروع وفى المحافظة على النجاح والاستمرار فيه .

وفى ديننا الحنيف تعبير عن الاستمرارية هذه بالمداومة على العمل ، وتأكيد على أن العمل الذى يداوم عليه صاحبه أحب إلى الله سبحانه مهما يكن قليلاً ، إن المداومة على العمل تعنى توفير أسباب النجاح له ، وتعنى الصبر على متاعبه وتعنى الرضا به والانشراح فى أدائه ، كما تعنى التخلص من أسباب الفتور والكسل ، وتنفى القعود عن العمل أو الانتكاس فيه .

ولقد اتضحت لنا هذه المعانى والإشارات إليها فيما رواه الشيخان بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، قال : من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها ، قال : مَهْ ، عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملو » « وكان أحب الدين إليه مادام صاحبه عليه » .

وفى معنى الاستمرار فى العمل والجهاد فى سبيل الله إلى يوم القيامة ، روى أبو داود بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجّال » .

وروى البخارى بسنده عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

وروى البخارى بسنده عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ يُرد الله به خيراً يفقه فى الدين ، وإنما أنا قاسم ويعطى الله ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله » .

وروى ابن ماجة بسنده عن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال طائفة من أمتى على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله عز وجل » .

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتى قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها » .

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة يمكن أن نستنبط من أهدافها ومقاصدها أموراً نشير إليها فيما يلى :

- أن المداومة على العمل الإسلامى والاستمرار فيه أحب إلى الله تعالى ، وأقرب إلى تحقيق النجاح والفلاح .
- وأن الرسول ﷺ يبشرنا بأن الاستمرار فى العمل من أجل الإسلام والجهاد فى سبيل الله سوف يظل مستمراً فى أمتنا حتى يُقاتل آخر هذه الأمة المسيح الدجال ، أو إلى يوم القيامة ، وأن أعداء المسلمين مهما كثروا فليسوا بضارى المسلمين شيئاً أو صارفيهم عن دينهم ، فالأمة الإسلامية سوف تستقيم على أمر الله ودينه .
- وأن طائفة من الأمة الإسلامية سوف تكون قوامة على أمر الله ، والأخذ بشريعته ودينه وترويج سنة نبيه ﷺ ، وممارسة الجهاد فى سبيل الله حتى تقوم الساعة لا يضرها من خالفها .
- وأن المسلمين ليسوا ببالغى أهدافهم إلا أن تكون منهم طائفة مستمرة فى العمل المتواصل المنسق الموظف من أجل هذا الدين ، لا يضرها من خالفها ولا يثنيها عن طريقها أحد وكل ذلك لا يأخذ طريقه فى حياة الناس إلا بالأخوة فى الإسلام .

*** العقبات فى طريق مواصلة العمل وما تؤدى إليه من فتور وكسل أو قعود :**

غير أن هذا العمل من أجل الإسلام والاستمرار فيه لكى ينجح ليس أمراً سهلاً نؤديه بتلقائية وعفوية دون معوقات وعقبات .

إن هذه العقبات والمعوقات تحول بين العاملين من أجل الإسلام وبين بلوغهم الهدف أو الأهداف ، وإن هذه العقبات لقادرة على أن تحدث فى نفوس بعض العاملين فتوراً أو كسلاً أو قعوداً عن العمل ، وهذا الفتور وتوابعه من أهم أسباب الانصراف عن العمل والاستمرار فيه .

ولأهمية هذا الفتور وقيامه معوقاً للعمل الإسلامى سوف نوليه أهمية ، محاولين التعرف على أسبابه ، كى لا يقع فى حمأته المسلمون العاملون من أجل الإسلام .

وأسباب هذا الفتور وبواعثه كثيرة نذكر منها ما يلى :

١ - حب الدنيا والتعلق الزائد بأعراضها :

وذلك أن القلب المشغول عن الله والدعوة إليه بالدنيا وما فيها من أعراض ومتع بصورة أكبر مما هو مطلوب أو مرغوب شرعاً ، هذا القلب يفتر عن العمل ويؤثر الراحة والدعة لاهياً فى العب من متع الدنيا وشهواتها .

والمؤمن بالله الداعى إليه مطالب بالقصد والاعتدال فى التعامل مع متع الدنيا وما أحل الله فيها من طيبات ، لأنه يجب أن يخف إلى العمل من أجل الإسلام غير مثقل بهذه الأعباء ، لأن هذا العمل جهاد - كما أوضحنا آنفاً ونحن نتكلم عن أنواع الجهاد .

والله سبحانه وتعالى يتحدث إلينا ناصحاً وموجهاً ومحذراً من أن تقعدنا متع الحياة الدنيا عن العمل والجهاد فى سبيله بل يهدد من يرضى ذلك ويتوعده فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(١)] .

(١) سورة التوبة : ٣٨ - ٣٩ .

بل نجد التهديد أكبر وأشمل عند القعود عن العمل من أجل الإسلام – مما يسببه الفتور – ولو كان قعوداً يتمثل فى عدم التضحية بالمال لا بالنفس ، كما نفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾[1] .

٢ – وخشية العنت والمشقة :

العمل من أجل الإسلام جهد وعناء ومثابرة وصبر ، وكل ذلك يورث مرارة فى حلوق الفاترين أو الكسالى ، ولكن العاملين المخلصين الفاهمين يجدون لذلك حلاوة ليس كمثلها حلاوة ، إنها الانشراح والبهجة بأداء العمل من أجل الإسلام .

إن العمل من أجل الإسلام أوجبه الله على كل قادر عليه ، وجاء فى ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

والخطاب فى الآية الكريمة لكل الناس والعمل المطلوب هو العمل الصالح الذى يرضى الله تبارك وتعالى ، والله سبحانه مطلع على كل عمل ومجازٍ عليه ، والناس يرون عمل الإنسان الصالح فيشهدون له .

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد مرفوعاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان » .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بما يختم له ، فإن العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح ولو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً ،

---

(١) سورة محمد : ٣٨ .   (٢) سورة التوبة : ١٠٥ .

وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً ، وإذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قبل موته ، قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه » .

وإن التكاسل عن العمل أو الفتور الذى يعترى العامل أو القعود عن العمل ، إنما يأتى نتيجة لخوف الإنسان من العنت والمشقة ، وهذا الخوف غفلة وجهل ، لأن الله تبارك وتعالى لا يكلف أحداً إلا بما يطيق ، وليس فى شرع الله ولا نظامه عمل يشقى الإنسان أو يلحق به العنت ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1] ويقول جل شأنه : ﴿ ... مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾[2] .

وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « يسروا ولا تعسّروا وبشروا ولا تنفروا » .

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « .... فإنما بعثتم مُيَسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين » .

٣ – وخوف الظالم :

إن خوف الظالم ، أو خشية الظلم نفسه شعور إنسانى طبيعى وقد لا يلام الإنسان على وقاية نفسه من وقوع الظلم عليه ، غير أن خشية الظلم أو الظالم ما ينبغى أن تسمح للمؤمن أن يتجنب لزومه للحق وتواصيه به مع غيره وصبره عليه وتواصيه مع غيره على الصبر على الحق .

والمؤمن الذى يعمل من أجل الإسلام ويسهم فى بناء كيان إسلامى وحكومة مسلمة تحكم شرع الله فى عباد الله ، هذا المؤمن ما يجوز له أن يتوقف عن العمل أو يفتر فيه أو يكسل خوفاً من ظالم أو ظلم ، لأنه بتمسكه بالحق الذى يؤمن به والدعوة التى يمضى فى طريقها لا يخاف فى ذلك ظلم ظالم ، وكيف يخاف وهو المؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ففيم الخوف إذن ؟

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ . (٢) سورة طه : ٢ .

إن أحدنا وهو جنين فى بطن أمه من ساعة ينفخ فيه الروح يؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى هو أو سعيد ، فأين المفر مما كتب الله ، وما قضى ؟ إن من كتب عليه أن يقع عليه ظلم فلن ينجيه منه خوف أو حذر ، وكل ما عليه أن يعمل وفق ما أمره الله، أن يعمل العمل الصالح ولا يخاف أحداً إلا ربه ، وكيف يخاف وقد قال له الله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[1]

وقال جل شأنه : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] قال المفسرون : الخوف لا يكون إلا فى المستقبل ، والحزن لا يكون إلا على ماض ، والمؤمن لا يخاف ولا يحزن مادام على الحق مهما أصابه فى سبيل الله من نصب أو وصب .

وقال عز شأنه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4] .

وقد فسر عثمان بن عفان رضى الله عنه الاستقامة بأنها إخلاص العمل لله ، والرسول ﷺ قد قال فيما رواه الترمذى بسنده : « ... قل آمنت بالله ثم استقم » فكيف يخاف المؤمن ظلماً أو ظالماً فيصرفه ذلك عن العمل لله ؟

٤ - وسوء الفهم وضحالة الفقه :

ونعنى بسوء الفهم أن يسىء العامل من أجل الإسلام فهم هذا العمل فيكلف نفسه ما لا يطيق ، أو يؤدى أقل مما يجب ، أو يسىء فهم الموقع التى يعمل فيه فلا يعطيه ما يستحق من الرعاية والاهتمام فيشتط حيناً ويتهاون حيناً ، أو لا يحسن التعامل مع من يشاركونه العمل فى هذا الموقع .

---

(١) سورة طه : ١١٢ . (٢) سورة البقرة : ٣٨ . (٣) سورة البقرة : ١١٢ .
(٤) سورة الأحقاف : ١٣ .

كل هذه الأنواع من سوء الفهم قد تبعث على الفتور والكسل فى أداء العمل من أجل الإسلام ، أو قد تؤدى إلى القعُود والنكوص والتراجع .

ونعنى بسوء الفقه أو ضحالته العجز أو القصور عن إدراك مقاصد الشريعة الإسلامية ومرامى أحكامها وآدابها ، إذ الفقه أخص من العلم وهو إحسان الإدراك لا مجرد الإدراك ، أى ضرورة مراعاة الفطنة مع الفهم والعلم .

وإذا ساء فقه من يعمل من أجل الإسلام فى أى مجال من مجالات العمل دعوة أو حركة أو تنظيماً ، فإنه يصاب بالفتور أو الكسل أو القعود عن العمل كله ، إذ الفقه حسن إدراك يشعر الإنسان بواجبه ويحفزه على أدائه ، ويلومه على التقصير والفتور والكسل فضلاً عن القعود عن العمل .

وسوء الفهم يترجم – فى تصورى – جهلاً بالدعوة والحركة والتنظيم ، وهو جهل يمكن علاجه إذا صدقت النوايا وصحت العزائم ووجدت الخطة والقائمون عليها .

● والعلاج لسوء الفهم – فيما أتصور – هو ما يلى :

- مراجعة أصول الدعوة إلى الله وتاريخ الدعاة من الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام ، والوقوف المتأنى أمام المواقف لأخذ الأسوة والعبرة .
- والتعرف الدقيق على طبيعة الدعوة إلى الله فى كل مرحلة من مراحلها ، إذ تختلف هذه الطبيعة من مرحلة إلى أخرى والخلط فى العمل بين هذه المراحل يؤدى فى الغالب إلى الفشل وهو ما يسبب الفتور أو الكسل أو القعود عن العمل .
- واستحضار أهداف الدعوة إلى الله فى كل مرحلة من مراحلها إذ هى مختلفة كذلك من مرحلة إلى أخرى
- والتعرف الدقيق على وسائل الدعوة إلى الله فى كل مرحلة إذ اتباع الوسائل التى وردت فى الكتاب والسنة والتى تستدعيها ظروف الدعوة وأحوال المدعويين .
- والتعمق فى معرفة الفروق بين مراحل الدعوة المتعددة من تمهيد إلى

تعريف إلى تكوين إلى تنفيذ إلى تمكين إلى محافظة على التمكين[1] . فإن لكل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله أبعاد يتحرك فيها الداعية وطبيعة ملائمة للمرحلة ، ومتطلبات لهذه الطبيعة فى الدعاة والدعوة والمدعوين ، ولها أهداف محددة ووسائل واضحة ، ولا بد من مراعاة كل ذلك حتى ينجح الداعى فى دعوته ، فلا يصيبه فتور أو كسل أو قعود عن الدعوة[2] .

- وعلى الداعى أن يتأمل فى الحكم الشرعى للعمل فى كل مرحلة فإنه يتختلف من مرحلة إلى أخرى .
- ويجب عليه أن يراعى آداب الدعوة إلى الله وما يجب أن يتحلى به الداعى من صفات وما يجب أن يتخلى عنه من عادات[3] .

وكذلك الشأن فيما يخص الحركة والتنظيم فإن سوء فهمهما أو إحداهما يؤدى بالضرورة إلى الفتور والكسل أو القعود ولكل من الحركة والتنظيم أصول وطبيعة وأهداف ووسائل وآداب . إن مراعاة ذلك كله هى التى تنفى الفتور والكسل .

● وعلاج سوء الفقه – فيما أتصور – هو ما يلى :

- عقد صلة وثيقة بكتاب الله الكريم ، تقوم على الورد اليومى – على أن يختم فى شهر على الأكثر – قراءة تدبر وتفكر واتعاظ بسنن الله فى الخلق ، مع إلمام جيد بما تيسر من علوم القرآن ، وتعمق فى التفسير بالمأثور وفى معرفة الأحكام وآياتها ، ودراسة عميقة لقصص القرآن الكريم وبخاصة ما يتصل بالأنبياء والمرسلين .
- وعقد صلة وثيقة بالسنة النبوية المطهرة باستصحاب أحد الكتب الستة – وأرشح صحيح مسلم بشرح النووى ومن كانت له رغبة ففى صحيح

---

(١) المحافظة على التمكين مرحلة من مراحل الدعوة تسمى : « ما وراء التمكين » .
(٢) القعود عن الدعوة انتكاس ومعصية لأن الدعوة واجب على كل مسلم ومسلمة .
(٣) للتوسع : انظر لنا : فقه الدعوة إلى الله نشر دار الوفاء ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م .

البخارى وشرح ابن حجر له بحر بعيد الأغوار لمن يشاء أن يستزيد من العلم النافع وخير الدنيا والآخرة .

- ويا حبذا لو قرىء كتاب صحيح مسلم على أنه ورد يومى مهما قل عدد الأحاديث النبوية التى تقرأ فى كل يوم - إذ أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل - ولا أتصور داعياً إلى الله لا يكون قد مر على جميع الأحاديث النبوية الواردة فى كتاب من الكتب الستة الصحيحة - البخارى ومسلم والترمذى وأبى داود والنسائى ومالك -

- والاهتمام بعلم مصطلح الحديث - أو علم الحديث دراية - فهو مفتاح فهم أحاديث النبى ﷺ ، وهو من العلوم التى لقيت إهمالاً من المسلمين على أهميته فى فهم الدين !!!

- ومدارسة الأحاديث النبوية الواردة فى موضوع بعينه بجمعها أولاً ثم مدارستها لمعرفة ما فيها من أحكام وآدابه لأن ذلك ضرورى لكل مسلم منشغل بالعمل من أجل الإسلام .

- ودراسة واعية متأنية فى السيرة النبوية المطهرة بحيث تستوعب أولاً ثم تتأمل فيها الأحداث والمواقف لتأخذ منها العبرة والقدوة .

والسيرة النبوية هى السنة العملية وهى معين ثَرّ للإسلام أحكامه وأخلاقه وهدى النبى ﷺ فى معظم أمور الحياة .

- وإلمام جيد بالفقه الإسلامى فى أحد كتبه المبسطة ، بحيث تدرس قضاياه ومسائله ، وتعرف جهود العلماء فى هذه المسائل والقضايا، للاستفادة من هذه الجهود فى ظروف حياة المسلمين الراهنة .

- وتعرف من قرب على علم أصول الفقه ، وهو علم جليل القدر عظيم المنزلة ، يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية .

ويعرف أحياناً بأنه العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى استنباط المسائل الفقهية عن أدلتها التفصيلية .

وهذه الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ولعلم أصول الفقه مبادىء عامة مأخوذة من المنابع التالية :

- علوم اللغة العربية نحوها وصرفها وفقهها ودلالة ألفاظها .
- وبعض العلوم الشرعية كأصول الكلام « العقيدة » والتفسير ، والحديث
- وبعض العلوم العقلية كالمنطق والحساب ... إلخ

– ومعرفة أنواع الحكم الشرعي من الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة .

إن عقد صلة جيدة بهذه العلوم والمعارف كفيلة بأن تزيل سوء الفقه ، فإذا زال سوء الفقه انصرف كل عامل من أجل الإسلام إلى عملة بلذة وانشراح فلا يرد عليه فتور أو كسل فضلاً عن قعود بوقع فى الإثم والمعصية .

٥ – وسوء فقه الموازنات ، وغياب فقه الأولويات :

نعنى بفقه الموازنات ذلك الفهم العميق العملى للموازنة بين أمرين أو أكثر لمعرفة الفروق بين هذه الأمرين أو تلك الأمور للوصول إلى تفضيل أمر على آخر لما يحققه من مصلحة دينية أو دنيوية ، وممارسة هذا الأمر الفاضل وطرح المفضول .

- **وسائل فقه الموازنات :**

ويحتاج من يوازن هذه الموازنة إلى وسائل ضرورية تمكنه من إجراء هذه الموازنة للخروج منها بنتيجة ترضى الله سبحانه وتحقق للمسلمين مصلحة دينية أو دنيوية ، أو تدفع عنهم ضرراً قد يلحق بهم فى الدين أو الدنيا ، وعن هذه الوسائل الضرورية ما نذكره فيما يلى :

أ – العلم الدقيق والمعرفة الواعية بالأمرين أو الأمور التى يوازن بينها .

ب – والثقافة الواسعة للموازن ، إذا تمثل هذه الثقافة ركنا أساسياً فى فقه الموازنات وتقدم الدليل الجيد على أن أمراً أفضل من آخر .

جـ - ومعرفة دقيقة للظروف والملابسات التى تتصل بالأمور التى يوازن بينها ، لأن أمراً مّا من الأمور لا يمكن أن ننظر إليه نظرة عميقة شاملة إذا تجاهلنا ما يحيط من ظروف وملابسات .

د - والنظرة العلمية المحايدة لأطراف الموازنة ، التى تنفى عن الموازن الأهواء الشخصية ، والمواقف المتصلبة ، فضلاً عن التعصب وتجاهل الحقائق .

هـ - مادامت الموازنة فى مجال الأعمال الإسلامية ، فلابد لمن يوازن أن يكون على علم وفقه بالشريعة الإسلامية وأن تكون لديه القدرة على فهم النصوص الإسلامية فهما صحيحاً فى ضوء قواعد اللغة العربية ودلالاتها ، ومعرفة مصطلحات الألفاظ الشرعية وأصول تفسير القرآن الكريم وأصول علم الحديث النبوى .

و - وأن يكونَ مدركاً لمقاصد الشريعة الإسلامية فى حياة الإنسان الدنيوية والأخروية ، إذ هى ترسم له طريق النجاح والفلاح والحصول على رضا الله سبحانه ورضا الناس الذين يعايشونه ، والأساسان الكبيران فى تلك المقاصد هما :

- تحقيق مصالح الناس فى المعاش والمعاد .
- ودفع المفاسد عن الناس فى المعاش والمعاد أيضاً .

ز - وأن يكون مستوعباً أن مقاصد الشريعة التى تحقق المصلحة وتدرأ المفسدة ، ليست رتبة واحدة وإنما هى رتب ثلاث هى :

الضروريات والحاجيات والتحسينيات .

وأن يقدم الضرورى على الحاجى والحاجى على التحسينى وهو يوازن بين تلك الأمور .

ح - وأن يكون ذا بصر بطبائع الناس ، ومدركاً ما بينهم من فروق ، وما لديهم من مبررات لقبول أمر ما أو رفضه ومقدراً لهذه المبررات .

ط - وأن يكون قدر المعلومات الذى توفر لديه عن هذه الأمور التى يوازن بينها كافياً ، وأن تكون مصادر هذه المعلومات موثقة وأن يحسن توظيف هذه المعلومات لإجراء الموازنة .

ى – وأن تكون لديه المرونة وسعة الأفق ورحابة الصدر بحيث يتجه عند تعارض المصالح إلى إيثار المصلحة العامة أو العليا ، ويتجه عند تعارض المفاسد إلى ارتكاب أخف الضررين وأهون المفاسد ، وهكذا ...

هذه أدوات أو وسائل عشر – وغيرها كثير – رأينا أنه لابد منها فى مجال فقة الموازنات فى العمل من أجل الإسلام .

ونعنى بفقه الأولويات أن يأخذ كل أمر من الأمور التى حدثت فيها موازنات مكانه ومكانته ، بحيث لا يزحزح عن مكانه فيحدث الخلل والاضطراب ، ولا يزحزح عن مكانته فيتقدم ما حقه التأخير ويتأخر ما حقه التقديم ، وفى هذا وذاك من الخلل ما يضر بالعمل الإسلامى أبلغ الضرر .

● **أسس فقه الأولويات :**

ولكى يستطيع من يوازن بين أمرين أو أمور أن يصل إلى ترتيب أولويات بعينها فإن عليه كذلك أن يراعى أموراً هامة تعد من الأسس والأركان التى يقوم عليها فقه الأولويات ، ومنها ما نذكره فيما يلى :

أ – معرفة طبيعة العمل من أجل الإسلام ومتطلباته فى مرحلة مّا ومكان مّا وزمان مّا ومجتمع مّا ،فإن كل ذلك مطلوب وإذا فات لا تستبين رؤية الأولويات .

ب – ومعرفة دقيقة لتصنيف العمل من أجل الإسلام يتتبع كَمَّه وكيفه وصفات من يقوم به وأهميته إلى جوار غيره من الأعمال .

جـ – ومعرفة مكانة هذا العمل فى المرحلة الراهنة وفى المراحل التالية ، من العمل الإسلامى كله .

د – وأن يكون لديه فقه بالتيارات الموالية للإسلام وللعمل الإسلامى ، حيث تكون الأولوية التعاون مع هذه التيارات والتنسيق بين الجهود فيها .

هـ – وأن يكون لديه معرفة وفقه بالتيارات المعادية للعمل الإسلامى ، حيث تكون الأولوية لأخذ الحذر من هذه التيارات ثم محاولة إجهاض مخططاتها .

و – وأن تكون لديه الثقافة الفقهية الإسلامية التى تمكنه من معرفة الترتيب الدقيق

بين فروض العين وفروض الكفايات والنوافل والمباحات . إذ بغير ذلك لا يستطيع أن يحدث أولوية مّا لشىء من الأشياء ولوفعل مع جهله بذلك فإنه يخطىء فى حق دينه وحق نفسه وحق الناس .

ز – وأن يكون لديه حسّ دقيق بأهمية الوقت وأهمية التوقيت ، لأن ديننا علمنا ذلك فيما فرض الله علينا من فرائض ، فلبعض الفرائض توقيت لا يجعلها جائزة فى غيره كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، وهذه إشارة تشريعية إلى ضرورة اعتبار التوقيت فى أداء هذه الأعمال ، بالتالى فى كل الأعمال .

فهناك أمور سبع لابد من مراعاتها عند تحديد أولويات بعينها فى العمل الإسلامى ، لكى ينجح العمل ويؤتى ثماره .

ولا يخفى على أحد ما بين فقه الموازنات وفقه الأولويات مرحلة وثيقة إذ يغيب فقه الأولويات إذ غاب فقه الموازنات .

● الموازنات والأولويات فى الكتاب والسنة والسيرة النبوية :

وفقه الموازنات درس يتعلمه المسلم من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة ومن سيرة المعصوم ﷺ .

أ – أما فى القرآن الكريم ففى آيات قرآنية كريمة منها قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[1] .

فهنا الموازنة بين القتال فى الشهر الحرام ، وهو كبير وبين إقرار هذا القتال لمقاومة ما هو أكبر منه وهو الصد عن سبيل الله والفتنة ، وترجح القتال فى الشهر الحرام لهذا السبب واضح وهو أولوية يتجه إليها الذين يدركون فقه الموازنة للوصول إلى الترجيح .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

ب – وأما فى السنة النبوية المطهرة :

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمِن الفتان » ففى الحديث الشريف موازنة بين الرباط فى سبيل الله ولو ليوم وليلة فقط وبين صيام شهر وقيام ليل هذا الشهر ، مع تفضيل وترجيح للرباط فى سبيل الله ، وتحديد للأولوية وهى الرباط .

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ أكثرنا ظلا الذى يستظل بكسائه ، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً ، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا ، فقال النبى ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

فهناك موازنة بين الصائم وهو مأجور وبين المفطر الذى قام بخدمة غيره فذهب بالأجر الأكبر أو الأجر كله ، وفيه ترجيح للفطر فى مثل هذه الظروف وتحديد لأنه الأولى .

جـ – وأما فى السيرة النبوية المطهرة فحسبنا منها موقف واحد هو ما دار فى صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين مبعوث قريش إليه سهيل بن عمرو ... قال ابن إسحق قال الزهرى : « ثم دعا رسول الله ﷺ علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال :اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال فقال : سهيل لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : « اكتب باسمك اللهم » ، فكتبها ،ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله ﷺ لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردَّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة[1] وأنه لا إسلال ولا إغلال[2] وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى

---

(١) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة .
(٢) الإسلال : السرقة الخفية ، والإغلال : الخيانة .

عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

وفى هذه المعاهدة دروس لمن أراد أن يفقه الموازنات ويفقه الأولويات .

فلقد آثر رسول الله ﷺ أن يستجيب لمطالب سهيل بن عمرو فى أمور ثلاثة قد تبدو لمن لا يتعمق فى هذا الفقه أنها غير مناسبة ، وهذه الأمور هى :

١ – كتابة باسمك اللهم بدل بسم الله الرحمن الرحيم .
٢ – وكتابة محمد بن عبد الله بدل محمد رسول الله ﷺ .
٣ – وقبول رد من أسلم من قريش إليها وعدم رد قريش من ترك محمداً إليه .

وذلك أن الرسول ﷺ وازن بين ما طلبه سهيل ، وبين ما ينتظر المسلمين من هذه المعاهدة من نعمة الكف عن حرب غير متعادلة لأن المسلمين لم يخرجوا محاربين وإن بايعوا بيعة الشجرة والرضوان على الحرب . ونظر النبى ﷺ إلى المستقبل وإلى المصلحة الحقيقية للمسلمين فقبل ما أراد سهيل بن عمرو وإن اعترض عليه بعض الصحابة رضوان الله عليهم كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسمى ذلك إعطاء الدنية فقال له رسول الله ﷺ : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى » قال ابن إسحق : فكان عمر يقول : مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق ، من الذى صنعت يومئذ ! مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً »[1] .

وهكذا ينبغى أن يفقه المسلمون الموازنات بين مصلحة خاصة وأخرى عامة ، وبين مصلحة موقوتة وأخرى دائمة وبين ضرر عادى وضرر بالغ ، وعليهم أن يرتبوا على هذه الموازنات أولويات معينة يمارسونها وفق ترتيبها ، وما أحفل حياة المسلمين اليوم بالمواقف التى تحتاج إلى موازنات تترتب عليها أولويات .

فإذا فقد المسلمون هذا الفقه أصيبوا بالفتور والكسل أو القعود عندما يواجهون أدنى عقبة فى الطريق وما أكثر العقبات !!!

ولأضرب على ذلك مثالاً واحداً أرجو أن تكون فيه الكفاية :

بعض العاملين من أجل الإسلام قد تختل أمامهم الرؤية فى أمرين كل منهما

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢ / ٣١٧ ط الحلبى القاهرة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥م .

مطلوب ، فلا يسعفهم فقه الموازنة فيحدث لهم فتور أو كسل أو تقصير أو إهمال ، وهذا الأمران المطلوبات هما :

١ - برنامج القراءة والدراسة الذى يقوم به الفرد مع نفسه المسمى التربية الذاتية لاستكمال أى نقص فى الثقافة والمعرفة ، هذا مطلب أساسى على كل مسلم أن يلزم نفسه به مهما كان موقعه من العمل من أجل الإسلام .

٢ - وأداء واجبات الموقع الذى يعمل فيه الفرد المسلم أيا كان هذا الموقع ، حيث تكون له متطلبات ضرورية لا يجوز التقصير فيها فضلاً عن التهاون والإهمال ، مع ضرورة الاستمرار فى أداء واجبات التربية الذاتية .

إن سوء فقه الموازنة بين هذين الأمرين يوقع الفرد فى الفتور والكسل وربما القعود عن العمل ، أو العملين معاً .

ولكن فقه الموازنات يجعله يجمع بين الواجبين حيناً ويقدم هذا على ذاك حيناً وذاك على هذا حيناً ، ومن هنا يمده فقه الموازنات بالأولويات التى تسعفه فى القيام بعمل أو عملين أو أعمال .

٦ - والنظرة إلى الواقع بتشاؤم :

هذه النظرة إلى واقع العمل الإسلامى بتشاؤم تؤدى فى كثير من الأحيان إلى الفتور والكسل بل القعود عن العمل يأساً من الوصول إلى تحقيق الهدف .

وتلك فى حقيقة الأمر نظرة غير واعية ولا مستوعبة لأعباء العمل الإسلامى الضخمة ولا لمتطلباته الجسيمة ، بل لا أبالغ إن قلت : إنها نظرة سطحية فيها من السذاجة قدر كبير .

إن بعض العاملين من أجل الإسلام قد ينظرون إلى واقع العمل الإسلامى الذى يمارسونه - ولا يرون له نتائج سريعة - نظرة تشاؤم وهذا من الخطأ ، لأن النفس الإنسانية وإن كانت تحب أن ترى أثر عملها سريعاً إلا أن العقل والمنطق والحكمة وبعد النظر تستوجب أن يتأنى الإنسان بعض التأنى ويصبر بعض الصبر وهو ينتظر نتيجة عمله ، وفى هدى نبينا ﷺ ما يدعو إلى التأنى وينفر من العجلة والتعجل .

روى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال لأشج عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » .

وروى الترمذى بسنده عن سهيل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله ﷺ : « الأناة من الله والعجلة من الشيطان »[1] .

وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن سرجس المُزنى أن النبى ﷺ قال : « السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءً من النبوة » وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب .

وذاك أدب الإسلام وهدى محمد ﷺ فى التأنى والتعجل .

وفى أحيان ليست بالقليلة ينظر بعض العاملين من أجل الإسلام إلى العمل الإسلامى كله وإلى الحركة الإسلامية كلها وإلى القائمين عليها والعاملين فيها ، نظرة الاتهام والتشكك مستطيلين الزمن الذى عملوا فيه ومستقلين النتائج التى وصلوا إليها فى هذا الزمن المتطاول فى نظرهم ، حتى إن بعضهم يقول إن ثلاثة عشر عاماً – أسوة بما حدث من النبى ﷺ فى مكة – كافية لأن تجعل للعمل الإسلامى ثمرة ونتيجة تشبه أو تساوى ما حدث للنبى ﷺ وصحابته فى المدينة المنورة من إقامة الدولة والانتصار على الأعداء !!!

وتلك نظرة تحتاج إلى تعمق وفقه دقيق للواقع الذى عاشه النبى ﷺ وصحابته ، والواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ، فلو حدث التعمق والفقه لأمكن تأكيد الفروق التالية :

- أعداء محمد ﷺ فى ذاك الزمان يختلفون عن أعداء الإسلام اليوم ، فأعداء اليوم أشد ضراوة وأكثر خبثاً ومكراً ودهاء وأقوى آلة وأداة وأكثر عدداً من أعداء الأمس ، ولابد أن يترك هذا الاختلاف فى نوع العدو وعَدَده تأثيراً حاسماً فى الوصول إلى الهدف من خلال زمن مماثل ثلاثة عشر عاماً .

- وأولياء العمل الإسلامى ودعاته بالأمس سيدنا محمد ﷺ وصحابته أفضل على وجه اليقين من أولياء العمل الإسلامى ودعاته اليوم ، ولابد أن يكون لذلك تأثير

(١) قال الترمذى : هذا حديث غريب – والغريب هو ما تفرد راويه عمن يجمع حديثه لعدالته وضبطه وهو نوعان غريب المتن وغريب السند ، ويكون صحيحاً وغير صحيح .

حاسم فى نصر الله لهم لما استوفوا من صفات المؤمنين الذى يستأهلون نصر الله ، والله سبحانه يؤكد ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

– وأن ظروف الناس الذين كانوا يدعون إلى الإسلام فى عهد النبى ﷺ وصحابته تختلف كثيراً عن ظروف الناس الذين يدعون إلى الله اليوم ، وذلك أن جاذبية الشر والشهوات والهوى اليوم أعظم بكثير مما كانت عليه فى ذلك الأمس ، وهذه الجاذبية للشر والهوى من أكبر المعوقات ومن أصعب العقبات ، فما يمكن أن يوصل إليه فى ذلك الزمن من هدف يتحقق فى ثلاثة عشر عاماً قد يحتاج فى هذا الزمن إلى أكثر من ذلك بكثير ، وحسب المؤمن أن يعمل ويخلص ويلتزم ويدع الحسم والنصر لله تبارك وتعالى .

إن العمل الإسلامى اليوم أمامه من الأعداء والعقبات التى تبث فى طريقه ما لا يقادر قدره ، وما لا يمكن التهوين من شأنه ولا التغلب عليه بسهولة ، ولسنا بصدد تصنيف هؤلاء الأعداء ولا تحديد هذه العقبات والعراقيل فى مجالنا هنا – ولكننا نؤكد أن ذلك ضخم ومتنوع وأكثر ضراوة وحقداً على كل ما هو إسلامى – كما يقنعنا بذلك ما يعيشه المسلمون اليوم من فرقة وانقسام وضياع وقهر وتبعية –

وإن الخطوات التى يخطوها العمل الإسلامى وسط هذه الظروف لابد أن تبدو وئيدة أو بطيئة أو ضعيفة فى مواجهة هذه الظروف ، غير أن ذلك لا ينبغى أن يعنى بعث الفتور أو الكسل أو الملل أو القعود عن العمل من أجل الإسلام والمضى فى هذا الطريق ، لأن حقيقة موقف العاملين من أجل الإسلام اليوم تلخص فى كلمات هى :

الطريق طويلة وشاقة ،

والعقبات فيها كئود ،

والزاد الذى يتزود به العاملون يسير .

وعلى الرغم من كل ذلك فما ينبغى أن يحدث فتور أو كسل فضلاً عن يأس أو قعود .

(١) سورة الروم : ٤٧ .

إن من تكثر الهواجس فى نفسه حول الثقة فى نصر الله مادام العاملون من أجل الإسلام أهلاً له ، يصيبه صدأ فى إيمانه ينبغى أن يجلوه ويزيله بمزيد من الجد والاجتهاد فى العبادة والعمل .

إن من تدخل نفسه هذه الهواجس عليه أن يعرف أنها همزة من همزات الشياطين يلقيها فى روعه فيصيبه بالفتور والكسل ، ويجعله يرى النصر بعيداً مع أنه قد يكون أقرب إليه مما يتصور – وأذكره بما حدث لما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى الذى كان عدواً عُتُلاً يتحدى العقيدة والعبادة والعمل الإسلامى كله بل يتحدى أسماء المسلمين وكناهم .

إن من تهجس نفسه بهذه الهواجس تضطرب أمامه الرؤية وتغيم أمام نظره الحقائق ، إذ ليس على العامل من أجل الإسلام أن يحقق نجاحاً أو نصراً فى زمن بعينه أو مكان بعينه لأن ذلك كله بيد الله ، وإنما الذى عليه هو أن يؤدى عمله دون فتور أو كسل أو تقصير أو إهمال ، إن عليه أن يحسن عمله وأن يتقى الله فيه ويخلصه لله وليطمئن تماماً إلى أن الله تبارك وتعالى لن يتخلى عنه وسوف لا يحرمه النصر إن استوفى أهليته ، وسوف يختار له المكان والزمان ، ويؤيده بنصره كيف شاء .

إن على من يعمل من أجل الإسلام أن يضع نصب عينيه قول الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2] .

فإذا كان الهدف كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة هو إرهاب أعداء الله وأعداء

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥ .　　(٢) سورة الأنفال : ٦٠ .

المسلمين ظاهرين نراهم أو مستترين لا يعلمهم إلا الله سبحانه ، من خلال العمل والإعداد والأخذ بكل أسباب القوة ، والإنفاق فى سبيل الله ، فإن الصبر فى مثل هذه الظروف واجب بل واجب كبير .

إن على العاملين من أجل الإسلام أن يضعوا نصب أعينهم – كذلك – قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1] ، وليلتزموا بالتقوى والإحسان بعد التزامهم بالعمل والإعداد والإنفاق فى سبيل الله ، فإن ذلك مذهب عنهم كل سبب من أسباب الفتور والكسل والتراجع والقعود .

٧ – وتضخيم أخطاء العمل والعاملين :

من المسلم به بيننا نحن المسلمين أن أحدا منا لا يسلم من الخطأ مادام يعمل ، وقل أن يوجد أحد من الناس يكثر عمله وينعدم خطؤه لأن ديننا علمنا أن ابن آدم خطاء وأن علاج الخطأ هو التوبة وعلمنا أن لكل شىء خطأ ، وأن لكل خطأ أرشاً ، وكل بنى آدم يخطىء بالليل والنهار ، ورسولنا ﷺ يقول عن نفسه : فإنما أنا بشر أصيب وأخطىء والله تبارك وتعالى ينادى على المسلمين قائلاً : إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، وطالبنا سبحانه وتعالى بالندم على الخطيئة والبكاء عليها وإطفائها بالصدقة فإن الصدقة تطفىء الخطيئة كما يُطفىء الماء النار .

كل تلك حقائق أقدمها بين يدى ذلك الإنسان الذى يحلو له أن ينظر إلى العمل من أجل الإسلام فيتجاهل ما صلح منه ، ويذكر ما وقع فيه خطأ ، وكلها حقائق مدعومة بالأحاديث النبوية الشريفة ، والأحاديث القدسية وسأذكر من هذه الأحاديث طرفاً بعد قليل .

إن بعض الناس أو بعض العاملين فى حقل العمل من أجل الإسلام يحلو لهم فى أحيان كثيرة ، أن يحصوا أخطاء العاملين وتجاوزاتهم فى العمل – وهى بالضرورة ليست بالقليلة – ليجعلوا بعد ذلك مادة للوم والعتاب حيناً ، أو يجدوا فيها فرصة لانتقاص قدر بعض العاملين ، أو انتقاص خطة العمل أو انتقاص ما أتيح لهذا العمل من أسباب

(١) سورة النحل : ١٢٨ .

ووسائل ، أحياناً أخرى ، وهو فى هذا وذاك معذور إن كان يذكر هذه الأخطاء ليتجنبها ويعرف من خلال تأمله فيها وجه الصواب فى الأعمال المماثلة ، بشرط أن يستغفر الله لإخوانه الذين سبقوه على الطريق فأضاعوا له معالمه ذلك خلق الإسلام وأدبه فى التعامل مع كل أخ له فى الإسلام سبقه فى طريق العمل للإسلام وهو على ذلك مأجور بإذن الله تبارك وتعالى .

أما أن يكون الهدف من ذكر هذه الأخطاء والعيوب هو تسقط العورات وتتبعها والاستهانة بجهود إخوان لهم اجتهدوا فى العمل فأخطئوا ، أو حيل بينهم وبين التخطيط الدقيق والتنسيق الجيد والتوظيف الهادف لأعمالهم ، فإن ذلك غير جائز شرعاً إذا كان المخطئون أو المقصرون قد أفضوا إلى ربهم لأننا مقيدون بأن نذكر محاسن موتانا ونمسك عن غير ذلك ، وغير لائق ولا نافع إذا كان المخطئون لا يزالون أحياء ، والبديل عن تتبع الخطأ وذكر العورات هو إسداء النصيحة واقتراح البدائل والدعاء لهم وسؤال الله سبحانه التسديد لكل ما يعملون .

ولقد أُتِى بعض المسلمين من جانب استطالتهم مدة العمل من أجل الإسلام مع العجز عن إيجاد حكومة إسلامية تحكم شرع الله فى عباد الله ، فحملوا العاملين جميعاً وزر العجز عن الوصول إلى هذا الهدف !!!

وتلك همزة شيطان يدلس بها على بعض من لا ينظرون إلى الأمور بعمق وتروٍّ ، إذا القضية كلها يمكن أن تلخص فى كلمات هى :

طالما أن العاملين من أجل الإسلام يأخذون بمبدأ الشورى فى العمل الذى يقومون به ، ومادام هذا العمل مما أباح الله ، ولم تشبه شائبة إثم أو معصية ، فماذا عليهم إذا حقق عملهم ذاك نجاحاً أو لم يحقق ؟ وكيف يلامون على ذلك ؟

ما دم العاملون من أجل الإسلام يلتزمون بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه ، ولا يمكن أن يكون محقاً من يوجه إليهم اللوم أو العتاب ، فضلاً عن أن يتخذ من ذلك اللوم أو العتاب سبباً لفتوره وكسله ، وقعوده عن العمل .

إن أولئك الذين يرددون قولهم : لو أن العاملين من أجل الإسلام عملوا كذا بدل كذا وتعاملوا مع أعدائهم بأسلوب كذا بدل أسلوب كذا ، أو قولهم : لو أن مرحلة

كذا من العمل بدأت قبل مرحلة كذا ، ولو كان فلان فى القيادة بدل فلان لحدث كذا وكذا ...

كل هذه المقولات المصدرة بكلمة « لو » مخالفة لما أمر به النبى ﷺ .

فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

إن تضخيم أخطاء العمل من أجل الإسلام وتحميل العاملين تبعات العجز عن الوصول إلى الأهداف يورث الفتور والكسل وقد يعقب القعود عن العمل ، وهو فى الغالب تجاوز لخلق الإسلام وآدابه ، واعترافه بأن كل ابن آدم خطاء وأن خير الخطائين التوابون ، وأن الأمة الإسلامية كان من رحمة الله بها أن رفع عنها الخطأ والنسيان وما استكرهت عليه .

وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل بنى آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون » .

نأمل أن يضع الذين يضخمون الأخطاء فى العمل الإسلامى هذه الأخلاق والآداب الإسلامية فى اعتبارهم .

والسبب السادس : الثبات على العقيدة والمبدأ :

من أهم أسباب النجاح فى العمل الإسلامى الثبات على المبدأ والعقيدة الإسلامية ، والتمسك بذلك مهما كلف من جهد وعناء ، مع التصدى لكل العوامل والأسباب التى تؤدى إلى زعزعة العقيدة أو تعريض المبدأ والمؤمنين للمحن والابتلاء .

وتأصيل هذا الثبات على الحق أو عقيدة الإسلام هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1] .

ومادامت العقيدة صحيحة لأنها الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته والإيمان باليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، فإن الثبات عليها أداء لواجب وتقرب إلى الله تبارك وتعالى يكون عليه أحسن الجزاء .

وتظل دعوة الناس إلى الإيمان بهذه العقيدة والثبات على مبادئها عملاً صالحاً يرضى الله تبارك وتعالى ، ويدعم مسيرة الدعوة الإسلامية بمؤمنين جدد يخرجون الناس بتلك العقيدة من الظلمات إلى النور ويهدونهم بها بإذن الله تبارك وتعالى إلى صراطه المستقيم .

ومادام المبدأ أو النظرية هى منهج الإسلام فى الحياة ، وخطته فى التعامل مع الناس كل الناس ، بل مع الأشياء ، وهو المنهج الذى اختاره رب الناس للناس وارتضاه للبشرية كلها ديناً ونظاماً ، فإن الثبات عليه ثبات على الحق وعلى ما ينفع الناس فى الدنيا والآخرة ، وفى الوقت نفسه هو طاعة لله ولرسوله ، وتأكيد متجدد لمصداقية هذا المنهج للبشر وصلاحه لكل زمان ومكان .

إن الثبات على التمسك بهذا المنهج أمان للبشرية من التخبط والحيرة بين المناهج العاجزة أو القاصرة أو المنحرفة ، وضمان لتصحيح مسارها فى طريق النجاح والفلاح .

ومن المسلَّم به أن الثبات على العقيدة الإسلامية يكلف جهداً ووقتاً ومالاً وربما نفوساً تزهق فى سبيل الله فى المعارك مع الباطل وأنصاره ، ولكن النجاح فى الوصول إلى الهدف لابد أن يكلف ذلك كله ، تلك سنة الله التى قضى بها بين أنصار الحق

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .

وأتباع الباطل .

وفى تاريخنا أمثلة وشواهد على ذلك :

فعندما صبر أسلافنا على تكاليف الثبات على العقيدة وتحملوا من أجل ذلك ما تحملوا من عنت بلغ حد الجوع وأكل ورق الشجر ، والموت تحت التعذيب ، والهجرة من الأوطان وترك المال والأهل والولد ، ولم يكن ذلك غريباً عن سنن الله فى تعامل أهل الحق مع أهل الباطل ، فلقد حكى لهم رسول الله ﷺ – وكان بين ظهرانيهم وهم يعذبون بل كان يصيبه من التعذيب ما أصابهم أو أكثر مما أصابهم – حكى لهم فيما رواه البخارى بسنده عن خباب بن الأرتِ قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيجاء الميشار– المنشار – فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله لَيَتَمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » .

عندما صبر أسلافنا من الصحابة رضوان الله عليهم وثبتوا على عقيدتهم نصرهم الله ، وأمكنهم أن ينطلقوا بدعوة الحق يملئون بمنهجها جزيرة العرب ، ويخرجون بها من الجزيرة ، فلما كان عهد التابعين وتابعيهم وصبروا وثبتوا أمكنهم أن يصلوا بدعوة الحق إلى ما يقرب من نصف الدنيا فيما يقارب نصف قرن من الزمان .

وعندما فقد المسلمون هذا الصبر وتزعزع ذاك الثبات ضعف الإيمان فى قلوبهم ، فقبلوا مع منهج الله مناهج أخرى أغراهم بها شياطين الإنس ، فهانوا وضاعوا وتفرقت كلمتهم وتمزقت وحدتهم وذهبت ريحهم ، وأغضبوا بذلك ربهم سبحانه وتعالى ، وأصبحوا دويلات بعد أن كانوا دولة ودخل عليهم الأعداء من بين خلل الفرقة والانقسام فغلبوهم واستولوا على البلاد والعباد .

ولما عادوا إلى الثبات على العقيدة والصبر على متاعبها ، وتحمل أعباء الصراع بين الحق والباطل مكن الله لهم فى الأرض وبدلهم بعد خوفهم أمناً ، وانتصروا وفازوا .

تلك سنة الله فى الأولين وهى سنته فى الآخرين ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

ولقد أدرك أعداء الإسلام هذه الحقيقة فأخذوا يعملون جاهدين على صرف المسلمين عن الثبات على عقيدتهم ومبدئهم بالترغيب فى الزعزعة وعدم الثبات حيناً وبالترهيب من الثبات حيناً آخر ، واتخذوا لذلك أسباباً وأسباباً ، وسوف يكون حديثنا فى **الصفحات التالية** فى الصوارف عن الثبات على العقيدة .

* الصوارف عن الثّبات على العقيدة والمبدأ

تلك الصوارف آلات وأسلحة يستعملها الأعداء فى حربهم ضد الإسلام والمسلمين ، لا تقل فاعلية فى التخريب والتدمير عن الأسلحة التقليدية المتعارف عليها فى كل عصر ، بل هى أفتك وأضرى ، إن الأعداء يدركون ذلك تماماً ، وما أتصور انتصار إسرائيل على العرب فى حروب ثلاثة متوالية إلا لأن المقاتل اليهودى يقاتل عن عقيدة ومبدأ ، وليس كذلك العربى ، وما أتصور سبباً للانتصار على إسرائيل انتصاراً مبيناً إلا إذا استطعنا أن نجعل حامل السلاح التقليدى رجل عقيدة ثابتاً على مبدئها ومنهجها .

وليس ذلك تهويناً من شأن الأسلحة المتطورة ولكنه تأكيد على أن الجندى صاحب العقيدة إذا ثبت عليها لم ينهزم مادام قد أعد لعدوه ما يلائم تسلحه أو يزيد عليه .

إن العدو قد اتجه فى صرف الناس عن العقيدة الإسلامية اتجاهين :

اتجاهاً يرغب فيه فى عدم الثبات على العقيدة الإسلامية

واتجاهاً يخوف فيه من عواقب الثبات على العقيدة والمبدأ . ونحاول أن نوضح هذين الاتجاهين فى عدد من النقاط والله ولى التوفيق .

أولاً : الترغيب فى عدم الثبات على عقيدة الإسلام

وهو هدف لمخططات أعداء الإسلام وأعداء العمل الإسلامى عموماً ، يرون تحقيقه كافياً لهزيمة المسلمين داخلياً ، لكى ينهزموا خارجياً وعسكرياً بأهون الأسباب وأدنى الكيد ، لأن الكيد الأكبر هو ترغيبهم فى عدم الثبات على العقيدة والمبدأ ومن أجل هذا يقومون بأعمال عديدة تزعزع ثقة المسلمين فى عقيدتهم ، وترغبهم فى عدم الثبات عليها ، ومن هذه الأعمال ما نذكر طرفاً منه فيما يلى :

أ – تزيين النظريات والمبادىء المعادية للإسلام :

إن أعداء الإسلام لهم نظرياتهم ومبادئهم ، وهى فى جملتها لا تعترف لهذا الكون بخالق رب معبود بحق لا إلـٰه إلا هو، وإنما تتراوح هذه المبادىء بين الإلحاد وإنكار الخالق وتعدد الآلهة ، وبالتالى فإن القيم الأخلاقية النابعة من هذه العقيدة لا يمكن أن

تعترف للإنسان بكل حقوقه ولا أن ترعى كرامته التى كرمه الله بها .

ومع هذا القصور فى تلك المبادىء فإنهم يزينونها للمسلمين ويوهمونهم بألا مخرج لهم من دوائر الفقر والدَّين والجهل التى رسموها لهم بدقة وإحكام إلا التمسك بتلك المبادىء والنظريات الخاصة بهم وهجر مبادىء الشريعة الإسلامية ونظرياتها فى إصلاح الحياة الإنسانية كلها .

وهم يحاولون بإصرار أن يربطوا بين مبادئهم ونظرياتهم وبين ما استطاعوا أن يحققوه أو يجلبوه بهذه النظريات من متع وملذات ووسائل للرفاهية والإسراف ومبادئه ونظرياته فى إصلاح الحياة الإنسانية على أن ذلك كله حرمان من متع الحياة وزهد وتقشف وقعود عن ممارسة طيبات الحياة .

وهم بهذا الزعم يزيفون الحقائق ، ويكذبون الحق ، ويتجاهلون عامدين قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1] .

فمنهج الإسلام فى هذه الآيات يخاطب جميع العالم : يا بنى آدم ، ويأمرهم بأن يتزينوا ويلبسوا – فى حدود ما أحل الله – وأن يأكلوا ويشربوا من غير إسراف فى هذا ولا ذاك ولا مخيلة – أى الكبر – بل الحد الذى يحفظ النفس من اللباس والطعام والشراب واجب لأن الشرع نهى عن كل ما يضر بالنفس أو المال أو العقل أو العرض والدين .

(١) سورة الأعراف : ٣١ – ٣٣ .

ويرى المفسرون أن النهى عن الإسراف يعنى تحريم ما أحل الله ولذلك يستنكر على من يحرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وهى كل مستلذ من الطعام - وكل هذه المتع مباحة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا مادامت بعيدة عن السرف والمخيلة . أما فى الآخرة فإن الله يجعل هذه النعم وتلك الطيبات خالصة للمؤمنين وحدهم لا ينال المشركون منها شيئاً .

فهذه المتع وإن كانت مشتركة فى الدنيا بين المؤمنين وغيرهم ، إلا أنها فى الآخرة خالصة للمؤمنين وحدهم .

ثم حددت الآيات ما حرم الله على الناس وهى فى الجملة ما يلى :

- الفواحش وهى الأعمال المفرطة فى القبح ما ظهر منها وما بطن أى ما أعلن عنه وما أُسِرَّ به .
- والإثم وهو جميع المعاصى أو ما دون الحد ، أو الاستطالة على الناس .
- والبغى وهو الظلم وتجاوز الحد فيه بغير الحق ، أى الانتصار بحق مباح ، وقيل البغى : الفساد .

إن الأعداء يحاولون دائماً أن يغالطوا فى نظرياتهم ونظرياتنا فيزينون ما لديهم ويشوهون ما لدينا ، وبيننا وبينهم موازنة من جانبين هامين :

أما أحدهما : فهو أن مبادىء الإسلام ونظرياته فى إصلاح الحياة الدنيا فهى من صنع رب الناس سبحانه للناس الذى هو أعلم بما يصلحهم ويصلح بهم .

وأما الثانى : فهو تأمل الواقع الذى يعيشونه فى مجتمعاتهم التى تطبق مبادئهم ، إن نظامهم ينتهك حقوق الإنسان مهما ادعوا أنهم يحافظون عليها ، ويعصف بحرية الإنسان فيورده باسمها المهالك عندما تتحول الحرية عندهم إلى فوضى فى الجنس والقتل والسرقة والعدوان وفقد الأمن ، بل فقد القدرة على حمل المال والنفائس .

وإن من يرى ويتأمل ما فعلته مبادىء الغرب ونظرياته فى « هيروشيما ونجازاكى » و « فيتنام » وفى العراق فى حرب الخليج ، يدرك تماماً أنها دعاوى وأوهام لا صلة لها بأى حق من حقوق الإنسان .

وإن من يتأمل ما فعلته مبادىء الشرق ونظرياته – الشيوعية والاشتراكية – قبل انهيارهما فى الناس الذين أجبروا على ترك أديانهم من مسلمين ونصارى ليدخلوا فى الشيوعية والاشتراكية ويتأمل كم تحمل هؤلاء من تعذيب وترويع من أجل ذلك يدرك تماماً أن حرية الإنسان سحقت فى المبادىء الشيوعية والاشتراكية .

وإذا كانت رحمة الله بالناس قد قضت بأن تنهار المبادىء والنظريات الشرقية ، فإنها تتسع بلطف منه وفضل لكى تقضى بانهيار مبادىء الغرب ونظرياته – وبوادر ذلك قد حدثت على الرغم من الدعاوى بما يدور الآن من صراع بين الغرب الأمريكى والغرب الأوربى فى المشكلات الاقتصادية ، وغداً تتابع الصراعات ، وتأتينا بما نحب النهايات بإذن الله ، لتنعم البشرية بمبادىء الإسلام ونظرياته فى إصلاح الحياة الإنسانية .

وإن من يتأمل ما يفعله الغرب مع إسرائيل حيث يمدها بالمال والعتاد والتقنية التى تجعلها دائماً متفوقة على العالم العربى كله ، وقادرة دائماً على تحطيم عظام الفلسطينيين أصحاب الأرض المعتدى عليه ، وتعذيبهم حتى الموت ودفنهم أحياء وهدم دورهم ومنازلهم على رءوسهم ، يرى الغرب كيف يسكت راضياً عن هذه الجرائم الإنسانية ليدرك تماماً أنهم يكذبون ويزيفون ويزعمون لمبادئهم ما ليس فيها .

وإن من يرى ويتأمل فى نظام هيئة الأمم المتحدة التى تزعم أنها تعمل على إحلال السلام بين الناس ، فى الوقت الذى تعطى فيه للدول الكبرى أو القوية حق الاعتراض ، « الفيتو » على كل قرار لا يحقق مصالحها ، ليدرك أن هيئة الأمم المتحدة أجدر أن تسمى هيئة الأمم القوية المتحكمة فى الأمم الضعيفة وفق قوانين تسنها لنفسها !!!

وما قصة الافتيات على حريات الناس وإرادتهم فى الجزائر وتجنيد كافة الطاقات

والإمكانات لدى كثير من أمم الغرب وكثير من أمم الشرق التابعة للغرب للقضاء على حق شعب الجزائر فى اختيار من يراه ممثلاً له فى المجالس النيابية ببعيد .

وإن من يرى تحريم تكوين أحزاب إسلامية فى معظم بلدان العالم الإسلامى ، وإباحة تكوينها لليهود والنصارى وأصحاب أى ملة أو نحلة ، ليدرك بدقة حقيقة حقوق الإنسان عند أصحاب هذه المبادىء والنظريات .

ومع كل ذلك فلا يزالون يزينون مبادئهم ونظرياتهم ولا يزال بعض المسلمين ينخدعون بهذا التزويق ، فيرغبونهم فى نظريات الغرب ويزعزعون ثباتهم على دينهم ومنهجه ونظمه ونظريته فى إصلاح حياة الإنسان .

ب – وإغراؤهم بعض المسلمين برفاهية العيش :

يحاول الأعداء أن يربطوا بين مبادئهم ونظرياتهم وبين العيش المرفه والرخاء الميسور ، يحاولون ذلك مع قصار النظر من المسلمين حكاماً ومحكومين ، ويوهمون هؤلاء وأولئك بأن اعتناق مبادئهم ونظرياتهم يقترن دائماً بالرفاهية والرخاء ، ولن يعتنق المسلمون تلك المبادىء والنظريات إلا إذا انصرفوا عن مبادىء الإسلام ونظرياته فى إصلاح الحياة الإنسانية ، وذلك هدف الأعداء أولاً وأخيراً .

وتلك حرب للإسلام والمسلمين تنطوى على مقولة خلاصتها :

إن المسلمين لا يستطيعون بالإسلام – كما هو مشاهد اليوم – أن يعيشوا عيشة راضية فضلاً عن أن تكون مرفهة لأنكم مع الإسلام – كما يزعمون – تحتاجون إلى القمح الذى نزرعه وإلى السلاح الذى نصنعه وإلى وسائل الترفيه التى ننتجها .... وإنما تستطيعون الحصول على ذلك إذا هجرتم الإسلام واتبعتم مبادئنا ونظرياتنا فى الحياة .

وإنهم فى ذلك كله لكاذبون مغالطون ، ونستطيع أن نوضح هذه الأكاذيب وتلك المغالطات فيما يلى :

– ليس فى العالم اليوم مسلمون يطبقون الإسلام تطبيقاً كاملاً حتى يقال : إن المسلمين يعيشون بالإسلام ، فإن أفلتت من ذلك محاولة – كما هى الحال فى السودان – فإن الأعداء يوجهون إلى السودان كل أنواع الحرب والتضييق ويحاصرونه ويسلطون عليه من أبنائه ، ومن غير أبنائه من يشغبون عليه ولا يدعون له الفرصة ليطبق الإسلام

تطبيقاً كاملاً بعيداً عن الصراعات المعوقة عن هذا التطبيق فى داخل السودان وخارجه ، فكيف يقال : إن المسلمون بالإسلام لا يستطيعون أن يعيشوا عيشة راضية ، وهم يحاربون تطبيق الإسلام بكل سبيل مشروع لديهم وغير مشروع لديهم أيضاً !!!

تلك واحدة ...

– والثانية أن حاجة المسلمين إلى القمح إنما نتجت عن سياسة ماكرة لهؤلاء الأعداء متشابكة الأطراف متعددة المسالك متعرجتها إلى حد مبهر ، مفعمة بالخبراء والناصحين والأصدقاء البرءاء الذين يقنعون المسلمين السذج فى بلاد الأنهار العذبة والأرض الأكثر خصوبة بأن زراعة القمح فيها لا تحقق فائدة اقتصادية !!! وعجبى وعجب كل من يسمع ويعقل !!! وما يسع هذه الحكومات المخدوعة إلا أن تستجيب فلا تزرع القمح وإن زرعته فبغير الكم الذى يحقق الكفاية مع أن الأرض من حولهم خصبة والمياه العذبة جارية ولكن القول قول الخبراء الأجانب الأعداء والقرار قرارهم ، ومع ذلك يزعم هؤلاء الحكام أنهم يخططون ويدبرون ويقررون !!!

وتلك الثانية ...

– والثالثة أن السلاح الذى يحتاج إليه العالم الإسلامى إنما احتاج إليه فى حروب اصطنعها الأعداء له ، ولمقاومة أعداء زرعوهم فى أرضه زرعاً ، أو أعداء أغروهم بالعداوة والعدوان على إخوانهم المسلمين ، فالسلاح للمسلمين لضرب المسلمين فى الحقيقة أما السلاح لضرب إسرائيل فلقد قضوا بأن تظل إسرائيل متفوقة فى السلاح كماً ونوعاً على العالم العربى كله !!!

أما حرب باكستان والهند ، وحرب باكستان إذ انفصلت عنها « بانجلاديش » وحرب العراق مع إيران ، وحرب مسلمى الأفغان مع الروس وأتباعهم فى أرض أفغانستان وحرب الجزائر مع فرنسا إلى أن استقلت ، ثم حرب الخليج عقب عدوان مجنون العراق على الكويت الجارة المسالمة ،وحرب الخليج التى دمرت جيشاً عربياً من أقوى الجيوش العربية – بعد مصر فيما أعلم – لصالح إسرائيل من جانب ولصالح مصالح الغرب من جانب آخر ولصالح القواعد العسكرية فى بلاد المسلمين ، وحروب الحدود بين البلاد العربية والإسلامية ، أما تلك الحروب وما تحتاج إليه من سلاح فإنها من تحريشهم بعض المسلمين ببعض ومن صنعهم هم ، وحاجتنا إلى السلاح إنما تزيد لمثل

وإنتاج السلاح على المستوى المتطور محظور كحظر زراعة القمح بمعنى أن أحداً لا يقول لنا : لا تزرعوا القمح ولا تنتجوا السلاح ، ولكنها نصائح الخبراء والأصدقاء وأصحاب الديون ، وكأننا بهذا الإسلام لا نستطيع أن ننتج السلاح ، مع أن تاريخنا حافل بالتفوق العسكرى على معظم بلدان العالم[1] .

– وأما الرابعة من الأكاذيب والمغالطات فزعمهم احتياجنا إلى وسائل الترفيه التى ينتجونها .

إن وسائل الترفيه التى ينتجون من أهدافها أن تطلق الحيوان الكامل فى الإنسان فتحوله إلى عبد لشهوات البطن والفرج ، بعيداً تماماً عن إنسانيته المكرمة التى تمارس شهوة البطن والفرج فيما أحل الله .

فما حاجتنا معشر المسلمين إلى تلك الوسائل ، إنها الوسائل التى تغرس العنف والجريمة والتطرف والانحراف فى نفوس المشاهدين ، فما حاجتنا إليها ؟

إن وسائل الترفيه عندهم تكاد تنحصر فى الزنا والخمر والميسر وكل ما يؤدى إلى ذلك ويزيد ضراوته ، وفى كل هذه الشعب الثلاثة لا كرامة للإنسان وهو زان أو سكران أو لاعب ميسر ، وفى هذه المجالات وما يتولد عنها وما يترتب عليها من جرائم وانحرافات قصص كثيرة نعف عن ذكرها فى هذا الكتاب الخاص بالأخوة فى الإسلام ، فهى أشهر وأشبع من أن نتحدث عنها فى هذا الكتاب .

والعجيب أن ينسى الغافلون من المسلمين أن الله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان وفضله على كثير ممن خلق ، وأن أعلى تقدير للإنسان هو باحترامه لإنسانيته ووضع نفسه دائماً فى المكان والمكانة اللائقين بتكريم الإنسان ، وليس هذا المكان أو تلك المكانة أن يحرم الإنسان نفسه من متعة أو ترفيه فى حدود إنسانيته المكرمة وفى حدود ما شرع الله .

ومع الإسلام ومنهجه تكون الرفاهية المشروعة فى المسكن الحسن والملبس الحسن

---

(١) انظر لنا : التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطريق التغلب عليه نشر دار الوفاء ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م .

والمركب والنظافة والجمال ، فالله سبحانه وتعالى جميل يحب الجمال ونظيف يحب النظافة وجواد يحب الجود وليس الكبر أن يكون للإنسان ملبس ومسكن ومركب حسن مادام ذلك فى غير إسراف ولا مخيلة .

ج - وتدبير الثورات والانقلابات العسكرية :

ومعنى ثورة أو انقلاب عسكرى أن يتولى الحكم فى البلاد شباب ثائر أو عساكر صغار السن ليس لهم خبرة فى شئون الحكم ولا فى شئون السياسة ، ولا مؤهلين لإصلاح الأمم ، بحسن التعبير عن آمالها ومطامحها .

وما يشك متابع للخطوط العريضة لسياسات أعداء الإسلام فى أنهم يدبرون الانقلابات العسكرية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى بهدف إقصاء نظام الحكم الإسلامى والحيلولة بينه وبين أن يتحاكم الناس إليه ويعيشون وفق منهجه .

ولقد كانت البداية بتحالفهم من أجل القضاء على دولة الخلافة فى تركيا باصطناع مصطفى كمال وأشباهه من أعداء الإسلام وأولياء الأنظمة المعادية له ، حيث دبروا هذا الانقلاب الذى قضى على دولة الخلافة - على الرغم مما كان فيها من التجاوزات - وكان هذا فى الربع الأول من القرن العشرين وبالتحديد ١٩٢٤ م أى فى أخريات النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى وبالتحديد سنة ١٣٤٣ هـ . حيث ساعدوا على أن يتولى الحكم مشئوم تركيا مصطفى كمال ، وهو العدو الألد للإسلام من حيث أصوله اليهودية من جهة أمه ، ومن حيث تفكيره العلمانى وسلوكه وأخلاقه ، وعلى يديه وبدعم من الأعداء التقليديين للإسلام والمسلمين من اليهود ومن صليبيى الغرب تفتت دولة الخلافة وصارت دولاً أو دويلات .

ثم توالت فى العالم الإسلامى الانقلابات العسكرية من أقصاه إلى أقصاه ، وتوالت حركات الانفصال والتفتت بتشجيع الأعداء وتخطيطهم ، وليس لذلك هدف أهم من إبعاد المسلمين عن منهج الإسلام فى الحياة .

وما عرف العصر الذى نعيشه الآن فى بلد إسلامى نظام حكم عسكرى إلا وكان وراءه من أعداء الإسلام من خطط له وأيده ، وسيطر عليه ليكون نظاماً تابعاً له ، يكيد للإسلام والمسلمين بإقصاء الإسلام ، ومنع الإسلاميين من أن يشاركوا فى الحكم

والسياسة بنص كثير من الدساتير .

ولقد قال أحد رؤساء مجالس الشعب فى بلد إسلامى عندما طولب بتطبيق الشريعة الإسلامية : إن تطبيق الشريعة الإسلامية يعنى أن تمنع عنا أمريكا القمح فمن أين يأكل الناس !!!

كأن القمح تقدمه أمريكا منحة ، مع أنها تبيعه بالثمن الذى تريده وتتقاضى ثمنه فى الوقت الذى تريد ، وبالفائدة الربوية التى تحددها !!!

تمنع معظم الحكومات فى العالم الإسلامى الإسلاميين من أن يعبروا عن رؤيتهم السياسية فى أوطانهم بينما تسمح بذلك للمحلدين والماديين والعلمانيين والأفاقين من محترفى السياسة للإثراء من وراء معاناة الناس ، بل تسمح لليهود والمسيحيين أن يمارسوا من النشاط ما يشاءون وتحظر كل ذلك على الإسلاميين !!!

وما أقر هذا الظلم وأكده إلا أعداء الإسلام الذين جاءوا بالعسكر على كراسى الحكم وربطوهم إلى هذه الكراسى ربطاً وثيقاً وأوهموهم بأن الخطر عليهم وعلى كراسيهم من الإسلاميين وحدهم ، ومع ما فى هذا القول من أكاذيب ومغالطات ، فإنه استهوى العسكريين ودغدغ عندهم مشاعر الغرور والطموح غير المحسوب مع قصورهم فى الفكر وفى السياسة وفى الإصلاح بحكم حداثة أعمارهم فى الغالب ، ودفعهم إلى تولى الحكم والاستيلاء على السلطة كلها : قضائية وتشريعية وتنفيذية ، فحكموا الناس بالحديد والنار والقوانين الجائرة عرفية أو عسكرية أو إرهابية أو قوانين طوارىء ، وعلى الرغم من كل ذلك فإن هؤلاء الحكام أكثر الناس تحدثاً وتشدقاً بالديموقراطية والحرية ومكاسب الشعب وضرورة المحافظة عليها .

وانطلقت الشعارات من أعداء الإسلام من الشرق والغرب تملأ الساحة فى البلدان الإسلامية – التى بليت بنظام حكم عسكرى – بهذه الشعارات الجوفاء التى تعنى عكس مدلولها تماماً فأكثر الأنظمة تشدقا بحرية الشعب هى التى تقهر الشعب وتملأ بالناس غياهب السجون ومجاهل المعتقلات ، وتقتل الناس فى الطريق باسم الحرية أو الديموقراطية ولا تسمح لأحد بأن يفتح فمه بكلمة إلا أن تكون فى مدح الطاغوت الجالس على كرسى الحكم ، ولن ينسى التاريخ كلمات رئيس حكم عسكرى كان يجاهر بأنه لو اعترض أحد على مشروع كذا لضربته بالرصاص فى مجلس الوزراء ، وأنه ليس عنده

وزير يستقيل وإنما يقال وأنه اعتقل فى ليلة واحدة ثمانية عشر ألفاً من المواطنين ، قال كل هذا بلسانه وعلى مرأى ومسمع من العالم كله ، ولم يستح قبل ذلك وبعد ذلك أن يقول : ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد .

وكم من حاكم من هؤلاء كان يستأسد على المواطنين العزَّل الأبرياء ، وينهزم فى أى حرب هزائم مخزية تجلله بالعار والشنار ، ثم يجد من يبرز له الهزيمة الساحقة فيسميها نكسة !!!

وأكثر هذه الأنظمة تشدقا بالعدالة الاجتماعية هى التى جرعت الناس غصص الفقر والحاجة ، فلم يجدوا الكفاف وسكنوا المقابر ، وهجروا أوطانهم إلى أوطان أخرى يعملون فيا بأزهد الأجور وأدنأ الأعمال ، وفى نفس الوقت طفت على السطح طبقات من أثرياء الاشتراكيين ملاك القصور وأصحاب الملايين فى المصارف الأجنبية !!!

إن معظم بلدان العالم الإسلامى قد ابتليت بهذه الأنظمة من الحكم الغاشم ، الغر الساذج الذى تصطنع له فى كل يوم حرباً يخوض غمارها بأسلحة الأعداء التى اشتراها بأموال الشعب وبالاستدانة ذات الفوائد العالية ثم يجيد أن ينهزم أمام عدوه ويترك له السلاح فى الصحراء ، ثم لا يستحى هو أو بطانته من ترديد شعارات الانتصار والفخار !!!

كل هذه الأمور ليس لها عندنا من تفسير إلا أن الأعداء يحرصون على تغريب الناس فى أن يحكموا بأى نوع من أنواع الحكم حتى ذلك الحكم الغشوم الجهول ، المهم ألا يكون هناك نظام حكم إسلامى أو يأخذ بمنهج الإسلام فى الحكم ، ومعنى ذلك هو صرف الناس عن التمسك بعقيدة الإسلام والثبات على مبادئه ونظرياته فى إصلاح الحياة .

د - والمساندة لأى نظام حكم بعيد عن الإسلام :

وهذه المساندة لم تكن قاصرة على أعداء الإسلام من الغرب وإنما مَالأهم عليها أعداء الإسلام من الشرق - على ما كان بين الغرب والشرق من عداء تقليدى قامت بدعمه الأنظمة الغربية الرأسمالية فى مواجهة الأنظمة الشرقية فيما كان يعرف بالاتحاد « السوفيتى » - الذى لفظ أنفساه فى بداية العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى ،

حتى لقد جاء حين من الزمان على بلدان العالم الإسلامى كانت أنظمة الحكم فيه مقسمة بدقة إلى أنظمة حكم غربية وأخرى شرقية .

ولقد كانت تستيقظ النزعة الشيوعية أو الاشتراكية أو اليسارية فى بعض الأقطار الإسلامية برضا الغرب وتأييده فى مقابل أن تستيقظ النزعة « الرأسمالية » أو العلمانية فى مناطق أخرى من العالم الإسلامى برضا الشرق وتأييده !!! على ما بين النظامين من عداء بل حروب ساخنة أو باردة ، ولكنها المأثورة التاريخية القديمة التى كانت فى الماضى بل وفى الحاضر أيضاً التى تجمع النقيضين مادام العدو هو الإسلام أو نظام الحكم الإسلامى !!!

لقد تحالف اليهود مع صليبيى أوربا فى الماضى أيام الحروب الصليبية ، ولا يزال صليبيو أوربا وأمريكا يحالفون اليهود اليوم فى مواجهة العالم الإسلامى عموماً والعالم العربى على وجه الخصوص !!!

إن هدفهم هو الوقوف فى وجه الإسلام والمسلمين ، ولينسوا ما بينهم من عداوات .

ونتيجة لذلك فقد ساند الأعداء أى نظام حكم فى أى قطر من أقطار العالم الإسلامى ، مادام هذا النظام بعيداً عن الإسلام فضلاً عن تأييدهم المطلق لأى نظام حكم يعادى الإسلام ويضطهد المسلمين ويحول بينهم وبين حقوق المواطنة فى أوطانهم أو يملأ بهم السجون والمعتقلات أو يحملهم على الهجرة من أوطانهم إلى بلاد الغرب أو الشرق أو إلى بلاد عربية أو إسلامية يعيشون فيها غرباء لا يملكون حق الحديث عن الإسلام ، حتى لقد قالت إحدى دول العالم الإسلامى لبعض دعاة الإسلام المهاجرين إليها ، إن حديثكم عن الإسلام يجب أن يكون فى بلادكم !!! مع أنهم يعلمون أنهم مضطهدون فى بلادهم فارون من القتل أو السجن والتعذيب الوحشى !!! أى أن المحصلة هى أن يسكت كل صوت يتحدث عن الإسلام فى بلده أو خارج بلده !!!

ولقد أخذت المساندة لأنظمة الحكم البعيدة عن الإسلام أشكالها التقليدية من مثل :

- صفقات القمح والسكر ،
- وصفقات السلاح ،
- والمعاونة فى الإنفاق على مشروعات لتحسين البنية الأساسية أو إنشائها أحياناً .

- وابتعاث أبناء البلاد إلى بلدان الأعداء للتعلم هناك والعودة إلى بلادهم يحملون الولاء لكل ما هو معادٍ للإسلام .
- وتصدير وسائل تعذيب الإسلاميين فى سجونهم ومعتقلاتهم مرة من الشرق وضراوة النظام الشيوعى ، ومرة من الغرب الذى طور وسائل التعذيب وجعلها خاضعة لأرقى أنواع التقنية .
- ووضع خطة للسيطرة على التعليم فى بلادن العالم الإسلامى بحيث لا تحظى دراسة الإسلام وعلومه ولغته بربع ما تحظى به ثقافتهم ومفردات حضارتهم .
- والسيطرة التامة على وسائل الإعلام وتهيئتها لإفراز كل ما هو معادٍ للإسلام والإسلاميين من جانب ، وتقديم بعض المنتجات الإعلامية المشوهة للإسلام والمسلمين من جانب آخر .
- وبإخمال العمل الإسلامى ومشاهير المصلحين الإسلاميين بذر التراب على تاريخهم واتهامهم فى أفكارهم الإصلاحية .
- وبإشهار نماذج ممن لا ينتمون إلى الإسلام بسلوكهم وأخلاقهم وإلقاء مزيد من الضوء عليها لكى تكون قدوة للأجيال فى هذ الضعف الأخلاق والانكبات على الشهوات والملذات وتعاطى المخدرات والمنبهات وغيرها .
- وبتمجيد الكتاب والقصاص الذين يعادون الفكر الإسلامى وإفساح المجال لهم فى الصحف والمجلات وتوجيه حملات منظمة تشوه الإسلام وتزرى بمن يحملون الفكر الإسلامى ويعملون من أجل الإسلام .
- وبإلهاء الشباب عن حاضرهم ومستقبلهم بإغرائهم فى بحار التعصب للأندية الرياضية إلى حد التضارب فيما بينهم ، وفى لجج التعصب لبعض المذاهب الهدامة كالفوضوية والهيبية والخنفسة والعرى والروتارى والماسونية .
- وترويج صور « مايكل جاكسون » و « مادونا » وكتاب سلمان رشدى ، وغير ذلك من مفردات تستهدف كلها العداء للإسلام والمسلمين والقعود للحركة الإسلامية بكل مرصد .

تلك هى أشكال المساندة لأى نظام حكم بعيد عن الإسلام أو معاد له ، وما

استقصيتها ولكنى أشرت إلى بعضها[1] تاركاً التعرف عليها فى نطاقه من الكتب والدراسات .

وكان من دهائهم فى مساندة هذه الأنظمة البعيدة عن الإسلام أن ربطوا مصالح هذه الأنظمة بهذا البعد عن الإسلام أو معاداته ومعاداة أى حركة إسلامية .

كان هذا دأب الأعداء وما يزال ، فإن حدث أن أفلت نظام حكم من هذه الدائرة المحكمة الإغلاق وأعلن عن تبنية لمنهج الإسلام فى الحكم – كما حدث فى الماضى القريب فى باكستان – دبروا انقلاباً يطيح بهذا النظام أو اغتالوا من يقوم عليه ، أو كما هو حادث الآن فى السودان أجمعوا كيدهم ومكرهم وقفوا لهذا النظام حجر عثرة بمئات الوسائل من التحدى حتى يتراجع أو ينهار ، ومن الغريب أن يجدوا من يعاونهم على ذلك من المسلمين أنفسهم !!!

ولم لا يجدون وقد اصطنعوهم على أيديهم – كما قال « كيسنجر » فى مذكراته التى نشرت على العالم كله !!!

هـ – وإسهام الأعداء فى التغلب على المشكلات الآنِيَّة :

يتظاهر أعداء الإسلام بإسهامهم فى حل المشكلات الآنية لبعض أنظمة الحكم البعيدة عن الإسلام فى بلاد المسلمين ، وهم فى الحقيقة يزيدونها تعقيداً ، وتنطلى الخدعة على الغافلين ، أو يعرف بعضهم حقيقة النوايا ولكنه يؤثر البقاء على الكرسى والإغضاء عما يفعل الأعداء .

وتلك وسيلة من وسائل الأعداء فى ترغيب المسلمين فى عدم الثبات على الإسلام مبدئه ومنهجه ونظامه ، وهى وسيلة خبيثة لا تقل فى خبثها عن وسائلهم فى إغراق العالم الإسلامى بالمشكلات الحقيقية أو المصطنعة .

ومهما يكن نظام الحكم الذى يتظاهرون بحل مشكلاته عسكرياً أو غير عسكرى علمانياً أو غير علمانى اشتراكياً أو غير اشتراكى ، فإنهم يوهمونه بالعمل على حل مشكلاته مادام بعيداً عن الإسلام أو معادياً له ، مكافأة له على هذا البعد وتقديراً لجهوده

---

(١) انظر للمؤلف : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ط دار المنار القاهرة ١٤١١ هـ – ١٩٩١م .

فى حرب الإسلام والمسلمين .

وفى الأعم الأغلب تكون للأعداء مصالح حقيقية فى التظاهر بحل هذه المشكلات ، سواء أكانت هذه المصالح حالية أو فى المستقبل القريب أو البعيد .

وكثيراً ما تسمى هذه المشكلات بغير أسمائها ، وكثيراً ما تكون غير منطوية على إشكال ، ولكن ما يقوله الأعداء هو المصدق وهو محل الثقة والتقدير .

ولقد امتلأت بعض بلدان العالم الإسلامى بمشروعات أسهم الأعداء فى تصميمها وتمويلها وتنفيذها والإشراف عليها وذلك فى الظاهر مجاملة لنظام الحكم القائم فى ذلك القطر ، وفى الحقيقة هم يتقاضون على ذلك أعلى الأجور ، وتقوم شركاتهم وخبراؤهم وبيوت التمويل عندهم بالتنفيذ ، وليس شىء من ذلك إلا بأبهظ الأثمان وبأفدح الديون وبأعلى الفوائد الربوية .

إنك لا تستطيع أن تحصى بسهولة حجم الديون على أقطار العالم الإسلامى من كثرتها ، وإن الأقطار الثرية الواجدة هى التى تستطيع أن تسدد فوائد الديون لا الديون نفسها !!!

وأنا أتساءل دائماً بينى وبين نفسى : ما لم يكن للأعداء حظ العمل فى أقطار العالم الإسلامى فماذا يصنعون بخبرائهم ومستشاريهم وشركاتهم وبيوت التمويل عندهم ؟ ثم أقول فى نفسى أيضاً : كان لابد أن تفلس هذه المؤسسات وتلك الشركات ، فمن الرابح فى هذه الأعمال ؟

ولنذكر هذه المشكلات المصطنعة التى يوهمون أنظمة الحكم بالإسهام فى حلها بعض النماذج :

● **مشكلة زيادة النسل :**

وهى مشكلة من مبتكرات العصر الحديث ، فما سمعنا عنها ولا قرأنا شيئاً فيها – وفوق كل ذى علم عليم – قبل خمسين عاماً من وقتنا هذا تقريباً ، ولكنها طفت على السطح بعد تقدم الطب الوقائى وقلة عدد الوفيات فى المواليد ، ولها ارتباط فى تصورى بتفتيت وحدة العالم الإسلامى الذى كانت قمته فى تحالف الغرب والشرق على إسقاط دولة الخلافة فى تركيا ، ووقوع معظم بلدان العالم الإسلامى قبل ذلك وبعده فى براثن

الاستعمار – أى دعوى الأعداء أنهم يحتلون بلاد العالم الإسلامى لإعمارها بسبب عجز أبنائها عن هذا الإعمار – واعجبى وواعجب كل عاقل .

إن الأعداء خشوا من تنامى أعداد المسلمين فى هذه الفترة من الزمان وإذا نما العدد زادت الطاقة الإنتاجية لأن الإنسان أغلى وأكرم ما فى الحياة ، وإذا زادت الطاقة الإنتاجية فكر الناس فى التخلص من السيطرة الأجنبية على بلادهم ومعنى ذلك طرد المستعمرين ، فلتنطلق هذه المشكلة وليقل : إن زيادة عدد السكان كارثة اقتصادية وعبء على الحكومات وعلى الدخل القومى ، وليردد ذلك الغافلون من الكتاب ومن يعرفون أهداف الأعداء ومن لا يعرفون ، ولتنطلق الدعايات فى كل مكان تحذر من الكارثة ، ولتنطلق وسائل الإعلام حاشدة كل إمكاناتها لتسخر من الإنجاب ، ثم وهذا هو الأهم ليسرع الأعداء فى إنشاء مراكز لتحديد النسل أو تنظيمه فى مختلف أقطار العالم الإسلامى ، على نفقة الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من دول الغرب أو الشرق ينفقون عليها الأموال الطائلة ويسمونها بالمعادلة الصعبة ، ولكنهم لا يفعلون شيئاً من ذلك فى بلادهم بل تشجع بعض بلادهم على زيادة النسل فتمنح علاوة اجتماعية للوليد الثالث ومن بعده كما قرأنا وسمعنا عن ذلك .

وأنا أتساءل دائماً قائلاً : كم مركزاً من مراكز تحديد النسل فى إسرائيل أو فى دول أوربا أو أمريكا ؟ ويسعفني الجواب بأنه لا توجد هناك هذه المراكز !!!

فأصل إلى النتيجة والهدف من هذا التحديد أو ذاك التنظيم وهو تقليل أعداد المسلمين بالذات تمهيداً لإضعافهم والقضاء عليهم بأيسر السبل وأقل التكاليف ، وبأيدى المسلمين لا بأيدى أعدائهم .

إن هؤلاء وأولئك يتجاهلون عن قصد أن الإنسان هو أهم أداة للإنتاج ، وأنه بغير الإنسان لا يمكن الوصول إلى تحقيق الضروريات فضلاً عن الحاجيات والتحسينات ، إن الإنسان هو الذى يخترع أداة الإنتاج وآلته وهو الذى يشرف على عملها ويصونها ويخترع ما هو أكثر تطوراً منها .

إن الإنسان ينتج فى الغالب أكثر مما يستهلك وإلا كان هناك خلل فى الإنتاج أو فى الإنسان نفسه ، فكيف يعد عبئاً على المجتمع وعلى النظام الاقتصادى فيه ؟

إنها مشكلة اخترعها أعداء الإسلام ، وحددوا خطرها فى أقطار العالم الإسلامى وحده أما عندهم فلا وألف لا !!!

وعلى العقلاء أن يتدبروا ، وعلى الذين يتباكون من كثرة النسل أن يتباكوا – أسفاً ، أن يعملوا على وفرة الإنتاج وتدبير وسائله ، فيصبحوا أمة قوية تنتج أكثر مما تستهلك – ولكن للكلمة التى تصدر من العدو سحراً وفعالية وقبولاً وخطة وهدفاً من أخبث الأهداف وهو استئصال المسلمين ، غير أن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

هذه مشكلة من المشكلات التى اصطنعوها وتظاهروا بالإسلام فى حلها !!!

● ومشكلة البطالة :

البطالة مشكلة تعنى أن يكون الفرد قادراً على العمل وراغباً فيه وباحثاً عنه ولكنه لا يجده ، وهى أنواع :

بطالة عرضية أو انتقالية أو موسمية أو مزمنة أو جزئية وهذه الأخيرة : « البطالة الجزئية » أى التى تترتب على نقص إنتاج الأفراد بالنسبة لعددهم عما يجب أن ينتجه نفس هذا العدد من الأفراد ، هى التى يعانى منها كثير من بلدان العالم الإسلامى ، وهى تعود إلى أسباب من أبرزها أن كثيراً من الحكومات التى تستولى على مؤسسات الإنتاج ليست جادة فى متابعة أداء العاملين ، لأنها تشغلهم بالقضايا السياسية التى تساند الحاكم فتتظاهر لصالحه وتهتف له ، وتمنح لذلك عطلات تعوق الإنتاج ، وفى أغلب الأحيان يسلط بعض الحكام من الأعداء على ذلك موهمينهم بأن ذلك هو الذى يحافظ لهم على الكراسى التى يجلسون عليها ، ومن أعجب العجب ومما يدخل فى أسباب البطالة فى البلاد التى تتحكم فيها الحكومات فى أدوات الإنتاج ووسائله تمنح هذه الحكومات العمال منحاً وحوافز إنتاج وهى على يقين بأن الإنتاج أقل بكثير مما يجب جرياً وراء التأييد السياسى أو الحزبى إذا كانت الحكومة تنتمى إلى الحزب التى تحكم باسمه – وكثيراً ما يكون هذا الحزب من صنع الحكومة بالترغيب والترهيب – ومن هنا تصبح البطالة مشكلة ، فتتبارى الدول المعادية للإسلام بالإسهام فى حل هذه المشكلة ، فكيف يكون هذا الحل ؟

ما رأيت ولا سمعت عن بلد مسلم أسهم الأعداء فى حل مشكلة البطالة فيه ، وأما أظنهم يفعلون وهم يعجزون عن حلها فى بلادهم ...

إن قصارى جهدهم مع المنّ والتفضل أن يفتحوا باب الهجرة إلى بعض بلدانهم التى تحتاج إلى خبراء وإلى أيدى عاملة مثل « استراليا » و « كندا » لتنقل إليهم بهذه الهجرة الخبرات العلمية والأيدى العاملة الفنية ، فيستثمرون هذه الطاقات البشرية لصالح بلادهم ويعيش هؤلاء المهاجرون فى تلك البلاد وقلما تستفيد منهم أوطانهم الأصلية إلا فائض الجهد والوقت والمال ، فهل يعد ذلك حلاً لمشكلة البطالة الجزئية ؟ إنهم حلوا المشكلة لصالحهم .

إن الهجرة إلى بلاد الغرب أصبحت من سمة العصر الذى نعيش فيه وإن بعض دول أوربا الضاربة فى حرب الإسلام وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية تعطى حق اللجوء السياسى - أى الإقامة على حسابها - لكل فلسطينى أيا كان دينه ، ولكل لبنانى مسلم ، ويهرع الناس إلى ذلك سعداء بأن يكونوا من تنابلة السلطان هناك - حيث لا يسمح للاجئين السياسيين بالعمل وإنما تتكفل الحكومات هناك بكل نفقات الإعاشة - ومع أن الهدف من وراء ذلك واضح وهو :

تفريغ لبنان من المسلمين ، لصالح المارونيين .

وتفريغ فلسطين من أهلها مسلمين وغير مسلمين لصالح إسرائيل فإن بعض من تحدثت إليهم فى بلاد الغرب من هؤلاء الذين منحوا حق اللجوء السياسى وأوضحت لهم أبعاد المخطط وأهدافه نظروا إلى القضية من خلال مصالحهم الشخصية ورغبتهم فى البعد عن الصراع الدامى فى لبنان وعن المجازر التى تصنعها إسرائيل للفلسطينيين .

وهكذا يسهم هؤلاء الأعداء فى حل مشكلة البطالة فى بعض بلدان العالم الإسلامى على النحو الذى يحقق لهم هم مصالحهم الحاضرة ومصالحهم ومصالح أوليائهم فى المستقبل !!!

إنه تفريغ للأقطار الإسلامية من المسلمين تحت أى تسميات تنطلى على الغافلين .

إن ذلك ليذكر من كان له قلب أو ألقى السمع إلى ما صنعه صليبيو أوربا بالمسلمين فى الأندلس غداة سيطروا عليها وأمكنهم الاستيلاء عليها من ضعاف حكام المسلمين

هناك ، بجهود دول أوربا كلها التى تحالفت وتكاتفت لإخراج المسلمين من الأندلس أو إخراجهم من دين الإسلام إن كانت هناك ضرورة للبقاء فى الأندلس !!!

وهكذا يرغب أعداء الإسلام والمسلمين الحكام وأنظمة الحكم فى الأقطار الإسلامية بالابتعاد عن الإسلام ومنهجه ونظامه إن لم يجعلوا منهم أعداء ألداء للإسلام والمسلمين ، وأبطالاً مغاوير فى حرب المسلمين العُزَّل من السلاح واضطهادهم فى ديارهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم السياسية فى التعبير عن برامجهم فى إصلاح بلادهم .

وهذا يعنى عندهم ألا يثبت المسلمون على عقيدتهم ولا على مبادىء هذه العقيدة ونظرياتها فى إصلاح الحياة الإنسانية وفق منهج الإسلام ونظامه .

وما أيسر التهم التى توجه للإسلاميين لتعزلهم عن المشاركة فى تصور الحلول لمشكلات أوطانهم .

ثانياً : الترهيب والتخويف من الثبات على العقيدة الإسلامية

إذا كان الترغيب أسلوباً له فعاليته فى صرف المسلمين عن الثبات على عقيدتهم ومبادئها - كما رأينا آنفاً مفردات هذا الأسلوب - فإن الترهيب والتخويف من الثبات على العقيدة الإسلامية أسلوب آخر لا يقل فعالية عن سابقه .

وسوف نحاول فى هذه الصفحات أن نرصد لهذا الأسلوب الترهيبى مفردات لا تقل أهمية عن المفردات التى أشرنا إليها فى أسلوب الترغيب فى زعزعة الثبات على العقيدة الإسلامية .

وقد يكون أسلوب الترهيب أفعل فى صغار النفوس وضعاف العقول وأولئك المذعورين لأى ضيعة ، ولئن كان الخوف من صفات الإنسان التى تلازمه إلا أن المؤمن مخاطب بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وما أشك فى أن وراء الذين يخوفون من الثبات على العقيدة الإسلامية شياطين

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٥ .

من الإنس والجن وأولياء لهؤلاء الشياطين وأنهم جميعاً ما ينبغى أن يخافهم المؤمنون .

فما مفردات هذا التخويف أو الترهيب من الثبات على العقيدة الإسلامية ؟

ذلك ما نذكر بعضه فيما يلى :

أ - اتهام الإسلام والمسلمين بالجمود والرجعية :

كثيراً ما يخوف أعداء الإسلام المسلمين برمى الإسلام ورميهم المسلمين بالجمود والرجعية ، وربط ذلك بالتخلف عن مواكبة الحياة والعجز عن مواجهة المتغيرات .

ومن سوء حظ المسلمين اليوم أنهم يعيشون فترة تراجع حضارى جعلهم أتباعا بل أذيالا للغرب فى العلم والتقنية ، فإذا رآهم الأعداء على هذه الحال قالوا : إن تمسكهم بالإسلام هو السبب فى هذا الجمود وتلك الرجعية والعجز عن مواجهة المتغيرات أو مواكبتها .

وهذه تهمة تنطوى على عدد من المغالطات نسوقها فيما يلى :

- تراجع المسلمين حضارياً اليوم سببه هو تخليهم عن منهج الإسلام فى الحياة لا تمسكهم به ، وتاريخنا الماضى يدل على ذلك ويؤكده ، بأدلة من أبرزها أن الغرب نفسه قد بنى نهضته العلمية على ما كان قد حققه المسلمون من تقدم فى مجال العلم والتقنية - كما شهد بذلك بعض المحايدين من الأوربيين أنفسهم من أمثال :

  - جوستاف لوبون فى كتابة : حضارة العرب .
  - د . درابر الأمريكى فى كتابة : المنازعة بين العلم والدين .
  - وجون سارتون فى كتابه : مقدمة تاريخ العلم .
  - وسجريد هونكه فى : شمس الله على الغرب .
  - وآدم متيز فى : الحضارة الإسلامية ...

  وغيرهم .

- ليس فى الإسلام عقيدة ولا عبادة ولا معاملة ولا خلقاً وسلوكاً أى مظهر من مظاهر الجمود والرجعية ، ولئن كانت العقيدة والعبادة والأخلاق من الثوابت فى الإسلام وهى ما لا تقبل التغيير أو التبديل مهما تطاول الزمان ، فإن المعاملات

معظمها من المتغيرات التى ينبغى أن تواكب الزمان والمكان ، والتى من أجلها تعددت وسائل التشريع فى الإسلام ومصادره ، فلم تقتصر على الكتاب والسنة وحدهما وإنما فتحت إلى جوارهما : الإجماع ، والقياس ، والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع ، لتواجه بذلك كل متغير مهما كان ، فكيف يرمى الإسلام بالجمود وهذه مصادره ووسائله فى التعامل مع المتغيرات ؟

أما أن يوصف بعض المسلمين بالجمود والرجعية فبسبب سوء فهمهم الإسلام أو تخليهم عن منهجه .

- وتمسك المسلمين اليوم بالإسلام دعوى تحتاج إلى دليل ، فأين هم المسلمون الذين يتمسكون بالإسلام ؟ أى أولئك الذين يتخذون من منهج الإسلام نظاماً للحياة ، لم يعد لهؤلاء وجود بجهود أعداء الإسلام ومكرهم وحيلتهم ، وبسوء سياسة كثير من حكامهم واستجابة هؤلاء الحكام لمخططات الأعداء ، وخوفهم على أنفسهم وعلى كراسيهم من كيد هؤلاء الأعداء ، وترك التمسك بالإسلام أو خوف التمسك به وحمل الناس على ذلك بحجج أوهى من خيوط العنكبوت وهى شنشنة نعرفها من أخزم وأخزم هنا هو مهندس إنجليزى رأس تحرير مجلة الأزهر حيناً ، وقال فى حفل بحديقة الأزبكية بالقاهرة : إن سر تأخر المسلمين وعجزهم عن اللحاق بالغرب فى العلم والتقنية هو تمسكهم باللغة العربية الفصحى !!! أرأيت أعجب من هذا أو أدخل فى المغالطة واحتقار عقول السامعين ؟ فماذا يقولون عن الإسلام نفسه ؟ دعهم يقولون ما يقولون فإنه زبد يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس وهو الإسلام ومنهجه ونظامه فى الحياة الإنسانية .

- واعتبار سلوك بعض جهلة المسلمين بالإسلام حجة على الإسلام ، خبل فى القياس ومغالطة ضخمة تقوم على باطل كبير ، ولو كان ذلك جائزاً فى عرف العقلاء من الناس – وما هو بجائز – لأمكن لمغالط مثلهم أن يقول : إن اليهودية تبيح الظلم والعدوان ، وقتل النساء والأطفال والشيوخ وطرد الناس من أوطانهم وإجلائهم عن مساكنهم وتحطيم عظامهم ودفنهم أحياء والاستيلاء على أموالهم وما يملكون ، لأن اليهود يفعلون ذلك اليوم ؟!!!

ولجاز لمغالط أن يقول : إن المسيحية تبيح قتل الناس وبقر بطون النساء وإقامة

المقاصل وإكراه الناس على الخروج من دينهم وإكراههم على هجر أوطانهم ، لأن الصليبيون الأوربيين فعلوا ذلك فى الماضى ولا يزال صليبو الغرب يفعلونه اليوم ؟!!!

أو لجاز لمغالط ثالث أن يقول : إن المسيحية تبيح اللوط والسحاق – الشذوذ الجنسى – وأن يتزوج الرجل برجل مثله أو يتزوج حيواناً ، وأن يميِّز بين الناس بألوانهم وأجناسهم وأن يمشى الناس عراة فى الشوارع وأن ينتسب الولد لغير أبيه ، وأن تخرج المرأة إذا تزوجت من نسبها إلى أبيها إلى نسبها إلى زوجها وأسرته فتدعى لغير أبيها ، وأن يكون الزنا وشرب الخمر من الحريات الشخصية ، لأن المسيحيين يفعلون ذلك فى كل أوربا وفى أمريكا وكندا وغيرهما !!!

هل يجوز لعاقل أن يتهم اليهودية والمسيحية بتهم وأعمال لم تبحها وإنما أتى بها المخالفون لهاتين الديانتين من اليهود والمسيحيين ؟

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ، إذا يرمون الإسلام نفسه بعيوب وتهم اجترأ عليها بعض المخالفين للإسلام من المسلمين ؟

إنه نوع من الإرهاب الفكرى الذى يمارسه الغرب على المسلمين لكيلا يثبتوا على عقيدتهم الإسلامية ومبادئها ، وقيمها ونظمها فى الحياة .

أإذا كان بعض المسلمين أو بعض الدول المسلمة فقيرة أو عاجزة عن تحقيق الاكتفاء الذاتى مما أقعدها عن مواكبة الحياة ، انطلقت ألسن الحاقدين تقول : إن السر فى هذا العجز والتخلف هو الإسلام ؟

أفينطبق ذلك على اليهود فى عصور الأسر والشتات أو على المسيحيين الغربيين فى عصور الظلام – القرون الوسطى – فمالهم لا يعدلون حتى فى توجيه التهم ؟

وكيف يتهم الإسلام بأنه سبب التخلف والعجز والفقر وهو يأمر بالعمل والإنتاج ويوجب ذلك على كل قادر عليه ؟ إنها المغالطات بقصد صرف الناس عن الثبات على عقيدة الإسلام ومبادئها ونظامها .

ب - والتخويف من الفقر :

التخويف من الفقر فى الأصل من عمل الشيطان لكى يحول بين الناس وبين الإنفاق فى سبيل الله ، فى حين يشجع بل يأمر بإنفاق الأموال فى المعاصى ، والأصل كذلك ألا يخاف الفقر إلا من كان ضعيف الإيمان إذا الأرزاق عند الله مكفولة لا ينقصها الإنفاق فى سبيل الله بل يزيدها ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

وهؤلاء الأعداء الذين يخوفون المسلمين من الفقر إنما يقومون بعمل الشيطان ، لأن التخويف من الفقر أحد الأسباب التى يصرفون بها المسلمين عن عقيدتهم ومبدئهم ، وهو سلاح مرعب إذا وجه إلى الحكام الذين يسوسون الناس ، فهؤلاء لا يخشون ثورة الناس إذا لم يجدوا ما يريدون ، يخشون ذلك على أنفسهم وعلى مناصبهم .

ومن أجل أن يتفادى الحكام ذلك يستجيبون لمن يخوفونهم بالفقر ويربطون ذلك الفقر بتمسكهم بالإسلام ، لأن الإسلام كما يزعمون دين زهد وتقشف وابتعاد عن طيبات الحياة الدنيا ، ويوهمون الناس فى تصديق دعواهم بأن نظرة فى خريطة العالم الإسلامى تؤكد أنه عالم فقير ، يحوى شعوباً لا تجد ما يكفيها فضلاً عن أن يفيض عن حاجتها ، فى حين أن عالم الغرب هو عالم الإنتاج والاكتفاء والفائض الذى يصدر للآخرين ، وكأنهم يقولون بلسان الحال : من أراد أن يظل فقيراً محتاجاً فليبق على تمسكه بدينه فهذا هو واقع العالم الإسلامى !!!

وهذا كلام خادع كاذب وإن روجته الجامعات وكثير من المؤسسات العلمية ، ويردده المخدوعون فى هذه الجامعات والمؤسسات ، وتكاد هذه الأكاذيب تصبح حقائق !!!

وعند أدنى تأمل أو تدقيق نجد أن فقر العالم الإسلامى أو إفقاره ، ومنعه من التقدم والإنتاج أمر مبيت بليل وخطة محكمة التدبير ، فما دام العالم الإسلامى ، لا يزال على وجه الحقيقة تابعاً ومحتاجاً لأعدائه ، فمن السهل على هؤلاء الأعداء أن يحولوا بينه وبين

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٨ .

الإنتاج وأن يمنعوه بذلك من أن يحقق اكتفاء ذاتيا .

ولأضرب على ذلك بعض الأمثلة تاركاً غيرها لفطنة القارىء وفراسة المؤمن :

- من صاحب القرار الحقيقى فى ألا يزرع العالم الإسلامى ما يكفيه من القمح خصوصاً وسائر المحاصيل عموماً ؟

لا يمكن أن يكون أصحاب القرار هم المسلمون أو حكام المسلمين وإلا كانوا من الحمقى والمغفلين !!!

وما المشكلات التى تقوم فى طريق زراعة القمح بحيث يحقق الاكتفاء الذاتى مع خصوبة الأرض وتوفر المياه العذبة والأيدى العاملة ؟

وهل للولايات المتحدة الأمريكية مصلحة مباشرة فى ذلك المنع بحكم أنها من أكثر البلاد إنتاجاً للقمح حتى إن الفائض منه يلقى فى المحيط حتى لا يخفض ثمنه !!!

- ومن صاحب القرار فى ألاّ يزرع العالم الإسلامى من قصب السكر أو البنجر ما يسد حاجته إلى السكر ؟
- ومن صاحب القرار فى ألاّ تتضاعف الثروة الحيوانية أو السمكية ، والبروتينة ، فى العالم الإسلامى ؟
- ومن صاحب القرار فى زراعة القطن فى بلدان العالم الإسلامى ؟
- ومن صاحب القرار فى استنباط النفط « البترول » ؟

إن قصة « البترول » من أجود القصص حبكة وغرابة !!!

إن الشركات المستنبطة وآليات الاستنباط وأدواته فى أيدى أعداء الإسلام !!!

وإن معظم إنتاج « البترول » وأكبره حجماً وأجوده نوعاً يستنبط بكميات تجارية فى بلدان العالم الإسلامى القليلة العدد فى السكان التى تعيش أنظمة الحكم بعيدة عن الإسلام ومنهجه ونظامه !!!

وعلى سبيل الذكرى – كانت تستقر فى نفسى من أيام كنت طالباً فى الجامعة مفارقة غريبة تحيرنى ، وكم كنت أتوجه بها إلى من يكبروننى علماً وسناً لعلى أجد عندهم الجواب فأستريح ، ولكنى ما وجدت إجابة حتى اليوم وقد تجاوزت الستين

عاماً من العمر وصاحبت وزاملت عدداً كبيراً من أساتذة الجامعات ومنهم من هو متخصص فى البترول والمعادن ...

تلك المفارقة هى فى صيغة سؤال هو : لماذا ينتج « البترول » بكميات هائلة فى شرق مصر حيث المملكة العربية السعودية على حافة مصر الشرقية ، وفى غربى مصر حيث ليبيا على حافة مصر الغربية ولا ينتج بنفس الكمية فى مصر ؟ مع أن مسببات وجود البترول فى هذه الأقطار الثلاثة تكاد تكون واحدة ؟

أليس ذلك راجعاً إلى سبب سياسى أكثر منه اقتصادياً أو علمياً فى إنتاج البترول ؟

أليس للكثافة البشرية فى مصر والندرة البشرية فى القطرين الشقيقتين السعودية وليبيا ، تأثير فى قرار الشركات المستنبطة والمنقبة ؟

أليس لطموح مصر وآمالها العريضة دخل فى ألا يستنبط منها « البترول » ؟

ومن عجب أن هذه السياسة تتكرر فى أكثر من قطر إسلامى مثل : أندونسيا وباكستان ونيجيريا والسودان وغيرها !!!

ومما يزيد فى العجب والدهشة والحيرة أن بلدان العالم الإسلامى تغص بالعديد من كليات البترول والمعادن والهندسة « البترولية » ، وأنها تخرج فى كل عام مئات بل ألوفاً من علماء « البترول » !!!

ولندع جانباً سياسة أعداء الإسلام فى إنتاج « البترول » وتسويقه فإنها أسيفة بل دامية ، وما يستطيع أحد أن ينسى فى عصرنا هذا أن إحدى الدول الإسلامية المنتجة « للبترول » قررت زيادة إنتاجها من « البترول » خارجة بذلك عن منظمة هى عضو فيها !!! مع اليقين بأن زيادة إنتاجه تؤدى إلى ضررين كبيرين لها :

أولهما : أنها تخفض سعره وهذا ضرر مباشر وكبير .

والثانى : أنها تقلل بذلك مخزونها الطبيعى وتسرع بنضوبه !!!

فضلاً عن سؤال حائر ومحير هو : أين تذهب أثمان البترول ؟ وفى أى المصارف تودع ؟ ولماذا لا تنفق بالكامل على التنمية والعمران ؟ ومن المالك الحقيقى لهذه الأموال ؟ أهى الحكومة أم الشعوب ؟

إن كل من يعيش فى بلاد « البترول » يستطيع أن يعرف الإجابة على هذه الأسئلة ، وسيجد غصة فى حلقة ومرارة فى نفسه إذ يعلم علم اليقين كيف يربط أعداؤنا لنا بين الإسلام والفقر وقلة الإنتاج وسوء الإنتاج !!!

– وكذلك الشأن فى مصادر المياه العذبة التى توشك الآن أن تكون مشكلة سياسية تهدد الأمن والاستقرار .

وأنا دائماً أسأل نفسى منذ كنت تلميذاً فى المرحلة الثانوية – ونحن ندرس عن نهر النيل أنه ينبع أو يستمد مياهه من بحيرات كذا كذا ... ومن أمطار كذا وكذا ، ثم يتجه شمالاً فيمر بمصر ثم يصب مياهه فى البحر الأبيض المتوسط ... وأتساءل ويتساءل غيرى لماذا نترك هذه المياه العذبة لتضيع فى المياه المالحة ، وعن يمين مجراه وعن يساره ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة ؟

ألا يمكن أن تروى مياهه هذه الملايين من الأفدَنة فتجعل منها مصدر خير لجزء هام من العالم الإسلامى هو مصر ؟

كان ذلك التساؤل يدور فى نفسى من خمسين عاماً تقريباً وما يزال التساؤل قائماً والدهشة قائمة ، والأمل كبير فى أن تستثمر هذه المياه العذبة بدل إهدارها فى المياه المالحة !!!

من صاحب القرار فى ذلك ؟ أنحن أم الذين يخوفوننا من الفقر مادمنا مسلمين ثابتين على عقيدتنا ومبادئها ونظرياتها فى إصلاح الحياة ؟

ج – والتخويف من نظام الإسلام ومنهجه :

لكى لا يثبت المسلمون على عقيدتهم يخوفهم أعداؤهم من نظام الإسلام ومنهجه فى الحياة ، ويوهمونهم بأن فى هذا النظام عيوباً اجتماعية وخللاً سياسياً واقتصادياً ، وأنه نظام يعتمد القسوة فى التعامل مع المخالفين لمنهجه ، ويرونها قسوة تدخل فى مجال الوحشية بقتل بعض المجرمين أو قطع أيديهم أو جلدهم !!!

ويزعمون أن أنظمتهم هم أرحم بالناس من نظام وضعه رب الناس الذى سمى نفسه : الرحمن الرحيم العفو الغفور ... ويصنعون حول هذه الادعاءات الكاذبة هالة

من الإنسانية الخادعة ، ويزيفون على الناس الحقائق ، وينسون ما تنطوى عليه نظمهم من وحشية وضراوة فى معاملة الشعوب التى احتلوا أرضها بدعوى استعمارها ، ويتجاهلون ممارستهم للتفرقة بين الناس حسب ألوانهم وما نالهم من تلويح الشمس لأبشارهم ، بل يتناسون ما فعلوه فى « هيروشيما ونجازاكى وفيتنام والعراق وأفغانستان وفلسطين والبوسنة والهرسك » و ... مالا أستطيع أن أحصيه فى هذا المجال من الكتاب .

غير أننا نكتفى بالحديث عن الحدود الشرعية فى نقطتين اثنتين فقط هما :

- نظرة أعداء الإسلام إلى تطبيق الحدود الشرعية .
- ومشروعية هذه الحدود وشروطها وآدابها فى الإسلام .

ثم نواصل الحديث فى نظرتهم إلى النظم الاجتماعية فى الإسلام ، مثل نظام الأسرة ونظام التربية ونظام الاقتصاد ونظام السياسة .. إلخ والله ولى التوفيق .

● نظرة أعداء الإسلام إلى تطبيق الحدود الشرعية :

من حقد هؤلاء الأعداء على كل ما هو إسلامى أنهم لا يرون من الإسلام إلا قسوته – فى زعمهم – فى تطبيق الحدود الشرعية ، التى شرعها الله ليأخذ بها على أيدى المجرمين تأميناً للمجتمع وعملاً على استقراره وأمنه ، وردعاً لكل من تحدثه نفسه بالعدوان على المجتمع ونظامه ، والله الذى وضع هذه الحدود وجعلها عقوبات مقدرة للعابثين بما أحل الله وما حرم وهو سبحانه أرحم بعباده من أولئك الأدعياء الذين يعطفون على القطط والكلاب ويعذبون الإنسان ويقتلونه بالقنابل الذرية وغيرها من أسلحة الدمار .

هؤلاء الأعداء للإسلام نظروا إلى الحدود الشرعية من خلال رؤية غير محايدة جعلتهم يقعون فى الأخطاء التالية :

- تذكَّروا قسوة تطبيق الحد ونسوا قسوة المجرم وهو يخرب أحد أنظمة المجتمع قاتلاً أو زانياً أو سارقاً أو شارب خمر أو لائطاً أو قاذفاً لأعراض الناس أو خارجاً على النظام يشكل عصابة لقتل الناس والاستيلاء على أموالهم !!!
- وتذكَّروا ضرورة العطف على الجانى ، ونسوا حماية المجنى عليه وأمنه على نفسه وعرضه وماله .

- وتذكّروا ثمانين جلدة أو مائة ونسوا عبث شارب الخمر بعقله وبمجتمعه ، ونسوا قذف أعراض الناس بما يشينها .
- تذكّروا رجم الزانى المحصن الذى أعفه الله بالحلال فأبى إلا أن يلغ فى الحرام ، ونسوا ما يؤدى إليه الزنا من جرائم تسبقه وجرائم تلحقه ، وهان عليهم أن يخرج الوليد إلى الحياة منسوباً ظلماً إلى غير أبيه أو غير معروف الأب إطلاقاً .
- تذكّروا قسوة القصاص من قاتل ، ونسوا جريمته فى إزهاق نفس وحرمانها من حق الحياة ، ونسوا دم المقتول وحرمة هذا الدم ، مع ما للبشرية كلها فى القصاص من حياة !!!

إن نظرة إلى مجتمعاتهم المعاصرة التى ضاعت فيها الأنساب وانحرفت فيها الغرائز واضطربت بها الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فهام الشباب عندهم على وجهه لا يعرف عفة ولا فضيلة ولا احتراماً لكبير .

إن نظرة إلى هذه الأحوال تؤكد أن البداية فى هذا الضياع والضلال هى التسامح مع فاحش بذىء أو مجرم أفلت من عقاب مناسب لجريمته .

● **مشروعية الحدود وشروطها وآدابها فى الإسلام :**

لا أحاول هنا أن أدافع عن نظام وضعه الله سبحانه للناس ليعيشوا به أكرم حياة ، ولكن أوضح أموراً حول الحدود الشرعية ربما يحتاج الناس إلى توضيحها وهى النقاط التالية :

- أن الإسلام إنما شرع الحدود لتأمين حاضر المجتمع ومستقبله بالضرب على يد المنحرف أو المنحرفين الذين يخرجون على أخلاق المجتمع وآدابه وأنظمته ، للتأكد من أنه لا يروعهم إلا عقاب يحول بينهم وبين العدوان على المجتمع ونظمه .
- ولكل حد من هذه الحدود عقوبة مقدرة معروفة بعينها ليس لحاكم أن يتجاوزها ، لأن الإسلام يقرر أنه من بلغ حداً فى غير حد فهو من المعتدين ، ويؤكد أن تقدير هذه العقوبات على النحو المعروف فى الشريعة ليس محل اجتهاد فى زمن ما أو مكان ما ، وأن تطبيق الحدود من واجب الحاكم المسلم دون غيره إلا من ينيبه من رجال السلطات .

- وأن هذه الحدود لا تطبق إلا إن استوفت شروطها وأن الأصل أن ندرأ – أى لا نطبق – إذا قامت شبهة واحدة فيها فضلاً عن أكثر ، فقد روى الترمذى بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام إن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » .

- وأن هذه العقوبات حماية للمجتمع الإنسانى كله ، إذ يؤدى تطبيقها إلى تحقيق مقاصد الشريعة وهى : حماية النفس والعرض والعقل والمال والدين ، والمجرم إنما يعتدى على هذه الحقوق ، وهى حقوق ليس لأحد أن يمنعها عن الناس إلا بحق الإسلام ، ولا يكف المجرم عن هذا العدوان إلا تلك العقوبات .

- وأود أن أؤكد أن هذه الحدود التى يعيبونها على الإسلام قد جاءت بها أديان أخرى قبل الإسلام .

فقد جاءت فى التوراة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] .

وقد جاءت هذه الحدود فى الإنجيل ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ

(١) سورة المائدة : ٤٤ – ٤٥ .

الْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] .

ثم جاءت فى القرآن خاتم الكتب السماوية المهيمن عليها بما ميزه الله به من تمام وكمال فقال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2] .

إنها تشريعات تعرفها الأديان قبل الإسلام بزمن طويل ، فما بالهم يلومون الإسلام فى الأخذ بها ، ولا يلومون سواه ؟

أم أن تضييع اليهود والنصارى لهذه الحدود حسنة يحمدون عليها ؟ إنهم إن كانوا كذلك فقد كفروا بما أنزل الله عليهم .

● نظرتهم إلى النظم الاجتماعية فى الإسلام :

وبمثل ما نظروا إلى تطبيق الحدود الشرعية من حقد ومغالطة وتشويه وتخويف من الإسلام ، نظروا لسائر النظم الاجتماعية فى الإسلام ، فأخذوا يكيلون التهم جزافاً ويغالطون ويخوفون من النظم الإسلامية فى بناء المجتمع ، نظام الأسرة ونظام التربية ونظام الاقتصاد ، ونظام السياسة وسائر النظم .

---

(١) سورة المائدة : ٤٦ - ٤٧ . (٢) سورة المائدة : ٤٨ - ٥٠ .

وسنحاول أن نتحدث عن ذلك بإيجاز تاركين التفصيل إلى مظانة من المؤلفات هذه الموضوعات .

- نظام الأسرة :

أقام الإسلام المجتمع المسلم على وحدة أساسية هى الأسرة ووضع لهذه الأسرة من الشروط والضمانات ما جعلها أقوى لبنة فى بناء المجتمع ، فوضع معايير لاختيار الزوجة الصالحة ومعايير لتعامل الزوج معها وتعاملها معه ومعايير لما يجب أن يسود هذه الأسرة من قيم وآداب ، ووضع نظاماً لفصل العلاقة الزوجية بالطلاق أو الخُلع إن استحالت الحياة الزوجية أو تعذر الاستمرار فيها .

ووضع نظاماً لحماية حاضر الأسرة بأن جعل القوامة للرجل والأعباء عليه ، ولحماية مستقبل الأسرة بنظام الميراث والوصية ، والولاية .

وقد عاب الأعداء على الإسلام أنه أباح تعدد الزوجات وآثروا عليه تعدد الخليلات والخلان ولم يروا فى هذه الجرائم حرجاً !!!

وعابوا إباحة الطلاق وقبلوا عند التنافر أن تنفصل الزوجة عن زوجها نفسياً وعاطفياً وجسدياً بالضرورة لكن لا تطلق ، وحتى إن بعض البلدان الغربية اليوم ضاقت بهذا الخنى وطالبت النساء فيها بمشروعية الطلاق .

- وعابوا نظام النفقات ووجوبها على الرجل دون المرأة ورضوا بأن ينفق كل من الزوجين على نفسه وأن يتقاسموا النفقة على الأبناء فأصبح الرجال هناك أنصاف رجال وأصبح النساء مترجلات !!!

- ورضوا بأن تخرج الزوجة من عائلتها واسم أبيها لتلحق باسم زوجها واسم عائلته ، ولم يعطوها حق التملك والإرث إلا منذ زمن قريب وفى بعض بلدانهم دون بعض .

وأتصور أن الغرب يوم يرشد اجتماعياً سوف يأخذ بنظام الأسرة فى الإسلام أو يظل فى شقاء وضياع وتشريد للأبناء بأنظمته الحالية .

– ونظام التربية :

للإسلام نظام فى تربية الصغار وفى تربية الكبار وفى التربية الذاتية والتربية من خلال منهج ومعلم ، وفى التربية المستمرة والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيهما من أصول هذه التربية وأهدافها ووسائلها شيء كثير نافع لمن تدبر وتأمل فى آيات القرآن الكريم وكلمات النبى ﷺ وسيرته العطرة ، حيث يستطيع فى ضوء ذلك أن يتعرف القيم التى تنبع منها التربية الإسلامية والأهداف التى تحاول تحقيقها ووسائل تحقيق هذه الأهداف وكيفية تربية الصغير وتعليمه .. إلخ[1] .

ولقد عاب الأعداء على النظام التربوى فى الإسلام أموراً نشير إلى بعضها فيما يلى :

– عابوا عليه أنه نظام يأخذ بمبدأ العقاب أحياناً لردع الجامح ورده إلى الصواب .

أما التربية عندهم فهى خالية من هذا العقاب بل تعده قسوة ، فتدع أمور الناشئين والشباب تجرى فى مجال الحرية – المزعومة – فتدع لهم أن يفعلوا ما يريدون دون عقاب عند الانحراف ، بل لا يرون السلوك منحرفاً إلا فى القليل النادر عند القتل والسرقة مثلاً ، أما ما وراء ذلك من ممارسة الجنس والمخدرات وشرب الخمر ولعب الميسر ، والتمرد على المدرسين والمدرسات وأولياء الأمور فتلك أمور لا عقاب عليها ، ولا عتاب وإنما هى من مفردات الحرية الشخصية !!!

– وعابوا على النظام التربوى الإسلامى أن يؤدب الأب أبناءه ، بالعظة حيناً وبالشدة حيناً وبالضرب على ترك الصلاة فى العاشرة من أعمارهم .

ومنعوا هم ضرب الأب لأبنه أو بنته لأى سبب وعاقبوا الآباء على ضرب الأبناء ، وأخذوا عليهم تعهدات بذلك ومن أخل بها أخذوا منه ابنه لترعاه مدرسة أو ملجأ !!!

– وعابوا على نظام التربية فى الإسلام أن يعنى بتوضيح العقيدة وتصحيحها فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، ورأوا فى ذلك تعلقاً بأمور غيبية تفسد عقول المتعلمين ، ولذلك استبعدوا هم مفردات الدين فى مناهجهم الدراسية وتركوا ذلك لتقوم به الكنيسة ، والكنيسة حظها من تعليم الدين فى الغرب صلاة أسبوعية كل يوم أحد !!!

---

(١) أعددنا لذلك كتاباً هو : المدخل إلى التربية الإسلامية نرجو أن ندفعه إلى المطبعة قريباً إذا أذن الله تعالى .

وكلما رأوا فى المجتمع الإسلامى عيباً ردوه إلى سوء النظام التربوى فى الإسلام ، مع يقينى بأنهم لا يعرفون عن نظام التربية فى الإسلام شيئاً أو لعلهم يعرفون عنه أدنى ما يمكن أن يعرف ، ومع ذلك يهاجمونه !!!

– ونظام الإسلام فى الاقتصاد :

الاقتصاد كالتربية كالأسرة وضع الإسلام له نظاماً محكماً يستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس ، واتخذ لذلك خطوات تنفيذية هامة منها :

- الاعتراف بالملكية الخاصة واحترامها ،
- والأخذ بمبدأ الملكية العامة عند الحاجة إلى ذلك ،
- وجعل الأدوات الرئيسية لتوزيع الثروة هى العمل والحاجة ،
- وجعل الأدوات الثانية لتوزيع الثروة الملكية ،
- ونظم الإنتاج والاستهلاك والتبادل بحرية مقيدة بأخلاق الشريعة وأحكامها .
- وأقر التضامن والتكافل بين المسلمين ،
- ووزع الثروة بعدالة من خلال : نظام التوريث ، ومنع الاحتكار وتحريم الربا وتحريم الغش وتحريم الربح الفاحش وتحريم التناجش[1] وتحريم المحاقلة[2] والمزابنة[3] وتحريم بيع المسلم على بيع أخيه والأخذ بمبدأ اشتراك الناس فى الماء والكلأ والنار ،
- والأخذ بمبدأ أن الناس جميعاً من حقهم أن ينتفعوا بما خلق الله لهم من ثروات الأرض[4] .

– ومع ذلك فقد عاب الأعداء على نظام الإسلام فى الاقتصاد تحريمه الربا ، متجاهلين أو جاهلين بأن الإقراض عبادة يثاب عليهما الإنسان إذا قدمها لأخيه المسلم دون نفع أو فائدة ، وأن ثواب الإقراض عند الله عظيم حتى جعله الله تبارك وتعالى

---

(١) التناجش : تواطؤ اثنين أو أكثر لترويج بيع بأكثر مما يستحق .
(٢) المحاقلة : بيع الزرع بالحنطة .
(٣) المزابنة : بيع التمر على رءوس النخل .
(٤) للتوسع : انظر لنا : الفصل الرابع (الأسس الاقتصادية فى بناء الأمة المسلمة) من كتاب مع العقيدة والحركة والمنهج نشر دار الوفاء ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م ط ثالثة .

كأنه قرض له سبحانه ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] وقال عز وجل : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2] .

قال القرطبى فى تفسير الآية الثانية : قال ابن العربى : « انقسم الخلق بحكم الخالق وحكمته وقدرته ومشيئته وقضائه وقدره حين سمعوا هذه الآية أقساماً : فتفرقوا فرقاً ثلاثة :

الفرقة الأولى : الرُّذْلى قالوا : إن رب محمد محتاج فقير إلينا ونحن أغنياء ، فهذه جهالة لا تخفى على ذى لب ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[3] .

والفرقة الثانية : لما سمعت هذا القول آثرت الشح والبخل ، وقدمت الرغبة فى المال ، فما أنفقت فى سبيل الله ، ولا فكَّتْ أسيراً ، ولا أعانت أحداً ، تكاسلاً عن الطاعة وركوناً إلى هذه الدار .

والفرقة الثالثة : لما سمعت بادرت إلى امتثاله وآثر المجيب منهم بسرعة بماله كأبى الدحداح رضى الله عنه وغيره والله أعلم »[4] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدنى ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟ يا ابن آدم : استطعمتك فلم تطعمنى ،

---

(١) سورة المزمل : ٢٠ . (٢) سورة البقرة : ٢٤٥ .
(٣) سورة آل عمران : ١٨١ . (٤) القرطبى : تفسيره : ٢ / ٢٣٩ .

قال يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ يا ابن آدم : استسقيتك فلم تسقنى ، قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى » .

- وعابوا على نظام الإسلام فى العلاقات الاجتماعية ما عابوا !!!
- وعابوا على نظام الإسلام فى العلاقات السياسية !!!
- وعابوا على نظام الإسلام فى الفكر والثقافة ما عابوا !!!
- وعابوا على كل نظام إسلامى فى أى منشط من مناشط الحياة وخوفوا الناس من الإسلام وأنظمته فى الحياة حتى يرهبوا الناس ويصرفوهم عن الإسلام وعن الثبات على عقيدته ومبادئه .

ومع بالغ الأسف فإن بعض المسلمين وقعوا تحت تأثير هؤلاء الأعداء فزحزحوا عن عقيدتهم ومبادئها تحت طائلة التخويف والإرهاب .

د - والتحدى الظاهر لمن يتمسكون بالإسلام :

أعداء الإسلام يزعزعون المسلمين عن الثبات على عقيدتهم ومبادئهم بالتحدى الظاهر لكل نظام حكم يتمسك بالإسلام أو يعلن رغبته فى ذلك ، أو بالتحدى المستتر إذا رأوا التحدى الظاهر قد يولد مواجهة أو صراعاً هم لا يرغبون فيه .

ولهم فى هذا التحدى أساليب مختلفة ، ظاهرة ومضمرة فمن ألوان التحدى الظاهر التى ألفها العالم الإسلامى وعرف أهدافها ضرب الحركات الإسلامية أو إغراء جيش من الجيوش بالتمرد والثورة ضد الإسلاميين أو غير ذلك ومن ألوان التحدى المستتر شن حملات التشويه ضد الإسلام على نحو ما سنبين الآن :

● شن حملات التشويه ضد الإسلام :

وهذا أسلوب معروف لنا منذ زمن النبى ﷺ وإلى يومنا هذا ، بل إلى يوم الدين ، مع اختلاف الوسائل والأساليب وأنواع الكيد .

ولقد أصبحت الأمور اليوم أيسر منها قبل ذلك ، فقد كانوا فى الماضى يهاجمون

الإسلام نفسه وشخص الرسول ﷺ ، ثم أخذوا يهاجمون القرآن والسنة ، ثم مالوا على تاريخ الإسلام وشخصيات الصحابة فنالوا من ذلك كل منال ، ولكنهم اليوم يهاجمون الذين يتمسكون بالإسلام أفراداً كانوا أو حكومات ويوسعونهم ذماً وتجريحاً ويرمونهم بكل بغيض منفر من الصفات .

وعلى الرغم من أن حملاتهم تلك تقوم على المغالطات والتضليل إلا أنها تجد آذانياً صاغية وعقولاً ساذجة تصدق كثيراً مما يفترون ، ولعل أولئك المصدقين لدعاوى هؤلاء الأعداء يدخلون فى إحدى شريحتين تعترف بوجودهما فى المجتمعات الإسلامية .

أما أولاهما فشريحة الذين يجهلون الإسلام ونظامه ومقاصده فى تنظيم حياة الناس – وما أكثر هؤلاء عدداً حتى من كان منهم يحمل مؤهلاً جامعياً ، لأن هذا المؤهل الجامعى لم يهىء له علماً أو معرفة بالإسلام نظمه ومقاصده بقصد عزلهم عن الثقافة الإسلامية والحيلولة بينهم وبين مصادر الإسلام الشرعية والثقافية ، وإنما كان ذلك كذلك لأن المدارس والمعاهد والجامعات فى كثير من بلدان العالم الإسلامى خاضعة لهؤلاء الأعداء أو لأوليائهم ممن تربوا فى مدارس الأعداء وجامعاتهم وعادوا إلى بلادهم ليتسنموا فيها مناصب القيادة فى التربية والتعليم .

وأما الشريحة الثانية فهم أولئك الذين ينخدعون بما يردده الأعداء من أكاذيب تكاد تصدق لكثرة ما تبثها وسائل الإعلام وتحيطها بهالة من التقدير والاحترام ، أو تكتب بأقلام كتاب من أولياء الأعداء وتسيدوا الصحف والمجلات والدوريات يرأسون تحريرها ويكتبون فيها ما يشاءون والناس أقرب إلى أن ينخدعوا بذلك لما لوسائل الإعلام من جاذبية وسحر وترفيه – ووسائل الإعلام جميعاً وعلى مستوى العالم الإسلامى كله فى أيدى أعداء الإسلام الظاهرين أو المتسترين أولياء الأعداء .

ومن هنا فإن حملات التشويه للأفراد المتمسكين بالإسلام أو للحكومات المتمسكة بالإسلام – وما أقلها – تجد دائماً آذاناً صاغية وعقولاً متقبلة لأن هاتين الشريحتين تمثلان الكثرة الكاثرة من المسلمين .

وربما اتجهت بعض حملات التشويه للمسلمين أفراداً أو حكومات لأن تدخل معهم بعض المتدينين بأديان أخرى غير الإسلام ذرا للرماد فى العيون حتى تعمى عن رؤية الحقيقة .

وحملات التشويه هذه مستمرة لا تفتر ومن ورائها أفراد ومؤسسات وحكومات معادية تمد بالمال والفكر والتخطيط وتوظيف وسائل الإعلام لبث هذا الباطل وتأييده .

ولقد استعملت حملات التشويه مفردات أصبحت شائعة معروفة مثل :

التعصب ، والتطرف ، والعنف ، والرجعية ، والتخلف ، واحتكار الدين ، وتسييس الدين ، والتزمت ، والتشدد ، والأصولية - وهم يطلقونها بمعنى كنسى لا نعرفه فى لغتنا ولا فى تراثنا وإنما الأصوليون عندنا هم علماء أصول الفقه .

ولقد شوهوا موقف الإسلام من صيانة جسد المرأة عن أعين الآثمين ، فتندروا على الحجاب فى قصة معروفة بعيدة الأغوار عميقة الجذور .

وشوهوا موقف الإسلام من شرب الخمر ورأوا فى ذلك عدوانا على الحرية الشخصية ، مع أن الخمر محرمة فى كل دين ، ومؤثمة عند العقلاء من الناس فى كل زمان ومكان ، والغريب العجيب أنهم يبيحون الخمر ويحاربون ما هو شبهها فى الشر والضرر وهو المخدِّرات !!!

وشوهوا موقف الإسلام من كثير من أنواع اللهو والباطل ، فزعموا أن ذلك الموقف عدوان على الحرية الشخصية كذلك ، وهالهم أن يحرم الإسلام الميسر بكل أنواعه واعتبروه من اللهو الذى يملأ الفراغ ، ولم يرضوا عن تحريم الإسلام لتضييع الوقت والجهد والمال فى أنواع اللهو ووسائله العديدة ، وصعب عليهم أن يحرم الإسلام تشبه الرجال بالنساء - التخنث - أو تشبه النساء بالرجال - الترجل - فأخذوا يتصايحون ويتباكون ويصبون على الإسلام ونظامه كل أنواع الغضب .

كل ذلك من أجل أن يصرفوا الناس عن الإسلام عقيدته ومبادئه ونظامه .

● **ومن تحديهم الظاهر الإغراء بالتمرد والثورة :**

كلما وجد الأعداء أنفسهم أمام احتمال قيام نظام حكم إسلامى بادروا إلى القضاء عليه بالقوة والعنف ، وقد اتبعوا فى النصف الأخير من هذا القرن أسلوب إغراء الطامحين من العسكريين بالتمرد داخل الجيش للاستيلاء على قيادته ، ثم تهديد من الراغبين فى نظام حكم إسلامى بتدخل الجيش ضدهم ، فما هو إلا أن تموت المحاولة الإسلامية إيثاراً للسلامة وإنقاذاً للبلاد من فتنة داخلية وحرب أهلية .

لقد مارس الأعداء هذا العمل أكثر من مرة فى أكثر من قطر إسلامى - ولا نتهم أحداً فى وطنيته أو ولائه لدينه وإنما قد يكون هؤلاء المتمردون مخدوعين - فى أكثر من موقف فى هذا النصف الأخير من القرن الذين نعيش فيه .

والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحتاج إلى تحديد بلاد بعينها أو طامحين متمردين من العسكريين بأعيانهم - وأقرب مثال إلينا هو ما حدث فى الجزائر بعد فوز جبهة الإنقاذ الإسلامى - وقبل ذلك حدثت هذه المحاولات مرات ومرات .

وعندما يرى الأعداء أن حركة المد الإسلامى واسعة عريضة المدى تجتذب جموعا وجماعات من الناس فإن الرد على ذلك منهم يكون بالمساعدة على إحداث انقلاب عسكرى شامل يسمونه ثورة تستولى على الحكم وتصلح ما تصلح ولكن هدفها الحقيقى يكون فى الغالب هو القضاء على المدّ الإسلامى ، وقمع تلك الرغبة فى نظام حكم إسلامى ، وكثير ما يطلقون على هذه الانقلابات أو تلك الثورات تسميات براقة كحركة الإصلاح أو التصحيح أو الثورة الاجتماعية أو السياسية ، وأحياناً يقولون : إنها وقفت سدا أمام الرجعية والقيود والعودة بالناس إلى الوراء ، أو مواجهة التخلف وعصر الحريم واختباء النساء فى خيام - أى ملابس ساترة لما يجب أن يستر من جسم المرأة كما أمر الله تعالى -

وليس الأعداء مضطرين إلى أن يجاهروا هم بشىء من ذلك وإنما حسبهم أولياء أفكارهم وثقافتهم والذين تعلموا فى بلادهم ووالوا حضارتهم ، وما أكثر هؤلاء وما أكثر مراكز القيادة والتوجيه التى يسيطرون عليها .

ولا نستطيع أن نحصى - على مستوى العالم الإسلامى - كم عدد المرات التى ساند فيها الأعداءُ انقلابات عسكرية لكى يقف الانقلابيون ضد مدّ إسلامى أو رغبة فى نظام حكم إسلامى .

ولو شئنا أن نضرب أمثلة على تخريب الأعداء لأنظمة حكم اقتربت من الإسلام أو نادت به ما وسعتنا هذه الصفحات ولا تحمل ذلك موضوع الكتاب ، ولكنهم فى الأعم الأغلب يخربون هذه الأنظمة المقتربة من الإسلام بأيدى مسلمين !!!

ولم يكن هذا شأن الأعداء فى هذا النصف القرن الذى نتحدث عنه ، وإنما كان

ذلك شأنهم منذ مئات السنين ، وعلى مر مختلف مراحل تاريخنا الإسلامى ، بدءً بفتنة الخلاف بين على ومعاوية رضى الله عنهما وإلى يومنا هذا ، بل إلى ما يلى من الأيام !!!

● وضرب الحركات الإسلامية :

الحركات الإسلامية الإصلاحية الداعية إلى التمسك بالإسلام واتباع منهجه فى الحياة كثيرة ، وما من قرن من القرون فى تاريخ الإسلام إلا وكان فيه حركة إصلاحية أو أكثر ، ومن يستنبىء التاريخ ينبئه ومن يلتمس الشواهد والأدلة يجدها .

والعدو يقعد لهذه الحركات الإسلامية الإصلاحية بكل مرصد ، يجمعون المعلومات عنها ثم يحللون هذه المعلومات تحليلاً علمياً دقيقاً ، ثم يضعون أمامهم عدداً من الوسائل لضرب هذه الحركات ثم يختارون أنسب هذه الوسائل وأكثرها ملاءمة للظروف والاعتبارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفكرية والثقافية ، ثم يوجهون ضربتهم أو ضرباتهم ، يعاونهم فى ذلك أولياؤهم ممن يكرهون الإسلام ونظامه ويخافونه على مصالحهم وأهوائهم .

ولا نستطيع أن نتجاهل أن ضرب الحركات الإسلامية قد ازداد واستشرى بعد قيام إسرائيل فى قلب العالم العربى وتمكنها بمعاونة أعداء الإسلام من الاستيلاء على جزء غال من العالم الإسلامى .

ولا يمكن أن نبرىء الدساتير التى تحظر على الإسلاميين أن يكونوا أحزاباً أو جماعات من أنها تعمل بشكل مباشر أو غير مباشر لما يحقق أمن إسرائيل واستمرارهَا فى احتلال فلسطين .

– ونؤكد أننا لا نتهم أحداً فى وطنيته ولكننا نحكى الواقع ، فإن هذه الحمى الدستورية بمنع الإسلاميين من التعبير عن برامجهم الإصلاحية فى أوطانهم عن طريق أحزاب سياسية ، هذه الحمى تبلغ أقصى درجاتها فى العالم العربى المحيط بإسرائيل ، وربما تخف حدتها كلما ابتعدنا عن إسرائيل !!!

وبعد : فهل يعى المسلمون تلك الرسالة ويدركون أن أعداءهم يحاولون ما وجدوا إلى المحاولة سبيلاً أن يمنعوا المسلمين من الثبات على عقيدتهم ومبادئها ونظامها ، لأن هذا الثبات أخطر عليهم وعلى مخططاتهم ، كما أنه من أهم أسباب النجاح فى العمل من

أجل الإسلام .

اللهم إنا قد بلغنا ونبهنا فاشهد علينا وعلى كل من سمع وحاسب كلامنا على نيته

والسبب السابع : الأمل والثقة فى تأييد الله ونصره :

هذا الأمل فى الله والثقة فى تأييده ونصره من أهم أسباب النجاح فى العمل الإسلامى ، لأن ذلك يعنى أن العاملين من أجل الإسلام على اتصال دائم بالله مانح القوة والمدد ، وأن استعانتهم به وتوكلهم عليه وهم على يقين من تأييده ونصره .

العاملون من أجل الإسلام ينتمون إلى خير أمة أخرجت للناس بإيمانهم بالله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ومن كان يؤمن بالله حق الإيمان فهو جدير بالنصر بل موعود به ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

قال القرطبى فى تفسير هذه الآية : « وكان أبو بكر – رضى الله عنه – يقف على – كلمة – حقًّا أى وكان عقابنا – للذين أجرموا – حقا ، ثم قال : أى الله تبارك وتعالى – « علينا نصر المؤمنين » ابتداء وخبر ، أى أخبَرْنا به ولا خلف فى خبرنا »[2] وهؤلاء العاملون من أجل الإسلام لن يكونوا كذلك إلا إذا كانوا إخوة فى الإسلام لأن المؤمنين إخوة .

وهؤلاء العاملون من أجل الإسلام المتآخون فيه هم الأمة الوسط الشهداء على الناس ، وتلك مكانة فى الإيمان تستحق نصر الله وتأييده ، ولا شك أن الأمة الوسط هى الأمة الإسلامية قال الله تعالى مخاطباً المسلمين : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[3] .

قال المفسرون : « الأمة الوسط هى أمة محمد ﷺ ، وهى الأمة التى لم تَغْلُ غلوّ النصارى فى أنبيائهم ، ولا قصروا تقصير اليهود » وتلك الأمة تربط بين أفرادها الأخوة فى الإسلام ، لأن المؤمنين إخوة .

وهؤلاء العاملون من أجل الإسلام هم الذين جعل الله سبحانه وتعالى لهم العزة ،

---

(١) سورة الروم : ٤٧ .   (٢) القرطبى تفسيره : ٦ / ٥١٢٥ ط الشعب – القاهرة .
(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .

بعد أن جعلها لنفسه عز وجل ولرسوله ﷺ ، كما يتضح ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

قال المفسرون : « فالعاقبة للمؤمنين على غيرهم مهما تقول المنافقون وزعموا وادعوا ، فالله – سبحانه – له عز الألوهية والرسول – ﷺ – له عزة النبوة ، والمؤمنون لهم عز الولاية » .

ولقد يتوهم المنافقون وأهل الباطل أن العزة لهم لما أوتوا من أعراض الدنيا ، غير ذلك التوهم من الغفلة عن الحقائق أو من المغالطات ، لأن العزة دائماً لله ولرسوله وللمؤمنين هكذا قضى الله تبارك وتعالى .

ولا تكون للمسلمين الولاية أى موالاة الله لهم إلا بالإيمان بالله والإسلام له والتآخى فى الدين مع التواصى بالحق والثبات عليه والتواصى بالصبر على متاعب الحق والدعوة إليه .

وفى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشارات كثيرة دالة ومعبرة ، تؤكد أن الله تعالى مؤيد أولياءه ، وناصرهم إذا وثقوا هم فى ذلك النصر والتأييد وكانوا أهلا له وظنوا فى الله سبحانه وتعالى خيراً ، روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، إن ظن خيراً فله وإن ظن شر فله » وفى رواية لمسلم عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه : « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما يشاء » .

* **فمن آيات القرآن الكريم الواعدة للمؤمنين بالتأييد والنصر :**

– قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وقد شرحنا معناها آنفاً .

– وقوله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ

(١) سورة المنافقون : ٨ . (٢) سورة الروم : ٤٧ .

﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[1] .

فكيف نصر الله المؤمنين مع قلتهم على أعدائهم مع كثرة هؤلاء الأعداء ومنعتهم بتلك الحصون ؟ لا المؤمنون كانوا يظنون ذلك ولا أعداؤهم ، ولكن الله فعل .

وذلك هو موضع الاعتبار فى الآية الكريمة .

وكيف ارتاب المؤمنون فى الانتصار على هؤلاء الأعداء الأقوياء المحصنين فظنوا أنهم لن يخرجوا ويجلوا عن ديارهم ؟ ذلك موضع اعتبار ثان !!!

وكيف تصور أعداء المؤمنين وأعداء الحق المعتمدين على أقوى الحصون ، أن حصونهم تلك مانعتهم من الله وإرادته ؟

وذلك موضع اعتبار ثالث فى الآية الكريمة .

ومواضع الاعتبار فى هذه الآية الكريمة كثيرة ، وعلى المؤمنين أن يعتبروا دائماً ، وقديماً قال أسلافنا : من لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره .

– وقوله جل شأنه : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[2] .

وتلك مجموعة من العدات من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين إذا استضعفوا حيناً من الزمان فصبروا وثبتوا على الحق ، وهذه العدات فى الآية الكريمة هى :

أولها : أن يمن عليهم بأن يخلصهم من أيدى أعدائهم الذين استضعفوهم .

وثانيها : أن يجعل هؤلاء الذين كانوا مستضعفين بالأمس أئمة اليوم يهتدى الناس بهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

والثالثة : أن يورثهم أرض من عاداهم ودياره وأمواله .

---

(١) سورة الحشر : ٢ . (٢) سورة القصص : ٥ ، ٦ .

والرابعة : من هذه العدات الإلـٰهية للمؤمنين أن يمكن للمؤمنين فى الأرض ، ومعنى هذا التمكن أن يذهب عنهم الخوف ويرزقهم ويبسط لهم فى الرزق ، ويقدرهم على أعدائهم .

والخامسة : أن يخزى أعداءهم ويرى هؤلاء الأعداء من هؤلاء المؤمنين ما كانوا يحذورنه منهم من قوة وأسباب نصر وتمكن وقدرة على إزالة ملك الظالمين .

– وقوله عز من قائل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾[1] .

وفى هذه الآية الكريمة تأكيد بأن نصر الله لرسله ولأوليائهم من بعدهم إنما يكون فى مجالين :

أولهما : فى الحياة الدنيا حيث يكون النصر والتمكين بجنود مرئية وأخرى غيرى مرئية ، ومن حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون .

والمجال الثانى : فى الآخرة حيث يقوم الأشهاد ، وإنما يكون ذلك برضاه عنهم وقبولهم فى جنته .

– وقوله جل وعلا : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2] .

والآية الكريمة فيها دلالات مطمئنة كثيرة نذكر منها :

أولاً : أن المؤمنين لتمسكهم بالحق ومقضتيات الإيمان قد يخرجون من ديارهم على أيدى الظلمة والفاجرين ، لا لشيء إلا لأن المؤمنين يقولون : ربنا الله

---

(١) سورة غافر : ٥١ . (٢) سورة الحج : ٤٠ ، ٤١ .

وحده .

ثانياً : أن الله تبارك وتعالى شرع للمؤمنين القتال للدفاع عن الحق وعن أنفسهم ، ولولا هذا القتال لهدمت دور العبادة التى يذكر فيها اسم الله ، فالقتال ليس شراً – كما يتوهم بعض الناس – وإنما هو فى مثل هذه الظروف خير لأنه يحمى الحق ويحمى عباد الله وعبادته وبيوته .

ثالثاً : وتأكيد أن الله سبحانه وتعالى ينصر المؤمنين الذين ينصرون دين الله ونبيه والحق الذى جاء به ، ينصرهم لا محالة لأنه وعد بذلك .

رابعاً : أن من نصره الله من المؤمنين ، ومكنه من عدوه ومن أرض الله فقد شرط الله عليه أن يجدّ فى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها : المراد المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان .... وقال الحسن وأبو العالية : هم هذه الأمة إذا فتح الله عليهم أقاموا الصلاة ... »[1] .

وهؤلاء المؤيدون بنصر الله الممكنون فى الأرض عليهم أن يقيموا الصلاة أى يعرفوا وهم بين يدى الله فيها من هم ومن يناجون ، وبمن ينتصرون ، وآتوا الزكاة أى زكاة الأموال بأداء ما أوجب الله عليهم فيها أى جزءاً من كل أربعين جزءاً ،وزكاة الأحوال ألا يكون للإنسان منهم فى نفسه شيء أدنى شيء ، إذ هى كلها لله فلتسخر لرضاه ، وأمروا بالمعروف أنفسهم وكل أحد ، ونهوا عن المنكر أنفسهم وكل أحد ، ولله عاقبة الأمور .

– وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[2] .

والاعتصام بالله من أهم صفات المؤمنين ، وهو يعنى التمسك بالكتاب والسنة ، أو يعنى التبرؤ من الحول والقوة والنهوض بعبادة بالله لله .

(١) القرطبى : تفسيره : ٥ / ٤٤٦١ .   (٢) سورة الحج : ٧٨ .

ومن اعتصم بالله والاه الله وأيده ونصره .

– وقوله جل وعلا : ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾[1] .

– وقوله تعالى شأنه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وهذه الآية تشير إلى أن المؤمنين إذا التزموا بكلمة الله وجاهدوا فى سبيله فلا ينبغى لهم ولا يليق بهم أن يخافوا غير الله ، ولا يجوز لهم أن يهنوا ويضعفوا لأن النصر من عند الله ، وأن الغالب هو الله .

– وقوله تباركت أسماؤه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[3] .

وهذه الآية الكريمة توضح أن من سنة الله فى أوليائه ممن يدعون إليه ويجاهدون فى سبيله أن تمسهم البأساء والضراء ، وأن يشرفوا على اليأس ، وعندئذ يتساءلون قائلين : متى نصر الله ، وفى هذه الحال يجدون نصر الله أقرب إليهم مما يتصورون « ألا إن نصر الله قريب » .

وبعد : فتلك آيات من القرآن الكريم تبعث الأمل فى النفوس المؤمنة ، وتؤكد أن الله تبارك وتعالى يؤيد أولياءه وينصرهم ويجعل العاقبة لهم ويورثهم الأرض ويمكن لهم دينهم وما يدعون إليه من حق ، بل يجعلهم أئمة للبشرية كلها إن كانوا أهلاً لذلك بالإيمان والإسلام والإخلاص لله رب العالمين ، وذلك وعد الله .

ومن أحاديث النبى ﷺ :

ورد فى السنة النبوية ما يؤكد تأييد الله ونصره للعاملين من أجل هذا الدين الدعاة إليه وإلى ما جاء به من حق فى الأخذ به خير الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٠ .   (٢) سورة آل عمران : ١٣٩ .   (٣) سورة البقرة : ٢١٤ .

ونذكر من هذه الأحاديث النبوية الشريفة ما يلي :

– روى الترمذى بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أُعطيتُ أمتى ثلاثاً لم تعط الأنبياء : كان الله إذا بعث نبياً قال له : ادعنى استجب لك ، وقال لهذه الأمة ادعونى أستجب لكم ، وكان الله إذا بعث النبى قال له : ما جعل عليك فى الدين من حرج ، وقال لهذه الأمة وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، وكان الله إذا بعث النبى جعله شهيداً على قومه ، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس »[1] .

– وروى ابن ماجة بسنده عن أبى عتبة الخولانى رضى الله عنه – وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرساً يستعملهم فى طاعته » .

ويحتمل هذا الحديث أن يكون المقصودون بهذا الغرس هم المجددون لأمر هذا الدين على رأس كل مائة سنة .

ويحتمل أن يكون مقصوده أعم فيشمل كل من يدعو إلى الله وإلى إقامة الدين وطاعة الله واتباع سنة رسوله ﷺ ، وذلك أقرب – فى تصورى – من الاحتمال الأول والله أعلم .

– وروى الترمذى بسنده عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... فإنى لا أخاف عليكم الفاقة ، فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الضعينة فيما بين يثرب والحيرة أو أكثر ما يخاف على مطيتها السرق ، فجعلت أقول فى نفسى فأين لصوص طىء ؟ » .

– وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أبغونى فى ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » .

– وروى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً » .

---

(١) الإمام الترمذى : كتابه : نوادر الأصول .

– وروى أبو داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى ألا يهلك أمتى بسنة عامة ، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى تعالى قال : يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أنى لا أهلكم بسنة عامة ، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا » وأخرجه مسلم والترمذى .

وبعد هذه الجولة فى السنة النبوية المطهرة فى صحاحها فهذه أحاديث نبوية شريفة دالة على تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين فى الدنيا والآخرة ، وما علينا إلا أن نستأهل هذا النصر وندعو الله ولا نعجل ، والله ولى الذين آمنوا ومولاهم والكافرون لا مولى لهم .

وبعد :

فتلك هى أسباب النجاح فى العمل من أجل الإسلام تحدثنا عنها بهذا التوسع آملين أن يدرك المسلمون هذه الأسباب وأن يأخذوا بها وأعود فألخصها فى عناوينها على النحو التالى :

- الإيمان بالله وإخلاص العمل له .
- وتحديد هدف العمل الإسلامى ووضوح رؤيته .
- وشرعية الوسائل الموصلة للهدف .
- والجهاد والتضحية من أجل تحقيق الهدف .
- والعمل المتواصل إلى أن نبلغ الهدف .
- والثبات على العقيدة والمبدأ .
- والثقة فى تأييد الله ونصره .

وكل هذه الأسباب وغيرها مما لم أذكر يجب أن يأخذ بها المسلمون وهم إخوة فى الإسلام تربط بين قلوبهم المحبة وتشد من عزائمهم الرغبة فى إرضاء الله تبارك وتعالى .

الأخوة فى الإسلام هى الرابطة بين المسلمين على نحو ما بينا من شروطها وواجباتها

وحقوقها وآدابها ، لأن المسلمين بغير هذه الأخوة والترابط والتعاون والتناصر والتكافل ، والتواصى بالحق والصبر لا يستطيعون أن يصلوا إلى تحقيق عمل من أجل الإسلام مهما يكن هذا العمل قليلاً أو ضئيلاً .

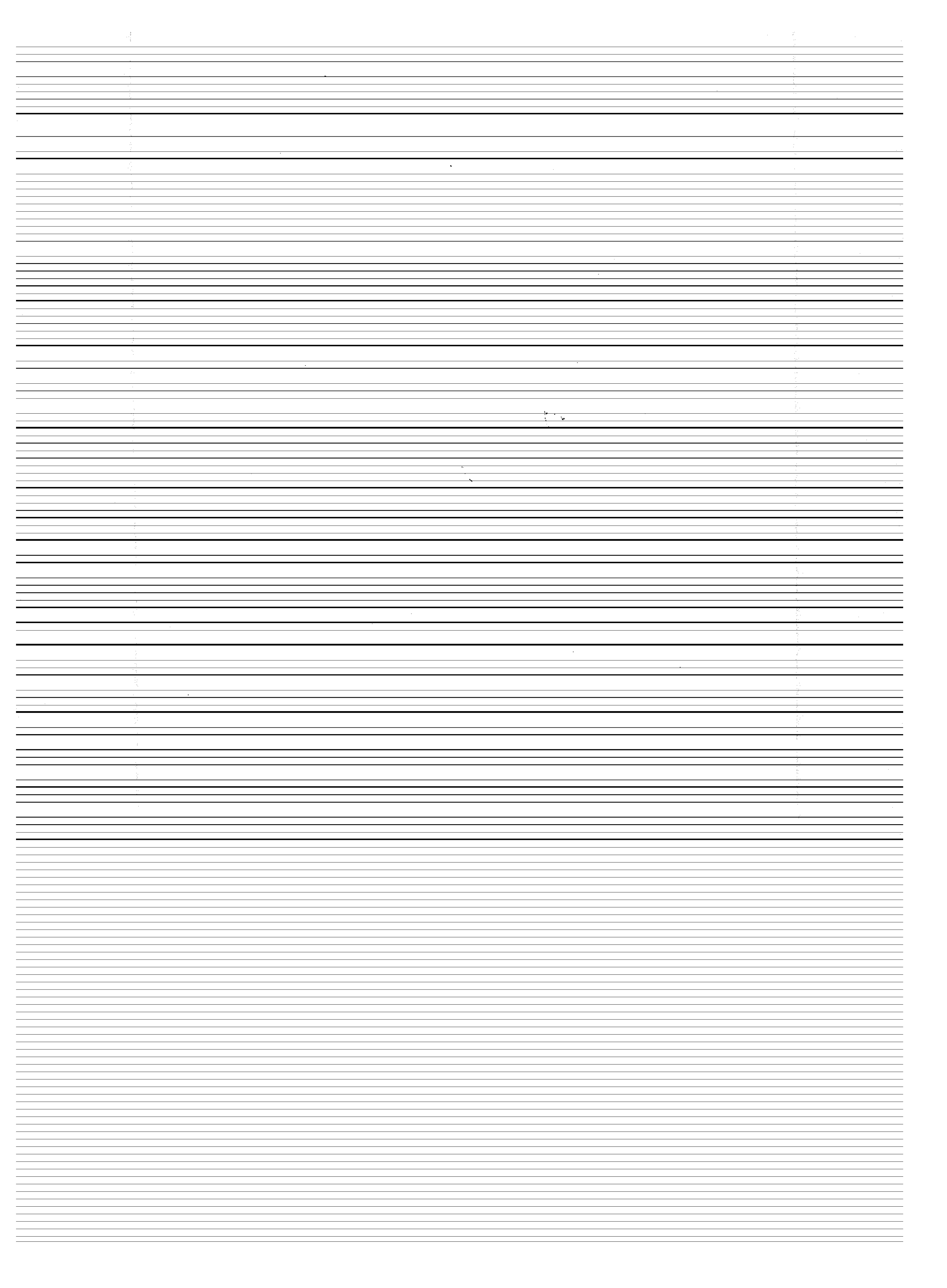
وبغير هذه الأخوة فى الإسلام لن يكون بين المسلمين تواد ولا تراحم فضلاً عن تناصر وتكافل .

وبغير هذه الأخوة لن يكون للمسلمين قوة ولا شوكة إذ لا قيمة على وجه الحقيقة لفرد فى مواجهة احتياجات العمل الإسلامى وإنما القيمة للجماعة المتآخية فى الإسلام .

ولقد بينا فيما سلف من هذا الكتاب أن الأخوة فى الإسلام نعمة أنعم الله بها على المسلمين ، بل من أجلّ نعمه سبحانه وتعالى ، فقد مَنَّ بها علينا ، فقال عز من قائل : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[1] .

بل جعل الله سبحانه وتعالى الأخوة فى الإسلام أمر واقعاً يوصف به المؤمنون ، بل تقتصر الأخوة عليهم ويلتزمون هم بها قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] .

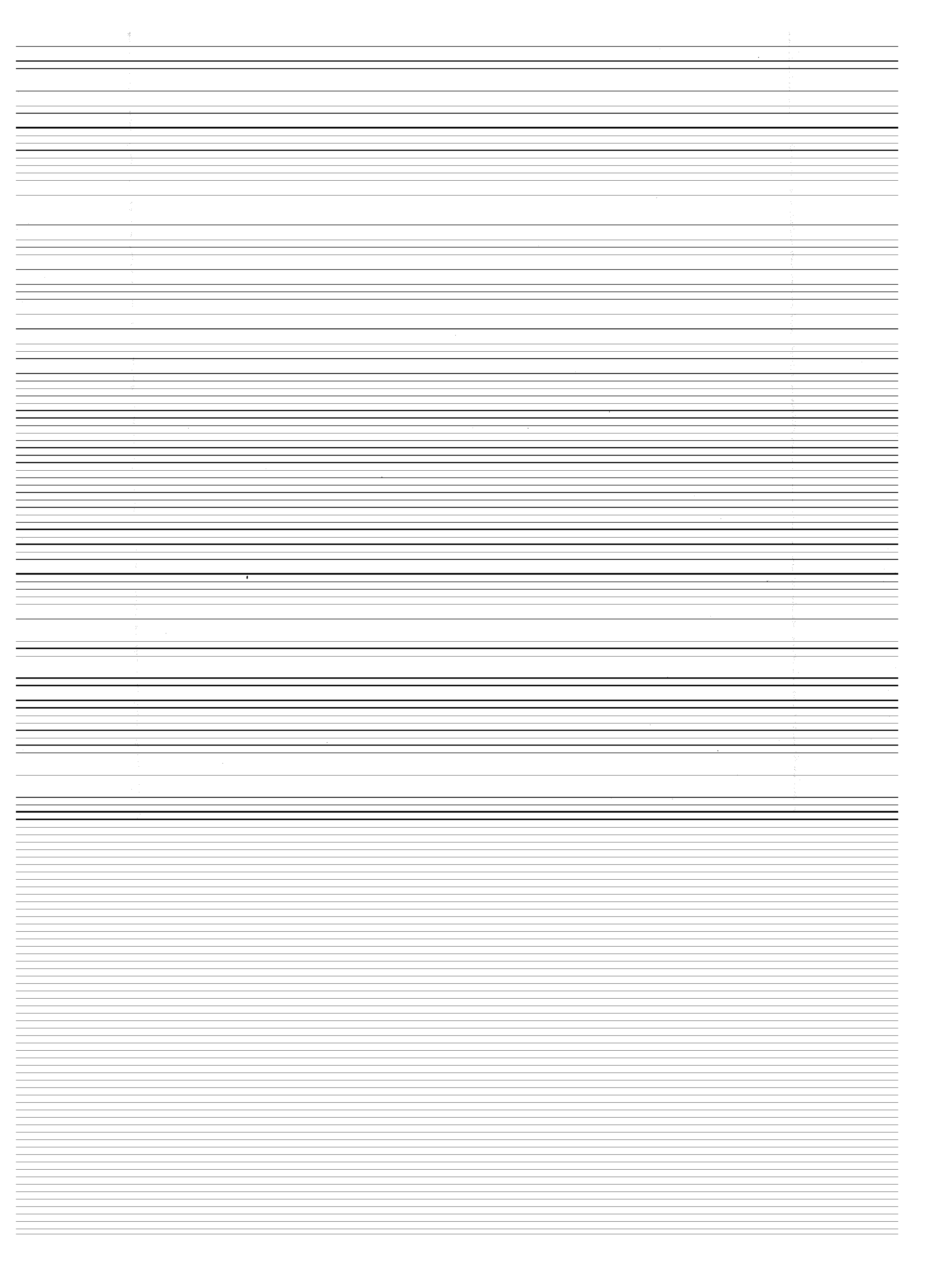
(١) سورة آل عمران : ١٠٣ . (٢) سورة الحجرات : ١٠ .



الفصل الثانى

معـــوقـــات العمـــل

من أجل الإسلام



معوقات العمل من أجل الإسلام

هذا الفصل من هذا الباب الثانى من الكتاب ، تحدثنا عنه فى ثنايا حديثنا عن الفصل الأول وهو أسباب نجاح العمل من أجل الإسلام ، إذ ذكرنا هناك أسباباً سبعة لنجاح العمل الإسلامى وعقبنا على كل سبب بالحديث عن الصوارف عنه أو العقبات والمعوقات التى يبثها الأعداء أمام هذا السبب ، حتى لا يصل العاملون من أجل الإسلام إلى النجاح .

وكان ذلك التعقيب فى تصورنا ضرورياً ، حتى يحذر الآخذون بأسباب النجاح فى العمل الإسلامى من هذه المعوقات والعراقيل وكان ذلك اجتهاداً منا ، خالفنا فيه ما نتبعه منَ منهج فى التأليف ، كى نطمئن إلى أن هذه المعوقات غير غائبة عن تفكير العاملين من أجل الإسلام ، ولو كان هذا الغياب لساعات يقرأ فيها أسباب النجاح .

ومن أجل الخضوع لمنهجية التأليف ذكرنا هذا الفصل على حدة ، وإن كنا سوف نسرد فيه وفق ترتيب معين يجمع شتات ما تحدثنا عنه من معوقات فى الفصل الأول من هذا الباب ، والله ولى التوفيق .

وما على القارىء إلا أن يستحضر ما تحدثنا عنه من عقبات وصوارف ومعوقات ، لتجتمع فى ذهنه أطراف الصورة وتكتمل دون حاجة إلى إعادة الكلام بجزئه عما كان فيه من سياق الحديث عن الأسباب .

ومجمل هذه المعوقات للعمل الإسلامى التى يبثها أعداء الإسلام صرحاء وغير صرحاء هى فى الخطوط العريضة التالية[1] :

- العقبات التى يبثونها فى فكر الأمة المسلمة وثقافتها وأدبها ولغتها حتى يتبلبل الفكر وتضعف شخصية المسلم .
- والمعوقات التى يبثونها فى طريق التمسك بأخلاق دين الإسلام وآدابه حتى يشيع

(١) وعلى القارىء أن يعود إلى هذه الموضوعات فى الفصل الأول من هذا الباب ليجد التفاصيل .

الفساد والفواحش .

- والعقبات فى طريق تربية الناشئين والشباب من المسلمين حتى يحولوا بينهم وبين هذه النشأة الصحيحة ليكونوا أمام الأعداء لقمة سائغة وليعطوا ولاءهم – دون أن يدروا – لأعداء دينهم وأمتهم الإسلامية .
- والعقبات التى يبثونها فى النظم الاجتماعية للمسلمين فيما يخص المرأة : سفورها وتحررها من آداب الإسلام ... إلخ .
- والعقبات التى يبثونها فى طريق مواصلة المسلمين للعمل من أجل الإسلام ، وهى الفتور والكسل والقعود عن العمل ، وتزيين ذلك للمسلمين ؛ فتشجيعهم على التعلق بأعراض الدنيا وخشية العنت والمشقة وتخويفهم بالظلم الذى يقع عليهم ، وحرمانهم فى التعليم من العلم الذى يزيل عن عقولهم سوء الفهم وضحالة الفقه لأن مقاليد التعليم فى العالم الإسلامى إما بيد أعداء الإسلام أو بيد أولياء هؤلاء الأعداء من المسلمين ، سواء أحسَّ هؤلاء الأولياء بتخريبهم لعقول أبنائهم بتلك المناهج التعليمية القاصرة أو لم يحسوا .
- ولقد ترتب على سوء مناهج التعليم أن أصبح المتعلمون فى العالم الإسلامى يسيئون فقه الموازنات ويغيب عنهم فقه الأولويات .
- ولقد حرص الأعداء على أن يجعلوا المسلمين ينظرون إلى الواقع الذى يعيشه العالم الإسلامى بتشاؤم ، وعلموهم كيف يضخمون من أخطاء العمل والعاملين من أجل الإسلام كأن هؤلاء العاملين من أجل الإسلام يجب أن يكونوا من المعصومين !!!
- والصوارف التى وضعها الأعداء فى طريق المسلمين ليحولوا بينهم وبين الثبات على عقيدة الإسلام ومبادئها ونظمها بل قيمها الأخلاقية كلها .

وهذه الصوارف – كما قلنا وفصلنا – أخذت خطين متوازيين متواكبين هما :

أ – الترغيب فى عدم الثبات على العقيدة والمبدأ ، عن طريق :

- تزيين النظريات المعادية للإسلام لخداع المسلمين عما لديهم من نظريات صحيحة للحياة والأحياء .

- وإغراء المسلمين برفاهية العيش والتطلعات إلى أسباب التنعم ، مما ينسى الحق ويضل عن الهدف .
- وتدبير الثوارت العسكرية والانقلابات ضد أى أمة مسلمة تحاول أن تتمسك بمنهج الإسلام فى الحياة ، وسيطرة النظم الشمولية الظالمة على معظم أقطار العالم الإسلامى .
- والمساندة والتأييد لأى نظام بعيد عن الإسلام مساندة مادية ومعنوية ، وأحياناً عسكرية .
- والتظاهر أمام قصار النظر من الحكام المسلمين بأن هؤلاء الأعداء يسهمون فى حل المشكلات الآنِيَّة فى المجتمعات المسلمة ، كمشكلات الفقر والجهل وتفشى الأمراض ، ومشكلات سوء طرق النقل ووسائله ، وتطوير البنية الأساسية والإسهام فى بناء المدن الجديدة ، وأقول التظاهر بالإسهام فى حل هذه المشكلات ، لأن الحقيقة هى أنهم لا يقدمون شيئاً إلا بأبهظ الأثمان وبالديون الفادحة والفوائد الربوية القاهرة .

ب - والترهيب من الثبات على عقيدة الإسلام ومبادئه ونظمه وقيمه ، وذلك عن طريق ما يلى :

- اتهام الإسلام عقيدة ومبدأ ونظاماً وقيماً أخلاقية بالجمود والرجعية والقدامة والبلى والعجز عن مواكبة المتغيرات والاستجابة لمتطلبات الحياة .
- وتخويف المسلمين من الفقر إن هم لم يستعينوا بأموال هؤلاء الأعداء وخدماتهم وديونهم ، بحجة أن المسلمين يعيشون واقعاً سيئاً بسبب تمسكهم بالإسلام !!!
- وتخويف المسلمين من أحكام الإسلام ونظامه فى مسألة الحدود الشرعية من جلد وقطع ليد السارق وقتل ورجم .
- وتشويههم لنظام الأسرة ونظام التربية فى الإسلام ، بل والنظام الاجتماعى كله والنظم السياسى والاقتصادى .

- وتحدى الأعداء وأوليائهم لمن يتمسكون بالإسلام ، بشن حملات التشويه والتضليل والتهجم على القرآن الكريم والسنة النبوية وشخص الرسول ﷺ .

- وضربهم للحركات الإسلامية فى كل مكان تظهر فيه ، وتحالف الأعداء وأوليائهم على ذلك .

وبعد ، فتلك صورة مجملة لمعوقات العمل من أجل الإسلام قد فصلنا أبعادها فى ثنايا الفصل الأول من هذا الباب ، والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الباب الثالث

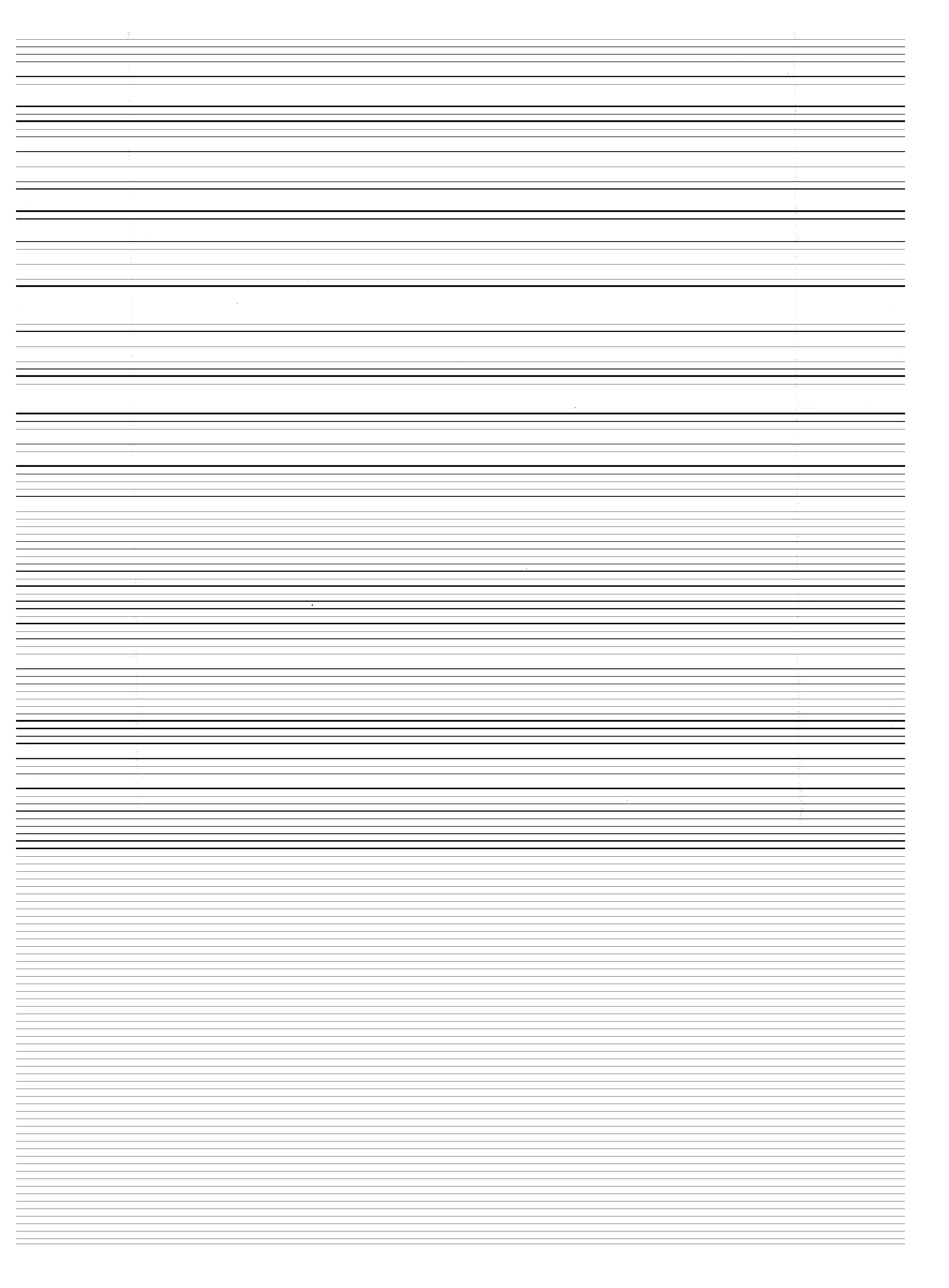
توظيف الأخوة فى الإسلام
لصالح العمل الإسلامى

ويتناول :

التمهيـــد :

والفصل الأول : توظيف الأخوة على مستوى الأفراد .

والفصل الثانى : توظيف الأخوة على مستوى المجتمع .



التمهيـــد :

بحول الله وقوته وتوفيقه نحاول فى هذا الباب الثالث من الكتاب ، أن نخرج من دائرة النظرية التى أوسعنا فيها القول فى البابين الأول والثانى إلى مجال التطبيق العملى لهذه الأخوة فى الإسلام .

وهذا الخروج من حيز النظرية إلى مجال التطبيق هو المكمل للكتاب أو المتمم له ! إذ لا جدوى من الأخوة فى الإسلام إلا إذا أخذت طريقها إلى حيز الممارسة والتطبيق .

ومن أجل هذا سمينا هذا الباب : « توظيف الأخوة فى الإسلام لصالح العمل الإسلامى » أى جعلها وظيفة وعملاً يؤدى من أجل الإسلام ، إذ التوظيف تعيين العمل اليومى للموظَف ليقوم به كما يفهم ذلك من معاجم اللغة العربية .

ويقوم هذا الباب على فصلين :

الأول منهما : يتناول الحديث عن توظيف الأخوة فى الإسلام على مستوى الأفراد ، ويتفرع فيه الحديث إلى نقطتين :

إحداهما : توظيف الأخوة وفق مقتضيات العمل الإسلامى ، وفق شروط الأخوة وآدابها ، مع ذكر نماذج عملية من تاريخنا لهذه الأخوة الإسلامية .

والثانية : هى الالتزام بصبغة الإسلام بالنسبة للفرد فى القول والصمت والعمل والترك .

وأما الفصل الثانى : من هذا الباب فقد تحدثنا فيه عن توظيف الأخوة فى الإسلام على مستوى المجتمع ، واشتمل على ثلاث نقاط :

الأولى : فى الصبغة الإسلامية للمجتمع ونوضح أنها تتمثل فى أمرين هامين هما :

الإيجابية فى ممارسة الحياة الاجتماعية ، بحيث لا يقبل من مسلم أن يكون سلبياً أو غير مهتم أو غير مبال بما يحيط به لما فى ذلك من مخالفة لكثير من النصوص الإسلامية .

والأمر الثانى هو الغيرة على محارم الله أن تنتهك أو تضيع فى المجتمع المسلم .

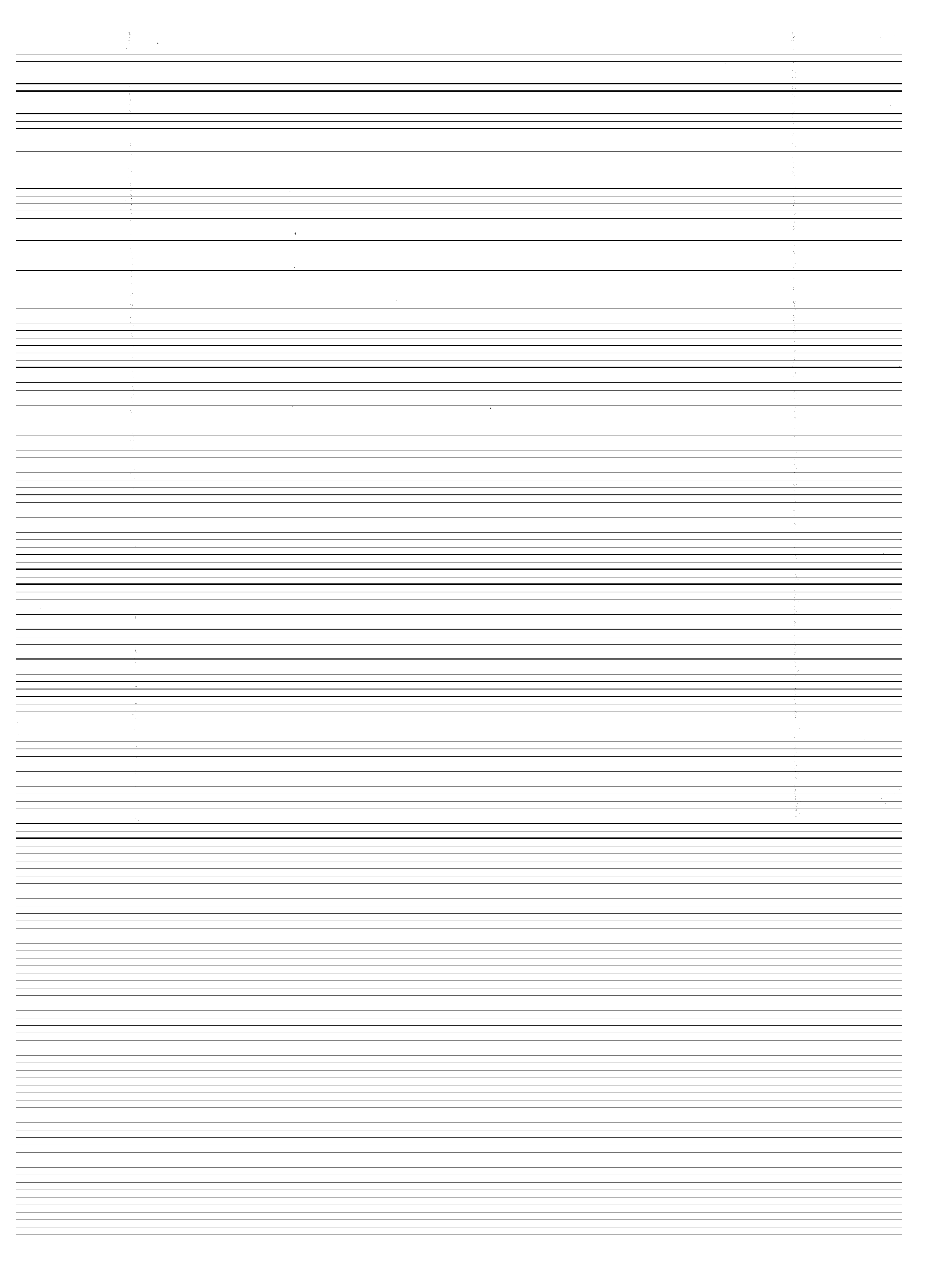
وفى النقطة الثانية : من هذا الفصل تحدثنا عن التعاون على البر والتقوى فى المجتمع ليكون مجتمعاً مسلماً حقاً ، فتحدثنا عن مفهوم التعاون على البر والتقوى ومفرداته فى مجال العمل الإسلامى ، وفصلنا فى ذلك ما وسعنا التفصيل ، وأكدنا على ضرورة أن يطبع البيت المسلم – وهو نواة المجتمع المسلم – بطابع إسلامى فى مظهره وجوهره ومن يعيشون فيه .

وفى النقطة الثالثة : من هذا الفصل تحدثنا عن التحدى الذى كتب على العمل الإسلامى أن يواجهه من أعدائه اليوم ، فأوضحنا أنواع هذا التحدى ورصدنا منها التحدى الفكرى والثقافى والاقتصادى والسياسى والحضارى بصورة عامة ثم تحدثنا عن تصور لنا لكيفية المواجهة لهذه التحديات بخلق الإسلام وأدبه ، من أجل الانطلاق بالعمل الإسلامى نحو أهدافه .

والله سبحانه هو الموفق المعين .

الفصل الأول

توظيف الأخوة فى الإسلام
على مستوى الأفراد



توظيف الأخوة فى الإسلام على مستوى الأفراد

للفرد أو الأفراد واجبات ينبغى أن يلتزم بأدائها ، فإن فعل فقد دفع بالعمل الإسلامى نحو النجاح والفلاح بل دفع نفسه نحو رضا الله سبحانه عنه وعن عمله .

ولا يستطيع الفرد أن يؤدى هذه الواجبات إلا إذا عرفها وعرف مكانها ومكانتها من العمل الإسلامى ، أو شعر أنها وظيفة بالنسبة له يؤديها على وجهها فوق مقتضيات العمل ومتطلباته ، ووفق قدراته هو وإمكانياته حيث لا يجوز له أن يكلف نفسه وفق طاقتها .

والأخوة فى الإسلام يجب أن توظف التوظيف الصحيح بحيث يشعر الفرد أو الأفراد أن القيام بأعباء الوظيفة هو الأصل وأن القعود عنها أو عن بعضها أو التقصير أو التراخى أو الفتور فى أدائها ، يقعد بالعمل الإسلامى عن بلوغ أهدافه ، بل يحول بين المسلمين وبين أن تكون لهم حكومة إسلامية تطبق شرع الله على عباد الله .

وما أتى المسلمون من مقتل فى تاريخهم إلا يوم غاب عنهم فقه الأخوة فى الإسلام وضيعوا وظائفها .

إن الأفراد إذا أدوا وظائف الأخوة فى الإسلام يسروا للمجتمع كله أن يؤدى وظائف هذه الأخوة ، فما المجتمع فى تحليله وتفسيره إلا مجموعات من الأفراد .

وإن الفرد المسلم مكلف بأعمال عديدة واجبة الأداء بعضها نحو ربه وخالقه سبحانه وتعالى ، وبعضها نحو نفسه ، وبعضها نحو أخيه المسلم .

وكل عمل من هذه الأعمال يسهم بشكل مباشر فى بناء شخصية الفرد ، كما يسهم بالتالى فى بناء المجتمع المسلم المنشود ، بل وفى قيام الحكومة الإسلامية التى تحكم بما أنزل الله .

ومن أجل توضيح ذلك كله يجىء حديثنا فى هذا الفصل فى نقطتين اثنتين هما :

- توظيف الأخوة فى الإسلام وفق متقضيات العمل من أجل الإسلام .
- والتزام الفرد بصبغة الإسلام فى القول والعمل حتى يكون المسلم مسلماً حقاً .

وبالالتزام بهاتين النقطتين وتطبيقهما عملياً تخرج الأخوة فى الإسلام من حيز النظرية إلى حيز التطبيق والتنفيذ ، والعمل بإذن الله تبارك وتعالى .

١ - توظيف الأخوة فى الإسلام وفق متقضيات العمل من أجل الإسلام

الأخوة فى الإسلام ليست كلمة تقال ، ولا هى معنى نظرى أو فكرة تجريدية ، وإنما هى نظرية يعبر عنها بالتطبيق وفكرة لا تثمر إلا إن وجدت المجال الذى تتحول فيه إلى عمل .

إن الأخوة فى الإسلاح يجب - بناء على ذلك الجانب العملى منها - أن توظف وفق متقضيات العمل الإسلامى ، وهذه المقتضيات كثيرة ، وكل منها لا يمكن تطبيقه إلا بالأخوة فى الإسلام .

ومن أبرز هذه المقتضيات ما يلى :

- توظيف الأخوة فى الإسلام وفق شروطها .
- والتزام الأخوة الإسلامية بآدابها .
- والتأسى بما كان بين المسلمين من نماذج للأخوة فى عهد النبى ﷺ وصحابته وتابعيهم إلى يومنا هذا .

وهذه هى التى تيسر على الإسلام والمسلمين فى عصرنا هذا تكوين القيادات الإسلامية فالحكومة الإسلامية التى هى هدف المسلمين فى كل زمن يفتقدونها فيه .

إن التطبيق العملى للأخوة فى الإسلام هو الذى يحقق مقتضيات العمل من أجل الإسلام ، وذلك أن هذه الأخوة فى الإسلام هدف فى حد ذاته كما هى وسيلة لتحقيق مقتضيات الإسلام والعمل من أجل الإسلام .

إن الأخوة فى الإسلام وفق شروطها وآدابها هى من أهم أسباب تحقيق كل ما يقتضيه العمل الإسلامى من مفردات وتفاصيل .

ومن أجل ذلك نتحدث عن مقتضيات للعمل الإسلامى لا يمكن أن يتحقق إلا بها ، وهى ما يلى :

أولاً : توظيف الأخوة فى الإسلام وفق شروطها :

العمل من أجل الإسلام عقيدة أو عبادة أو عمل وسلوك لا يربو ولا يزكو إلا إذا أحيط بسياج متين من الأخوة فى الدين .

التآخى فى الإسلام هدف كبير وواجب ضخم لا يتم العمل الإسلامى إلا به - ومن المعروف أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب -

والتآخى فى الإسلام عمل جليل يقوم كسائر الأعمال فى الإسلام على الالتزام بالشروط الذى وضعت له ، ولو أصبح المسلمون إخواناً فى الله لسهل عليهم شق طريق العمل من أجل الإسلام مهما كانت تلك الطريقة صعبة أو بعيدة الغاية لأن اختيار الرفيق يعين على التغلب على متاعب الطريق .

ومن أجل ذلك كانت الأخوة فى الإسلام من أبرز أعمال النبى ﷺ بعد أن استقر فى المدينة المنورة بعيد هجرته إليها .

فقد ذكرت كتب السنة والسيرة النبوية أن رسول الله ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار ، أى آخى بين المسلمين جميعاً فى المدينة المنورة ، لأنه لم يكن من المسلمين إلا من دخل فى هذه المؤاخاة ، إذ كان المهاجرون والأنصار هم جميع المسلمين .

روى ابن هشام « قال : قال ابن إسحق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار - فيما بلغنا - ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - : « تآخوا فى الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : هذا أخى ، فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب أخوين .

وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة أخوين ،

وكان جعفر بن أبى طالب - وكان يومها غائباً فى الحبشة - ومعاذ بن جبل أخوين .

وكان أبو بكر الصديق وخارجة بن زهير أخوين .

وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين .

وكان أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين .

وكان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين .

والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة بن وَقشْ أخوين .

وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر (أخو بنى النجار) أخوين .

وسعد بن زيد بن نفيل وأبى بن كعب أخوين .

ومصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين .

وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعباد بن بشر بن وقْش أخوين .

وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين .

وأبو ذر الغفارى والمنذر بن عمرو أخو بنى ساعدة أخوين .

وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين .

وسلمان الفارسى وأبو الدرداء أخوين .

وبلال مؤذن الرسول ﷺ وأبو رويحة أخوين .

فهؤلاء من سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من الصحابة رضى الله عنهم »[1] .

هكذا كان اهتمام رسول الله ﷺ بالمؤاخاة بين المسلمين ، حيث عقد هذه المؤاخاة بينهم بعد استقراره فى المدينة المنورة مباشرة .

ثم أكد الرسول ﷺ هذه الأخوة وأوضح واجباتها ، وبدأ المسلمون فى ممارسة هذه الواجبات على النحو الذى سنذكره فى النماذج التى سنسوقها بعد قليل .

ومما زاد هذه الأخوة تأكيداً أن رسول الله ﷺ اعتبر المسلمين المؤمنين أمة واحدة دون سائر الناس جب عليهم واجبات وسجل ذلك فى وثيقة وردت فى كثير من كتب السنة والسـ ـه وكتب التاريخ .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ١ / ٥٠٨ ط الحلبى القاهرة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥م .

وقد جاء فى هذه الوثيقة ما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم – هذا كتاب محمد النبى – ﷺ – بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم :

– أنهم أمة واحدة من دون الناس ..
– وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل .
– وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .
– وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[2] ظلم ، أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد واحد منهم .
– وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .
– وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .
– وأن المؤمنين يبيىء[3] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله .
– وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .
– وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .
– وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله وإلى محمد – ﷺ »[4] .

هذا الجزء من الوثيقة النبوية الجامعة يؤكد الأخوة بين المسلمين بتأكيد أن المسلمين المؤمنين أمة واحدة من دون الناس .

---

(١) المُفْرَح : الذى أثقله الدين . (٢) دسيعة ظلم : أى طلب عوناً على وجه الظلم .
(٣) يبيىء بعضهم عن بعض : أى يحمل بعضهم عن بعض .
(٤) د . محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهدين النبوى والخلافة الراشدة ط ٣ دار الإرشاد بيروت : ص ٣٩ وما بعدها باختصار ...

وهذا التآخى فى الله يخضع لمجموعة من الحقوق والواجبات - تحدثنا عنها فى الباب الأول من هذا الكتاب .

ولأن هذه الأخوة فى الإسلام تنتفى بفقد شروطها وتضعف وتهزل بفقد آدابها ، كان لابد لنا من حديث عن الشروط والآداب فى مجال التآخى فى الإسلام ، محاولين سرد الشروط على حدة ، وعَدَّ أكبر عدد من الآداب على حدة كذلك ، لتستقيم فقه الأخوة فى الإسلام وليعرف كيف تدخل الأخوة فى مجالها العملى التطبيقى .

*** بين الشروط والآداب فى التآخى :**

من المعروف فى شريعتنا الإسلامية أن الشرط فى عمل من الأعمال هو ما لا يتم العمل إلا به كشرط الطهارة - ثوباً وبدناً ومكاناً - لاستباحة الصلاة ، حيث لا تصح الصلاة إلا أن يكون المصلى قد استوفى شرط الطهارة .

وهكذا فى كثير من الأعمال التى أوجبها الإسلام وشرط لأدائها شروطاً .

أما الأدب فى عمل من الأعمال التى شرعها الإسلام فهو من مكملات هذا العمل حتى يصبح على أحسن صورة وأرضاها لله تعالى ، فالآداب هى المكملات أو الأمور التى ندبت إليها الشريعة وحببت فيها ولم توجبها .

وعلى ضوء هذه التفرقة بين الشروط والآداب نستطيع أن نتحدث عن نقطتين هامتين هما :

- توظيف الأخوة وفق شروطها .
- وتوظيف الأخوة وفق آدابها .

ثم نضرب لذلك الأمثال بذكر نماذج من هذه الأخوة الإسلامية فى تاريخنا الإسلامى المشرق فى عهد النبى ﷺ وصحابته رضوان الله تعالى عليهم .

ومما نذكر فى توظيف الأخوة فى الإسلام وفق شروطها ما يلى :

- أن هذا التآخى فى الإسلام يجب أن يحدث بين المسلمين رابطة خاصة تميزهم فى علاقتهم عن سائر الناس ، إذ المسلمون أمة واحدة من دون الناس ، وبغير هذه الرابطة لا تكون أخوة فى الإسلام ، وأوضح ما يكون هذا الشرط عند

النوازل والحروب ونحوها.

- وأن من شروط الأخوة فى الإسلام ألا يتخلى الأخ عن أخيه إن كان أخوه مديناً أو محتاجاً إلى مال ، حيث توجب الشريعة دفعه وهو لا يملكه مثل مال الفداء والعاقلة – فإن شرط الأخوة عندئذ أن يؤدى الأخ عن أخيه هذا المال فى حدود وسعه .

- ومن شروطها أن يكون المسلم مع أخيه فى الإسلام ضد أى مسلم يبغى ظلماً أو رغبة فى الحصول على ما ليس من حقه ، أو يحاول أن يظلم أحداً أو يعتدى عليه ، ولو كان المظلوم من غير المسلمين ، أو يحاول الإفساد بين المسلمين ...

شرط الأخوة أن يكون الأخ المسلم ضد من يطلب شيئاً من ذلك كله ، ولو كان هذا الطالب ولد أحد المسلمين .

- ومن شروط الأخوة ولاء الأخ لأخيه فى الإسلام ، وهو النصرة والمعونة فى كل المواقف والأمور التى يستتبعها هذا الولاء .

- ومن شروط هذه الأخوة أن يكون المتآخون فى الإسلام على أحسن هدى وأقومه ، أى ملتزمين بما أمر الله أن يلتزم به المؤمنون .

ومعنى ذلك أنه يخل بهذه الشروط أن يتفق المسلمون على شر أو حرام أو شىء مما نهى الله عنه من إثم أو عدوان .

- ومن شروطها أن يرجع المتآخون فى الله دائماً إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا اختلفوا فى شىء ، وليس لهم أن يحتكموا إلى غير ذلك من عادات وتقاليد ونزعات عرقية أو نحوها ، وإلا أخلوا بشروط الأخوة فى الله .

- ومن شروط الأخوة التعاون على البر والتقوى كلما وجد المسلمون إلى ذلك سبيلاً – والبر ما يحقق مصالح الناس ويرضيهم والتقوى هى ما يرضى الله تبارك وتعالى ، فمن الأخوة الانطلاق إلى أعمال البر والتقوى دون تراخ أو فتور .

- ومن شروط الأخوةفى الإسلام أن يحسن الأخ الظن فى أخيه وأن يستر عليه عيبه ، وأن يرد غيبته وأن يحسن إليه وأن يزوره ويعوده ويهدى إليه ، ولا يبيع على بيعه

ولا يخطب على خطبته ولا يهجره فوق ثلاث ، وألا يضاره فى شيء ولا يهدده ولا يروعه جاداً أو مازحاً وألا يعيره ، وأن يقضى حاجاته وأن ينصحه وأن يعلمه ، وأن يكون وفياً معه وأن يخفف عنه ما استطاع ، وأن يدعو له فى حياته وبعد مماته ، وقد أوسعنا هذه الواجبات حديثاً فى الباب الأول من هذا الكتاب وأصّلنا ذلك كله بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ .

ونقول هنا : إن الإخلال بشيء من تلك الواجبات إخلال بالأخوة وهدم لها .

ولعل ذلك هو السبب فيما نراه الآن من تآكل معانى الأخوة وضياع كثير من حقوقها وواجباتها بين المسلمين مما أدى بهم إلى الضعف والتخاذل والتراجع الحضارى فى كثير من مجالات الحياة[1] .

ثانياً : توظيف الأخوة فى الإسلام وفق آدابها :

إذا كان ما ذكرناه آنفاً هو شروط الأخوة فى الإسلام ، فإن هناك آداباً للأخوة تكملها وتجعل العمل فى مجالها أرضى لله تبارك وتعالى .

وهذه الآداب وإن كانت أقل من الشروط على نحو ما فرقنا بينهما إذ هى مكملات وتلك أسس وأركان إلا أن الأخذ بهذه الآداب يؤكد معانى الأخوة ويصل بها إلى أعلى مستوياتها ويثرى العمل الإسلامى كله ويدفع به نحو التقدم فى طريق تحقيق الأمل والهدف .

وهذه الآداب حبَّبَ فيها الإسلام وإن كان لم يوجبها وإنما ندب إليها ، مع التسليم بأن كل من أخذ بهذه الآداب نفسه فهو بذلك فى منزلة رفيعة عند الله وعند إخوانه ، بل عند الناس جميعاً .

إن هذه الآداب فى جوهرها جملة وتفصيلاً مكملة للإيمان مقوية له ، مقربة من رضا الله ورحمته وعونه وتوفيقه ، ونَوَدّ أن نشير إلى بعض هذه الآداب ، وإن كانت وردت فى بعض ما تحدثنا عنه من الحقوق والواجبات فى الباب الأول من هذا الكتاب عَرَضا – فمن هذه الآداب ما يلى :

---

(١) للتوسع : انظر لنا : التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطرق التغلب عليه – نشر دار الوفاء ١٤١٣ هـ .

١ - التواصى بالحق وبالصبر :

من آداب المتآخين فى الإسلام أن يتواصوا فيما بينهم بالحق ، أى يوصى بعضهم بعضاً بذلك ، والحق هو التوحيد أو هو القرآن الكريم أو هو الله عز وجل ، كما قال بذلك ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والسدى رحمهما الله تعالى .

ويرى بعض العلماء أن التواصى بالحق هو التواصى بكل ما هو حق وحسن وجميل .

ومن أدب الأخوة فى الإسلام أن يتواصى الإخوة فيما بينهم بالصبر .

والصبر يكون على طاعة الله فإن للطاعة والالتزام شدة ينبغى التواصى بالصبر عليها طمعاً فيما عند الله تعالى .

والصبر يكون عن المعاصى التى نهى الله عنها ، فإن لهذه المعاصى تقبل فى غرائز الإنسان وشهواته ، وحرمان النفس منها أى من هذه الشهوات عمل صعب يحتاج إلى الصبر .

والصبر يكون على تحمل ما يصيب المؤمن من بلاء ومصائب يتعرض لها الإنسان فى السراء بالعطاء وفى الضراء بالمنع والحرمان ، وكل محاولة للتغلب على ذلك تحتاج إلى الصبر .

والصبر يكون على ما يصيب المؤمن من محن وابتلاء فى سبيل الله وفى سبيل الحق الذى يدعو إليه ، وتلك سنة الله فى دعاة الحق ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

والصبر على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحمل ما يمكن أن يتعرض له الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر من متاعب ومصاعب وألوان من الأذى .

وأهم أنواع الصبر فى مجال العمل من أجل الإسلام هو الصبر مع الله أى حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، وقد قال الله تعالى فى ذلك : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١] .

---

(١) سورة آل عمران : ٢٠٠ .

قال القرطبى : ... ختم الله تعالى السورة بما تضمنته هذه الآية .. من الوصاة التى جمعت الظهور فى الدنيا على الأعداء والفوز بنعيم الآخرة فحض بالصبر بالطاعات وعن المعاصى .. وأمر بالمصابرة .. مصابرة الأعداء ... أو صابروا الوعد الذى وعدتم أى لا تيأسوا وانتظروا الفرج قال ﷺ : « انتظار الفرج بالصبر عبادة »[1] .

إن الأخ المسلم لكى يخرج بنفسه وأخيه من دائرة الحرج فإن عليه أن يتواصى مع أخيه بكل ما هو حق وكل ما هو حسن وجميل ، سواء أكان ذلك من أعمال القلب أو أعمال اللسان أو أعمال الجوارح ، وأن يتواصى بالصبر على ذلك كله .

وإذا كان الناس ممن لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه فى خسران وهلاك وغبن وعقوبة من ذنب ، ونقص ، فإن المؤمنين الذين أخلصوا العبادة لله ، وعملوا الصالحات أى أدوا ما فرض الله عليهم ، وتحابوا أى أوصى بعضهم بعضاً بالحق والصبر هم الذين استثناهم الله تبارك وتعالى ممن هم فى خسران قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[2] .

٢ - وحسن الرعاية والتفقد :

إن من حسن رعاية المسلم لأخيه فى الإسلام ومن حسن تفقده أن يرعى فيه ما طالبه به رسول الله ﷺ برعايته ، فقد روى البخارى بسنده عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن للمسلم على أخيه ستُّ خصال واجبة إن ترك منها شيئاً فقد ترك حقاً واجباً لأخيه عليه :

يسلم عليه إذا لقيه ،

ويجيبه إذا دعاه ،

ويشمته إذا عطس ،

ويعوده إذا مرض ،

---

(١) القرطبى تفسيره : ٢ / ١٥٦٤ ط الشعب القاهرة .　　(٢) سورة العصر كلها .

ويحضره إذا مات ،
وينصحه إذا استنصحه » .

ومن حسن رعاية المسلم لأخيه المسلم وحسن تفقده له أن يعمل بل يبادر إلى سد حاجاته ، فقد أخرج الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « ما أدرى أى النعمتين أعظم على منةً ، من رجل بذل مصاص وجهه إلىّ فرآنى موضعاً لحاجته وأجرى الله قضاءها أو يسَّره على يدىّ ، ولأن أقضى لامرىء مسلم حاجة أحبّ إلىّ من ملء الأرض ذهباً وفضة »[1] .

وأخرج البيهقى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان معتكفاً فى مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئباً حزيناً قال نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ ، لفَلان علىّ حق ولاءٍ وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه ، قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ولكنى سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب ، فدمعت عيناه — وهو يقول : « من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى ، جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين »[2] .

وأخرج أبو يعلى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يؤاخى بين الاثنين من أصحابه ، فتطول على أحدهما الليلة حتى يلقى أخاه فيلقاه بود ولطف فيقول: كيف كنت بعدى ؟ وأما العامة فلم يكن يأتى على أحدهما ثلاث لا يعلم علم أخيه » .

وأخرج الطبرانى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال لأصحابه حين قدموا عليه : هل تَجَالَسون ؟ قالوا : لا نترك ذلك . قال : هل تزاورون ؟ قالوا : نعم يا أبا عبد الرحمن ، إن الرجل منا ليفقد أخاه فيمشى على رجليه إلى آخر الكوفة حتى يلقاه ، قال : إنكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك » .

وأخرج البخارى بسنده عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال : آخى النبى ﷺ

---

(١) على المتقى البرهان فورى : كنز العمال : ٣ / ٣١٧ ط الرسالة .
(٢) المنذرى : الترغيب والترهيب : ٢ / ٢٧٢ .

بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنه ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء رضي الله عنها متبذلة فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليست له حاجة فى الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال : كل ، قال إنى صائم ، قال ماأنا بآكل حتى تأكل فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم فقال : نم ، فنام فلما كان من آخر الليل قال سلمان قم الآن ، فصليا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حق حقه ، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال النبى ﷺ صدق سلمان » .

وأخرج البخارى فى الأدب المفرد بسنده عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت : زارنا سلمان رضى الله عنه من المدائن إلى الشام ماشياً وعليه كساء « أَنْدَرَوُذَد » — وهو نوع من السراويل مشمر يغطى الركبة » .

٣ – والتكـافـل :

إن المفهوم المباشر للتكافل هو أن يحمل الأخ المسلم عبء أخيه فى الإسلام متقرباً بذلك إلى الله سبحانه طامعاً فى رضاه ، وداعماً لمعنى التآخى فى الإسلام ومخرجاً له من حيز النظرية والكلام إلى مجال العمل والتطبيق .

وللتكافل فى الإسلام أكثر من معنى ، وهو فى كل معانيه يوجب عبئاً على الأخ نحو أخيه فى الله .

● فمن التكافل سؤال الأخ عن أخيه وزيارته ، والقيام بما يوجبه ذلك من المحبة والود والاعتناء بشأنه كله ، قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1] والتراحم بين الإخوة فى الله يستوجب كثيراً من المجاملات والرعاية والاهتمام .

● ومن التكافل بين الإخوة المبادرة إلى المساعدة كلما كان الأخ فى حاجة أو فى حاجة إلى عون أخيه له ، دون أن يطلب ذلك منه ، فضلاً عن قصده ورجائه — كما يحدث الآن إذ يتشفع الأخ إلى أخيه بطرف ثالث — !!!

(١) سورة الفتح : ٢٩ .

إن على الأخ أن يبذل جهده ووقته وماله وجاهه ويضحى بكل ذلك أو ببعضه من أجل قضاء حاجة أخيه ومساعدته . روى الشيخان بسنديهما عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبّك بين أصابعه » .

وروى الشيخان بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

● ومن التكافل أن ينصر الأخ أخاه ظالماً أو مظلوماً ، روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً ، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » .

وهذا يوجب على الأخ نحو أخيه فى الإسلام تضحية وتحملاً لكثير من المتاعب ، بل ربما المصاعب والمشقات ، لكن ذلك هو التكافل المطلوب الذى يدعم الأخوة ويقويها ويمكنها من تحقيق أهدافها وأهداف العمل الإسلامى .

٤ - والإيثار :

آثر الأخ أخاه أى اختاره وفضله على نفسه ، ومنه قول الله سبحانه وتعالى فى وصف الأنصار رضى الله عنهم : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

روى الواحدى بسنده - فى كتابه أسباب النزول - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دفع إلى رجل من الأنصار رجلاً من أهل الصُّفَّة ، فذهب به الأنصارى إلى أهله ، فقال للمرأة هل من شىء ؟ قالت : لا إلاَّ قُوتَ الصبية ، قال فنوميهم ، فإذا ناموا فأتينى ، فإذا وضعت - الطعام - فأطفىء السراج ، قال ففعلت وجعل الأنصارى يقدم إلى ضيفه ما بين يديه ، ثم غدا به إلى رسول الله ﷺ فقال :

(١) سورة الحشر : ٩ .

لقد عجب من فعالكما أهل السماء » ونزلت « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ».

ورواه البخارى أيضاً بسنده عن أبى هريرة ، ورواه مسلم كذلك »[1] .

« وروى الواحدى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأسُ شاة فقال : إن أخى فلاناً وعياله أحوج منى إلى هذا ، فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أهل أبيات حتى رجعت إلى أولئك ، قال فنزلت ويؤثرون على أنفسهم إلى آخر الآية »[2] .

وقال بعض أسلافنا من المسلمين : الكريم مَنْ بَنَى الدار لضيفانه وإخوانه ، واللئيم من بناها لنفسه .

ويقال : صاحب الإيثار يؤثر الشبعان على نفسه ، وهو جائع .

ويقال : من ميز بين شخص وشخص فليس بصاحب إيثار حتى يؤثر الجميع دون تمييز .

ويقال : الإيثار أن ترى ما بأيدى الناس لهم ، وأن ما يحصل فى يدك ليس إلا كالوديعة والأمانة عندك تنتظر الإذن فيها .

ويقال : من رأى لنفسه ملكاً فليس من أهل الإيثار .

ومن كان من هؤلاء فقد وقى شح نفسه ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، أى من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح .

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحشَ ولا التفحش ، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » .

وأخرج الطبرانى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم ، وإنا فى زمان الدينار الدرهم

(١) الواحدى : أسباب النزول : ٣١٣ . ط هندية بمصر ١٣١٥ هـ . (٢) السابق : ٣١٤ .

أحب إلينا من أخينا المسلم » .

إن هذا الإيثار بتلك المعانى العملية التطبيقية هو المطلوب من الأخ نحو أخيه فى الإسلام .

إن على الأخ أن يؤثر أخاه فيفضله على نفسه عندما يكون هناك خير ينال ، مادياً كان ذلك الخير أم معنوياً ، وعليه أن يؤثره فيتحمل عنه المشاق والمتاعب ، أيا كانت هذه المتاعب مادية أو معنوية وفى أى مجال كانت من مجالات العمل الإسلامى .

إن تلك هى الأخوة فى الإسلام كما كانت وكما يجب أن تكون ، وإن المسلمين بهذه الأخوة جديرون بأن يتنزل عليهم النصر ، لأنهم بهذه الأخوة ، وفق حقوقها وواجباتها وشروطها وآدابها يستكملون صفات الإيمان ، ونحن نعرف أن النصر وعد من الله للمؤمنين ، كما نعرف معرفة أكيدة أن العمل من أجل الإسلام يواجه معارك يفرضها على المسلمين أعداؤهم ، وأن خير استعداد لمواجهة هذه المعارك وإحراز النصر فيها هو الإيمان أولاً ثم الأخذ بأسباب القوة ، وإخلاص النية لله فى كل ذلك .

فهل نجد المسلمين اليوم على إعداد واستعداد فى مجال العمل الإسلامى لكى يتم على أيديهم النصر ؟

نسأل الله أن يكونوا كذلك وأن يعز الله بهم الإسلام ويعز بهم شريعة الله سبحانه وتعالى .

ثالثاً : نماذج من التآخى فى الإسلام :

حاولنا أن تكون هذه النماذج – التى نذكرها لنؤكد بها التطبيق العملى للأخوة بين المسلمين – من صحابة رسول الله ﷺ وبخاصة ما كان بين المهاجرن والأنصار ، لأن ذلك أقرب إلى قلوب المسلمين ، وأدل على سرعة الاستجابة وحسن التلقى لكل ما جاء به الإسلام من أحكام وأخلاق وآداب ومن تلك النماذج ما يلى :

● ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنه ، فقال له سعد : أى أخى أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها ، فقال عبد الرحمن : بارك

الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق ، فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشىء من أقط وسمن ، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء عليه ردع زعفران (أى أثر الطيب) فقال رسول الله ﷺ : « مَهْيَم » - كلمة يمانية تعنى : ما أمرك ؟ فقال : يا رسول الله تزوجت امرأة ، قال : ما أصدقْتها ؟ قال : وزن نواة من ذهب ، قال : أو لم ولو بشاة » قال عبد الرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة » .

وكذلك أخرجه البخارى ومسلم عن أنس .

● وأخرج الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنأ (ما جاء بغير مشقة) حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال : لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم » .

● وأخرج الطبرانى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن عمر رضى الله عنه قال يوم أحد لأخيه - زيد - خذ درعى يا أخى ، قال : أريد من الشهادة مثل الذى تريد ، فتركاها جميعاً » .

وأخرجه ابن سعد بسنده فى طبقاته .

وأخرجه أبو نعيم بسنده فى الحلية .

● وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن حبيب بن أبى ثابت أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبى جهل ، وعياش بن أبى ربيعة ارتثوا - وفى رواية أثبتوا (أى جرحوا جراحة لا يقومون معها) فدعا الحارث بماء ليشربه ، فنظر إليه عكرمة ، فقال الحارث ادفعوه إلى عكرمة ، فنظر إليه عياش بن أبى ربيعة ، فقال عكرمة : ادفعوه إلى عياش ، فما وصل إلى عياش ولا إلى أحد منهم حتى ماتوا وما ذاقوه »[1] .

● وروى الحاكم بسنده فى المستدرك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الصُّفَّة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ، فوالله الذى لا إلـٰه إلا هو إن كنت لأعمد بكبدى إلى الأرض من الجوع ، وأَشُدّ الحجر على بطنى من الجوع .

---

(١) الحاكم النيسابورى : المستدرك : ٣ / ٢٤٢ ط دار المعرفة - بيروت .

ولقد قعدت يوماً على ظهر طريقهم الذى يخرجون فيه ، فمر بى أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما أسأله إلا ليستتبعنى ، فمر ولم يفعل .

ثم مَرَّ عمر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما أسأله إلا ليستتبعنى فمر ولم يفعل .

ثم مر بى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى وقال : أبا هريرة ، قلت : لبيك يا رسول الله ، فقال : الحق ، ومضى فاتبعته ، ودخل منزله فاستأذنته فأذن لى ، فوجد لبناً فى قدح ، فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقيل أهداه لنا فلان ، فقال رسول الله ﷺ : أبا هريرة ، فقلت لبيك ، قال : الحق أهل الصفة فادعهم فهم أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا على مال ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم فأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءنى ذلك ، وقلت ما هذا القدح بين أهل الصفة ، وأنا رسوله فيأمرنى أن أدور عليهم فما عسى أن يصيبنى منه ، وقد كنت أرجو أن يصيبنى منه ما يغنينى ، ولم يكن بُدٌ من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، فأتيتهم فدعوتهم ، فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسهم قال : أبا هر ، خذ القدح فأعطهم ، فأخذت فجعلت أناوله الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرده ، وأناوله الآخر فيشرب حتى انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد رَوِى القوم كلهم ، فأخذ رسول الله ﷺ القدح على يديه ثم رفع رأسه إلىّ فتبسم وقال : يا أبا هر ، فقلت : لبيك يا رسول الله ، فقال : اقعد فاشرب فشربت ، ثم قال : اشرب فشربت ، ثم قال اشرب فشربت ، فلم أزل أشرب ويقول : اشرب ، حتى قلت : والذى بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكاً ، فأخذ القدح فحمد الله وسمى ثم شرب » .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة »[1] .

وبعد : فإن التآخى فى الإسلام بهذه الشروط والآداب يضمن للعمل من أجل الإسلام أن يتم على وجهه ، وأن يبلغ أهدافه .

وبغير هذا التآخى فإن أى عمل من أجل الإسلام إمَّا أن يتوقف ، أو يتم مع الخلل والتجاوزات ، وليس يقضى على توقف العمل أو الخلل فيه إلا الأخوة فى الإسلام وفق شروطها وآدابها .

---

(١) السابق : ٣ / ١٦ .

٢ - والالتزام بصبغة الإسلام فى القول والعمل

من صميم توظيف الأخوة على مستوى الأفراد أن يلتزم الأفراد بتطبيق الإسلام ومبادئه فى كل كلمة يقولونها وفى كل عمل يقومون به ، وذلك أن الإسلام له فى ذلك صبغته الخاصة به ، تلك الصبغة التى تجعل من المسلم ظاهره كباطنه لا يعرف النفاق ، فيكون عمله موافقاً لقوله ، ويكون قوله موافقاً لما آمن به واعتقده .

والأخوة فى الإسلام تفرض على الأخ نحو أخيه أن يكون ملتزماً معه بصبغة الإسلام فى القول والعمل والصمت والترك ، لأن ذلك هو السياج الأمين المتين فى المجتمع كله ، ومادام المجتمع أفراداً فى الأصل ، فإن المجتمع لا يستفيد بشىء مثل ما يستفيد بأن يلتزم أفراده بخلق الإسلام وأدبه فى القول والعمل .

والصبغة هى ما فطر الله عليه الناس من حب للحق وتعلق به قبل أن تجتالهم الشاطين وتضلهم عن هذه الفطرة النقية التى فطرهم الله عليها وهذه الصبغة هى هذا الدين الخاتم وكل ما أمر به أو ندب إليه من خير ، وكل ما نهى عنه أو كره فيه من شر .

ولقد يرى بعض الناس ممن لا يتعمقون الأمور أن الالتزام بصبغة الإسلام أو أحكامه وأخلاقه وآدابه مسألة شخصية تعنى كل واحد على حدة ، ولكن ذلك فهم شديد الخطأ لا يستقيم مع مبدأ الحساب والجزاء الذى قرره الله تبارك وتعالى فى قوله سبحانه :

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾[2] .

إن مبدأ الحساب والجزاء يعنى أن الإنسان محاسب على عمله مع ربه ومع نفسه ومع الناس ، ولا ينجيه من الجزاء السىء إلا الالتزام بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه .

---

(١) سورة الأعراف : ٦ - ٩ . (٢) سورة النجم : ٣١ .

وإن الخطأ فى حق الناس كالخطأ فى حق الله وفى حق النفس لابد أن يكون عليه حساب وعقاب ، إلا أن يعفو الله ويغفر ويتجاوز .

فكيف يكون الالتزام بصبغة الله فى القول والعمل ؟

ذلك ما نرجو أن نوفق فى توضيحه فى هذه الصفحات .

أولاً : الالتزام فى القول :

الكلمة الطيبة ضربها الله مثلاً للشجرة الطيبة ذات الأصل الثابت والفرع السامق فى السماء تؤتى من الخيرات كل حين بما يأذن الله لها به ، وضرب مثلاً للكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة التى لا جذر لها فى الأرض فما تستقر أبدا ، ولا تأتى إلا بالشر ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1] .

والكلمة الطيبة كما يرى بعض المفسرين هى لا إلٰه إلا الله ومعنى ذلك أنها التوحيد وتوحيد الله هو أحسن أنواع الخير والبر لأن من قالها دخل الجنة وليس بخير خير من الجنة وليس بشر شرٌّ من النار .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : الكلمة الطيبة : لا إله إلا الله ، والشجرة الطيبة قلب المؤمن .

والكلمة الطيبة هى كل كلمة هنية لينة بعيدة عن العنف والغلظة ، وهى بحد ذاتها صدقة كما قال ذلك المعصوم ﷺ .

ومن أجل أن يكون الكلام فى الناس طيباً مرضياً لله تبارك وتعالى ، فإن هذا الكلام يجب أن يكون لينا ، ويجب أن نختار ألفاظه بدقة ، ويجب أن يكون محببا إلى كل من يسمعه من الناس لما يشتمل عليه من الخير واللين والحكمة .

(١) سورة إبراهيم : ٢٤ - ٢٦ .

وللكلمة الطيبة فيما نتصور صفات ثلاثة استقيناها من النصوص الإسلامية ، وهذه الصفات هى :

- أن تكون لينة .
- وأن تكون ألفاظها مختارة .
- وأن تكون محببة إلى من يسمعها .

ولبيان ذلك وتأصيله إسلامياً نقول :

أ - الكلمة اللينة :

القول اللين هو البعيد عن الخشونة أو الغلظة وهو الطيب من القول ، وهو دأب الدعاة إلى الله وديدنهم فى كل حين بل فى كل دين من الأديان .

ويرى بعض علماء الإسلام من الفقهاء والدعاة أن من القول اللين أن يُكَنِّيَ الداعى إلى الله من يدعوه فيخاطبه بقوله : يا أبا فلان ، حتى لو كان المدعو كافراً ، وسواء أطمع الداعى فى إسلامه أم لم يطمع !!!

ما أروع هذا وما أعجبه وما أنسبه وأدخله فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ألا ليت جميع الدعاة يعرفون هذا ويلتزمون به - حتى لو كان المدعو كافراً - ما أروع هذا الفقه !!! فما بالنا إذا كان المدعو من المسلمين ؟

ولم يأتِ الفقهاء والعلماء بهذا من عند أنفسهم وإنما تعلموه من الداعية المعصوم ﷺ ، فلقد كَنَّى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية فقال له : « انزل أبا وهب » وكناه مرة بقوله : يا أبا أمية »[1] .

ولقد كنى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى حين قال لسعد رضى الله عنه : « ألم تسمع ما قال أبو حباب » .

● والأصل الشرعى فى وجوب استعمال القول اللين فى الدعوة إلى الله هو قول الله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام وأخاه هارون عليه السلام آمراً لهم بدعوة

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢ / ٤٤٠ ط الحلبى ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م القاهرة .

فرعون : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1] .

● وقوله جل شأنه : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[2] أى قولوا للناس قولاً ذا حُسْن ، قال أبو العالية : قولوا لهم الطيب من القول ، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به .

قال القرطبى : وهذا كله حض على مكارم الأخلاق ، فينبغى للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر ، والسُّنِّى والمبتدع من غير مداهنة ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه لأن الله تعالى قال لموسى وهارون : « فقولا له قولاً ليناً » فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون ، والفاجر ليس بأخبث من فرعون وقد أمرهما الله تعالى باللين معه »[3] .

● وقوله سبحانه وتعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام محمد ابن عبد الله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[4] .

وبعد : فهذه الآيات الثلاثة : « قولاً له قولاً لينا » و « قولوا للناس حسنا » و « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » هى التأصيل الشرعى لما يجب أن تكون عليه الكملة الطيبة .

وقد دعا النبى ﷺ إلى الكلمة الطيبة فى أكثر من حديث نبوى شريف :

● روى البخارى بسنده عن عدى بن حاتم رضى الله عنه فى حديث مطول منه : « ... فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة » .

● وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) سورة طه : ٤٣ ، ٤٤ . (٢) سورة البقرة : ٨٣ .
(٣) القرطبى : تفسيره : ٢ / ١٦ ط دار الكتب المصرية .
(١) سورة النحل : ١٢٥ .

ﷺ : « الكلمة اللينة صدقة ... » وفى رواية « الكلمة الطيبة صدقة » .

وكل خير أو فضيلة دعا إليها الإسلام ينبغى أن تصل إلى الناس عبر الكلمة اللينة والكلمة الطيبة ، فهذا هو فقه الدعوة إلى الله لأنه يوافق هدى النبى ﷺ وللدعاة إلى الله فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة .

ب - اللفظ المختار :

اختيار اللفظ والتدقيق فيه عند مخاطبة الناس دليل على وعى المتكلم وحرصه على أن يتأدب بأدب الإسلام .

وليس المقصود هنا باختيار اللفظ البعد عن الفاحش منه أو البذىء ، لأن الفاحش البذىء منهى عنه محرم على المسلم أن يتحدث به جاداً أو هازلاً ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعان ولا الفاحش البذىء » .

وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... وأهل النار خمسة ... والشنّظير الفحاش »[1] .

قال القرطبى : وروى عن النبى ﷺ أنه قال لعائشة رضى الله عنها : لا تكونى فاحشة ، فإن الفحش لو كان رجلاً لكان رجل سوء » .

ليس المقصود البعد عن اللفظ الفاحش فإن ذلك محرَّم ، وإنما المقصود هنا المندوب المحبب وهو اختيار اللفظ وتفضيله على سواه لما يحمله من رقة ومودة ، وما فيه من بعد عن الفظاظة والغلظة أو الحوشية والسوقية ، أو التكلف والتصنع ، فإن كل تلك الألفاظ الجافية مما لا يحسن بالمسلم أن يستعملها لا فى جده ولا فى هزله .

والقرآن يلقننا درساً عالياً فى هذا الأدب إذ يخاطب النبى ﷺ فيثنى على قوله اللين فيقول جل وعلا : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2] .

---

(١) الشنظير : السيىء الخلق والفحاش كثير الفحش .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

ولأن اختيار الألفاظ فى الإسلام على جانب كبير من الأهمية فإن الإمام مسلماً رضى الله عنه ترجم باباً من أبواب صحيحه بعنوان : « كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها »[1] .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن علقمة بن وائل عن أبيه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العِنَب والحَبَلة » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم عبدىَ وأمتى ، كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل غلامى وجاريتى ، وفتاى وفتاتى » .

● وفى رواية لمسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقولن أحدكم عبدى فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاى ، ولا يقل العبد ربى ، ولكن ليقل سيدى » .

● وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقل أحدكم اسْقِ ربك أطعم ربك وضِّىء ربك ، ولا يقل أحدكم ربى وليقل : سيدى » .

وفى رواية : « لا يقل العبد لسيده مولاى ، وزاد فى حديث أبى معاوية : فإن مولاكم الله عز وجل » .

● وروى الإمام مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ، ولكن ليقل لَقِسَتْ » .

قال النووى : قوله ﷺ : لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ولكن ليقل لقست نفسى » قال أبو عبيد وجميع أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم يقولون : لقست وخبثت بمعنى واحد ، وإنما كره اللفظ الخبث لبشاعة الاسم ، وعلمهم الأدب فى الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبيثها »[2] .

إن اختيار لفظ دون آخر لما فى اللفظ المختار من رقة وعذوبة هذا الاختيار والالتزام

(١) الإمام مسلم : صحيحه : ١٥ / ٢ ط دار الريان القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .
(٢) الإمام مسلم : صحيح : ١٥ / ٨ ط سابقة .

به يشيع فى الناس أدب الإسلام وأخلاقه ، ويصبغ المجتمع بصبغة إسلامية .

جـ - والكلمة المحببة إلى من يسمعها :

أحب الكلام إلى الناس هو الكلام الطيب ، لأن الله تبارك وتعالى يحب الكلام الطيب والعمل الصالح ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[1] .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ... والكلمة الطيبة صدقة » .

فالكلمة الطيبة التى يتحدث بها المسلم إلى أخيه المسلم صدقة له تكتب فى حسناته وتوضع في ميزانه يوم يفلح من ثقلت موازينه ، ويخيب ويخسر من خفت موازينه .

وليس من شك فى أن الكلمة الطيبة محببة إلى سامعها ولا شك أن المسلم مطالب بأن يستخدم مع محدثه الكلام المحبب إليه .

● روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

وهذا الحديث الشريف يحث على إفشاء السلام - والسلام محبب إلى الناس جميعاً - وبذله لمن نعرف ومن لا نعرف .

إن إلقاء السلام وصيغته « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » من أحسن الكلام الطيب ، بل هو من أسباب الألفة والمحبة بين الناس ، كما أخبر بذلك نبينا ﷺ .

وفى إفشاء السلام أى نشره وشيوعه بين الناس تمكين للمحبة بين المسلمين لما فيه من رياضة النفس على تقديم الكلمة الطيبة ، وإلزامها بالتواضع ، وطبعها على تعظيم حرمات المسلمين .

---

(١) سورة فاطر : ١٠ .

● روى البخارى بسنده عن عمار بن ياسر رضى الله عنه أنه قال : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار .

إن معنى إفشاء السلام للناس جميعاً إزالة التقاطع والتهاجر وأسباب الشحناء ، وإزالة فساد ذات البين التى سماها الرسول ﷺ : « الحالقة » ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾(1) .

ومن الكلام الطيب الذى يختاره المسلم وهو يخاطب أخاه فى الإسلام أن يدعوه بأحب الأسماء إليه ، فقد أُثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله : « ثلاث يصفين لك ود أخيك ، أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً ، وأن توسع له فى المجلس ، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه » .

● وروى البخارى بسنده عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

● وروى أبو داود بسنده عن أبى أمامة صُدَىّ بن عجلان الباهلى ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أَوْلى الناس بالله من بدأهم بالسلام » .

● وروى الترمذى بسنده عن أبى أمامة أيضاً – رضى الله عنه – قال : قيل يا رسول الله : الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام ؟ قال : أولاهما بالله تعالى » .

ثانياً : الالتزام فى العمل :

إن التزام المسلم بصبغة الإسلام وأحكامه وأخلاقه وآدابه فى العمل هو الذى يجعل عمله صالحاً مقبولاً بإذن الله تبارك وتعالى .

ودين الإسلام كله لا يدل عليه شىء كالعمل ، والإيمان ليس تمنيا وإنما هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل كما أخبرنا بذلك المعصوم ﷺ .

---

(1) سورة الأنفال : 1 .

ولا يعترف الإسلام بدين أو تدين بغير عمل ، لأن الدين بغير عمل هرطقة لا نفع فيها فى الدنيا ولا فى الآخرة .

والآيات القرآنية التي تطالب المسلم بالعمل كثيرة نذكر منها : قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[2] .

وقال عز وجل : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[3] .

فالمسلم الحق هو الذى يمارس العمل الصالح تعبيراً عن عقيدته كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ولكى يصطبغ عمل الفرد بصبغة إسلامية فإنه مطالب بأخلاقيات عديدة تترجم إيمانه ترجمة عملية ، ومن هذه الأخلاق :

- إحسانُ الظن بالناس .
- ورحمة الناس والإحسان إليهم .
- وتقديم العون لهم والعمل على نفعهم فى دينهم ودنياهم ولنلق ضوءاً على كل واحدة من هذه الأخلاق التى يجب على الفرد المسلم أن يتحلى بها .

أ - إحسان الظن بالناس :

إن إبرز ما يميز المسلم هو أنه يحسن الظن بالناس مستجيباً فى ذلك إلى ما أمره به الإسلام ، بحيث لا يجوز له أن يتهم أحداً بتهمة لم يقم عليها دليل ولا أن يظن به السوء .

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥ . (٢) سورة الكهف : ١١٠ . (٣) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

والتأصيل الشرعي لهذه الأخلاق هي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

● وما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » .

ومحل التحذير من الظن ، ومحل النهي عنه في الآية الكريمة وفي الحديث النبوي الشريف هو التهمة التي لا تقوم عليها الأدلة ولا تساندها البراهين .

قال القرطبي : « والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عن سواها ، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب ، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح ، وأونست منه الأمانة في الظاهر ، فظنُّ الفساد به والخيانة محرم ، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث ، وعن النبي ﷺ : « إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء » .

وقال المهدوي : أكثر العلماء على أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز ، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبح »[2] .

إن المجتمع المسلم حين يسوده حسن الظن بالناس يأمن كل واحد فيه على نفسه وعلى سيرته وسمعته ، وذلك هو نوع من الأمن قلَّما يتوفر إلاَّ في المجتمع الذي التزم أفراده بإحسان الظن في الناس .

وإذا كان ذلك واجباً عموماً ومع سائر الناس ، فكيف يكون إحسان ظن الأخ بأخيه في الإسلام ؟

إن المجتمع الذي يلتزم فيه كل أحد بإحسان الظن في كل أحد هو المجتمع الذي

(١) سورة الحجرات : ١٢ . (٢) القرطبي تفسيره : ٧ / ٦١٥٢ ط الشعب القاهرة .

يتمتع بأرق العلاقات الإنسانية وأنقاها ، وأبعدها عن الأخطاء والشحناء والعداوة ، وأكثرها حرصاً على صون أعراض الناس ، وتلك هى الصبغة الإسلامية التى ينشدها كل مسلم حريص على إرضاء ربه سبحانه وتعالى .

إن إحسان الظن بالناس يتيح للفضائل أحسن الفرص لكى تنمو وتعم الناس ، لأن سوء الظن بالناس يولد الشر فى نفس الظان ، ويهيىء لمن أسىء به الظن أن يكون كما ظن به الناس ، وفى ذلك ما فيه من الشر والضرر .

وإن التعامل بسوء الظن بالناس يكسر حاجز الغيبة عند الظان ، إذا يدرِّبه على تصور العيوب فى الآخرين واستمرار التفكير فى ذلك ، وليست الغيبة فى حقيقتها إلا عيوباً يذكرها بعض الناس فى بعض وهم – أى المغتابون – غائبون عن الذى اغتابهم ، والمظنون به السوء أو الشر يكون فى أغلب الأحوال غائباً عن الظان ، ومعنى ذلك أن الظان سُوءاً بأحد كمغتابه فهو يأكل إذن لحم أخيه ميتاً .

وعلى المستوى الاجتماعى نجد لسوء الظن بالناس ضرراً آخر وهو أن ظان السوء يحول ظنه هذا بينه وبين أن تكون له علاقة طيبة بمن ظن به السوء ، إذ كيف يكون له به هذه العلاقة وهو يراه على هذا النحو من السوء ؟

وإذا فقد الناس أن تكون بينهم علاقات طيبة فإنهم سريعاً ما يتناكرون ، ثم يتعادون ، ويبغى بعضهم على بعض ، وكل ذلك يحرم المجتمع من الاستمرار والانصراف إلى البناء والعمل بما ينفع الناس .

إن إحسان الظن يغرس فى النفوس الحب للناس ويدربهم على الفضائل ويدفع بهم نحو النجاح والفلاح

ب – ورحمة الناس والإحسان إليهم :

الرحمة صفة من صفات الله عز وجل ، واسم من أسمائه سبحانه وتعالى ، وكل مسلم مطالب بأن يتحلى من صفات الله تبارك وتعالى بما تطيقه بشريته .

والرحمة اسم من أسماء الله تبارك وتعالى وصفة من صفاته كذلك ، وصفة الرحمن لا تصح إلا لله تبارك وتعالى إذ هو الذى وسع كل شىء رحمة ، وأما الرحيم فيكون الوصف به لله سبحانه وتعالى ، ولخلقه من الناس وهم الذين كثرت رحمتهم لغيرهم .

ويقول العلماء : إن الله سبحانه وتعالى هو رحمان الدنيا ورحيم الآخرة ، لأن إحسانه فى الدنيا يعم المؤمنين والكافرين وفى الآخرة يختص بالمؤمنين .

إن المسلم مطالب بأن يكون رحيماً لغيره من الناس والحيوان والأشياء وأن يتعامل مع كل أولئك بالرقة والإحسان ، لأنه ليس كالرقة والإحسان صفة توثق العلاقة بين الناس ، وتحول بينهم وبين التنافر والتعادى .

والأصل الشرعى فى مطالبة المسلم بأن يكون رحيماً ، هو ما رواه البخارى بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » .

وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ ، فقالوا : أتُقبِّلون صبيانكم ؟ فقال : نعم ، قالوا : لكنا والله ما نُقبِّل ، فقال رسول الله ﷺ : « أَوَأَمْلِكُ إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة » .

وروى الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وما رواه مسلم بسنده عن النعمان بن بشير – أيضاً – رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » .

إن هذه الرحمة التى طولب بها المسلم فى تعامله مع الناس لابد أن تفضى به إلى الإحسان إليهم .

والإحسان مطلب شرعى كالرحمة ، طالبنا به الإسلام لنحيا حياة إنسانية كريمة ، لائقة بتكريم الله سبحانه وتعالى لنا ، وتأصيل ذلك ما يلى :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

---

(1) سورة البقرة : ١٩٥ .

قال بعض الصحابة معناه : أحسنوا فى أعمالكم بامتثال الطاعات ، وقيل أحسنوا فى الإنفاق فى الطاعة ، وقيل أحسنوا الظن بالله فى إخلافه عليكم » .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[1] .

وهذا أمر بصلة المساكين ، والإحسان هو استعمال نِعَم الله فى طاعة الله .

والإحسان فى عمومه ينصرف إلى معنيين مشهورين هما :

- الإحسان بمعنى الإنعام على الغير .
- والإحسان بمعنى الإجادة والإتقان .

وهناك معنى ثالث للإحسان هو مراقبة الله فى كل عمل والشعور بأن الله يراقب عباده ويعلم ما يعلمون .

وكلا المعنيين المشهورين للإحسان مطلوب من المسلم أن يمارسه فى أى مجتمع يعيش فيه ، إذ هو مطالب بأن يحسن إلى غيره بالكلام والعمل فيمد إليه يد المعونة فى كل ما بحاجة إليه ، ومطالب بأن يحسن كل عمل يقوم به ويتقنه لأنه بهذا الإحسان يسهم فى بناء الحضارة وتنمية العمران ، وقد وردت بهذه المعانى للإحسان نصوص إسلامية كثيرة نذكر منها ما يلى :

روى الإمام مسلم بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : « ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته » .

والحديث الشريف الجامع لكل معانى الإحسان المطلوبة من المسلم هو ما رواه الإمام أحمد بسنده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ حين أتيت فقلت : والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء ، ألاَّ آتيك ولا آتى دينك – وجمع بهز بين كفيه – وقد جئت امْرءاً لا أعقل شيئاً إلا ما علمنى الله تبارك وتعالى ورسوله ، وإنى أسألك بوجه الله : بم بعثك الله إلينا ؟ قال : بالإسلام . قلت : وما آيات الإسلام قال أن تقول : أسلمت وجهى لله وتخلَّيْتَ ، وتقيم

(١) سورة القصص : ٧٧ .

الصلاة وتؤتى الزكاة ، كل مسلم على مسلم محرم ، أخوان نصيران ، ولا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملاً ، وتفارق المشركين إلى المسلمين . مالى أمسك بحجزكم عن النار ؟ ألا إن ربى عز وجل داعِيَّ وإنه سائلى : هل بلّغت عبادِ ، وإنى قائل : رب إنى قد بلغتهم ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ثم إنكم مدعوّون مِفَدَّمَةً أفواهكم بالفِدام ، ثم إن أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه ، قلت : يا نبى الله هذا ديننا ؟ قال : هذا دينكم ، وأينما تُحْسِن يكفك » .

وحسبنا فى عظم شأن الإحسان المطلوب من المسلم مع غيره عموماً ، ومع أخيه المسلم على وجه الخصوص قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] فمن من المسلمين لا يرغب فى أن تكون رحمة الله قريبة منه ؟ مع اليقين – كما تحدثت هذه الآية الكريمة بأن رحمة الله قريب من المحسنين .

جـ – وتقديم العون للناس والعمل على نفعهم فى دينهم ودنياهم :

معونة الناس فيما هم فى حاجة إليه ، لسد هذه الحاجات مطلب شرعى دعت إليه الشريعة الإسلامية فى كثير من النصوص الإسلامية ، نذكر منها ما يلى :

قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2] .

وتلك الآية الكريمة أمْر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ، والبر هو التوسع فى فعل الخير ، وكل مسلم مطالب بأن يتعاون مع أخيه المسلم فى التوسع فى فعل الخير .

وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن على بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رأس العقل بعد الدِّين التحببُ إلى الناس ، واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر » .

وروى الديلمى بسنده – فى الفردوس – عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ،

(١) سورة الأعراف : ٥٦ . (٢) سورة المائدة : ٢ .

وأن تدعو لمدبرهم ، وأن تحب تائبهم » .

وروى الترمذى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة » .

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل سُلامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » .

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة .

كل هذه الأحاديث النبوية الشريفة وغيرها كثير تؤكد وجوب تقديم العون للمسلمين فى صغير الأمور وكبيرها ، للأبرار من الناس ولغير الأبرار ، لأن التحبب إلى الناس بل اصطناع المعروف لهم مطلوب ومرغوب ، يصطنع للبارّ فيزداد برا وحباً فى الخير والاستقامة ، كما يصطنع مع الفاجر ليقلع عن إثمه وفجوره .

إن تقديم العون من المسلم لأخيه فى الإسلام قد يكون بأيسر الأمور ، فقد يكون بسمة أو طلاقة وجه ، وقد يكون أمراً بمعروف ونهياً عن منكر ، وقد يكون بإرشاد ضال ، ودلالته على ما يريد ، وقد يكون بقراءة مكتوب لرجل يعجز عن قراءته لضعف بصره أو جهله القراءة ، وقد يكون هذا العون بإماطة الأذى عن طريق المسلمين ، وقد يكون بشربة ماء ، وقد يكون بعونك لرجل على امتطاء دابته أو عونه فى حمل متاعه ورفعه على دابته ، وقد يكون بالكلمة الطيبة – وقد كان لنا مع الكلمة الطيبة حديث قريب فى هذا الكتاب .

إن سمة المجتمع المسلم وصدقه التى يجب أن يصطبغ بها هى تقديم العون لكل من كان فى حاجة إليه ، والاهتمام بأمور الناس ، لأن ذلك هو خلق الإسلام فى صورته العملية وهو الذى دعا إليه رسول الله ﷺ ، فيما رواه الطبرانى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » .

وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها خيراً له من اعتكاف شهرين » .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« من وسَّع على مكروب كربة فى الدنيا وسَّع الله عليه كربة فى الآخرة ، ومن ستَر عورة مسلم فى الدنيا ستر الله عورته فى الآخرة ، والله فى عون المرء ما كان فى عون أخيه » .

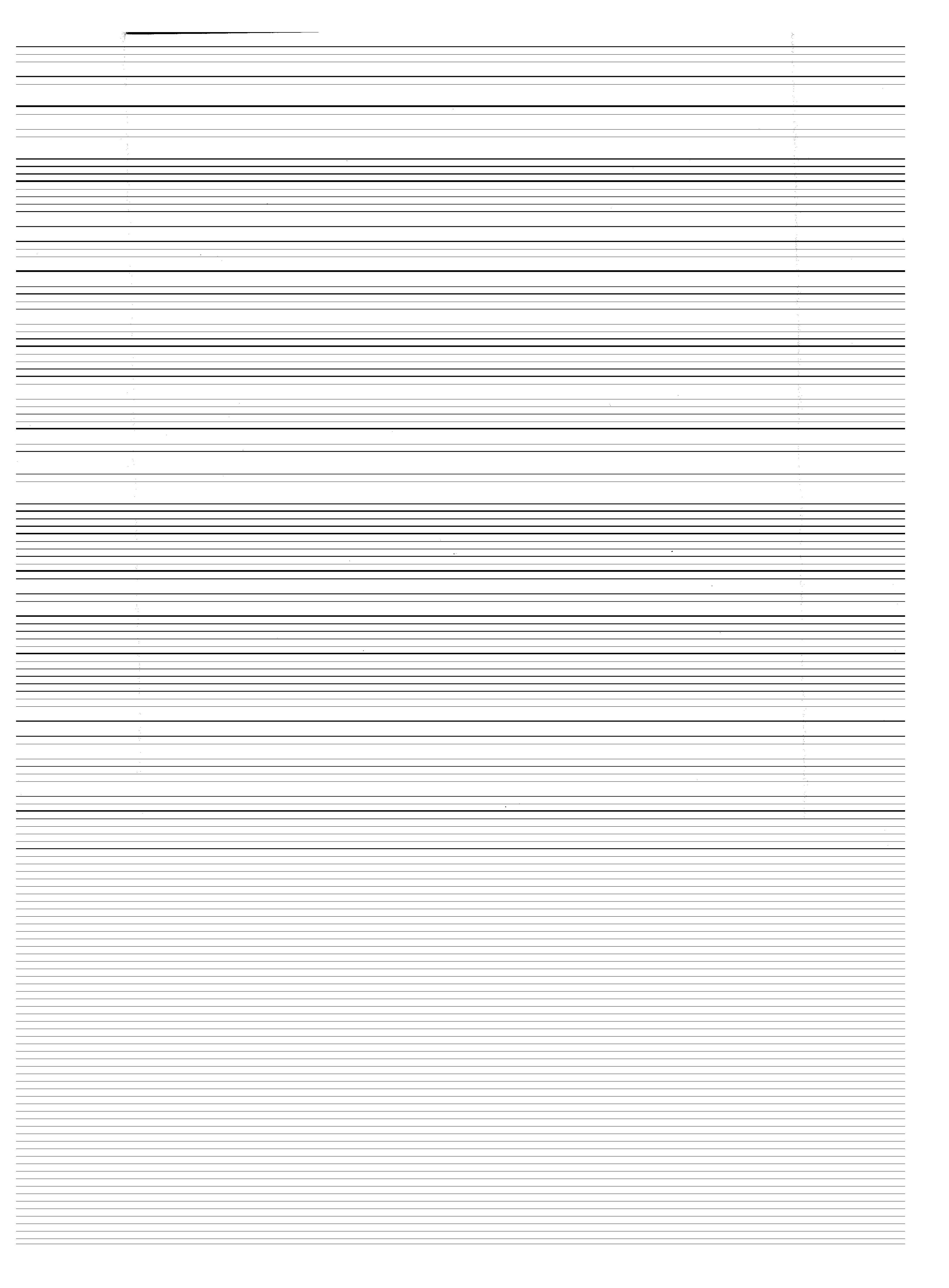
وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« من أقال عثرةً أقاله الله يوم القيامة » .

وبعد : فلعلنا فى هذا الفصل الأول من هذا الباب الثالث من الكتاب قد أوضحنا كيف توظف الأخوة فى الإسلام على مستوى الفرد .

ونحاول فى الفصل الثانى من هذا الباب أن نوضح كيف توظف الأخوة فى الإسلام على مستوى المجتمع ، سائلين الله العون والتوفيق .

الفصل الثانى

توظيف الأخوة فى الإسلام على مستوى المجتمع



توظيف الأخوة فى الإسلام على مستوى المجتمع

المجتمع المسلم أنموذج عملى تطبيقى لمبادىء الإسلام وقيمه وأخلاقه وآدابه ، مجتمع يخضع كل من فيه وما فيه لنظام الحياة الإنسانية التى ارتضاها الله للناس إلى يوم الدين ، من يوم بعث فيهم محمداً ﷺ وأعطاه المنهج وأمره أن يطبقه فى الناس .

والمجتمع – أى مجتمع مسلم أو غير مسلم – إنما هو مجموعة من الأفراد ، سواء أكانوا يعيشون فى حياة أسرية أم كان بعضهم قد حرم أو عزف عن هذه الحياة الأسرية ، هؤلاء هم المجتمع على وجه الحقيقة .

وكلما كان أفراد هذا المجتمع أو أسره ملتزمين بمنهج فى الحياة يتعاملون وفقه فى كل شئونهم ، كلما دل ذلك على أن هذا المجتمع متحضر يحسن الحياة ويحترم الأحياء ، وكلما قلت فى المجتمع درجات الالتزام بمنهج يتحاكمون إليه ، كلما سادت الفوضى ووقع الظلم ، وحرم الناس كثيراً من حقوقهم الأساسية وحرياتهم ، بل وكرامتهم الإنسانية .

وكلما كان المنهج الذى يلتزم به الناس منهجاً محكماً شاملاً قادراً على أن يرسم للناس طريقة حياة تسيطر عليها الرحمة ويعمها العدل ، وتعتمد العمل أساساً لممارسة الحياة ، وترفض السلبية والتواكل ، مادام المنهج قادراً على ذلك ، ودافعاً للناس إلى التعاون على البر والتقوى ، وموجهاً لهم نحو الصبر على التحدى ومواجهته – وهم منطلقون فى ممارسة حياتهم – مادام المنهج قادراً على ذلك ، فالناس هم أسعد الناس والمجتمع هو أرق المجتمعات الإنسانية .

والبشرية كلها فى ماضيها السحيق وفى تاريخها الوسيط وفى حاضرها تحاول أن تجد أو تضع لنفسها المنهج الذى يقدر على رسم طريقة الحياة الإنسانية الراشدة .

ولقد ظلت الإنسانية تجتهد فى ذلك وتفكر وتدبر أحقاباً طويلة من الزمان ، وكلما

اضطرب بها منهج اختارته فأدى بها إلى التراجع والتعادى والضياع شملتها عناية الله بمنهج من عنده ينقذها به مما هى فيه ، فبعث إليها رسولاً يأخذ بيدها ويرسم لها طريق الحياة الإنسانية الكريمة .

ولقد كان الناس فى أزمان أنبياء الله ورسله من أولى العزم من الرسل : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، إن الناس كشأنهم فى كل زمان ومكان منهم من آمن بمنهج الله ومنهم من كفر به وتحداه ، أى منهم من عاش حياة إنسانية كريمة ، ومنهم من تنكب هذه الطريق .

ومنهج الله فى كلمات هو : مطالبة الناس بتوحيد الله وعبادته ، ومطالبتهم بالتعامل مع الله ومع الناس ومع أنفسهم التعامل الذى يحقق لهم الخير فى الدنيا والآخرة ويؤكد لهم كرامتهم الإنسانية .

ثم جاء الإسلام بهذا المنهج التام الكامل الشامل ورضيه الله للبشرية كلها ديناً ، فكان على الإنسانية أن تستريح من عناء البحث عن منهج لو تدبرت أمرها ، واتبعت أمر ربها .

إن المجتمع المسلم يتميز بهذا المنهج التام الشامل ، وهذا المنهج الإسلامى فى الحياة مع قيامه على الإيمان بالله وعبادته وفق ما شرع ، فإنه يستهدف أمورا ثلاثة أراها فى غاية الأهمية فى تحقيق تكريم الإنسان فى الدنيا والآخرة ، هذه الأمور الثلاثة هى :

- صبغ المجتمع بصبغة إسلامية .
- وتعاون الناس فيه على البر والتقوى .
- والصبر على التحدى ومواجهته بالأسلوب الأمثل الذى شرعه الإسلام .

١ - الصبغة الإسلامية للمجتمع :

نعنى بالصبغة الإسلامية للمجتمع ، أن يصبح كل إنسان وكل شيء فى المجتمع له طابع إسلامى أى مر بمصفاة الإسلام التى ينقى بها الناس والأشياء من الشوائب والأوضار وما يبعد بالناس عن فطرتهم ، وما يعطل وظائف الأشياء التى حددها الله سبحانه وتعالى .

إن ذلك الطابع الإسلامى للمجتمع يعنى أن يسلم الناس لله بأنه الخالق الآمر : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] وبأنه أحسن الخالقين : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[2] .

فإذا اعترف الإنسان بذلك وأخذ بمنهج الله كان أقدر على شق طريقه فى الحياة ليحقق سعادةِ الدنيا والآخرة .

إن المجتمع المسلم المصطبغ بصبغة الإسلام يشعر كل فرد فيه أو كل بيت بأنه جزء من هذا المجتمع يعيبه ما يعيب هذا المجتمع ، ويرفع من قدره ما يرفع من قدر هذا المجتمع ، ويشعر بأن أى عيب فيه هو فى النهاية محسوب على المجتمع وداخل فى مسئوليته، وكذلك الشأن فى أى عيب فى المجتمع محسوب على الفرد أو البيت ومسئول عنه أمام الله تبارك وتعالى .

هذه المشاعر المتبادلة بين الفرد والمجتمع أو بين البيت والمجتمع هى التى لا يمكن أن يلزم بها قانون وضعى ولا شرطة ولا سلطان وإنما الذى يلزم بها بل يجعل أداءها قربى إلى الله ومتعة هو أن تكون هذه المشاعر نابعة أو تابعة للقيم السائدة فى المجتمع عندئذ يشعر الإنسان أن الالتزام بهذه المشاعر هو من صميم حاجته النفسية والعقلية والاجتماعية .

وهذه القيم التى تسود مجتمعاً من المجتمعات يجب أن يكون مصدرها عالماً عادلاً مبرءا عن الميل والهوى ، آخذا فى اعتباره أن البشرية كلها مجتمع إنسانى ، ما ينبغى أن يجامل فيه مجتمع على حساب آخر ولا يفضل من أجل عرق أو جنس ، وليس ذلك

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤ .   (٢) سورة المؤمنون : ١٤ .

إلا إلى رب العالمين الرحمن الرحيم ، رب الناس إلـه الناس ملك الناس .

ومن أجل ذلك فشلت كل القيم التى اهتدى إليها الناس بأنفسهم ، فى مختلف أزمان البشرية وأماكنها على الرغم من كثرة المفكرين والفلاسفة والمصلحين والحكماء ، لأن ذلك ليس فى إمكان الإنسان مهما أوتى من العلم والمعرفة ، وإنما هو وقف على رب الناس إله الناس سبحانه وتعالى .

إن مهمة اختيار القيم ثقيلة وشاقة ناء بها على مدار الزمان عشرات الحكماء والمصلحين بل مئاتهم ، وعجزوا عن قيم تحكم سلوك الناس لصالح دنياهم فضلاً عن مصالح أخراهم واستمر هذا العجز حتى تفضل الله على عباده بآخر مناهجه وأتمها وأكملها وهو دين الإسلام .

وهذا المنهج الخاتم بما يحويه من عقائد وعبادات وقيم خلقية - متمثل فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة ، وهو وحده القادر على أن يمد المجتمعات البشرية فى كل زمان ومكان بما يصلح لها دينها ودنياها ، دون هوىً يحركه ، وبغير تمييز أو تعصب لجنس من الناس على جنس ، فضلاً عن شعب على شعب ، ولعل ذلك هو الذى يسقط دعوى المغرورين الذين يرددون فى غير حياء أنهم شعب الله المختار .

إن الذى يميز شعباً على آخر أو مجتمعاً على آخر أو فرداً على آخر هو فقط الإيمان بالله وتقواه واتباع منهجه ، فالعرب مثلاً منهم آخر نبى ولغتهم لغة آخر كتاب سماوى وعلى أيديهم كان نشر الإسلام ، ومع ذلك فليسوا أفضل الناس عند الله ، وإنما خاطبهم رب العالمين بقوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] .

هذه حقيقة لا يجادل فيها إلا كافر برب الناس أو معاند يرى الحق حقاً ولكنه يؤثر الباطل .

ومادام مصدر هذه القيم هو الله ، وقد ضمن الله هذه القيم فى منهج الإسلام ، فإن الالتزام بهذه القيم يتجاوب مع الفطرة السوية التى فطر الله الناس عليها .

وبعد : فتلك سمة المجتمع المسلم أو صبغته التى اختارها الله له ، إيمان بالله ،

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وإسلام لله رب العالمين بتحقيق أركان الإسلام الخمس ، وإحسان بكل معنى من معانى الإحسان ، وعدل يسيطر على النفوس وأمر بمعروف ونهى عن منكر وإعداد واستعداد ثم ممارسة للجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، ولكى لا يعبد غير الله فى الأرض .

إنه إذا سادت هذه القيم ، وتعامل الناس وفق ما تمليه عليهم هذه القيم فهم بحق يحسبون من المسلمين الصالحين الذين يعيشون حياة ذات طابع إسلامى أو صبغة إسلامية وهم بذلك أجدر أن يحققوا صالحهم فى الدين والدنيا .

أولاً : الإيجابية فى ممارسة الحياة الاجتماعية :

الفرد فى المجتمع المسلم فرد فاعل إيجابى ، لا يتهرب من حمل تبعة ، لأن تحمله لهذه التبعة دين وأمانة يحقق بها صالح دينه ودنياه ، ولأنه حين يقصر فى ذلك يعصى أمر ربه ، ويفسق عن فطرته التى فطره الله عليها ، ويكفر بنعم الله التى أنعم عليه .

إن المسلم إيجابى فى المجتمع ، وهو بهذه الإيجابية ينفع نفسه وغيره ، ويؤمن حاضره ومستقبله ، ويرضى ربه سبحانه بطاعته فيما أمر به وفيما نهى عنه ، ومن هنا يكون الاستقرار فى المجتمع الإنسانى كله ، حيث لا أهواء ولا صراع إلا بين الحق والباطل ، ولا شرور إلا فى أضيق نطاق – وهم العصاة المحاصرون دائماً بالطائعين فى المجتمع المسلم .

وهذه الإيجابية فى المجتمع تتمثل فى تصورى فى أمور ثلاثة :

١ – إحساس بالتبعة .
٢ – وممارسة للأمر بالمعروف .
٣ – وعمل عام لصالح المجتمع .

الإحساس بالتبعة :

كل مسلم فى المجتمع مسئول عن نفسه فيما يقوله وفيما يسكت عنه ، وفيما يعمله وفيما يدعه من الأمور والأعمال ، بل مسئول عن كل من يلى أمره من الناس ، ومسئول تبعاً لذلك كله عن المجتمع الذى يعيش فيه ماذا قاله وماذا سكت عنه وماذا فعله وماذا

توقف عن فعله .

المسلم مسئول عن كل ذلك أمام الله يوم القيامة ، والنصوص الإسلامية الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلى :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[1] والعهد هو كل ما أمر الله به وكل ما نهى الله عنه ، والله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن الشر ، فالإنسان مأمور بفعل ما هو خير لنفسه ولغيره من الناس ومحاسب ومسئول بين يدى الله تبارك وتعالى على التقصير فى ذلك ، والإنسان منهى عن فعل ما هو شر لنفسه ولغيره من الناس ومحاسب ومسئول بين يدى الله تبارك وتعالى عن التقصير فى ذلك .

وقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2] .

والمعنى المقصود أن كل إنسان يسأل عما عمل واكتسب فى حياته الدنيا بوساطة أى جارحة من جوارحه وهو محاسب عليه :

فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده .

والسمع يسأل عما استمع إليه من باطل .

والبصر يسأل عما رأى من أشياء تؤدى إلى الباطل .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[3] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ من مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾[4] .

وقال جل وعلا : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[5] .

(١) سورة الإسراء : ٣٤ . (٢) سورة الإسراء : ٣٦ . (٣) سورة الأنعام : ١٦٤ .
(٤) سورة الروم : ٤٤ . (٥) سورة الإسراء : ٧ .

وقال جل ذكره : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ... ﴾[1] .

وقال عز من قائل : ﴿ ... وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

وقال تقدست أسماؤه : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[3] .

وهذه الآية الكريمة توضح أن النبى ﷺ وكل مسلم إلى أن تقوم الساعة عليه أن يستمسك بالذى أوحى إلى النبى وهو القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ التى شرحته وفسرته ، لأن ذلك هو منهج الحق الذى يؤدى إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولكون هذا المنهج - القرآن والسنة - حق فإن التمسك به شرف لمن تمسك به وعمل وفق ما أحل وحرم .

وكل مسلم إلى يوم الدين مسئول بين يدى الله تعالى عن استمساكه بالكتاب والسنة ومحاسب على ذلك .

والحديث النبوى الأم فى هذه المسئولية وتحمل التبعة هو ما رواه الإمام البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ورواه علماء السنة وفقهاء الشريعة .

وهذا الحديث النبوى الشريف فيه دلالات عظيمة ومفيدة للحياة الاجتماعية نذكر منها :

- تأكيد مسئولية كل مسلم مسئولية كاملة عن نفسه وعمن يلى أمره فى المجتمع الذى يعيش فيه .

---

(١) سورة فاطر : ١٨ . (٢) سورة النحل : ٩٣ . (٣) سورة الزخرف : ٤٣ ، ٤٤ .

- وأن على الحاكم أن يعرف واجباته نحو من يحكمهم وأن يلتزم بأدائها ، حتى يبرىء نفسه أمام الله من الحساب والمساءلة .
- وأن على رب الأسرة أن يعرف واجباته نحو أسرته وأن يؤديها كاملة غير منقوصة ، المادى منها والمعنوى حتى لا يعاقبه الله على تقصيره .
- وأن كل امرأة – زوجة – مسئولة عن أهل بيت زوجها أبنائها منه أو غيرهم ممن يعيشون فى ولاية زوجها وعليها أن تعرف واجباتها نحوهم وتؤديها محتسبة أجرها عند الله ، حتى لا تعاقب على التقصير .
- وأن الخادم أو التابع أو الأجير أو الوكيل – أو العبد – مسئول عما استرعى ومحاسب عليه ، وأن عليه أن يعرف واجباته فى كل ذلك وأن يؤديها برضا وسعادة وينتظر الأجر من الله تبارك وتعالى .
- وأن واحداً من الناس فى المجتمع لا يستطيع أن يعيش فيه دون أن يحمل مسئولية ما ، إلا إذا كان ممن سقط عنهم التكليف ، لصغر أو جنون أو سفه أو نحو ذلك .
- وأن هذا الحديث الشريف جامع لأهم ما فى علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد ، من حقوق وواجبات ، فكل من الحاكم ورب الأسرة والزوجة والتابع عليه أن يعرف واجبه السياسى والاجتماعى والاقتصادى فيما استرعى عليه من مال أو عمل أو نحوه .

إنه يمثل قمة المسئولية الاجتماعية فى المجتمع المسلم ويضع كل أحد أمام هذه المسئولية ليؤديها برضا وسعادة ، لأن قمة المسئولية الاجتماعية هى أن يعرف الإنسان أنه راع وأنه مسئول عن رعيته .

وإن هذا الإحساس بالمسئولية وتحمل التبعة فى المجتمع لا تلزم به سلطة من السلطات مهما بلغت من القدرة على القهر ، بمقدار ما يلزم به حب الله والرغبة فى رضائه باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه .

وتلك صورة جيدة من صور الإيجابية فى ممارسة الحياة الاجتماعية التى يجب أن يصطبغ بها المجتمع المسلم لينطلق من خلال هذا إلى الإسهام فى ركب التقدم والحضارة .

٢ - وممارسة الأمر بالمعروف :

من مظاهر الإيجابية فى المجتمع المسلم أن يمارس الناس فيه الأمر بالمعروف ماداموا قادرين على ممارسته وغير متسببين بهذه الممارسة فى فتنة أو منكر .

إن الأمر بالمعروف وفق أحكامه وشروطه وآدابه فى الشريعة الإسلامية هو الذى يمكن للفضائل فى المجتمع ، ويضيق دائرة الرذائل ، ولذلك أوجبه الإسلام على كل مسلم ومسلمة من أهل القدرة على ممارسته .

وهذا الوجوب للأمر بالمعروف فى المجتمع المسلم نابع من نصوص إسلامية كثيرة نذكر منها ما يلى :

- قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

- وقال جل ذكره : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

- وقال عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بالمعربِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3] .

- وقال عز من قائل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[4] .

- وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[5] .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ . (٢) سورة التوبة : ٧١ . (٣) سورة آل عمران : ١٠٤ .
(٤) سورة الأعراف : ١٩٩ . (٥) سورة لقمان : ١٧ .

والآية الأولى تمدح الأمة المسلمة مادامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتغير ، فإن فقدوا هذه الصفات لم يكونوا أهلاً للمدح بل أهلاً للذم والنقيصة لتعطيلهم لما أمرهم الله به .

والآية الثانية تصف المؤمنين والمؤمنات بأن بينهم ولاية واتحاد فى المودة والتعاطف ، وبأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وما لم يكونوا كذلك فليسوا بمؤمنين كاملى الإيمان .

والآية الثالثة : تأمر الأمة الإسلامية بأن يكون منها على الدوام جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويدعون إلى الخير .

والآية الرابعة تجمع مكارم الأخلاق كلها وعلى رأسها الأمر بالعرف أى المعروف — وقد فسره العلماء بأنه تقوى الله فى الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد ليوم القيامة وكل ذلك من المعروف .

وأما فى السنة النبوية فقد وردت أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلى :

— روى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

— وروى الإمام مسلم بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : « إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع ، قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة » .

— وروى الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

ولكى يمارس المسلمون الأمر بالمعروف فى المجتمع وتكون هذه الممارسة على وجهها الصحيح بالنسبة للأمر بالمعروف فإن عليه أن يكون عاملاً للمعروف الذى يأمر به ،

وإلا وقع تحت طائلة استنكار الله تبارك وتعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ .. ﴾[1] .

وقوله جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2] .

وروى البخارى بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » .

إن الأمر بالمعروف فى المجتمع المسلم إيجابية فى ممارسة الحياة مطلوبة شرعاً ، وإن هذه الممارسة للأمر بالمعروف تهيىء للمجتمع الفضائل كلها ، وتمكن كل صاحب حاجة من قضاء حاجته ، كما أن السكوت عن الأمر بالمعروف يفوت على الناس مصالح الدين والدنيا ، فضلاً عما يشيعه فى المجتمع من معاصى وآثام ، تعود على المجتمع كله بالضرر ، وتحول بينه وبين بلوغ رضا الله وهو هدف كل عاقل من البشر .

٣ – والعمل العام لصالح المجتمع :

المسلم الحق هو الذى يرجو رضا الله سبحانه وتعالى ، ومن أحسن ما يرضى الله تبارك وتعالى أن يجد المسلم فى نفسه رغبة فى فعل الخير عموماً ودافعاً يدفعه إليه .

وهذا الخير الذى يجب على المسلم أن يمارسه هو العمل العام لصالح المجتمع ، وهو يحقق للعامل وللناس مصالح الدين والدنيا ، وقد طالب الله كل مسلم بأن يمارس فعل الخير عموماً .

قال الله تعالى : ﴿ ... وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة : ٤٤ .   (٢) سورة الصف ٢ ، ٣ .   (٣) سورة الحج : ٧٧ .

والخير فى هذه الآية الكريمة هو كل أنواع القُرب والطاعات ، وفعل الخير هو ضبط النفس حتى لا تقع فيما نهى الله عنه ، فكل خير قد أمر به دين الإسلام وأوجبه على القادر عليه ، والخير هنا عام لا قيد له ولا قيد عليه ، وهو - كما تنبىء بذلك هذه الآية الكريمة مطلب شرعي ، إذ من المعروف لدينا معشر المسلمين - أو علماء المسلمين : أن العبرة فى آيات القرآن الكريم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وهذه العمومية فى فعل الخير - كما دلت عليها هذه الآية الكريمة هى العمل العام لصالح المجتمع جلباً لمنفعة له أو دفعاً لضرر عنه ، قال الله تعالى مخاطباً المسلمين جميعاً :

﴿ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ ﴾[1] فهذه الآية الكريمة تتضمن الحث على المبادرة فى فعل الخير وجميع الطاعات .

وقال جل شأنه : ﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾[2] أى يبادرون بالعمل قبل أن يفوت العمل أو يفوت الوقت الملائم للعمل .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[3] وهذه الآية الكريمة تشرح النفس لفعل الخير ، لأنه سبحانه يعلمه ويجازى عليه أحسن الجزاء .

والسنة النبوية المطهرة فيها أحاديث كثيرة تشير إلى ضرورة العمل العام من أجل صالح المجتمع ، بل المبادرة إلى القيام بهذا العمل قبل فوات فرصته نذكر منها ما يلى :

- روى الإمام مسلم بسنده عن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة » قلنا لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

- وروى مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » .

ونستطيع أن نفهم من هذين الحديثين الشريفين أن كل عمل عام لصالح المجتمع يصح وينفع إذا التزم فيه من يمارسه بما أمر الله ، والتزم بالانتهاء عما نهى وهذا هو

---

(١) سورة البقرة : ١٤٨ . (٢) سورة آل عمران : ١١٤ . (٣) سورة البقرة : ٢١٥ .

معنى النصح لكتاب الله ولرسوله ، ومعنى النصح لأئمة المسلمين وعامتهم أن يذكرهم بواجبهم وأن يعينهم بنفسه وماله وجهده أى عمله على أن يؤدوا واجبهم .

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال سبعاً : هل تنظرون إلا إلى فقر مُنْسٍ أو غنى مطغٍ أو مرض مفسد ، أو هرم مفند ، أو موت مجهز أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » .

– وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » .

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

وإن الدعوة إلى الخير فى المجتمع أو الدلالة على هذا الخير تجعل المجتمع فى أمن من الخطأ ، وتتيح للناس فرصة الإسهام فى أى خير مهما كان هينا ... وذاك هو العمل العام الذى يحقق صالح المجتمع ، وكذلك شأن الدلالة على الشر ، فإنها تنبه الناس إلى عدم الوقوع فى الشر .

روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وروى مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم ، بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله ﷺ ، لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال : « ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا ﴾[1] والآية الأخرى التى فى الحشر : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[2] تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة ، فجاء رجل من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة ، فقال رسول الله ﷺ : « من سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سَنَّ فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

وهكذا يوجه الإسلام الناس إلى فعل الخير العام ويحذرهم من فعل الشر ، ويعد هؤلاء وأولئك .

إن الداعى إلى شر أو الذى عمل شراً محاسب أمام الله عن شره ، وعن كل شر ارتكب فى المجتمع من نوع شره إلى يوم القيامة ، وفقد روى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ليس من نفسٍ تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول – أى قابيل قاتل أخيه هابيل – كفلٌ – أى نصيب – من دمها ، لأنه كان أول من سَنَّ القتل » .

إن هذه الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد أن العمل العام لصالح المجتمع كله مطلب شرعى يخطىء أو يقصر من لم يمارسه وهو عليه قادر .

كما تؤكد أن ما كان من عمل لصالح المجتمع فهو لصالح الفرد ، وما كان منه ضاراً للمجتمع فهو ضار بالفرد أيضاً .

وتحبب فى العمل الصالح وتحذر من العمل السىء وتُحمِّل صاحب العمل السىء وزر عمله وجزءًا من وزر كل من عمل على نحو عمله إلى يوم القيامة ، وليس هناك تأمين للمجتمع مثل هذا التأمين ، تلك الإيجابية فى المجتمع هى واجب الفرد المسلم نحو إخوته فى الإسلام فى المجتمع الذى يعيش فيه .

---

(١) سورة النساء : ١ .   (٢) سورة الحشر : ١٨ .

ثانياً : الغيرة على محارم الله :

مما يجعل المجتمع ذا صبغة إسلامية أو طابع إسلامى بالإضافة إلى الإيجابية فى ممارسة الحياة الاجتماعية ، أن تكون فى أفراده غيرة على محارم الله أن تنتهك ، لأن معنى ذلك أن يحول المجتمع بأفراده وقيمه ونظمه بين الناس وبين انتهاك حرمات الله .

وحرمات الله أو محارمه هى : الأمور التى منعت الشريعة من فعلها ، وقد نص فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على معظمها ، ويعرف بعضها بالقياس أو الإجماع أو سد الذرائع .

والقاعدة العامة لما حرم الله تبارك وتعالى هى أن كل عمل فيه شر أو ضرر لفرد من الناس أو أكثر أو إفساد لشيء فهو حرام أى من محارم الله تعالى .

وممارسة هذه المحرمات أو المحارم معصية وإثم وذنب ، واستحلالها ينفى عن المستحل لها إيمانه بالله ، فقد روى الترمذى بسنده عن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » والذى لا يؤمن بالقرآن غير مؤمن .

ولهذه الغيرة على محارم الله أن تترك صفات فى الفرد وفى المجتمع نفسه ، نستطيع أن نجملها فى أربع صفات هى :

- الثبات على الحق ،
- والنهى عن المنكر ،
- ومقاطعة المرتكب ،
- والصبر على التحدى ومواجهته .

وفى سبيل تفصيل الحديث فيها بعض التفصيل نقول والله الموفق وهو المستعان :

١ - الثبات على الحق :

أوضحنا فى هذا الكتاب معنى الثبات على الحق وعلى الدين والعقيدة والمبدأ[١] بما لا نحتاج معه إلى إعادة .

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الثانى من هذا الكتاب « السبب السادس » .

غير أننا نذكر ونؤكد أن الغيرة على محارم الله تعنى أن يثبت الناس فى المجتمع المسلم على عقيدة الإسلام لا يصرفهم عن الثبات عليها صارف ، ولا يحول بينهم وبين هذا الثبات عقبات أو عراقيل .

ولكى نزيد الأمر توضيحاً نقول :

إن المجتمع الذى تستحل فيه محارم الله مجتمع فاسد يدنو من غضب الله تبارك وتعالى وربما عاقبه فى الدنيا فضلاً عن عقاب الآخرة ، لأن الله تبارك وتعالى بين لنا حدودا وأمرنا بالامتثال لها وبين لنا حدودا وأمرنا باجتنابها ، وأعلن لنا أن من يتعد حدود الله فهو ظالم فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] وقال جل شأنه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2] .

المجتمع الذى تنتهك فيه حدود الله ولا يجد من يغارون عليها ويمنعون من انتهاكها مجتمع بعيد تماماً عن الإسلام وأحكامه وآدابه .

وإن علامة مميزة للمجتمع المسلم أن يكون فيه من يغارون على محارم الله أن يعتدى عليها ، ويعملون جاهدين بكل وسيلة مشروعة على حماية محارم الله سبحانه ، ولن يكونوا كذلك إلا إذا كانوا أهل إيمان وغيرة ، ثابتين على دينهم مخلصين فى الذود عن أحكامه وأخلاقه وآدابه .

وهذه الغيرة على محارم الله بالثبات على الحق والدفاع عنه لا تؤتى ثمارها ، إلا إذا كان الناس يمارسون النهى عن المنكر ، وما يترتب عليه من مقاطعة أهل المنكر المرتكبين ، ويصبرون على ما يصيبهم من أذى ومتاعب فى سبيل غيرتهم على دينهم .

إن سياج المجتمع المسلم الذى يحتمى فيه من الفساد والضلال هو النهى عن المنكر

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٩ . (٢) سورة النساء : ١٣ ، ١٤ .

والباطل ، فكيف يكون ذلك فى إطار الشرعية ووفق آداب النهى عن المنكر ؟ ذلك ما نرجو أن نوضحه فى إيجاز فيما يلى :

٢ – النهى عن المنكر :

وهو أثر من آثار غيرة المسلمين على محارم الله أن تنتهك ، والمنكرات هى ما قبحه شرع الله أو قبحته العقول الصحيحة ، أو هى ما كره فيه الشارع الحكيم ، وهى كل شر وكل ضار أو ما يؤدى إلى ضرر للنفس أو لأى أحد من الناس .

وقد قال الله تعالى يوضح لنا نهيه عن المنكر وما يؤدى إليه وما ينتجه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١] .

– والفحشاء فى الآية الكريمة : الفحش وهو كل قبيح من قول أو فعل ، ولابن عباس رضى الله عنهما أن الفحشاء هى الزنا .

– والمنكر : ما أنكره الشرع بالنهى عنه وهو يعم جميع المعاصى والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها .

– والبغى : هو الكبر والظلم والحقد والتعدى .

فالمنكرات هى كل ما حرم الله أو كره فيه ، ويجب أن تُتّقى ، بل وتُتقى الشبهات المؤدية إليها ، لأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام .

وقد روى ابن ماجه بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه » .

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .

« من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلّم من يعمل بهن ؟ فقال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدى فعَدَّ خمسا وقال : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

والنهى عن المنكر كثيراً ما يقترن بالأمر بالمعروف ، غير أن هناك فرقاً كبيراً بينهما يؤكد اتجاه كل منهما هذا يثبت الفضائل وذاك يجتث الرذائل وإن كانا يتفقان فى الهدف وهو استقامة الناس والمجتمع على منهج الله فى الحياة وهو اتباع أوامره واجتناب نواهيه .

– روى أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ .. ﴾[1] إلى قوله فاسقون ، ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم » .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وروى البخارى بسنده عن أم المؤمنين أم حكيم زينب بنت جحش رضى الله عنها قالت : دخل علىّ النبى ﷺ فزعاً يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر

---

(١) سورة المائدة الآيات : ٧٨ : ٨٠ .

قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه – وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها – فقلت : يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » .

وروى الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

وروى ابن ماجه بسنده عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً ، قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا ، جَلِّهم لنا أن لا نكون منهم ، ونحن نعلم قال : أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خَلوْا بمحارم الله انتهكوها » .

إن النهى عن المنكر مطلب شرعى وهو فى الوقت نفسه دليل قوى على غيرة الناهى عن المنكر على محارم الله ، وهذه الغيرة على محارم الله هى الصبغة الإسلامية التى تميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات .

ولا يتم النهى عن المنكر فى صورته الكاملة إلا إذا عزم الناهى عن المنكر على مقاطعة من يأتى المنكر حتى يقلع عن هذا المنكر ، ولذلك تعتبر مقاطعة المرتكب من أدلة الغيرة على محارم الله ونفرد لذلك حديثاً هو :

٣ – مقاطعة المرتكب :

المرتكب هو ذلك الإنسان الذى يأتى عملاً حرمه الله أو عملاً يأباه العقل الصحيح ، لأن كل ما نهى الله عنه تأباه العقول الصحيحة .

ومقاطعة المرتكب وحِصَارُهُ وحرمانه من الصداقات بل العلاقات علاج له إذا يجد نفسه منبوذاً من الصالحين ، منفرداً مع نفسه أو مصاحباً لغير الصالحين من المرتكبين أمثاله .

وهذه المقاطعة علاج لشيوع الرذائل والمنكرات فى المجتمع نفسه ، وبخاصة إذا التزم

بها أكثر الناس فى المجتمع إذ ما يسع هذه الرذائل والمنكرات إلا أن تنكمش وتنحصر فى أضيق نطاق ، وتظل دائماً هى عمل الشاذين الذين يمثلون قلة ضئيلة فى المجتمع .

وتلك المقاطعة لأهل المنكر هى غيرة على محارم الله وغيرة على المجتمع نفسه أن يتردى فى هذه الرذائل والشرور .

روى ابن ماجه بسنده عن أبى عبيدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بنى إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه ، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى معه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ... ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ، وقال : وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس وقال : لا حتى تأخذوا على يدى الظالم فتأطروه على الحق أطراً » .

وروى ابن ماجه بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قام خطيباً ، فكان فيما قال : « ألا لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه ، قال فبكى أبو سعيد وقال : قد والله رأينا أشياء فهبنا » .

وروى ابن ماجه بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُحَقِّرُ أحدكم نفسه ، قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : « يرى أمراً لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فىَّ كذا وكذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإيّاى كنتَ أحق أن تخشى » .

وروى ابن ماجه بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : لما رجعتْ إلى رسول الله ﷺ مهاجرةُ الحبشة قال : ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ قال فتيةٌ منهم : بلى يا رسول الله ، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرَّت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غُدَر

إذا وضَعَ الله الكرسيّ وجمع الأولين والآخرين وتكلمتْ الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غداً ، قال : يقول رسول الله ﷺ : صَدَقَتْ صَدَقَتْ ، كيف يقدس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم » .

وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ، فإذا لَقَّنَ الله عبداً حجته قال : يارب رجوتك وفرقتُ – أى خِفت – من الناس » .

إن مقاطعة من ارتكب الشر علاج اجتماعى هادىء هادف لا عنف فيه ولا إكره ، وهو دليل على وجود الغيرة على محارم الله فى المجتمع وصبغه بصبغة إسلامية .

إن المجتمع المسلم إذا فقد مَنْ يغارون على انتهاك محارم الله فإنه يفقد بذلك مُقَوِّما هاماً من مقومات الإصلاح ، ودخل فى دائرة الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه ، وأصبح أهله أقرب إلى أن يصدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[1] .

ونعوذ بالله أن يصل مجتمع مسلم بتعوده عن مقاطعة المرتكب إلى هذا الحد المذموم من رب العالمين ، الذى يتوعد عليه بأشد أنواع العقاب .

وبعد : فإذا كانت الغيرة على انتهاك محارم الله فى المجتمع تتطلب ثباتاً على الحق وممارسة للنهى عن المنكر ؛ ومقاطعة لأهل المنكرات فإن ذلك لن يتم فى يسر وسهولة ، وإنما يواجه بتَحَدٍّ من أهل المنكر والرذائل ، لأنهم لن يتخلوا عن منكراتهم والاستجابة لشهواتهم بغير صراع وتَحَدٍّ ، ومن هنا فإن الغيورين على انتهاك محارم الله لن يقفوا مكتوفى الأيدى مستسلمين لهذا التحدى ، وإنما ستكون لهم مواقف ، تتسم بالصبر وسعة الأفق والقدرة على مواجهة هذا الصراع وذاك التحدى وفق ما شرع الله من أحكام وآداب لهذا الصراع .

---

(١) سورة المائدة : ٨١ .

٤ - الصبر على التحدى ومواجهته :

الغيورون على محارم الله لابد أن يجدوا تحدياً كبيراً يواجههم ، ولابد لهم أن يصبروا على هذا التحدى وأن يعملوا ما وسعهم على مواجهته والتغلب عليه وعلى آثاره بأحسن الأساليب وأرضاها لله تبارك وتعالى .

والأصل فى هؤلاء الذين يتحدون أهل الغيرة على الدين أن يكونوا هم العصاة أولا ثم من يوالونهم خوفاً منهم أو تقرباً أو رضىً عن معاصيهم أو انتفاعاً بمعاصيهم بعد ذلك .

والغالب أن يكون للعصاة سطوة وسلطان ومال وجاه ، لما جرت به العادة من أن العصاة يحتاجون إلى إمكانات مادية ومعنوية تيسر لهم المعصية ، وليس كأصحاب السلطان والجاه والمال من تتوفر لهم هذه الإمكانات ، والغالب كذلك أن يكون العصاة من أولئك الناس الذين تتحكم فيهم شهواتهم فيرضخون لها غير عابئين بما أحل الله أو حرم .

فكيف يقف المجتمع المعاصر فى العالم الإسلامى من هؤلاء العصاة ؟

إن هذه المجتمعات تقدم لهؤلاء العصاة تيسيرات عديدة لممارسة معاصيهم ، بما تتساهل فيه من إباحة كثير من المحرمات فى جميع الأديان وليس فى الدين الإسلامى وحده ، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

- إباحة شرب الخمر وتخصيص حانات خاصة بها تحظى بالرعاية من الدولة من معظم بلدان العالم الإسلامى ، والخمر كما نعرف أم الكبائر وأم الخبائث والطريق الممهدة لمعظم المنكرات إن لم يكن لكل المنكرات ، وحسبك شراً وفساداً بمن سكر فغاب عقله وفقد رشده !!!
- وإباحة الميسر وإعداد أماكن خاصة به تحظى برعاية الدولة فى معظم بلدان العالم الإسلامى - والميسر كالخمر رجس من عمل الشيطان يفتح باب الشر والمنكر على مصراعيه ، وحسبك بالمقامر أنانياً يحرص على الحصول على ما ليس له بحق ، هل تقف أمامه فضائل تحول بينه وبين ما يريد ؟
- وإباحة الزنا ، وإعداد بيوت خاصة به تحت رعاية الدولة فى عدد غير قليل من

بلدان العالم الإسلامى فى الوقت الذى يحذر الإسلام فيه من القرب من الزنا ويصفه بأنه فاحشة ومقت وسبيل سيء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1] فالمنع من الزنا ومن الاقتراب من دواعيه ومسبباته لأنه ذنب عظيم وأسوأ مسلك يسلكه الإنسان .

- وتيسير أنواع اللهو والباطل كالمراقص والملاهى وغيرها فى كثير من بلدان العالم الإسلامى .
- وانتشار دور السينما والمسارح التى تقدم العروض الخارجة عن حدود اللياقة والخلق والحياء فى معظم بلدان العالم الإسلامى .
- وانتشار الأغانى الرخيصة الهابطة التى تخاطب الغرائز والشهوات فى عديد من بلدان العالم الإسلامى .
- وإشاعة قصص العنف والجريمة فى الكتب وفى دور السينما وفى التلفاز والمسرح فى عديد من بلدان العالم الإسلامى .

إن هذه الأعمال تيسر للعصاة سبيل المعصية وتفرش لهم طريقها بالرضا والقبول .

وإن الأسر المسلمة مهما حاولت التدقيق والتحرى فى تربية أبنائها تربية إسلامية داخل البيت والمسجد فإن المجتمع بهذه الإباحة التى يهيء بها الفرص للعصاة ينسف دعائم هذه التربية الإسلامية نسفاً بما ييسر به للعصاة سبيل المعصية .

إن المجتمع الذى تشيع فيه هذه الأمور التى حرمها الله وأنكر على الناس أن يأتوها أو يقربوا منها ، لابد أن تكثر فيه الجرائم ، ولابد أن يحدث فيه تمرد على الأسرة والمسجد ثم على المجتمع نفسه ، ولابد أن تنتشر فيه المخدرات وأشباهها ، ولابد أن تشيع فيه السرقات وأن يكثر فيه العدوان على الأعراض والأبدان والأموال ثم يظل يتدنَّى هؤلاء العصاة فى مدارك السفول الأخلاقى حتى يفقدوا الولاء للمجتمع نفسه ويعادونه على

---

(١) سورة الإسراء : ٣٢ .

الرغم من أنه رعاهم وآواهم ، لأن المجرم لا يعرف ولاء لأحد ولا يشكر نعمة لمنعم !!!

ثم تتعالى صيحات مسئولى الأمن فى بعض هذه المجتمعات بضرورة تعقب المجرمين والقضاء على أوكار الجريمة وهم الذين يسروا للمجرمين جرائمهم ومنحوا رخصاً لأوكار الجريمة !!!

إن هؤلاء المتصايحين بضرورة القضاء على الجريمة وهم قد أسهموا فى ترويجها يذكرونني بالمثل العربى الذى يضرب لمن يجنى على نفسه وهو قولهم : « يداك أوكتا وفوك نفخ »[1] .

إن هذا المجتمع الذى ييسر للعصاة طرق معاصيهم مجتمع غافل عما يكنه له المستقبل مع هؤلاء العصاة ، وليس المتوقع منهم الجرائم العدوانية على أمن الناس فحسب ، ولكن ينتظر منهم سقوط الهمة ودناءة المقاصد وتعويق الإنتاج ورداءته والقعود خلف كل فساد اقتصادى أو سياسى فضلاً عن الفساد الاجتماعى ، إذ كيف يقيم لذلك كله إنسان على هذا المستوى من الأخلاق الهابطة الذى تستعبده شهوات بطنه وفرجه ؟ .

إن الذين يعزلون وفرة الإنتاج وجودته عن القيم الخلقية غافلون أشد الغفلة ، وأسوأ منهم فى الغفلة أولئك الذين يعزلون التخلف الفكرى والثقافى والعلمى بل الحضارى كله عن القيم الخلقية الفاضلة .

فالعصاة والذين يسروا لهم المعصية طائفتان كبيرتان ممن يتحدون أهل الغيرة على الدين وعلى محارم الله .

وهناك طائفة ثالثة ممن يتحدون الغيورين على محارم الله هم أولئك الذين يقيمون أمام أهل الغيرة على الدين العقبات والعراقيل ، فيشوهونهم أمام الناس ويرمونهم بالتهم ويرجفون بهم الأراجيف واصفين إياهم بالتخلف والعنف والتطرف والرجعية والغلو والجهل والانغلاق وتحدى النظم الاجتماعية ، وهؤلاء لابد أن تكون مصالحهم مرتبطة بمصالح العصاة الخارجين عن فضائل الأخلاق وعما حرم الله ، ولا نستطرد فى الحديث

---

(١) قال المفضل : أصل هذا المثل أن رجلاً كان فى جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زق (وعاء من جلد كالقربة) قد نفخ فيه فلم يحسن إحكام غلقه حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق ، فلما غشيه الموت استغاث برجل فقال : يداك أوكتا (أى أغلقتا) وفوك نفخ .

عن أنواع تلك المصالح المشتركة فهى كثيرة ، قد تكون مادية أو معنوية ، غير ذلك مما لا مجال لشرحه وتفسيره هنا .

وقد تمارس هذا التحدى للغيورين على الدين والمحارم بعض الحكومات ، فتسكت للشباب عن مفاسدهم بقصد شغله بهذه الأمور عما تمارسه تلك الحكومات من فساد وظلم وافتيات على حقوق الناس فى الحرية والعدل والشورى ، ولقد بلغ الأمر ببعض الحكومات أن كانت هى نفسها التى تروج لهذه المباذل ، وتقبض الثمن استقراراً فى كراسى الحكم ، ولو أدى بها ذلك إلى ترويج بعض المخدرات والمكيفات !!!

وقد يكون الذين يتحدون أهل الغيرة على محارم الله من الذين يعتنقون بعض المذاهب الفكرية الخبيثة مثل : الوجودية والفوضوية والماسونية والعراة وأنصار الإباحة الجنسية والشذوذ الجنسى ، ولابد أن يكون من وراء هؤلاء مؤسسات بل حكومات صاحبة مصالح فى أن ينحرف شباب العالم الإسلامى عن الأخلاق الإسلامية حتى يغيب عن وعيه ، وعن الحضور فى ساحة الصراع مع أعداء الإسلام !!!

وقد يكون من يتحدون أهل الغيرة على الدين وعلى محارم الله غير هؤلاء وأولئك من صنوف عديدة من الناس أو المؤسسات أو الدول والحكومات أو أصحاب النظريات السياسية والاجتماعية المتعددة .

فماذا ينبغى أن يكون موقف أهل الغيرة على الدين وعلى محارم الله من أولئك الذين يوجهون إليهم كل هذا التحدى وكل هذا العداء ؟

ما موقفهم وهم فى الغالب – كشأن أهل الحق فى كل زمان ومكان ؟

إنهم مطالبون بالصبر أولاً وأخيراً ، الصبر الجميل ،

ومطالبون ببذل الجهد فى هداية أهل هذا التحدى ،

ومطالبون بسعة الصدر وسعة الأفق واستيعاب العصاة وأنصارهم ومؤيديهم .

إن الصبر مطلب شرعى من كل مسلم ، وهو من أهل الغيرة على الدين المتصدين لأهل المعصية أوجب وآكد .

– روى البيهقى فى الشعب بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله » .

– وروى البخارى فى تاريخه بسنده عن عمير الليثى رضى الله عنه قال : « أفضل الإيمان الصبر والسماحة » .

ومهما سمع أهل الغيرة على الحق من أذى ، فلن يسعهم إلا الصبر .

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أحد أصبر على أذىً يسمعه من الله ، إنه يُشْرَك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم » .

وروى البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « .... من يتصبر يصبره الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ، وما أعطى عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر » .

إن أهل الغيرة على الدين لو فقدوا الصبر فقد خسروا معركتهم من أول جولة ، وما ينبغى لهم أن يخسروا معركة هم فيها أهل الحق وحماته والزادة عنه .

إن الصبر على هؤلاء البؤساء بأعمالهم يتيح للغيورين على دين الله فرصة طيبة للتعرف على أنسب الوسائل وأحسن الأساليب للعلاج ، وتلك هى جزء من المواجهة لهؤلاء العصاة .

وإن أهل الغيرة على محارم الله مطالبون ببذل أقصى الجهد فى هداية أولئك الذين يتحدونهم ، وبجهد فى التعامل معهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن واتباع وسائل الدعوة وأساليبها الدعوة الفردية والدعوة العامة والدعوة فى حلقة خاصة ، ولا يزالون بهم حتى يهتدوا ، دون يأس منهم أو ضيق بهم ، ودون أى تقصير فى حقهم ، والله من وراء ذلك الجهد كله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ولابد أن يكون أهل الغيرة على الدين مقتنعين تماماً بأن العمل على هداية هؤلاء المتحدين لهم خير لهم من أن يعتبروهم أعداء ، ومن يدرى ؟ فقد يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر !!!

وإن أهل الغيرة على محارم الله مطالبون بسعة الصدر وسعة الأفق واستيعاب هؤلاء الناس ومعاملتهم وفق ما تقتضيه آداب الدعوة إلى الله .

وبعد : فإن الغيرة على محارم الله تصبغ المجتمع بصبغة الإسلام ، وتعطى للأخوة في الإسلام فرصة للتعبير عن أهدافها وممارسة وسائلها ونقل الناس من خلالها من الضلال إلى الهدى ، ومن الضياع إلى الالتزام والانتماء .

٢ - والتعاون بين الناس على البر والتقوى :

بعد أن أوضحنا فى هذا الفصل « كيف توظف الأخوة فى الإسلام على مستوى المجتمع » فتحدثنا عن النقطة الأولى من هذا الفصل تحت عنوان الصبغة الإسلامية للمجتمع ، نتحدث الآن عن النقطة الثانية من هذا الفصل وهو : « التعاون بين الناس على البر والتقوى » على اعتبار أن هذا التعاون هو توظيف للأخوة الإسلامية على مستوى المجتمع .

أولاً : مفهوم التعاون على البر والتقوى :

والتعاون : التظاهر على عمل الشىء ، وتعاون الناس : عاون بعضهم بعضاً .

والتعاون على البر هو التظاهر ، والمعاونة على فعل ما أمر الله به ، وعلى موافقة ما جاء به الشرع ، وذلك هو أهم أنواع البر .

كما أن من التعاون بين الناس أن يؤثر الناس حق الله على حقوق أنفسهم .

والله سبحانه يطالبنا بالتعاون على البر على كل نحوٍ من هذه الأنحاء التى ذكرنا .

كما يطالبنا الله تعالى بالتعاون على التقوى ، أى ترك ما زُجر المسلم عنه من قبل الشرع .

ومن معانى التقوى الخوف ، وأهم أنواع الخوف وأكثره تعليماً وتربية للإنسان هو الخوف من الله وعدم التعرض لعقابه .

وإنما يكون التعاون بين الإخوة فى الإسلام على البر باتباع ما توجبه الحكمة ، ووفق ما تقتضيه الموعظة الحسنة أو ما يستدعيه الجدال بالتى هى أحسن فى بعض الأحيان .

والتعاون بين المتآخين فى الإسلام على التقوى يكون بتعاونهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفق ما تقتضيه الحال من جميل الوعظ وبليغ الزجر ، أو ما تقتضيه الحال من النهى عن المنكر وفق أحكام النهى عن المنكر وشروطه وآدابه[1] .

إن التعاون على البر والتقوى بين المتآخين فى الإسلام تعبير جيد عن هذه الأخوة ،

---

(١) للتوسع فى فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : انظر لنا : فقه الدعوة إلى الله « الباب الأول » نشر دار الوفاء .

بل يكاد يكون أفضل تعبير وأرضاه لله تعالى .

ولا يكون التعاون على البر والتقوى فى صورته الصحيحة المرضية لله تعالى إلا إذا دعمته الأخوة فى الإسلام وشدَّت من أزره وسددت خطاه على طريق الحق .

وإذا كان التعاون على البر والتقوى مما أمر الله تعالى به ، فإن مما أمر به الله تعالى كذلك : ترك التعاون على الإثم والعدوان .

والإثم : ما حاك فى الصدر وكره الإنسان أن يطلع الناس عليه وهو فى نفس الوقت مما يغضب الله تعالى .

والعدوان : تجاوز لما أمر الله تعالى به ، وتجاوز لما نهى عنه سبحانه وتعالى .

ولهذا وذاك نُهى المسلمون عن أن يتعاونوا عليه أو على شيء منه لأن المسلمين صناع خير دائماً ولا يباح لهم أبداً أن يمارسوا الشر .

فما مفردات هذا التعاون على البر والتقوى ، وما موقف المتآخين فى الإسلام من هذه المفردات ؟ وكيف يخرج هذا التعاون بين الإخوة فى الإسلام إلى حيز التنفيذ والتطبيق ؟

ثانياً : مفردات التعاون على البر والتقوى :

للتعاون على البر والتقوى فى مجال العمل من أجل الإسلام أهمية قصوى على نحو ما بينا آنفاً ، وله مفردات نود أن نشير إلى بعضها ، لنؤكد أنه بغير هذا التعاون النابع من فهم الأخوة فى الإسلام فهماً صحيحاً ، والناتج عن الالتزام بأحكام هذه الأخوة فى الإسلام وشروطها وآدابها ، بغير هذا التعاون لا يكون للمسلمين عمل من أجل الإسلام يتقدمون به إلى الأمام ، أو يقدرون على مواجهة ما يحيط بهم من متغيرات فضلاً عما يحاك لهم من دسائس ومؤامرات ، وما يبث فى طريقهم من عقبات وعراقيل ، إن المسلمين بغير هذا التعاون لن يستطيعوا أن يثبتوا لهم حضوراً ووجوداً فى هذا المعترك العالمى المعاصر الذى يتجه بكل قوته إلى التكتلات والتجمعات الكبرى .

إن هذه التكتلات والتجمعات لا تستطيع أن ترى النور إلا بالتعاون .

فما هى تلك المفردات للتعاون على البر والتقوى فى مجال العمل الإسلامى ؟

١ – التعاون فى مجال التربية الإسلامية :

يعنى هذا التعاون أخذ النفس وأخذ الناس بمنهج الإسلام فى الحياة عموماً ، ومنهج الإسلام فى التربية على وجه الخصوص ، تربية الناشئين والشباب والرجال والنساء على السواء .

إن الإسلام له فى ذلك منهج للتربية ألزمنا به وجعله الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع الذى يستطيع بهذه التربية أن يشق طريقه فى ممارسة الحياة على أحسن ما تكون وأكرمها وأليقها بتكريم الله سبحانه للإنسان .

وهذا التربية الإسلامية فى عمومها تنقسم إلى قسمين : ذاتية ، ووفق منهج ومعلم .

● **فالتربية الذاتية هى** – فى إيجاز شديد – أن يتولى الإنسان المكلف بتربية نفسه بنفسه ليستكمل ما ينقصه من أنواع العلم والمعرفة والعمل والسلوك ليكون بذلك منضبطاً مع مقاصد الإسلام وأهدافه فى الحياة .

إن على كل مسلم أن ينظر إلى نفسه بعين الناقد الذى عليه أن يزن أعماله قبل أن توزن عليه ، ليرى ماذا قدم فى دنياه من عمل صالح ، وماذا عليه أن يقدم اليوم وغداً حتى يلقى الله ، فيربى نفسه على ذلك ويؤدبها ويلزمها بأن تعلم وتعرف وتعمل حتى تصل إلى رضا الله تبارك وتعالى .

إن التربية الذاتية تعنى أن يلتزم الإنسان بكل ما أمره الله به وأن يجتنب كل ما نهاه الله عنه ، وأن يكون مع الحق لا تثنيه عنه لومة لائم .

كا تعنى أن ينقى قلبه من الحقد والحسد والكراهية ، وأن يحب من يجده حيث أمره الله ، وأن يبغض من يجده حيث نهاه الله .

وأن يحب لأخيه فى الإسلام ما يحب لنفسه ، وأن يكون حسيباً رقيباً على نفسه .

ووسائل التربية الذاتية هى فيما نتصور ما يلى :

- الرياضة الروحية بالتعبد بالنوافل من ذكر وصلاة وصيام وصدقة إلخ .
- والتفكر والتأمل فى خلق الله لأخذ العظة والعبرة وتعميق الإيمان والإحساس بوجود الله سبحانه وبأنه مراقب محاسب .

- والإقبال على الله بإيثار ما عنده على ما عند الناس ، ومقاومة الرغبات الدنيوية التى تحمل مبالغة أو تعلقاً بأعراض الدنيا .
- وزيارة القبور لأخذ العظة .
- والتردد على الصالحين من المسلمين والتلقى عنهم وحوارهم والاستفادة منهم .
- والمداومة على ورد من القرآن الكريم وورد من السنة النبوية والسيرة المطهرة .
- والقراءة والاطلاع وفق برنامج يضعه الفرد لنفسه ، ليستكمل به ما يحس بأنه فى حاجة إليه ، لكن بشرط أن تكون قراءة متأنية مستوعبة ناقدة .
- ومصاحبة الأخيار من أهل التقى والورع .
- والتردد على المساجد وتفقد من غاب من المصلين للاطمئنان عليه .
- وإلزام النفس بصلاتى الفجر والعشاء فى الجماعة بالمسجد من كل يوم .

تلك وسائل التربية الذاتية للأخ المسلم .

* **وأما التربية وفق منهج** وعلى يد شيخ فلها حديث آخر نوجزه فيما يلى :

- معنى هذه التربية أن يخضع الإنسان فى تربيته الإسلامية لمنهج ومعلم وكتاب ومدرسة وخطة ... إلخ بشرط أن تكون فلسفة هذه التربية وقيمها نابعة من الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن تكون أهدافها متفقة مع أهداف الإسلام فى الحياة الإنسانية وهى فى كلمات « عبادة الله وحده لا شريك له وفق ماشرع واتباع أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها فى ممارسة الحياة » .
- وتلك التربية لا ينبغى لها أن تتوقف عند الانتهاء من مراحل التعليم المدرسى ، وإنما هى مستمرة إلى أن يلقى الإنسان ربه يتعلم فى كل يوم وفى كل موقف ما يعود عليه بالنفع فى دينه ودنياه – والمنهج حينئذ هو دين الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة – والمعلم هو نفس المتعلم والمدرسة هى الحياة سواء أكانت تتمثل فى البيت والأسرة أم فى المجتمع كله أو العالم الإسلامى جميعه .
- وإن واجب أهل العلم والتخصص من المسلمين أن يوضحوا للناس فى التربية الإسلامية أموراً على جانب كبير من الأهمية هى :

- ما هى التربية الإسلامية ؟
- وما القيم التى تنبع منها ؟
- وما أهدافها العامة المرحلية ؟
- وما وسائلها وأساليبها ؟
- وما مصادرها ومراجعها ومراحلها ؟
- وما الخطوط العامة لمنهجها ؟
- وما تفاصيل هذا المنهج وكيف يمكن أن تختلف هذه التفاصيل من قطر إسلامى إلى آخر ؟

إن توضيح ذلك من فروض الكفاية ، لا يسقط حتى يقوم به بعض المسلمين على وجه تتحقق به الكفاية ، ومن المؤسف أن ذلك لم يحدث بعد ، وإنما هى بعض محاولات فردية ، لا تتكامل حتى تتضافر فيها جهود العلماء المختصين فى مختلف بلدان العالم الإسلامى[1] .

غير أن ذلك الجهد حول التربية الإسلامية لم يحظ بعد بما يستأهله من الاهتمام على مستوى مجمع من علماء التربية الإسلاميين ، وإن كانت الجهود الفردية مستمرة لدى بعض الأفراد[2] ونأمل أن تتزايد وتنمو وتأخذ شكل « مجمع علمى للتربية الإسلامية » يضطلع بهذه المهمة البالغة الأهمية .

وسواء أكانت التربية ذاتية أو وفق منهج فإنه لا يعين عليها مثل التآخى فى الإسلام ، وما يستوجبه هذا التآخى من التعاون وما تتطلبه هذه المؤاخاة فى الإسلام من حقوق وواجبات تحدثنا عنها فى الباب الأول من هذا الكتاب .

---

(١) كانت هناك محاولة أولى باسم : مؤتمر التعليم الإسلامى الأول « عقدته جامعة الملك عبد العزيز بمكة » سنة ١٩٧٧م .

(١) لنا فى ذلك محاولة متواضعة فى أربعة كتب هى :
- المدخل إلى التربية الإسلامية أعد ولم يطبع بعد .
- والتربية الإسلامية فى البيت « تربية الناشىء المسلم » طبعته دار الوفاء أكثر من مرة .
- والتربية الإسلامية فى المدرسة أعد ولم يطبع بعد .
- والتربية الإسلامية فى المجتمع أوشكنا على الانتهاء من تأليفه .

٢ – والتعاون فى طبع البيت بطابع إسلامى :

البيت المسلم وما يجب أن يسوده من أخلاق الإسلام وآدابه وما ينبغى أن يصان به البيت المسلم عن كل ما يخالف الإسلام وعن اللهو والبطالة وعن زوار السوء ، وما يشترط فى أثاث البيت ومحتوياته من شروط لتوافق نظام الإسلام بل ما يجب أن يسود هذا البيت من نظام ونظافة وهدوء .

إن البيت المسلم وتكوينه من بين مفردات التعاون على البر والتقوى – كما سنوضح بعد قليل – غير أننا نحب أن نؤكد على ضرورة أن يطبع البيت بطابع الإسلام فى كل ما فيه ومن فيه .

إننا نحاول فى هذه النقطة الثانية والأخيرة من هذا الفصل ، « التعاون بين الناس على البر والتقوى » أن نوضح موضوعات ثلاثة هى :

– الأخلاق الإسلامية التى يجب أن تسود البيت المسلم .
– وصيانة البيت المسلم من كل ما يخالف الإسلام .
– والتزام البيت المسلم بشروط الإسلام وآدابه فى كل ما فيه .

أ – سيادة أخلاق الإسلام وآدابه على البيت المسلم ومن فيه

البيت المسلم لا يكون جديراً بوصفه مسلماً إلا إذا سادته أخلاق الإسلام وآدابه فى كل أحواله .

ومعنى أن تسود أخلاق الإسلام البيت أن ينضبط ركنا البيت « الأبوان » مع هذه الأخلاق والآداب أولاً ثم ينتقل هذا الانضباط إلى الأبناء وإلى كل من فى البيت .

وهناك أسس أخلاقية لابد أن يتمثلها الأبوان منها :

– الصدق والوضوح :

فلو جرب الطفل على والديه أو أحدهما كذباً أو التواء فإن من العسير عليه بمكان أن يتخلى عن هذه الصفة حتى ولو بلغ مبلغ الرجال – إلا فيما ندر – وذلك أن الطفل يولد على الفطرة وأبواه يعلمانه بلسان الحال فضلاً عن لسان المقال كل صفة من

صفاتهما .

– **والأمانة فى كل شىء وفى كل موقف :**

وأمانة الأبوين تبدأ بالأمانة مع الله يؤدى كل منهما ما فرض الله عليه ، بل ما ندبهما إليه ، ثم الأمانة مع النفس بحيث لا يرضى لنفسه أن تقصر فى حق من حقوق الله أو فى حق من حقوق النفس أو حق من حقوق الناس .

ومن صميم الأمانة فى الأبوين أن يحرصا على ألا تقع عين طفل من الأطفال أو أى أحد يقيم فى البيت على أى قول أو عمل أو شىء يغضب الله .

– **والوفاء بكل ما من شأنه أن يفى به المسلم :**

هناك وفاء بالوعد والعهد ، وبالكلمة التى ينطقها المسلم ، وهناك وفاء بكل ما طالب الله به بحيث يُؤَدَّى على أحسن وجه .

وهناك وفاء ببر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الجار وإلى كل من له بالبيت المسلم صلة مثل من يعملون فيه أو يساعدون فى أى عمل .

وعلى رأس هذا الوفاء الوفاء بكل ما أمر الله به ، بحيث يؤدَّى ، والوفاء لكل ما نهى الله عنه بحيث يجتنب . والأصل أن يقبل الأبوان على الوفاء بكل هذه الأنواع بنفس راضية وبرغبة أكيدة بل بسعادة لأن الله تعالى أقدره على هذا الوفاء ، فالقدرة على الوفاء نعمة من الله يستحق الحمد والثناء .

والإنسان الوفى يكون دائماً محل احترام الناس جميعاً كما يكون قادراً على غرس هذه الصفة الاجتماعية الهامة فى أبنائه وفى كل من فى بيته .

– **ونقاء القلب من الحقد والغل والحسد :**

وذاك أصل هام من الأصول التى يقوم عليها الإيمان ، فليس هناك إيمان بالله يمكن أن يختلط فى قلب المؤمن بالحقد أو الغل أو الحسد ، كما ورد ذلك فى السنة مما ذكرناه فى الباب الأول من هذا الكتاب .

- والحقد انطواء القلب على العداوة والتربص بفرصتها .
- والغل امتلاء القلب بالحقد أو الضغن أو الفسق .

- والحسد تمنى زوال النعمة عن الآخرين ، سواء أتمناها الحاسد لنفسه أو اكتفى بتمنى زوالها عن الآخر .

كل تلك النقائص نهى عنها الإسلام ، وتوعد من يتصف بها ، وأعلن أنها لا تجتمع فى قلب المؤمن مع الإيمان .

والبيت المسلم يجب أن يتبرأ كل من فيه من هذه الصفات وطريق ذلك ألا يتصف بها الأبوان .

– وتنقية اللسان من آفاته :

وأهم آفات اللسان الغيبة والكذب والفحش والبذاء وغير ذلك مما يطول ذكره وتعداده ، غير أننا معشر المسلمين ندرك أن آفات اللسان خطيرة كما أوضح لنا ذلك ديننا فى نصوص كثيرة ، فما يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ، وأن الرجل قد يتكلم بالكلمة مما يغضب الله لا يلقى لها بالاً فتهوى به فى جهنم .

وما أسوأ أن يتحدث الأبوان عن غائب فيذكران عنه عيباً أىّ عيب ، إن ذلك يشجع الأبناء على أكل لحم الميتة وقلما يتراجع الصغار بعد ذلك عن هذا الطعام المنتن الكريه .

وإن تساهل الأبوين فى كلام يحكيانه على سبيل المبالغة أو التهويل أو التهوين – وكل ذلك مخالف للحقيقة يدخل فى باب الكذب – يطبع الأبناء بهذا الطابع ، فيضيع من ألسنتهم الحقيقة ، وضياع الحقيقة يؤدى إلى ضياع الحق وإذا ضاع الحق ضاع الخير والجمال من الحياة .

وإن تبسط الأبوين أو أحدهما أو عدم التدقيق فى اختيار الكلمات التى يستعملانها ، أو التفكه والتظرف بذكر كلمات بعينها مما لا يستحب شرعاً ، إن ذلك يعلم الأبناء التعود على هذه الكلمات الهابطة المنهى عنها شرعاً ومن هبطت به كلماته هبطت أقواله ثم أعماله .

وقد علمنا الإسلام أن نحسن اختيار الألفاظ وأن نلتزم بذلك ، وقد ذكرنا فى ذلك أحاديث نبوية فى الباب الأول من هذا الكتاب ، ومنها تعلمنا أن المؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء ، وأنه لا يجوز له أن يقول : خبثت نفسى لكراهية

لفظ الخبث وإنما يقول : « لَقِسَتْ » وإن كان معناها خبثت !!

- وتنقية أعمال الجوارح من كل ما حرم الله أو كرّه فيه :

وذلك أساس كبير من الأسس التى يقوم عليها بناء الشخصية الإسلامية .

وليس كارتكاب الحرام أو المكروه شيء يذهب الدين والكرامة والمهابة عند الناس .

ومن رحمة الله بنا ومن عظمة هذا الدين الخاتم الذى كرمنا الله به أن النبى ﷺ ما ترك من حرام إلا ونهانا عنه ، وما ترك من خير إلا وأمرنا به أو حببه إلينا .

إن الأبوين عندما يلتزمان باجتناب المحرم والمكروه ، يطبعان الأبناء وكل من فى البيت على هذا الخلق الحميد البانى لشخصية المسلم بناء صحيحاً .

- وأخذ النفس بأداء بعض النوافل :

وهى طريقة فى تربية الأبناء عظيمة الجدوى ، فلو رأى الأبناء وكل من فى البيت الأبوين وقد اعتادا على التنفل بالذكر أو الصلاة أو الصدقة أو العمرة - وذاك طريق جيد فى التقرب إلى الله والتحبب إليه - ومن تقرب إلى الله شبرا تقرب الله إليه ذراعاً ، ومن تحبب إلى الله بالنوافل أحبه الله حتى يكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ...

فإذا أخذ الأبوان نفسيهما بذلك ، واعتادا بعض النوافل فإنهما بذلك يهيئان أحسن الفرص للأبناء ولكل من فى البيت ، أن يسلكوا هذه السبيل ، سبيل التقرب إلى الله بما يحب ، فيحظوا بسعادة الدنيا والآخرة .

- وحب الناس وحب الخير لهم :

وهذا مما دعا إليه الإسلام وحبب فيه ، لأنه يزيد الترابط بين الناس ويقوى المودة ويؤدى إلى المرحمة ، وإذا كان تطهر القلب من الحقد والغل والحسد واجباً ، فإن ملء القلب بحب الناس وحب الخير لهم مندوب إليه ومحبب ، قد يرتفع فى بعض الظروف الى درجة الواجب .

وإذا أخذ الأبوان نفسيهما بحب الناس وحب الخير لهم نشأ الأبناء ومن فى البيت على هذه الأخلاق والآداب . فساعد ذلك على حسم الشر من المجتمع وعلى القضاء

على المشكلات قبل أن تولد فضلاً عن أن تتفرع وتتفاقم ، فتؤدى إلى التخاصم والتناحر والقلق الاجتماعى .

- وأخذ النفس بأدب الإسلام فى الصلة بالكتاب والسنة :

إن الأبوين إذا كان من عاداتهما قراءة ورد قرآنى يومى بحيث يختم القرآن مرة فى كل شهر ، وكان لهما قراءة منظمة فى كتاب من كتب السنة النبوية المطهرة .

وكان ذلك على مرأى ومسمع من الأبناء وكل من فى البيت فإن ذلك يحبب الأبناء فى هذا الخير ويعقد بينهم وبين الكتاب والسنة صلة وثيقة ما تلبث أن تنطبع آثار هذه الصلة على الأبناء ، فتعدل من سلوكهم وأعمالهم وتطبعهم بطابع الإسلام ، فى كل أمورهم ، وبخاصة إذا كانت هذه القراءة مصحوبة بتدبر وتأمل فيما تدعو إليه من خير وما تبغض فيه من شر .

إن هذا هو المفتاح لسعادة الدنيا والآخرة .

ب - صيانة البيت ومن فيه عن كل ما يخالف الإسلام وأدبه

البيت المسلم بهذا الوصف بيت ملتزم بالإسلام أخلاقه وآدابه ، لأنه بهذا الوصف ، يتخذ من منهج الإسلام ونظمه أسلوباً يتعامل به ، ويسعى وفقاً له فى حياته كلها .

ومن المعروف فى عصرنا هذا - وفى عصور أخرى سلفت - أن الأخلاق والآداب بل الأشياء التى تخالف الإسلام كثيرة ، وأن لهذه الأمور المخالفة للإسلام دعاة ومروجين لها من شياطين الجن والإنس لا يدعون فرصة لإحداث هذه المخالفات فى المجتمع إلا تحينوها .

ومن المعروف كذلك أن النفس البشرية فى الغالب أقرب إلى المعاصى منها إلى الطاعات ، لما فى ممارسة المعاصى من ممارسة للشهوات ، ولما فى الطاعات من قهر لوساوس الشياطين ، وحسبنا أن نقول : إن الطاعات طريق الجنة والمعاصى طريق جهنم ، وطريق الجنة كما نعلم محفوفة بالمكاره كما أن طريق جهنم محفوفة بالشهوات .

وإن أكبر مهمة لرب البيت أن يصون بيته وما فيه ومن فيه عن كل ما يخالف أخلاق الإسلام وأدبه .

إن رب البيت المسلم مطالب أمام الله تبارك وتعالى بأن يقى نفسه وأهله النار التى وقودها الناس والحجارة ، وهذه الوقاية الواجبة شرعاً هى صيانته عن كل ما يخالف أخلاق الإسلام وآدابه ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[1] .

وصيانة البيت المسلم عن كل ما يخالف أخلاق الإسلام تستدعى ما يلى :

- الإلزام لكل من فيه بالتخلق بأخلاق الإسلام ، أى التحلى بالفضائل التى دعا إليها الإسلام ، والتخلى عن الرذائل التى نهى عنها .
- ورفض أى تساهل من أهل البيت فى التزامه بخلق الإسلام ، ومحاولة تشجيعهم على ذلك بكل وسيلة مشروعة .
- متابعة أهل البيت وبخاصة الأبناء والصغار للتأكد من أنهم يتصفون بأخلاق الإسلام وآدابه ، ومحاسبة المقصر منهم حساباً ملائماً لعمره ولنوع التقصير الذى مارسه ، دون تساهل أو تراخ .
- وإعطاء القدوة من الأبوين ومن الكبار فى البيت كالإخوة والأخوات الكبار وغيرهم ، بحيث يراعى هؤلاء الكبار أن كل خلل أخلاقى يلحظ عليه سوف ينتقل إلى من فى البيت من الصغار ، لأنهم ينظرون إلى الكبار نظرة إكبار واقتداء .

وتتمثل صيانة البيت عما يخالف أخلاق الإسلام وآدابه فيما يلى :

- صيانة البيت عن اللهو والباطل .
- وصيانته عن زوار السوء .
- وصيانته عن تضييع الوقت .

ولكل من هذه الأنواع كلمات نقول فيها ما يلى :

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

– صيانة البيت عن اللهو والباطل :

من المعروف لدينا معشر المسلمين أن اللهو نوع من الباطل بل إن معظم أنواع اللهو من الباطل إلا ما استثنى فى حديث النبى ﷺ ، فقد روى ابن ماجه بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... وكل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته ، فإنهن من الحق » .

وقد ترجم الإمام البخارى باباً فى صحيحه بعنوان « كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله ... » .

وأنواع اللهو اليوم كثيرة يجب أن نصون بيوتنا عنها ومن هذا اللهو ما نذكر بعضه فيما يلى :

- الغناء وآلاته إلا ما استثناه العلماء منه لأسباب منها :
  - كونه لا يشغل عن طاعة الله .
  - وكونه يشجع على الفضائل ويثير الحماس نحوها .
  - وضرب الدف ، فإن النبى ﷺ عندما دخل المدينة المنورة استقبل بضرب الدفوف فَهَمَّ أبو بكر رضى الله عنه أن يزجر على ذلك ، فقال له النبى ﷺ : « دعهم يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح » .
- ومن أنواع اللهو المعازف والأوتار والمزامير وما كان فى حكمها كالناى وغيره ، فإن النبى ﷺ نهى عن ذلك وورد عنه أنه قال : بعثت بكسر المزامير » خرجه أبو طالب الغيلانى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه .
- ومن أنواع اللهو ألعاب الورق « الكوتشينة » والنرد « الطاولة والدومنو » وأمثالها من الألعاب التى يعتمد فيها على الحظ .

وقد استثنى بعض العلماء « الشطرنج » وقالوا فى تعليل ذلك : إنه يُعلِّم أصول الحرب من كر وفر وغيرها .

- ومن أنواع اللهو الشائعة فى عصرنا هذا أشياء وآلات كثيرة لا نجد داعياً لإحصائها هنا ، مما يجب أن نصون عنها بيوتنا .

وحسبنا هنا أن نسوق حديثاً نبوياً جامعاً فى هذا المجال :

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله بعثنى رحمة للعالمين ، وأمرنى ربى عز وجل بمحق المعازف والمزامير والأوثان والصلب وأمر الجاهلية ، وحلف ربى عز وجل بعزته : لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من خمر إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ، ولا يسقيها صبياً صغيراً ضعيفاً مسلماً إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ، ولا يتركها من مخافتى إلا سقيته من حياض القدس يوم القيامة ، ولا يحل بيعهن ولا شرائهن ولا تعليمهن ولا تجارة فيهن وثمنهن حرام – يعنى الضاربات – وفى رواية : المغنيات » .

– وصيانة البيت عن زوار السوء :

دخول قرناء السوء وزوار السوء لبيوت المسلمين ، هؤلاء القرناء أو الزوار لا يتقيدون بأخلاق الإسلام ، فإذا سمح لهم بدخول بيوت المسلمين وتلك حالهم أصبحوا خطراً على البيت ومن فيه يجب الاحتراس منه ومقاومته لأن الأبناء ومن فى البيت إذا رأوا ذلك قلدوا وحاكوا لأن هؤلاء الزائرين قد يكونون من أصدقاء الأب أو من صديقات الأم .

ولذلك فإن صيانة البيت عن هؤلاء تكون بمنعهم من هذه الزيارات أو الاشتراط عليهم أن يتقيدوا بما هو شائع فى البيت من أخلاق الإسلام وآدابه ، فإذا كان زوار البيت من الآباء والأمهات الأصول كالجدود والجدات ، أو كالآباء والأمهات كالأعمام والعمات والأخوال والخالات ، فإن برّ هؤلاء جميعاً واجب شرعى كبر الوالدين ، ولا يمكن منعهم من زيارة هذه البيوت لأنها بيوتهم على نحو من الأنحاء ، غير أن المطلوب عندئذ هو الجمع بين البرّ بهم وتجنيب الأبناء التأثر بهم فى هذه الصفات ، وهى مهمة صعبة تحتاج إلى مزيد من اللباقة ولكنها مطلوبة على كل حال .

أما الأصدقاء والجيران من زوار البيت المسلم فإنهم إن كانوا غير ملتزمين بأخلاق الإسلام وآدابه ، فليس يجوز لنا أن ندخلهم بيوتنا أو نسمح لهم بالجلوس مع أبنائنا مهما كانت الظروف ، لأن السماح لهؤلاء مخالفة لنص الآية الكريمة التى أمرت المؤمنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم النار ، إن ذلك مسئولية الآباء وكل تقصير فيها يوقعهم تحت طائلة الحساب والعقاب ، روى البخارى بسنده أن النبى ﷺ قال : « كلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته ... »[1] .

وربما كان التأكد من أصدقاء أبنائنا وصديقات بناتنا من أوجب ما يعنى به الأبوان ، صيانة لأبنائهم ولبيوتهم عن قرناء السوء .

والمعيار الذى يقاس به صلاح الأصدقاء والصديقات هو الدين والخلق وتمثل أدب الإسلام .

إنها أمانة فى عنق الأبوين لصيانة بيوتهم عن زوار السوء وقرنائه .

– وصيانة البيت عن تضييع الأوقات :

إن كثيراً من البيوت المسلمة لا تحسن توظيف الوقت فيها لصالح البيت ومن فيه ، مع أن سوء التعامل مع الوقت مضيعة ليس كمثلها مضيعة للجهد وللحياة نفسها فضلاً عن المال والماديات الأخرى .

إن كل يوم يمر على المسلم يجب أن يكون فرصة يستزيد فيها من الخيرات والقربات التى ترضى الله تبارك وتعالى واليوم الذى يمضى دون أن يحصل فيه المسلم على كل ما يريد من الخير يوم ضياع ومرَّ بغير فائدة ولا يمكن أن يعود مرة أخرى ، فهو جزء من عمر الإنسان غادره إلى الأبد .

إن الوقت هو الحياة نفسها ، فكل إنسان قَدَّر الله له منذ أن نفخت فيه الروح فى بطن أمه كم يوماً بل كم ساعة يعيش فى الحياة الدنيا ، بحيث شاء الله ألا يزيد الأجل عن ذلك ولا ينقص ، ومن هنا كان لابد لأهل الوعى والإدراك من حسن التعامل مع الوقت « اليوم والليلة » حيث يجب أن يذخر وقت العاقل بصالح الأعمال .

إن البيت يقضى فيه الإنسان ليله كله وجزءاً من نهاره ، ولذلك يجب أن يصان البيت عن أن يضيع فيه الوقت هباءً أى بغير فائدة فى الدين أو الدنيا ، وإلا عُدَّ أهل البيت من الغافلين .

ولو أن الوالدين دأبا على إحسان التعامل مع الوقت فى البيت ، فكان منه جزء معروف للعبادة من غير الفرائض – من صلاة وصيام وصدقة يتنفل بها – لكان ذلك

(١) رواه الستة وذكرناه مخرجاً فى هذا الكتاب .

من احترام الوقت وإحسان التعامل معه ، وكان منه جزء لأعمال البيت منظم معروف كذلك فى الطعام والنوم واليقظة والراحة وغير ذلك ، لو كان ذلك كذلك لشَبَّ الأبناء على احترام الوقت وحسن استثماره فيما يعود عليهم وعلى ذويهم بخير الدنيا والآخرة .

فكيف يوظف الوالدان الوقت فى البيت ذلك التوظيف الذى يحقق بفضل الله خير الدنيا والآخرة ؟

● إن اقتراحاً أقدمه هنا من خلال تجارب السنين التى أربت على الستين ، لعله يحقق إحسان توظيف الوقت وفق ما تقتضيه شريعتنا وآدابها ، وهذا الاقتراح هو :

● **ترتيب عمل اليوم :**

- الاستيقاظ قبل صلاة الفجر وإيقاظ الأهل والأبناء للاستعداد للصلاة المكتوبة ويا حبذا لو صليت ركعتان أو أكثر قبل الذهاب إلى المسجد وقبل أذان الفجر ، فإن فى ذلك الخير كله .
- والتوجه إلى المسجد مع الأهل والقادرين على ذلك من الأبناء لأداء الفريضة .
- والعودة إلى البيت وقراءة الورد القرآنى بمحضر من الأهل والأبناء وتعليمهم التلاوة وإشراكهم فيها وتذكيرهم بآدابها ، وختام هذه التلاوة بالدعاء والاستغفار .
- ومن كان عليه عبء دراسى فهذا أنسب وقت للاستيعاب والتحصيل ، وأهدأ وقت لذلك .
- ثم الاستعداد لعمل اليوم بتناول الطعام ، ثم التوجه إلى العمل ، مع النطق بدعاء الخروج من البيت ودعاء الركوب إن كان العمل يستدعى ركوب إحدى وسائل النقل ، وأداء فريضة الظهر فى العمل أو المدرسة أو الجامعة فى وقتها وفى المسجد إن كان ذلك ممكناً .

وانصراف الأم – إن كانت لا تعمل خارج البيت – إلى أعمالها المنزلية المعتادة .

- وجمع أهل البيت قبيل غروب الشمس على الذكر والدعاء المأثور لأن الليل آية من آيات الله يحسن أن نستقبله بالذكر والدعاء .
- وأداء فريضة المغرب فى المسجد مع القادرين من الأبناء ، وبهذا يكون قد انتهى

عمل اليوم .

● **وترتيب عمل الليلة :**

- فترة ما بين المغرب والعشاء قصيرة ، ومن أجل ذلك ما ينبغى أن تضيع بغير عمل مفيد يرضى الله تبارك وتعالى ، وجمع الأهل والأبناء على قراءة حديث نبوى أو جزء من سيرته ﷺ من أحسن ما يقدمه المسلم لأهله وولده فى ذلك الوقت المبارك من الليلة .
- والتوجه إلى المسجد لأداء فريضة العشاء وبصحبة الأهل والقادرين من الأبناء .
- ثم انصراف كل من فى البيت بعد ذلك لأداء واجبه الذى لم يكمله فى أثناء النهار ، إن كان طالب علم أو مطالباً بأى عمل يجب عليه أداؤه ، بحيث يفرغ من أداء هذا العمل فى وقت مبكر نسبياً ، وهو ساعتان بعد العشاء على الأكثر .
- ثم النوم بعد ذلك ، ورفض السهر لأنه مخالف للسنة ومجهد للجسد ، ومفقد للنشاط والحيوية عند الاستيقاظ لصلاة الفجر .
- ولو استطاع الأبوان أن يرتبا يوم العطلة الأسبوعية أو يوميها بحيث يتيحان للأولاد فرصة نزهة وترويح وزيارة الأقارب والأرحام لكان ذلك من حسن استثمار الوقت ومن أسباب رضا الله تبارك وتعالى .
- ولو استطاع الأبوان أن يختارا من كل أسبوع يوماً أو يومين لقيام بعض الليل وإحيائه بالذكر والعبادة لكان فى ذلك الخير كل الخير .
- ولو استطاعا اختيار ثلاثة أيام من كل شهر لصيامها نفلاً على الوجه الذى سنه رسول الله ﷺ ، أو صاما مع القادرين من أبنائهما يومين من كل أسبوع على الوجه الذى سنه النبى ﷺ لكان فى ذلك خير كثير .

هذا توظيف لوقت المسلم فى اليوم والليلة ، لو وفق إليه الأبوان فسوف يجدان له أحسن الأثر فى أبنائهما بإذن الله تبارك وتعالى .

وهذا الترتيب الذى اقترحته سهل وميسر إذ ما شاء الله على من رغب وعزم وأراد ، وهو بعيد عن المبالغة وبعيد عن الإهمال والتقصير .

والله أسأل أن ينفع بهذا الاقتراح ، ولكل من المسلمين أن يزيد عليه وأن ينقص منه بما يحقق مصلحته غير أن الجانب العبادى من هذا الاقتراح هو الحد الذى أراه معقولاً وميسوراً بإذن الله تعالى .

جـ - والالتزام بشروط الإسلام وآدابه فى محتويات البيت المسلم

الإسلام الحنيف - وهو ينظم حياة الناس وفق منهجه ونظامه - لم يدع شيئاً مما له صلة بحياة الإنسان إلا نظمه وأوضح معالمه مهما بدا هذا الشيء صغيراً أو ثانوياً فى نظر بعض الناس ، وذلك من أروع وأحسن ما فى منهج الإسلام حيث لم يدع شيئاً إلا نظمه .

ولقد حظى البيت المسلم بوصفه مأوى ومهجعاً ومكاناً لتربية الأولاد منذ طفولتهم الباكرة بأوفى نصيب من الاهتمام والرعاية ، ولئن كان الاهتمام فيما سبق من الكلام بالأبوين والأولاد ومن فى البيت من ناس : آباء وأمهات وإخوة وأخوات وأقارب وأرحاماً وأصدقاء وجيراناً ، فإن البيت مبنى ومحتويات لابد أن يحظى باهتمام يلائم هذا المكان وما يحتويه .

إن الإسلام حرص على أن يكون مبنى البيت ملائماً للسكنى وغير مؤذ أو متعد على مبانى تجاوره وغير كاشف لعورات البيوت الأخرى ، وغير مبالغ فى بنائه .

كما حرص الإسلام على أن تكون محتويات البيت المسلم ملائمة وموافقة لأخلاق الإسلام وآدابه ، ولذلك وضع شروطاً وآداباً لمحتويات البيت المسلم وألزم بها من كان يريد أن يرضى به .

وسوف نتحدث فى مجال البيت المسلم ومحتواه فى نقطتين هما :

- الأثاث والمتاع .
- والنظام والنظافة والهدوء .

والله ولى التوفيق .

- الأثاث والمتاع :

شرط الإسلام فى أثاث البيت ومتاعه ألا يكون من بينه شيء مما حرم الله كالتماثيل

والصور والكلاب والأجراس ، فهذه الأشياء يجب أن تنزه عنها بيوت المسلمين ، لما لوجودها فيها من مخالفة الدين وضرر وحرمان من البركة والخير ، وحسبنا فى هذا المجال أن نذكر بما رواه البخارى بسنده عن أبى طلحة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير » وفى رواية أخرى : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس » .

وفى رواية لمسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس » .

وكل أثاث أو متاع فى البيت المسلم ينبغى أن يكون غير مبالغ فيه ، أى خالياً من الإسراف والتقتير .

أما الإسراف فمرفوض لأن الله تبارك وتعالى حرمه حتى فى الطعام والشراب ، قال الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[1] .

وأما التقتير فقد حرمه الله تعالى مع الإسراف فى آية واحدة هى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2] . فلا إسراف فى أثاث البيت ولا تقتير فيه ، ولا تزمت فى هذا أو ذلك ولا تساهل .

والقاعدة العامة فى تعامل المسلم مع ما فى هذه الدنيا من متع وطيبات هى : « من غير سرف أو مخيلة » وفى الوقت نفسه ينكر الله سبحانه وتعالى على بعض المسلمين المتشددين تشددهم بحرمانهم أنفسهم مما أحل الله من طيبات الحياة الدنيا ، فيقول :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[3] .

إن كل ما يحتويه البيت المسلم من أثاث ورياش يخضع لقاعدة التمتع بطيبات الحياة الدنيا من غير سرف أو مخيلة ، روى الإمام مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه أن

(1) سورة الأعراف : ٣١ . (2) سورة الإسراء : ٢٩ . (3) سورة الأعراف : ٣٢ .

رسول الله ﷺ قال له : « فِراشٌ للرجل وفراشٌ لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان » .

إن الرثاء كل الرثاء للمسلمين الذين يضعون فى بيوتهم تماثيل من نحاس أو خزف أو غيرها ، فهم يخالفون ما دعا إليه الإسلام ويعيشون فى بيوت منزوعة البركة لا تدخلها الملائكة ، وكذلك الذين يضعون فى بيوتهم صوراً يعلقونها على الحوائط بحجة تزيين البيت وتحسينه ، فالتزيين والتحسين مطلوبان ولكن فى غير ما نهى الله عنه ، فقد روى مسلم بسنده عن أبى طلحة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل » .

وكذلك الشأن فى محتويات البيت من أدوات الطعام حيث تحظر آنية الذهب والفضة وأدواتهما فى الطعام والشراب ، لأن الإسلام نهانا عن ذلك .

فقد روى مسلم بسنده عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شرب فى إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر فى بطنه ناراً من جهنم » .

وروى مسلم بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : استسقى حذيفة رضى الله عنه فسقاه مجوسى فى إناء من فضة فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها ، فإنها لهم فى الدنيا » .

وروى مسلم أيضاً بسنده عن عبد الله بن حكيم قال : كنا مع حذيفة رضى الله عنه بالمدائن فاستسقى حذيفة فجاءه دهقان بشراب فى إناء من فضة فرماه به وقال : إنى أخبركم أنى قد أمرته ألا يسقينى فيه ، فإن رسول الله ﷺ قال : « لا تشربوا فى إناء الذهب والفضة ، ولا تلبسوا الديباج والحرير ، فإنه لهم فى الدنيا وهو لكم فى الآخرة يوم القيامة » .

وروى مسلم بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع :

- أمرنا بعيادة المريض .
- واتباع الجنائز (أو الجنازة) .

- وتشميت العاطس .
- وإبرار القسم (أو المقسم) .
- ونصر المظلوم .
- وإجابة الداعى .
- وإفشاء السلام .

ونهانا عن :

- خواتيم أو تختم الذهب .
- وعن شرب بالفضة .
- وعن المياثر - جمع ميثرة وهى سروج توضع فوق ظهور الخيل من الحرير أو الصوف .
- وعن القسى .
- وعن لبس الحرير .
- والاستبرق .
- والديباج » .

ومن محتويات بيوت المسلمين اليوم :

المذياع والتلفاز و « الفديو » .

وهذه كلها أدوات أو آلات لا تحرم فى ذاتها ، ولا يحرم مجرد وجودها فى البيت المسلم ، وإنما الذى يحرم هو الذى يعرض فيها مما حرم الله أو كره فيه .

فلو كانت هذه الأدوات أو الوسائل تقدم شيئاً نافعاً للمسلمين فى الدين أو الدنيا فلا بأس بها ولا بما تقدمه .

ولابد لى أن أؤكد هنا أن المسلمين عموماً ورجال الحركة الإسلامية على وجه الخصوص فى غفلة عن أهمية ما يجب أن يفعلوه مع هذه الوسائل لترشد ولا تلحق ضرراً بدين المسلمين أو دنياهم .

إن هذه الوسائل لابد أن يتوفر لها وعليها مؤلف مسلم ومخرج وممثل ومهندس

صوت ومهندس مناظر ، وكل ما تحتاج إليه من رجال تمارس عملها مع المسلمين الفاهمين لدينهم الملتزمين بأخلاق الإسلام وآدابه .

وكذلك الشأن فى السينما والمسرح ، لابد أن يوجد كل أولئك وأن يعكفوا على دراسة هذه التخصصات ، أو يرى المسلمون أنفسهم ورجال الحركة الإسلامية وقد اقتحمت عليهم هذه الوسائل حياتهم وهى خلو من أى محتوى إسلامى ، وعندئذ لا ينفع ندم ولا يمكن أن يستدرك ما فات من الزمان .

– والنظام والنظافة والهدوء :

البيت المسلم لا يطبع بالطابع الإسلامى إلا كان منظماً نظيفاً هادئاً ، فكل صفة من هذه الصفات الثلاثة مطلب أساسى فى كل بيت مسلم ، وكل هذه الصفات للبيت قد حبب فيها الإسلام ودعا إليها .

ونظام البيت المسلم يعنى حسن ترتيب ما فيه ، وسرور العين حين تقع عليه وعلى محتوياته ، أو بمعنى آخر إن نظام البيت يعنى جماله وجمال كل ما فيه ، والجمال هو الحسن الكثير ، وهو وصف للنفس وللقول وللعمل ولجميع الأشياء إذا أحس من يراها بحسن فيها وترتيب ونظام وقد وصَف اللهُ سبحانه بأنه جميل وبأنه يحب الجمال .

وروى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كِبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

والبيت المسلم لابد أن يكون نظيفاً طيباً محبباً إلى أهله وإلى كل من يدخله من قريب أو صديق أو جار ، لأن النظافة مطلوبة من المسلم فى كل حال النظافة المعنوية والنظافة الحسية والنظافة الذاتية ونظافة البيت وكل مكان يحل به المسلم .

روى الإمام الترمذى بسنده عن عامر بن سعيد عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم جواد يحب الجود ، نظفوا أفنيتكم » .

والمسكن الطيب هو الطاهر النظيف المستلذ من جهة النفس ومن جهة الحواس ، وقد وصف الله تعالى المساكن بأنها طيبة فى قوله تعالى : ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾[1] .

ومن سمات نظام البيت المسلم ونظافته أن يكون حسن الإعداد ملائماً بما يحتويه لحاجات ساكنيه من غير إسراف ولا مخيلة ، قادر على استقبال الضيف .

وأحب أن أقول كلمة إلى الذين يرون النوم على الأرض وتناول الطعام على الأرض هو الواجب ...

إن اتخاذ الأسرة فى النوم واتخاذ الموائد فى تناول الطعام واتخاذ الكراسى وأشباهها فى الجلوس ، ليست من الحرام ولا من المكروه وإن كان بعضها قد ابتدع بعد حياة النبى ﷺ أو انتقل إلى المسلمين من غيرهم من الأمم .

إذ ليس كل ما نقل عن الآخرين أو ابتدع للحاجة إليه حرام أو مكروه ، فلا قائل بهذا من العقلاء من المسلمين ، وإنما الحرام والمكروه : ما اشتمل على شيء يخالف أمراً جاءت به الشريعة الإسلامية فيكون حراماً أو يخالف سنة عن النبى ﷺ فيكون مكروهاً .

ما ورد من أن النبى ﷺ لم يأكل على خوان ... لا يدل على تحريم الأكل عليه ولا على كراهية ذلك إن العبرة فى التحريم والكراهية هى أن يجلب استعماله ضرراً أو يحول بين منفعة ولن يكون كذلك إلا إذا كان مخالفاً لأمر جاءت به الشريعة أو أمر جاءت به السنة النبوية المطهرة .

كذلك ما ذكره بعض العلماء من أن أربعاً أحدثت بعد رسول الله ﷺ هى : الموائد ، والمناخل ، والأشنان « الصابون » والشبع .

فيرد عليه بأن هذه الأربع معظمها مما تتحقق به فائدة فلا بأس من استعمالها حتى ولو كانت مما استحدث بعد الرسول ﷺ .

وعلى سبيل المثال : فإن الأشنان « الصابون » لغسل الأيدى أو البدن أو الملابس أتم وأحسن فى النظافة والتنقية ، والنظافة كما قلنا آنفاً مطلب شرعى .

(١) سورة التوبة : ٧٢ .

وكذلك المنخل فإن المقصود به جعل الطعام أطيب وأهنأ ولا مانع من ذلك ولا بأس فيه مادام بعيداً عن السرف ، بل هو داخل فى الطيبات من الرزق لأن الطيب كما قلنا هى ما تستلذه النفس ... إلخ .

وكذلك الشأن فى استعمال المائدة فى الطعام ، لا بأس به مادام غير مؤد إلى الإفراط فى التنعم .

أما الشبع بمعنى الإسراف فى تناول الطعام فهذا منهى عنه شرعاً بنص القرآن الكريم فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[1] وليس الشبع فى ذاته حراماً لما ورد فى سنة النبى ﷺ من أنه ﷺ كان يجوع يوماً ويشبع يوماً . وما نهى عن شبع ، بل إن قصة أبى طلحة وأم سليم معروفة وقد رواها البخارى فى باب الأطعمة بسنده عن أنس رضى الله عنه « ... فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ... » .

وكذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه « .... فحدثت نفسى أن رسول الله ﷺ قد أتى بعض الأنصار فأكل حتى شبع وشرب حتى روى .... » .

وهكذا نعلم أنه هذه الأربع وغيرها مما استحدث ينبغى أن ينظر إليه المسلم على أنه ليس حراماً كله وليس مكروهاً كله ، وإنما كل ما حقق منفعة دنيوية منه فهو مباح ما لم يخالف شيئاً مما جاءت به الشريعة .

وروى الطبرانى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعَّده الله من النار » .

وأما هدوء البيت المسلم ، فهو مطلب فى ذاته ، لأن مقابل الهدوء هو الصخب ، والبيت الصاخب يحول بين أهله وبين الراحة والسكن والطمأنينة .

والصخب منهى عنه فى البيت وفى غير البيت ، فقد روى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ... » ولا يصخب أى لا يصيح .

---

(١) سورة الأعراف : ٣١ .

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال : اعتمر رسول الله ﷺ واعتمرنا معه ، فلما دخل مكة وطاف ، وطفنا معه وأتى الصفا والمروة وأتيناها معه ، وكنا نستره من أهل مكة أن يرميه أحد ، فقال له صاحب له : أكان دخل الكعبة ؟ قال : لا ، قال : فحدثنا ما قال لخديجة قال : بشروا خديجة ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » .

والبيت الذى فيه صخب أو صياح يحرم أصحابه الهدوء والعمل المثمر المفيد ، بل سريعاً ما ينتقل الصخب إلى الفوضى والعبث والاضطراب .

إن هدوء البيت ضبط جيد له ولكل ما فيه ومن فيه ، حتى يشب الأبناء على الهدوء ، ومن كان هادئاً كان أكثر تعقلاً وأكثر إنتاجاً وأدنى إلى النجاح والفلاح فى أى عمل يقوم به .

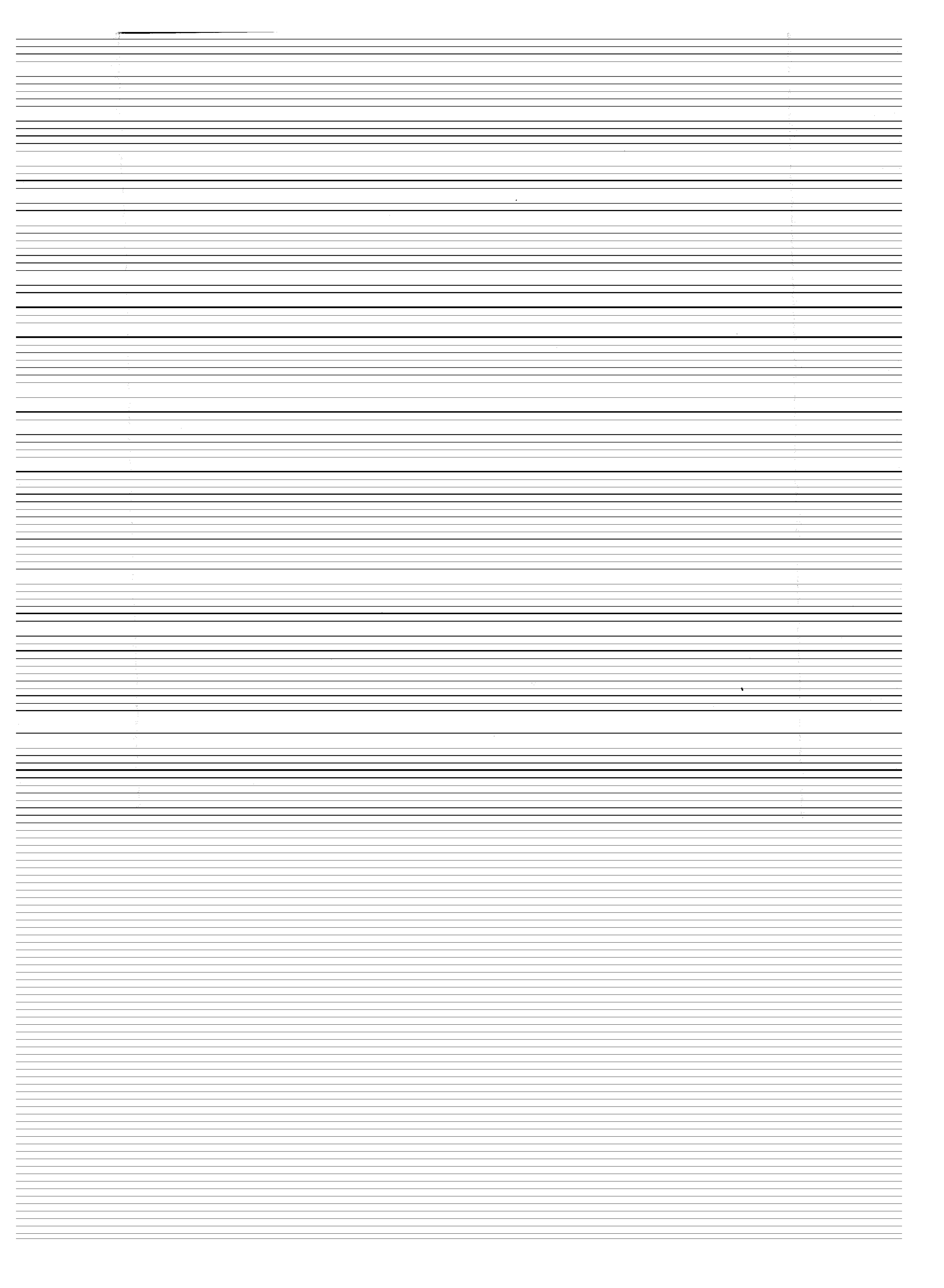
ونحن المسلمين لنا فى رسول الله أسوة حسنة ، وقد كان الهدوء من صفاته ﷺ .

روى الدارمى بسنده عن كعب رضى الله عنه قال : نجده مكتوباً – أى فى التوراة – محمد رسول الله (ﷺ) لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر » .

وهدوء الناس فى البيت كباراً وصغاراً هو هدوء البيت نفسه ، وإذا هدأ البيت هدأت الأعصاب وانصرف كل من فيه إلى العمل والإحسان والتجويد .

إن رب الأسرة ووليها مطالب أن يهيىء لبيته كل ما يجعله ملتزماً بأحكام الإسلام وشروطه وأخلاقه وآدابه فى محتويات البيت وفى نظافته ونظامه وهدوئه .

وبعد : فذلك الذى ذكرنا من التعاون بين الناس على البر والتقوى فى التربية الإسلامية وفى طبع البيت بطابع إسلامى وصيانته عن كل ما يخالف الإسلام وتوفير الظروف الملائمة له لكى يلتزم بأحكام الإسلام وشروطه وآدابه ، هو من صميم توظيف الأخوة فى الإسلام على مستوى المجتمع – على النحو الذى فصلناه الآن ، فإذا ضم إلى حديثنا فى الفصل الأول عن توظيف الأخوة فى الإسلام على مستوى الأفراد ، تبين لنا كيف توظف الأخوة فى الإسلام لصالح العمل الإسلامى ، وهو ما أردنا أن نوضحه فى هذا الباب الثالث من الكتاب والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

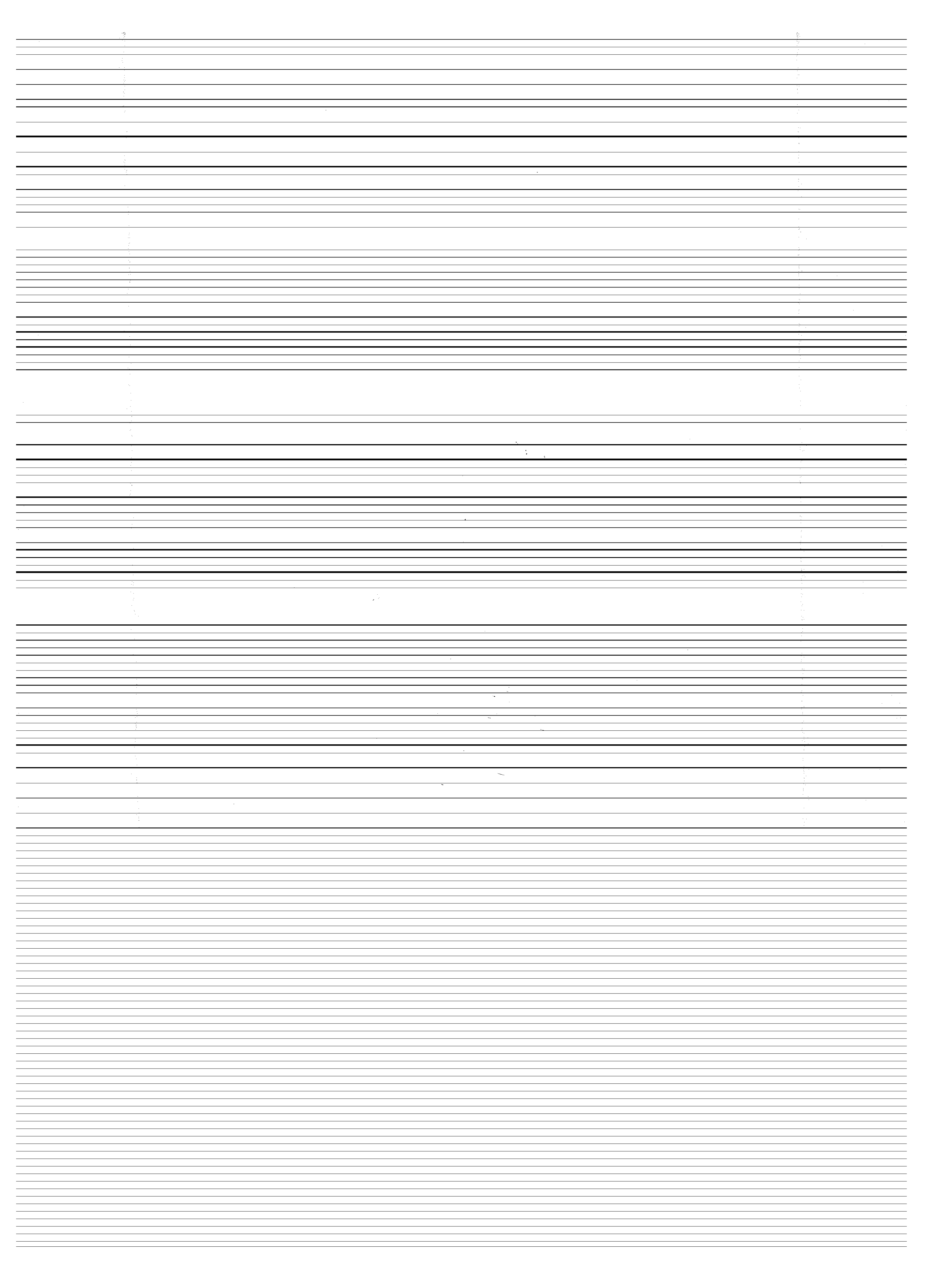


الباب الرابع

الأخـــوة فى الإســـلام
بين الأهداف والوسائل والسياسات

ويتناول :

التمهيـــــــد :
والفصل الأول : الأخوة الإسلامية بين الأهداف والوسائل .
والفصل الثانى : الأخوة الإسلامية بين السياسات .



التمهيـــد :

تم بفضل من الله ونعمة بهذا الباب الرابع من الكتاب أبوابه الأربعة ، لنستكمل بذلك أبعاد الصورة التى أردنا أن نوضحها للأخوَّة الإسلامية فى عصرنا الذى نعيشه الآن والذى يمكن أن نسميه عصر الصحوة الإسلامية ، على الرغم مما فى هذه الصحوة من قصور هنا وتجاوز هناك .

ونحاول فى هذا الباب الأخير من الكتاب أن نضع الأخوة فى الإسلام فى مجالها العملى التطبيقى موضحين كيف تستثمر هذه الأخوة لتحقيق أهداف العمل من أجل الإسلام من خلال وسائله المشروعة واستجابة لسياساته .

وسيكون ذلك بإذن الله بما يلى :

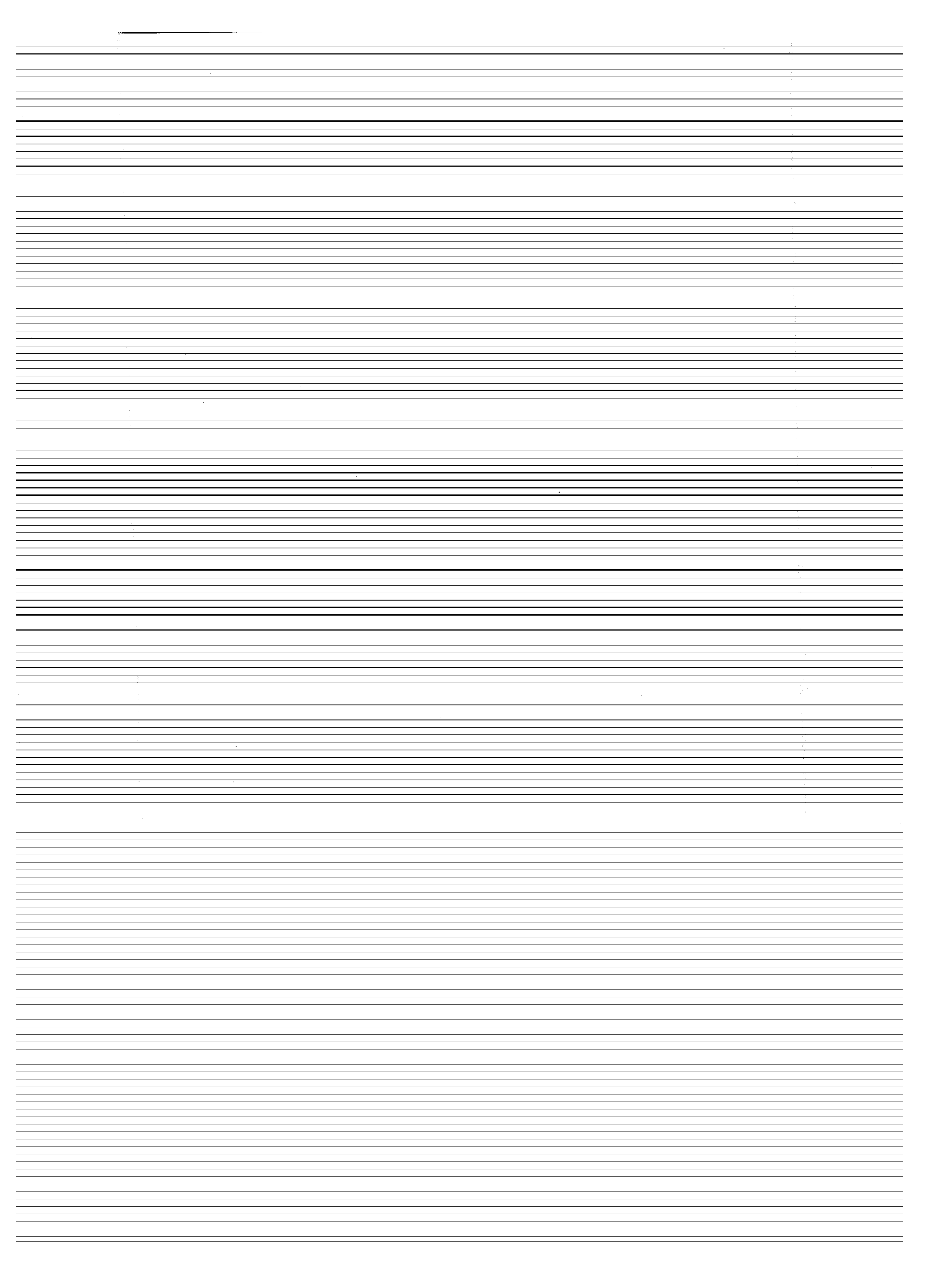
- رصد هذه الأهداف هدفاً هدفاً ، وتحديد مكانَ الأخوة ومكانتها من تحقيق هذه الأهداف .
- وتحديد وسائل العمل من أجل الإسلام وسيلة وسيلة النظرى منها والعملى ، موضحين الأسلوب الأمثل لاستثمار هذه الأخوة فى التعامل لكى تتعامل مع هذه الوسائل .
- وتحديد السياسات فى مجال العمل من أجل الإسلام ، السياسة الآنية الحاليّة ، والسياسة للمستقبل ، والسياسة المحلية الوطنية والسياسة العربية والسياسة الإسلامية والسياسة العالمية .

وسوف يشتمل هذا الباب على فصلين :

الأول منهما عن : الأخوة الإسلامية بين الأهداف والوسائل .

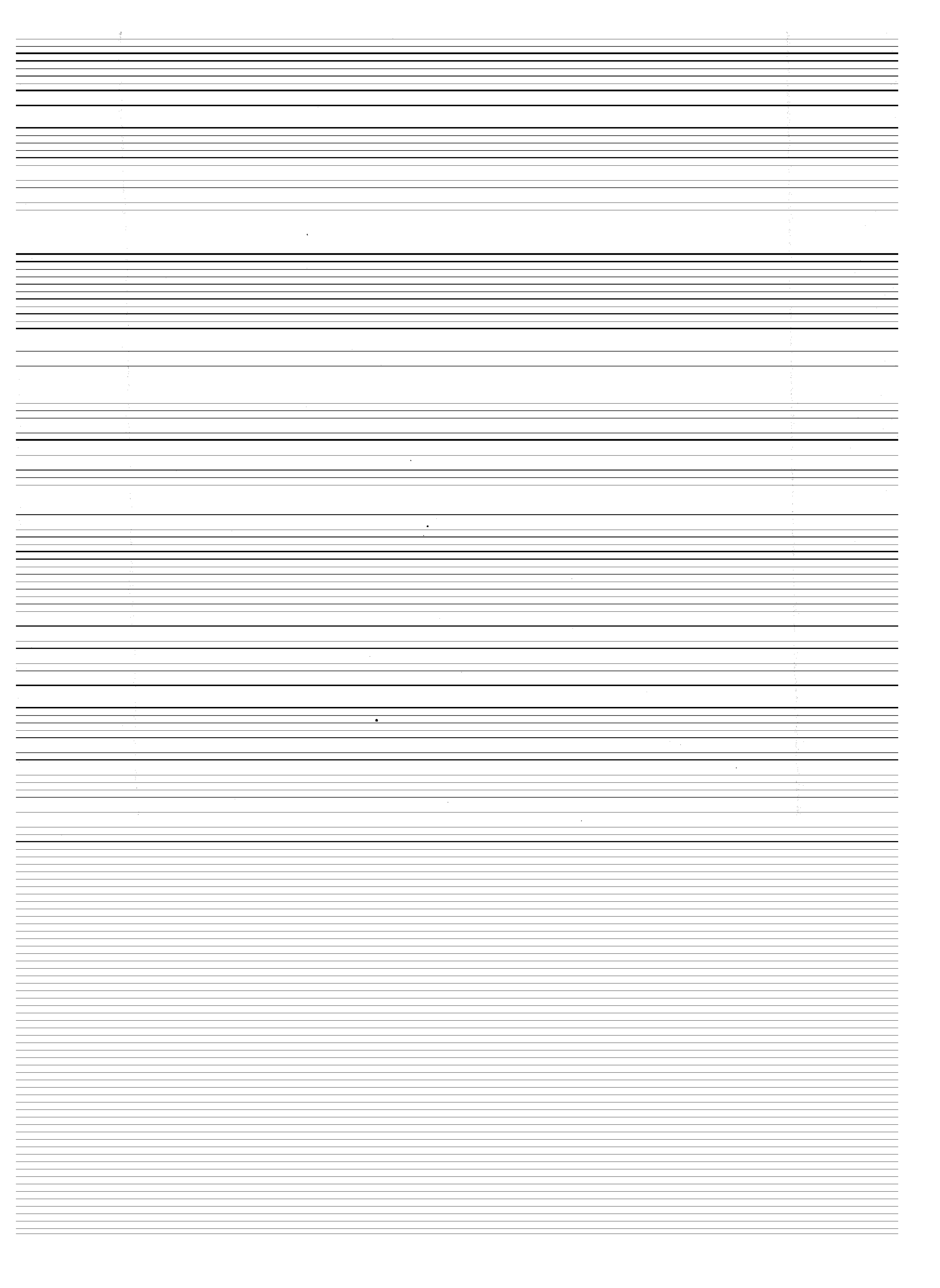
والثانـى عـن : الأخوة الإسلامية بين السياسات فى العمل من أجل الإسلام .

وفى كل فصل منهما سوف نحاول تحديد الجهد الذى ينبغى أن يبذله الإخوة فى الإسلام لتحقيق هذه الأهداف ، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد .



الفصل الأول

الأخــــوة الإســــلامية
بين الأهداف والوسائل



الأخوة الإسلامية بين الأهداف والوسائل

ما من عمل ناجح إلا ويكون من بين أسباب نجاحه تحديد أهدافه ، والتعرف على وسائل تحقيق هذه الأهداف ، وما ضربت الحركات الإسلامية – على مر تاريخنا الإسلامى – إلا حين تغيب عنها الأهداف ، أو تغيم ولا تتضح ، أو تضطرب لديهم الوسائل ويساء استخدامها ، أو تفقد شروط الوسائل التى اشترطها الإسلام .

وليس بغريب على حركة إسلامية بالأمس أو اليوم أن تغيب عنها الأهداف أو تغيم الرؤية ، لأن كل حركة إسلامية تكون فى الغالب محاطة بالأعداء الظاهرين أو المستترين ، يكيدون لها ويضعون أمامها العقبات والعراقيل بقصد إفشالها وإحباط عملها وصرفها عن تحقيق أهدافها ، بل قد تُصادر الحركة الإسلامية كلها فتتوقف عن تحقيق الأهداف مضطرة إلى هذا التوقف .

وكذلك الشأن فى الوسائل إذ تخطىء الحركة الإسلامية فى اتخاذ الوسائل أو تعجز عن تنقيتها من الشوائب التى تفرض عليها فرضاً .

وقد يحال بين حركة إسلامية وبين التعامل مع أى وسيلة من الوسائل .

١ - الأخوة الإسلامية بين الأهداف

ما من شك أن الأخوة فى الإسلام عون على تحقيق أهداف العمل من أجل الإسلام ، إذ مهما كان الهدف محدوداً فى الزمان أو فى المكان ومهما كان كبيراً فإن تضافر الجهود فى سبيل تحقيقه تيسر ذلك وتعين عليه ، بأفضل من أن يقوم بتحقيقه فرد أو أفراد قلائل لأن المتآخين فى الإسلام كثرة وبركة .

والأفراد المجتمعون على تحقيق هدف من الأهداف كلما كانوا أكثر تقارباً وتفاهماً ، وأكثر تشابهاً فى التوجهات ، كلما كان ذلك أعون لهم على تحقيق أهدافهم .

فإذا كان الهدف ليس واحداً وإنما أهداف كثيرة تحتاج إلى زمن متطاول ، كان لابد أن يتعاون على تحقيقه أكبر عدد من الناس .

ولن يلتقى الناس بسهولة على تحقيق أهداف عديدة ، وإنما المتوقع أن يدب بينهم الخلاف وربما الصراع ، ومن هنا كان المتآخون فى الإسلام - وهم فى الأصل قد جمعت بينهم أخلاق الإسلام وآدابه ، واجتمعوا على محبة الله وكتابه ودينه وخاتم أنبيائه محمد ﷺ ، بل وحدث بينهم رغبة كل منهم فى أن ينصر هذا الدين ويعلى شأن هذه الشريعة فيحلها من الناس حيث يتحاكمون إليها ويرضون بأحكامها ، وكانوا على فقه بحقوق الأخوة فى الإسلام وواجباتها ، وعلى وعى بالعمل من أجل الإسلام ومدى حاجته إلى أن يدعم بهذه الأخوة ، وذوى خبرة وبصر بكيفية توظيف أخوتهم تلك لحاجات العمل من أجل الإسلام .

من هنا كان لابد أن يصبح المتآخون فى الإسلام أولى الناس بأن يعملوا جاهدين على تحقيق أهداف العمل الإسلامى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

فما هذه الأهداف ؟

يمكن دمج هذه الأهداف جميعاً - وهى متعددة كما سنرى - فى مقولة واحدة هى :

« توصيل دعوة الله إلى الناس كافة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، كيلا يعبد غير الله فى الأرض دون إكراه لأحد على الدخول فى دين الله ، وتطبيق شرع الله ومنهجه ونظامه على العالم الإسلامى ليحل هذا المنهج محل القوانين الوضعية الظالمة التى دأبت على هضم حقوق الإنسان » .

أو بتعبير أكثر اختصاراً ، « إقامة الدولة الإسلامية التى تطبق منهج الله على عباد الله » .

ذلك هو الهدف الكبير أو الهدف العام ، غير أن تحقيق هذا الهدف وهو بهذا الإجمال والشمول صعب يحتاج إلى تفصيل وتحديد أهداف جزئية .

ويمكننا أن نحدد هذه الأهداف الجزئية على النحو التالى :

أولاً :

الدعوة إلى الله :

وهى أول الأهداف وأهمها ، وهى فى كلمات : توصيل دعوة الله إلى كل الناس فى الأرض وفق شروطها وآدابها ووسائلها ومراحلها[1] .

ولا تستطيع الدعوة إلى الله أن تصل إلى تحقيق أهدافها على نحو جيد إلا إذا كان الدعاة إلى الله متآخين فى الإسلام يعين بعضهم بعضاً ويشد بعضهم من أزر بعض .

وسواء أكانت الدعوة إلى الله فردية[2] أو من خلال حلقة خاصة ، أو كانت عامة فى المسجد أو أى مكان يتجمع فيه الناس ، فإن التآخى فى الإسلام يمهد لمفردات الدعوة وييسر سبلها .

● فقد يستعين الأخ بأخيه فى الإسلام على مدعو فى الدعوة الفردية ليرد على شبهة أو يزيل فرية أو يعين على عبادة أو يؤدى للمدعو خدمة ، وهو فى كل ذلك يشد أزر أخيه ويعينه على مدعوه ليبلغ به الهدف وهو تعريف المدعو بالإسلام ودعوته إلى الالتزام بأحكامه وأخلاقه وآدابه .

---

(١) انظر للمؤلف كتاباً موسعاً بعنوان : فقه الدعوة إلى الله .
(٢) انظر للمؤلف : فقه الدعوة الفردية نشر دار الوفاء .

● وفى الحلقة الخاصة قد يستعين بأخيه فى الإسلام على مدعوه بأن يقدم له النصح ، أو يزيل له بعض صعوبات المنهج فى الثقافة النظرية أو العملية أو التدريب أو المتابعة والتقويم .

● وفى الحلقة العامة فى المسجد أو فى غيره من الأمكنة التى يجتمع فيها الناس ، يستعين بأخيه فى الإسلام بأن يطلب منه المشاركة فى إلقاء درس أو نحوه مما يعود بالنفع على المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وقد يكون بمعاونة أحد المدعوين على أن يصل إلى مستوى أعلى مما هو عليه فى مجال فهم الإسلام والعمل بمقتضاه .

● وقد تكون معونة المتآخين فى الإسلام بسد الخلل الذى يوجد فى وسائل الإعلام لدى العاملين من أجل الإسلام ، إذ من المسلم به أن وسائل الإعلام هى الرئة التى تتنفس من خلالها الدعوة إلى الله ، ومن المسلم به كذلك أنه من الضرورى أن يكون للعاملين من أجل الإسلام نشاط وإسهام فى وسائل الإعلام ومفرداته ، فلابد أن يكون منهم مؤلفون للمسرح و « السينما » ومخرجون ومهندسو صوت ومناظر وممثلون وكل ما تحتاج إليه وسائل الإعلام المرئية ، ولابد أن يكون منهم كتاب فى الصحافة وقصاص ومحدثون ومحاورون وكل ما تحتاج إليه وسائل الإعلام المسموعة أو المقروءة .

إن العيب كل العيب – بل أعتبره من معوقات الحركة الإسلامية أن يكتفى دعاة الإسلام بالحديث عن سلبيات الإعلام ووسائله دون أن يقتحموا هذا المجال بتقديم البدائل الأحسن للناس ، القادرة على جذب انتباههم ونفعهم فى دينهم ودنياهم .

ثانياً :

التربية الإسلامية :

وتستهدف هذه التربية تكوين الشخصية الإسلامية فى صورتها المتكاملة من الجوانب الروحية والعقلية والنفسية والاجتماعية والبدنية ، بحيث تتضح هذه الجوانب بالتربية فتصبح هذه الشخصية قادرة على التعامل الصحيح الجيد مع الخالق سبحانه ومع النفس ومع سائر الناس والأشياء والمتغيرات تعاملاً يتفق مع منهج الإسلام وأخلاقه .

وسواء أكانت هذه التربية للنشء فى البيت أو فى المدرسة أو فى المسجد أو فى المجتمع ، أو للكبار فى مختلف مناشط حياتهم .

وسواء أكانت التربية ذاتية يقوم بها الشخص نحو نفسه ليستكمل بها كل ما يحتاج إليه من جوانب الثقافة النظرية أو العملية ، أم كانت تربية وفق منهج وكتاب ومعلم فى حلقة أو مدرسة أو مسجد .

هذه التربية بكل أنواعها لا يثريها ولا يعين عليها وييسر سبلها مثل التآخى فى الإسلام ، إذ المتآخون فى الإسلام جميعاً مشغولون بقضايا التربية ومهمومون بمشكلاتها ، لأنهم يرون فى التربية الأسلوب الأمثل فى نقل المسلمين من واقعهم السىء الذى يعيشونه ، إلى حيث يمكن تطبيق منهج الله على عباده ، ليحققوا من خلال ذلك ما يرتجى منهم من التقدم والتحضر والرقى والحياة الإنسانية الكريمة اللائقة بكرامة الإنسان وتكريم الله سبحانه له .

ومن المسلم به كذلك أن التربية الإسلامية لا تستطيع أن تعطى عطاءها المرجو إلا إذا كانت هناك عناية فائقة بإعداد المدرس والكتاب والمدرسة والإدارة التعليمية ، من المدرسة الأولى فى حياة الطفل وإلى المرحلة الجامعية .

إن معظم ما يعانيه العالم الإسلامى اليوم من مشكلات أدت إلى أن تراجعه الحضارى يعود أكثره إلى خلل فى التربية التى يتلقاها أبناؤه بعيداً عن القيم والمبادىء الإسلامية .

ثالثاً :

الحـــركة :

ونعنى بها التحرك بالإسلام قيمه ومبادئه إلى الناس حيث يوجدون فى أماكن تجمعهم أو تواجدهم دون انتظار حضورهم إلى حيث يوجد الدعاة ، أى الاختلاط بالناس وحبهم وحب الخير لهم ، والرغبة الصادقة فى تقديم النفع لهم فى دينهم أو دنياهم ، مع الصبر على تحمل ما يصدر منهم من أقوال وأعمال ربما تسىء إلى الدعاة .

كما تعنى الحركة القدرة على التأثير فى الناس بتوفر عناصر التأثير فى الداعى إلى الله[1] ، والقدرة على تصنيفهم ومعرفة ما يميز كل صنف عن غيره والاستجابة لما يحب كل صنف منهم فى ضوء ما يرضى الله تبارك وتعالى .

(١) تحدثنا عن هذه العناصر التى تؤثر فى الناس بالتفصيل فى الفصل الثانى من الباب الأول من هذا الكتاب .

كما تعنى الحركة القدرة على توظيف المدعويين فى الأعمال التى يستطيعون ويحبون أن يمارسوها .

والمسلم المتحرك بالدعوة والتربية بين الناس أشد حاجةً إلى من يعينه ويشد أزره على المضى فى طريق الدعوة والتربية ولن يجد أفضل من أخيه فى الإسلام يسد به الخلل ويجبر به النقص والقصور ، سواء أكان هذا الخلل أو النقص أو القصور فى الداعى نفسه أم فى المدعو ، انطلاقاً من قيم الإسلام ومبادئه التى تنادى بأن المؤمن مرآة أخيه كلما وجد به قذى أزاله .

وأود أن أشير هنا إلى أن الفارق الذى يعنينا فى هذا المجال بين الدعوة والحركة[1] هو : أن الداعى إلى الله يذهب إلى الناس فى مسجد أو محفل أو أى مكان يتجمع فيه الناس فيؤدى واجب الدعوة إلى الله بقول كلمة الحق وإبلاغها للناس ثم يقف عمله عند هذا الحد من البيان .

أما الحركى فموقفه مختلف عن ذلك إذ هو يذهب إلى الناس كالداعية ولكنه لا يكتفى بمجرد الإبلاغ ولكنه يختلط بالناس ويحبهم ويقدم لهم الخدمات ويصبر على أذاهم ويؤثر فيهم ويصنفهم ويوظفهم فيما يحسنون ، حيث لا ينتهى عمله إلا إذا قام بكل تلك الخطوات .

وكذلك نحن بحاجة إلى أن نوضح الفرق بين الداعى والمربى على النحو التالى :

الداعى يدعو ويبلغ ويراوح فى دعوته ويجمع الناس على صحيح ما يقول وجمال بيانه وحسن عرضه ثم ينتهى عمله عند هذا الحد ولا تقصير عليه ولا تثريب .

أما المربى ففى الغالب يأتى بعد الداعى وقد رأى الداعى وهو يدعو ورأى المدعو الذى تأثر بالداعى ، فيعمد إلى هذا المدعو الذى تأثر بكلمة الحق وتجاوب معها فيتعهده بالصلة الطيبة والعناية والرعاية ، ويمده بالغذاء النافع الصحيح الذى يغذى قلبه بالعبادة ، وعقله بالثقافة وبدنه بالرياضة وأخوته الإسلامية بالتزكية ، وسلوكه وعمله بالالتزام بكل ما أمر به الإسلام ودعت إليه أخلاقه وآدابه .

---

(١) فصلنا ذلك الفرق فى كتابنا فقه الدعوة إلى الله مرجع سابق . نشر دار الوفاء ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م .

ويحتاج المربى إلى فقه بالدين وبالتربية وإلى ثقافة واسعة عميقة وإلى سعة صدر وصبر وطول نفس وتجنب لكل أسباب الضيق واليأس من أى مدعو .

رابعاً :

التنظيــم :

وهو يعنى – عندنا – أن أولئك الذين دُعوا إلى الله أو تحرك فيهم رجال الحركة الإسلامية أو الذين تعهدوا ورُبوا تربية إسلامية ، لابد لهم من تنظيم – وليس المقصود بالتنظيم كما يحلو لوسائل الإعلام أن تقول هو تنظيم مناهض للحكم – وإنما الغاية من هذا التنظيم مختلفة تماماً عن تلك الأوهام الأمنية أو الإعلامية ، إذ هى :

- وضع خطة لهؤلاء الناس تكفل تقدمهم فى فهم الإسلام علماً بالثقافة وعملاً بالالتزام بخلق الإسلام فى أقوالهم وأفعالهم وتعاملهم مع الناس ، وذلك أن مجرد فهم الإسلام أو استيعاب أحكامه لا يكفى لتكوين الرجل المسلم ، وإنما العبرة بالعمل والالتزام بكل ما جاء به الإسلام .
- وضع خطة تستدعى حشد الطاقات المادية وغير المادية ، وحسن توظيف هذه الطاقات لتحقيق الأهداف من خلال أنسب الوسائل وأرضاها لله فى الزمن الملائم وبالتكلفة الملائمة – كما يقول الاقتصاديون – .
- والتنسيق بين هذه الطاقات والموارد المادية وغير المادية بحيث يتم بينها التعاون ، ويزول عنها التضارب والتكرار والازدواجية فى العمل .

ويمكنها هذا التنسيق من التغلب على المشكلات ، باستيعابها واتخاذ القرار المناسب فيها .

- والتوظيف لهذه الطاقات كلها مادية وغير مادية بحيث لا يسند عمل إلا إلى من كان أهلاً له ، بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى غير الأهلية ، كمقولة : إن هذا العمل إذا لم يسند لمن يقوم به ضاع ، فلابد من إسناده لأى أحد ولو كان غير أهل له .

إن هذه المقولة أو الأخذ بها يحول بين القائمين على العمل وبين الإجادة والإحسان ، ويدل على سوء التوظيف ويظل دائماً حجر عثرة فى طريق الوصول

إلى الهدف .

– ويدخل فى التوظيف فى العمل الإسلامى إيجاد الوظيفة لمن يقوم بعبئها ، لأن القائمين على العمل من أجل الإسلام فى مجالات الدعوة والحركة والتربية يعملون وفق خريطة احتياج لوظائف بعينها مرحلياً أو بصورة عامة ، وهذا يتطلب إيجاد الوظيفة أولاً ثم إسنادها لمن استوفى شروط أهليتها .

– كما يدخل فى التنظيم – فى مفهومنا – التوريث ، وهو من أهم مفردات التنظيم حيث يعنى تقبل خبرات السابق للاحق بأمانة ودقة وإخلاص ورغبة ، أو مما يعاب على العمل بعامة ، وعلى العمل من أجل الإسلام بخاصة أن تبدأ كل عامل كما بدأ سابقه لينتهى فى الغالب حيث انتهى هذا السابق ، وإنما الأصل والأرحب أن يبدأ اللاحق من حيث انتهى سابقه ليدخل فى العمل التجديد والابتكار والتقدم ، ولا يكون ذلك إلا بنقل خبرة السابق للاحق وهو التوريث .

– كما يدخل فى التنظيم : الترشيح ، ويعنى أن القائم على العمل من أجل الإسلام وهو يدعو ويربى ويتحرك بالخير بين الناس عليه أن يضع نصب عينيه أن ينتقى ويختار من العاملين الجادين المخلصين الفاهمين من يرى فيه الأهلية لعمل مّا من الأعمال من أجل الإسلام ، فيرشحه له أى يزكيه ، وعليه أن يتقى الله حق تقواه فى هذه التزكية ، فلا يتساهل فى أى شرط من شروط الأهلية[1] وإلا أخل بالعمل والعامل وأخل بموقفه أمام الله تبارك وتعالى .

مع ضرورة أن يلحظ القائمون على العمل من أجل الإسلام أن التوقف عن الترشيح تَقِيَّةً أو خوفاً من تحمل هذه المسئولية أمام الله تعالى نوع من الهروب والسلبية لا يليق بواحد من الدعاة أو المربين أو رجال الحركة الإسلامية ، لا يقل فى الإخلال بالعمل عن ترشيح من لم يستوف شروط الأهلية ، وهو خطأ فى حق من توقف عن الترشيح يحرجه أمام الله تعالى ويضعه فى موضع المساءلة .

---

(١) تحدثنا بتوسع عن هذه الشروط فى كتابنا : التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة – نشر دار الوفاء ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م .

خامساً :

التخـصـص :

وهو من الأهداف الجزئية للعمل من أجل الإسلام ، بحيث لا يمكن أن نتصور العمل قد تم على وجهه الصحيح دون أن يكون القائمون عليه قد وضعوا فكرة التخصص موضع التنفيذ .

ونعنى بالتخصص توجيه عدد من طلاب العلم – العاملين فى الحقل الإسلامى – إلى التخصص فى فروع من العلم والمعرفة لسد الفراغات فيها .

ولا يستطيع العمل من أجل الإسلام أن يؤتى ثماره إلا إذا كان على رأسه علماء متخصصون فى مختلف مجالات العلم وعلى أعلى مستويات التخصص ، وإلا تحول العمل من أجل الإسلام إلى سلبيات وتواكل ودروشة وغياب عن الواقع وتجاهل لمتطلبات هذا الواقع ومتغيراته .

هذا التخصص يعنى أن يضع المسئولون عن العمل أمامهم خريطة احتياجات لجميع فروع العلم والمعرفة التى يحتاجها العمل من أجل الإسلام وعلى ضوئها يوجهون طلاب العلم إلى هذه التخصصات .

مع التحذير من التراكم فى بعض التخصصات والندرة فى بعضها الآخر ، لأن التنسيق أساس أصيل كما أوضحنا ذلك ونحن نتكلم عن التخطيط[1] .

- ويدخل فى هذه التخصصات إعداد قياديين للعمل الإسلامى فى كل مجالاته : الدعوة والتربية والحركة والتنظيم والإعلام وعشرات التخصصات التى تدخل تحت هذه الأسس الخمسة ، مما لا مجال لتفصيل الحديث فيه هنا فى هذا الكتاب[2] ولكننا نشير إشارات خاطفة على النحو التالى :

● تحتاج التربية إلى دراسات فى أصول التربية وتاريخها ومناهجها ، وإعداد المعلمين وإعداد الكتب وإعداد المبانى المدرسية وإعداد الإدارات التعليمية

---

(١) كان ذلك فى الفصل الثانى من الباب الأول من هذا الكتاب .

(٢) فصلنا ما يخص الدعوة فى كتابنا فقه الدعوة إلى الله ، ونأمل أن نفصل ما يخص التربية والإعلام والحركة والتنظيم فى المستقبل القريب إذا أذن الله وأعان .

وغير ذلك بشرط أن يكون ذلك من وجهة نظر إسلامية .

- وتحتاج الحركة إلى متخصصين فى علوم الاجتماع والسياسة والتربية وعلم النفس وعلم الإدارة والتخطيط وعلم الأخلاق وغيرها .
- ويحتاج التنظيم إلى متخصصين فى علم الإدارة بفروعه العديدة ، وعلم النفس وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم التربية وعلم التاريخ وعلم السياسة وعلوم عديدة أخرى .
- ويحتاج الإعلام إلى متخصصين فى علوم كثيرة مثل : علم الاتصال ، وعلم وسائل الاتصال ، وعلم السياسة ، وعلم العلاقات الإنسانية ، وعلم النفس ، وعلم الإخراج فى مجالات الإعلام العديدة وغيرها ذلك .

سادساً :

التمكـــين :

وهو من أهداف العمل من أجل الإسلام ، ونعنى به التمكين لدين الله فى الأرض وتحكيم شرعه فى عباده لتستقيم لهم الحياة فى الدنيا والآخرة .

ويعتبر التمكين هدف الأهداف بمعنى أن الأهداف التى سبقته من دعوة وتربية وحركة وتنظيم وتخصصات علمية عديدة تؤدى إليه تلقائياً ، فإذا لم تؤد إليه ففيها خلل أو فى القائمين عليها أو العاملين فيها .

وتمكين دين الله فى الأرض يعنى أن تكون الحكومة فى أى بلد مسلم حكومة إسلامية أى تطبق منهج الله على عباد الله ، ومن هنا تستطيع الحكومة الإسلامية أن تحل جميع مشكلات الناس فى حياتهم لأن الإسلام منهج شامل متكامل إنسانى عالمى قادر على حل كل مشكلات الإنسان الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو التربوية أو غيرها .

إن التمكين لدين الله ومنهجه فى الحكم يعنى بكل تأكيد تحقيق العدالة بين الناس لأن الله تعالى يأمر بالعدل ، وتحقيق أكبر قدر من الإنتاج وأعلى مستوى جيد منه لأن الله تعالى يأمر بالإحسان ، وتحقيق الأمن والاطمئنان لكل الناس لأن الإسلام نهى عن

ترويع المسلم فى جد أو هزل ، وتحقيق التكريم والكرامة للإنسان لأن الإسلام منع الظلم عموماً وكل ما دأب عليه الظالمون الغافلون من ضرب وتعذيب وعدوان على إنسانية الإنسان وكرامته والنبى ﷺ يقول : « ظهر المؤمن حمًى إلا فى حد أو حق »[1] .

إن التمكين لدين الله ومنهجه فى الحياة يعنى تطبيق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفق شروطهما وآدابها فى الإسلام ، ويعنى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، ويعنى أن يكون للمسلمين مكانهم ومكانتهم فى الحضارة الإنسانية التى فاق فيها المسلمون غيرهم يوم طبقوا منهج الله تطبيقاً صحيحاً[1] .

ومعنى التمكين لمنهج الله فى الناس أن لا يصبح فى المجتمع المسلم ظالم أو مستبد لأن الإسلام حرم الظلم وهدد الظالم وأعوانه بأنهم فى النار ، والمجتمع الذى يسود فيه منهج الله قادر بنظمه ومؤسساته وأفراده على التصدى لكل ظالم أو مستبد .

سابعاً :

المحافظة على التمكين :

وذلك يعنى أن ما وصل إليه المسلمون من تمكين لابد أن يحافظ عليه العاملون من أجل الإسلام ، فإن لم يحافظوا عليه ضاع وسقطت الحكومة الإسلامية التى عانى المسلمون فى سبيل الوصول إليها ، كما سقطت دول كثيرة فى ماضينا الإسلامى بعد العناء فى إقامتها ؛ لأن من أقاموها لم يحسنوا المحافظة على بقائها واستمرارها .

ولا تكون هذا المحافظة على التمكين إلا باليقظة والمتابعة لكل عامل فى الحقل الإسلامى لتسديده ومعاونته ، لا لتسقُّط عيوبه وأخطائه وتتبع عوراته .

كما تكون هذه المحافظة على التمكين بالحراسة الواعية لكل ما تحقق من أهداف .

وتتطلب المحافظة على التمكين من تطبيق النظام الإسلامى فى حساب المقصر والمهمل وعقاب من يستحق العقاب الدنيوى لأن الله تبارك وتعالى كفيل بعقاب الآخرة إن شاء عاقب وإن شاء عفا وغفر .

---

(١) انظر لنا : التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطرق التغلب عليه « نشر دار الوفاء ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣م .

ولنا فى تاريخنا القديم والوسيط والحديث شواهد وبراهين على أن الإهمال فى المحافظة على المكاسب يضيعها تماماً ، ويجعل الناس يبدأون من الصفر من جديد ويخسرون كل ما تعبوا فى الوصول إليه .

وبعد : فإن هذه الأهداف السبعة التى اعتبرناها أهدافاً جزئية لهذا الهدف الكبير الذى ذكرنا فى بداية حديثنا عن الأهداف ليست هى كل الأهداف وإنما هى بعضها .

وهذه الأهداف إنما يعين على الوصول إليها وعلى المحافظة عليها التآخى فى الإسلام كما أوضحنا غير مرة .

فمن ذا الذى يستغنى عن معونة أخيه فى الإسلام ، والتعاون بين المسلمين واجب على البر والتقوى ؟

ومن ذلك الجرىء – بل المغرور – الذى يستبد بالعمل من أجل الإسلام وحده ليواجه العجز والقصور وتعويق العمل من أجل الإسلام لأنه ترك الاستعانة بأخيه فى الإسلام ؟

وإن كثيراً من العاملين من أجل الإسلام إذا اعتراهم الكسل أو الفتور برروا لأنفسهم ذلك بأن العمل أكبر من قدرتهم وأن الواجبات أكثر من الأوقات ؛ إن هؤلاء قد فاتهم أن يستعينوا بإخوة لهم فى الإسلام على إنجاز العمل الذى أثقلهم فقعدوا عنه كسالى فاترين .

إن التآخى فى الإسلام لتحقيق هذه الأهداف يتمثل خير ما يتمثل فى قول المعصوم ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »[1] .

---

(١) الإمام أحمد : مسنده : ٤ / ٤٠٥ ط الريان القاهرة .

٢ - الأخوة الإسلامية بين الوسائل

الأخوة فى الإسلام يجب أن تكون فى خدمة الوسائل المشروعة التى تحقق أهداف العمل من أجل الإسلام ، تلك الوسائل التى تحدثنا عنها آنفاً .

ومن أجل توضيح أثر الأخوة الإسلامية فى الوسائل ، نعرض هذه الوسائل ، لنبين فى كل واحدة منها كيف تدعم بالأخوة الإسلامية دعماً مادياً ومعنوياً .

وفى البداية نحب أن نذكر بما أكدناه أكثر من مرة ، من أن هذه الوسائل جميعاً يجب أن تكون مشروعة بمعنى أنها لا تتضمن شيئاً نهى عنه الشرع الشريف ولا كُرِّه فيه .

وقد تحدثنا عن الشروط فى هذه الوسائل[1] باستفاضة وقد قسمناها هناك إلى قسمين :

وسائل عامة :

- كجمع الناس على فعل الخير .
- وحضور حلقة خاصة أو حلقة عامة .
- والتعاون على البر والتقوى .
- وممارسة الأعمال التى تزكى القلب وتطهره « العبادات » .
- وممارسة الدعوة إلى الله .
- والتعاون فى بناء المدارس والمشافى ودور الإيواء للمحتاجين إليها .

ووسائل خاصة :

- كإحياء روح الأخوة فى الإسلام بين الناس .

(١) انظر الفصل الأول من الباب الثانى من هذا الكتاب .

- وتربية الأبناء تربية إسلامية .
- وصبغ المجتمع بصبغة إسلامية .
- وإحياء مبدأ الشورى والعمل به .
- وإعطاء الناس الحرية فى اختيار من يمثلهم وينوب عنهم فى سائر المجالس النيابية وما يشابهها .
- وتكوين قيادات للعمل الإسلامى .
- ووضع نظام لمحاسبة المقصرين والمهملين .

كل تلك الوسائل وغيرها مما سنذركها الآن يستعان بها على تحقيق أهداف العمل من أجل الإسلام .

ونحب أن ننظر هنا للوسائل من زاوية أخرى غير تلك التى نظرنا إليها من خلالها بوصفها من الأعمال التى يمارسها الدعاة ويغلب عليها طابع الأسلوب العملى التطبيقى ، وهنا ننظر إليها على أنها أدوات عمل وآلات صنعة وهى فيما نتصور مكملة لما سبق أن أوضحناه آنفاً[1] .

هذه الوسائل بوصفها أدوات هى :

*** الكلمـة :**

مسموعة أو مقروءة ، ويجب أن تكون مشتملة على الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هى أحسن عند الحاجة إليه وللكلمة شروط وصفات كثيرة .

وبشرط أن يكون الذى يستعمل الكلمة صبوراً واسع الصدر لا يضيق بمن يخاطبه ولا ييأس من استجابته مهما تطاول وقت استجابته ، وأن يحسن إليه فى مخاطبته على كل حال .

والأخ فى الإسلام يعين أخاه على ذلك ويبصره وينقل إليه خبرته بإخلاص وجدية ، وعلى المنصوح أن يفرح بهذه النصيحة وأن يأخذها مأخذ الجد والتنفيذ .

---

(١) وفى الوسائل الخاصة بجماعة الإخوان المسلمين - انظر للمؤلف : وسائل التربية عند الإخوان المسلمين - نشر دار الوفاء ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م . فهناك وسائل غير هذه وتلك .

* **والقـــدوة :**

وهى أن يكون الداعى أنموذجاً لما يدعو إليه ، فى قوله وعمله وسلوكه وتعامله مع الأقارب والأباعد ، بل مع من ليسوا على دين الإسلام .

ولن يعطى أحد من الدعاة القدوة من نفسه لمن يدعوه إلا إذا كان مشغولاً بالدعوة الفردية والدعوة فى حلقة خاصة والدعوة فى حلقة عامة ، وأن يكون ممن يسعدهم تقديم العون والخدمات للناس ، وممن يهتمون بقضايا وطنهم المحلى ووطنهم العربى ووطنهم الإسلامى .

والأخ فى الإسلام يشد من عضد أخيه فى هذه القدوة ويبصره بأن الأسوة أصلاً فى خاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ ، وكلما اتخذ الداعى الرسول ﷺ قدوة له فى أقواله وأفعاله وأخلاقه كلما تيسرت له هذه الوسيلة وأحسن التعامل معها .

* **والدعـــوة :**

فردية كانت أو فى حلقة خاصة أو فى حلقة عامة ، وهى واجب كل مسلم ومسلمة وثواب ممارستها عند الله عظيم فقد روى الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » قال المناوى فى شرح هذا الحديث : « لأن الهدى على يديه شعبة من الرسالة ، فله حظ من ثواب الرسل » – عليهم الصلاة والسلام –[1] .

وكذلك شأن الدعوة فى حلقة خاصة حيث يجمع الناس على فهم الإسلام والعمل به ، وكذلك أمر الدعوة العامة فى مسجد أو نحوه من أمكنة تجمع الناس .

وليس كالأخوة فى الإسلام عون على ذلك ، فإن نبى الله موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يعينه على أمر الدعوة بأخيه هارون ، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾[2] .

(١) العزيزى : السراج المنير شرح الجامع الصغير للسيوطى . ٣ / ١٩١ ط الحلبى القاهرة ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٧م .
(٢) سورة طه : ٢٩ – ٣٤ .

* **وتقديم العون والخدمة :**

وهى وسيلة لدفع حاجة الناس إلى ذلك ، لأن ذلك من أدب الإسلام وأخلاقه كما يجب أن يتحلى به كل مسلم ، فإذا كان هذا المسلم من الدعاة إلى الله فهو من أحرص الناس على رضا الله وأشدهم رغبة فى التقرب إليه بصالح الأعمال ، ففى السنة النبوية ما رواه أبو الغنائم النرسى فى كتابه « قضاء الحوائج » بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه : « لأن أعين أخى المؤمن على حاجته أحب إلى من صيام شهر واعتكافه فى مسجد الحرام » .

وما رواه الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما : « ما من مسلم كسا مسلماً ثوباً إلا كان فى حفظ الله تعالى مادام عليه منه خرقة » .

والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وتفريج كربة عن مسلم يفرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة ، والتآخى فى الإسلام يعين على تقديم العون للمسلم إذ قد يكون العون متطلباً جهداً أو وقتاً أو مالاً ، أكبر من جهد الفرد ، فيستعين حينئذ بأخيه فى الإسلام .

* **والاهتمام بقضايا الأمة الاسلامية :**

وتلك من علامات حسن الإيمان وحسن الإسلام ، لأن مَنْ لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وهذا الاهتمام يبدأ من المسلم بنفسه ثم بمن يعول ، ثم بالأقرب فالأقرب من الأهل والجيران ثم بأبناء المحلة فالوطن ، ثم يهتم بقضايا الأمة العربية فالأمة الإسلامية ، ومعنى هذا الاهتمام أن يعرف عن هذه القضايا والمشكلات ما لابد من معرفته ثم يسهم فى حلها بما استطاع من جهد أو وقت أو مال ، مُوَظِّفاً كل طاقاته وإمكاناته لأمته العربية والإسلامية ، وإنما كان هذا الاهتمام واجباً أكيداً لأن أعداء الإسلام على الدوام يقعدون له وللمسلمين بكل مرصد ، لمعاداتهم للحق الذى يدعو إليه الإسلام وللعدل والشورى وهما أساسا من أسس الإسلام .

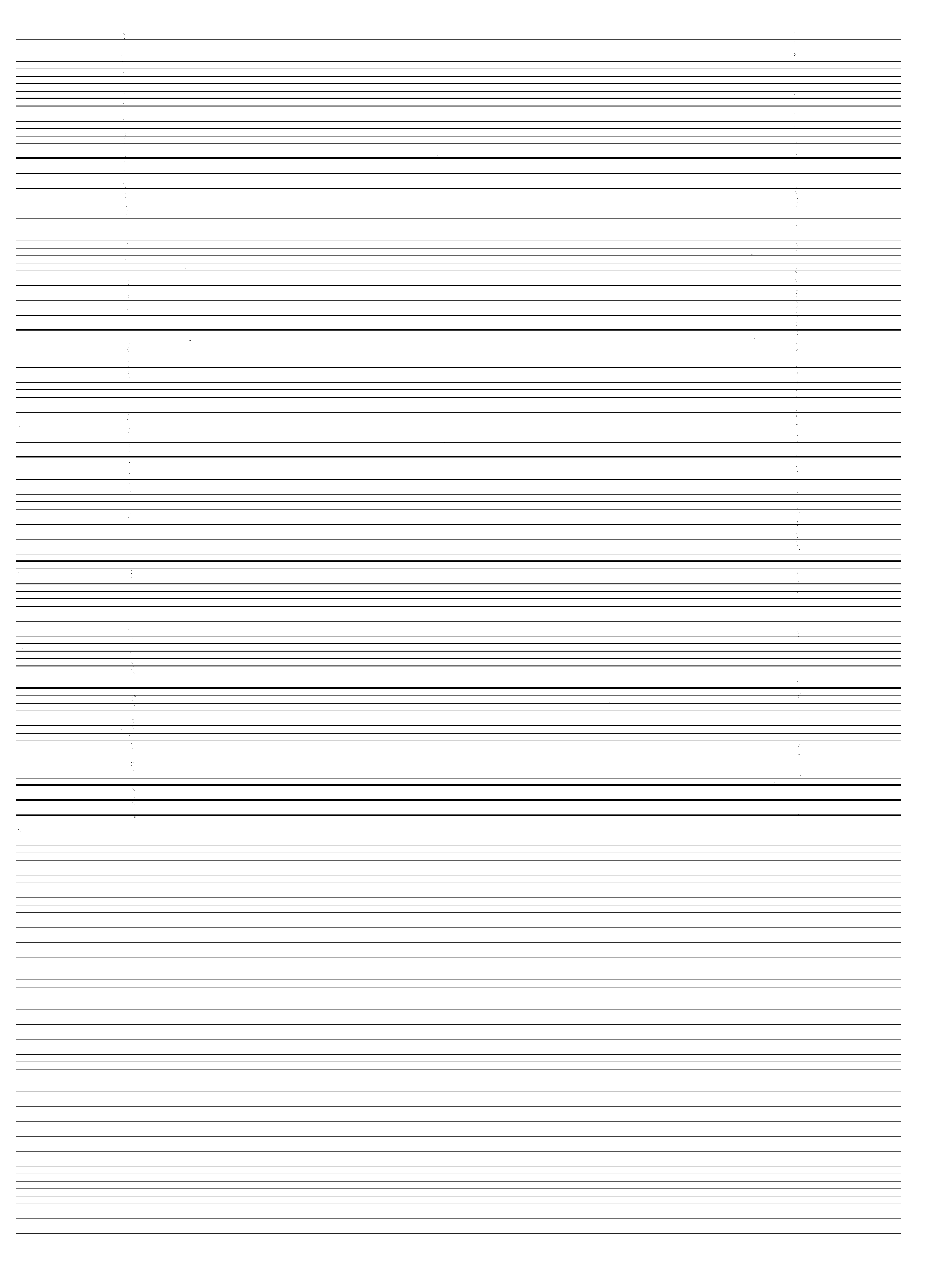
ولابد أن ندرك أن أعداء الإسلام ليسوا بالضرورة ظاهرين واضحين ، وإنما قد يظهر بعضهم الود ويبطن البغض .

كما أن عداوتهم للإسلام ليس بالضرورة أن تأخذ شكل الحرب والعدوان ، وإنما

تتشكل فى كل عصر وأوان بما يلائم مكرهم ودهاءهم — ونحن مثلاً نعيش عصراً اتخذ فيه أعداء الإسلام شكل القروض والديون — وإن بدا لكل ناظر أن تلك معونة للتغلب على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، لكن باعتبار النتائج والسيطرة على الأمة المدينة ، يُعد هذا الدين أفتك من وسائل الحرب والدمار .

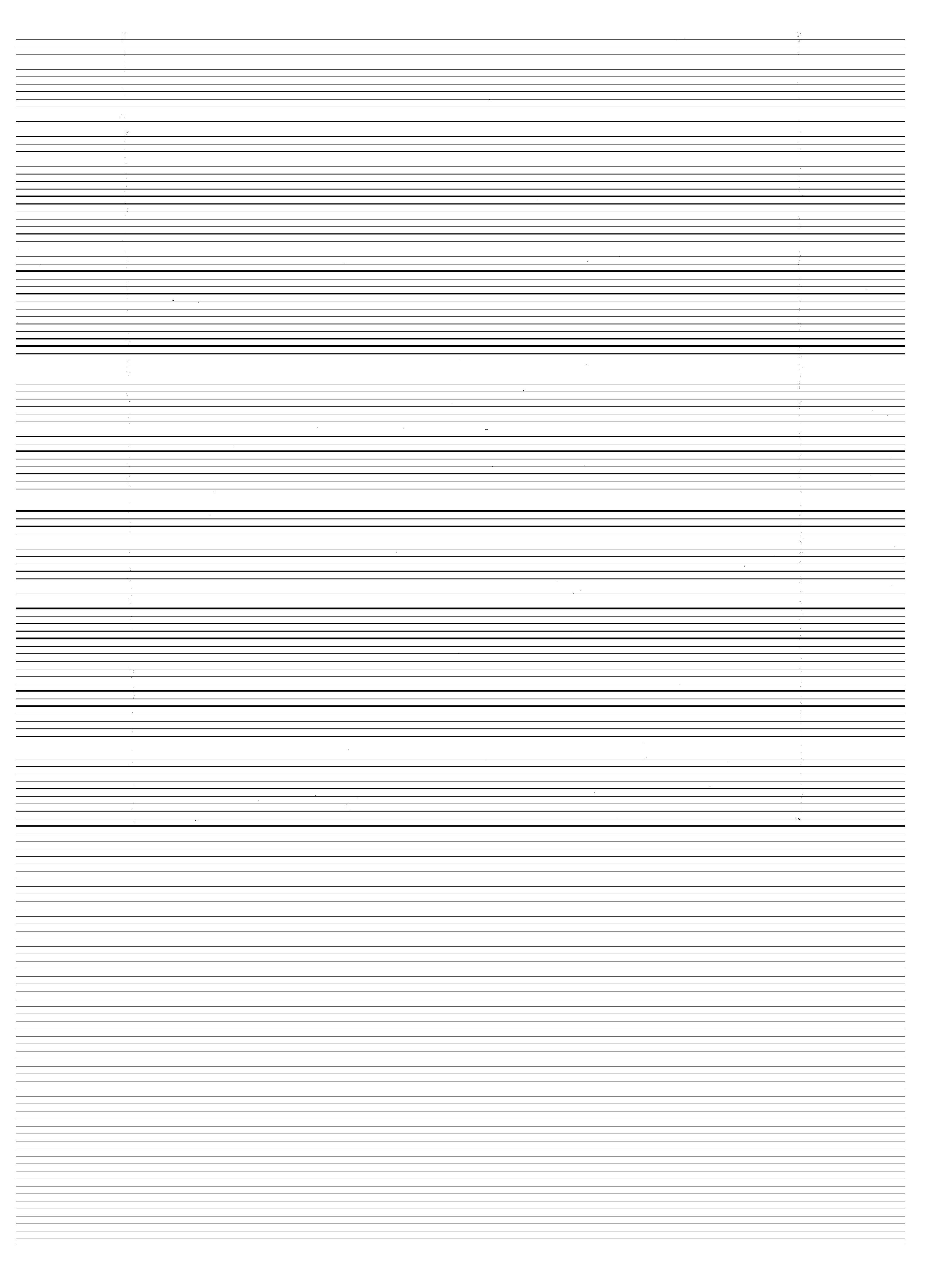
ومن أجل هذا دعانا الإسلام إلى أن نهتم بأمر المسلمين فى كل مكان دعماً لروابط العقيدة التى تجمع بين المسلمين فى شتى أنحاء الأرض .

والأخوة فى الإسلام هى التى تعين على هذا الاهتمام وتيسره ، وخصوصاً إذا كان بين المسلمين المتباعدين فى المكان تقارب وتواصل فى العون والاهتمام .



الفصل الثانى

الأخــــوة فى الإســـــلام
بين السياسات فى العمل الإسلامى



الأخوة فى الإسلام بين السياسات فى العمل الإسلامى

العمل الناجح القادر على الوصول إلى غايته وهدفه هو الذى تعد له سياسة معينة تحكمه وتحكم العاملين فيه ، بل ليس من المبالغة القول بأن عملاً ما لا ينجح النجاح المطلوب إلا إن كانت له سياسة يتبعها .

ونحتاج هنا أن نتحدث فى السياسات عن نقطتين أساسيتين نكوّن بهما هذا الفصل الأخير من الكتاب ، هاتان النقطتان هما :

– المقصود بالسياسات فى العمل الإسلامى .

– وموقف الأخوة فى الإسلام من هذه السياسات .

* * *

١ - المقصود بالسياسات فى العمل من أجل الإسلام

إذا كانت السياسة تعنى التدبير الحكيم ، والنظر الحصيف فى عواقب الأمور مع أخذ اعتبارات واحتمالات عديدة فى الحسبان ...

وإذا كان المطلوب ممن ينفذ السياسة أن يضع فى اعتباره عدداً من العوامل التى تساعده على تحقيق أهدافه ، فإن المقصود بالسياسات فى العمل من أجل الإسلام هو هذا التدبير الحكيم والنظر الحصيف الفاحص الدقيق لتنظيم هذا العمل وتقسيمه وتبويبه ، والأخذ فيه بأولويات معينة لكى يحقق أهدافه .

وهذه السياسة فى العمل من أجل الإسلام إنما هى نتيجة للتفكير المنظم الذى يؤدى إليه بل يوجبه التخطيط والتنسيق والتوظيف[١] فى مجال العمل الإسلامى .

وهذه السياسات التى يخضع لها العمل من أجل الإسلام أنواع يسهم كل نوع منها فى دفع العمل نحو النجاح وتحقيق الأهداف .

ومن هذه الأنواع من السياسات :

- السياسة الآنية أو الحاضرة .
- والسياسة لما يستقبل من الأيام .
- والسياسة المحلية الوطنية .
- والسياسة العربية .
- والسياسة على مستوى العالم الإسلامى .
- والسياسة على مستوى العالم كله .

ولنلق بعض الضوء على كل سياسة من هذه السياسات ، فيمايلى :

(١) تحدثنا عن ذلك فى النقطة الرابعة من الفصل الثانى من الباب الأول من هذا الكتاب .

* **السياسة الآنية أو الحالية أو الحاضرة :**

وهى تعنى أن توضع خطة للعمل من أجل الإسلام تأخذ فى اعتبارها الظروف الآنيَّة للعمل ، وهى ظروف ذات عناصر عديدة وذات تغيرات مستمرة فى الفكر والثقافة والاجتماع والاقتصاد والتقنية .

ويخطىء من يظن أن العالم كله لا يعطى اهتماماً كبيراً للعمل من أجل الإسلام ، ويترصد لهذا العمل والعاملين فيه ، ويحاول جاهداً - وكثيرا ما ينجح - أن يضع العراقيل فى الطريق ليحول بين هذا العمل وبين النجاح ، انطلاقاً من فكرة تسيطر على هؤلاء الأعداء التقليديين لكل ما هو إسلامى ، ملخصها أن نجاح العمل الإسلامى مضيع لمصالحهم ومفوت لكثير من رغباتهم فى استغلال بلدان العالم الإسلامى .

وبغض النظر عن صواب هذه الفكرة أو خطئها ، وإن كانت خاطئة بكل تأكيد لأن الإسلام لديه القدرة على أن يعايش سائر المجتمعات الإنسانية أياً كان منهجها فى الحياة ، لحرصه الدائم على البشرية كلها ، يحترم إنسانيتها ويحيطها دائماً بأسباب التكريم والتقدير ، ومن قال بغير ذلك فهو لا يعرف الإسلام حتى ولو كان القائل مسلماً ، وعليه أن يثبت من خلال نصوص الإسلام وأصوله ، لا من أعمال المسلمين - صحة ما يدعيه .

ولن يستطيع أحد أن يثبت ذاك ، لأن القرآن الكريم كما جاء فيه : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ و ﴿ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فضلاً عن أنه ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ و ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

إن القرآن الكريم يخرج البشرية كلها من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم صراط الله .

إن أعداء الإسلام من شرق وغرب - كما هو واضح الآن فى عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م - لا يحاولون استئصال المسلمين والإسلام من أوربا وحدها ، كما هو ظاهر لأقل الناس إدراكاً وإنما يخططون للقضاء على الإسلام والمسلمين فى بعض البلدان الإسلامية - كما حدث فى تركيا على يد مصطفى كمال ، وكما حدث فى الولايات

الإسلامية التى ضمها إليه ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى ، وكما يحدث الآن فى الجزائر وتونس وغيرهما من البلاد التى يجاهر بعض المسئولين فيها بضرورة القضاء على كل ما هو إسلامى فى مجال السياسة !!!

إن هذه الظروف تحتم على العمل الإسلامى والعاملين من أجل الإسلام أن يضعوا ذلك فى اعتبارهم ويرسموا خطوط السياسة الآنية للعمل الإسلامى ، وألا يتجاهلوا من ذلك شيئاً ، وأن يتعاملوا مع كل هذه التحديات بما يوجبه الإسلام من تعامل تؤيده نصوص الإسلام وأخلاقه وآدابه ، مع تجاهل ما تطلقه أبواق الدعاية والإعلام من تشويه للعمل من أجل الإسلام ، وإسناد كل عمل طائش من عدوان على الأنفس والأموال إلى الإسلاميين أوالأصوليين أو الجماعات الإسلامية ، مع أن المسلم لا يقتل أحداً ولا يعتدى على مال أحد ، لأن هذا من المحرمات فى الإسلام .

إن ما أصبح يعرف اليوم بالنظام العالمى الجديد بقيادة أمريكا غدا موجهاً ومرشداً وآمراً لكثير من بلدان العالم الإسلامى — تحت ضغط الظروف الاقتصادية المعروفة — بتشويه الإسلاميين ورميهم بكل نقيصة ، وضرب الحركات الإسلامية بكل أنواعها بحجة أنها ترغب فى الاستيلاء على الحكم لتبطش بالحكام وبالناس باسم الإسلام !!!

وهذه — وإن كانت تهمة كيدية باطلة — إلا أن كثيراً من بلدان العالم الإسلامى تستجيب لهؤلاء الموجهين المرشدين الآمرين ، فتصدق هذه التهمة وتتحدى العمل من أجل الإسلام حتى فى مشروعاته الخيرية ، خوفاً منها على نفسها وعلى مكانتها عند موجهيها ، من الإسلاميين إذا تولوا الحكم عن طريق « الديموقراطية » وصناديق الانتخابات .

إن الأعداء نجحوا فى أن يربطوا لهؤلاء الذين يتحدون العمل الإسلامى من المسلمين بين مصالحهم وضرب الحركات الإسلامية !!!

إن السياسة الحالية للعمل من أجل الإسلام يجب أن تضع فى اعتبارها أن النظام العالمى الجديد — وقد خلا له الجو من عدو تقليدى هو ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى — يتفرغ الآن لمواجهة حركة المد الإسلامى وإجهاضها — كما صرح بذلك أكثر من واحد من كبار ساسة الغرب ، عقب القضاء على الجيش العراقى وتجريده من قوته وإمكاناته مع الإبقاء على الرئيس العراقى المعتدى الغاشم المخدوع المغرور ، وليس

هناك ما هو أعجب من ذلك ولا ما هو آكد لنواياهم التدميرية للعراق !!!

إن السياسة الحالية أو الآنية للعمل من أجل الإسلام يجب أن تضع فى اعتبارها ما حدث منذ سنوات فقط فى : فلسطين بعد ثورة حماس ، وفى لبنان وفى إيران والعراق وفى أفغانستان ونيجيريا وأثيوبيا والسنغال !!!

إن هذه السياسة الآنّية ما ينبغى أن تغفل عما يجرى الآن فى المحادثات مع إسرائيل ، وما يدور فى الجزائر وتونس والمغرب والصحراء الكبرى وما يحاصر به السودان من أسباب وكيد ، وما يدبر للصومال ، وما يشيب له الولدان فى البوسنة والهرسك ، وما يجرى فى الجمهورات الإسلامية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وأفغانستان ، وما يمكن أن يحدث فى ألبانيا وقبرص وغيرها من البلدان الإسلامية .

إن كل ذلك يجب أن يوضع فى الاعتبار عند التفكير فى خريطة العمل من أجل الإسلام ، مع مواجهة ذلك كله بطريقة الإسلام وخلق الإسلام وعمل الإسلام الذى لا يعرف التطرف ولا العنف ولا الغلو ، لأن كل هذه الصفات لا يمكن أن يقرها الإسلام ، ولكنها تلصق بأى أحد ينادى بأن الإسلام يجب أن يكون هو منهج الحياة للناس .

لكن ليقل من شاء ما شاء فإن هذا لن يغير الإسلام ولن ينال من ثوابته الراسخة التى لا تتأثر بأخطاء بعض المسلمين .

ولندرك تماماً أنهم يرغبون فى تشويه الإسلام بدفع بعض الغافلين من المسلمين إلى ارتكاب أعمال لا يقرها الإسلام ، ولكنها فى عرف هؤلاء المعادين للإسلام محسوبة على الإسلام لا على الطائشين من المسلمين !!!

تلك صورة سريعة مجملة لما ينبغى أن تكون عليه السياسة الآنية للعمل من أجل الإسلام ، نرجو أن نكون قد أحسنا فى الإشارة إليها والدلالة على أبعادها .

*** أما السياسة فيما يخص مستقبل العمل من أجل الإسلام :**

فما ينبغى أن ترسم على أساس تلك النظرة التشاؤمية السوداء التى ينظر بها بعض المسلمين ، كما لا يليق أن ترسم على أساس الإسراف فى التفاؤل بمستقبل العالم الإسلامى والأمل العريض فى الصحوة الإسلامية والمد الإسلامى ، فإن هاتين النظريتين تضللان

ولا تهديان .

وإنما يجب أن تكون هذه النظرة واقعية معتدلة بين هاتين النظريتين ، وحسبنا فى مجال العمل الإسلامى ، بل حسبنا لكى نطمئن إلى مستقبل الإسلام والعمل من أجله أن نقوى إيماننا بالله ونلتزم بمفردات إسلامنا فى كل أمورنا ، ولا نخالف عن أمر الله ونهيه ، ونمتلىء ثقة فى تأييده ونصره ما دمنا أهلا لذلك .

غير أن ذلك لا يمنع أن يفكر العاملون من أجل الإسلام دائماً فى خطط وعاؤها الزمنى خمس سنوات أو عشر ، يحددون لها أهدافاً معينة ويعملون على تحقيقها وفق الأسلوب العملى فى التخطيط والتوقع .

ولا حرج فى هذا ولا قصور ، وإنما هو من حسن التدبير وحسن التقدير ، فقد أخرج البيهقى فى السنن الكبير بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبداً ، واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غداً » .

فماذا يعمل من يظن أنه لن يموت أبداً ؟

إنه يقدر ويخطط ويحسن التدبير ، ويضع فى اعتباره أن المتغيرات كلها فى يد الله سبحانه وتعالى ، دون أن يؤدى هذا الإيمان إلى ترك العمل اتكالاً أو انتظاراً لأن تمطر السماء ذهباً أو فضة أو نصراً على الأعداء ، لأن ترك العمل إثم ومعصية .

إن مستقبل الأمة الإسلامية بيد الله سبحانه وتعالى ولكنه مرهون بما أمر الله به وما نهى عنه إن استجابت الأمة الإسلامية لذلك مكَّن لها فى الأرض ومكَّن بها لدينه ، وإن لم تستجب فلابد أن يكون هناك من يستجيب من عباد الله ، لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾[1] بل خيراً منكم فى الالتزام .

إن منطلق الإسلام هو العمل بل التعلق بالعمل ، حتى آخر لحظة من الحياة ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

---

(١) سورة محمد : ٣٨ .

قامت على أحدكم القيامة وفى يده فسيلة فليغرسها » وهذا الحديث النبوى الشريف يعلمنا كثيراً مما يعود علينا بالنفع فى مستقبلنا ، فإذا كان العمل – فى الإسلام – مطلوباً حتى لو قامت القيامة على العامل وهو يعمل فما بالنا بالعمل لما يستقبل من الأيام ؟

إن كل عباداتنا وأعمالنا فى الإسلام نُعد لها مُسَبَّقاً ، فكيف لا نعد لهذا المستقبل مسبقاً ؟

وعلى سبيل المثال : فإن الصلاة نعد لها قبل أدائها بطهارة البدن والثوب والمكان واستقبال القبلة والنية ، والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات والأعمال الواجبة أو المستحبة نُعد لها قبل أن نمارسها حتى نستطيع أداءها على وجهها الصحيح المرضى لله تعالى ، فكيف لا نعد لما يستقبلنا من الأحداث والأشياء بل كيف لا نعد للأعداء المتربصين ؟

إن الله تبارك وتعالى طالبنا صراحة بالإعداد للعدو فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1] .

وكلمة « لهم » فى الآية الكريمة يعود الضمير فيها على الأعداء ومعنى ذلك أن نعد لهم أى قبل المعركة ، فالمعركة مستقبل قريب يجب أن نعد له .

وذلك يعلمنا أن نعد لأى معركة فى المستقبل البعيد أو قبل أن يأخذنا أعداؤنا على غرة لأننا لم نعد شيئاً لهذا اليوم !!!

إن واقع المسلمين اليوم – وهم شراذم تتخطف ديارهم وأموالهم وتفرض عليهم أسوأ ألوان الحياة الإنسانية – ما كان على هذا القدر من التشرذم والسوء إلا نتيجة لأنهم تركوا الإعداد للمستقبل والتخطيط له فوقعوا ضحايا لأعدائهم الذين فرقوا دولتهم واحتلوا أرضهم وأصبحوا أكثر من خمسين دولة بعد أن كان هذا العالم دولة موحدة !!!

إن ذلك ما كان إلا بسبب ترك الإعداد والتخطيط الجيد للمستقبل .

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

بل إن التراجع الحضارى الذى يعيشه المسلمون مسبوقين فى معظم مفردات الحياة والحضارة ما كان إلا نتيجة لغفلة عن الأخذ بأسباب الإعداد والاستعداد ليأمن المسلمون على مستقبلهم ، ولا يعيشوا هذا التراجع الحضارى البغيض !!!

إن العمل من أجل الإسلام لابد أن يعد للمستقبل الذى يودون أن يعيشه المسلمون ، ولو كان هذا التصور تقريبياً أو جزئياً ، المهم أن تُعَد العدة لمواجهته فى المستقبل القريب أو البعيد الآتى من الزمان .

*** وأما السياسة المحلية :**

فنعنى بها أن العمل من أجل الإسلام فى قطر من الأقطار لابد أن يراعى تلك الظروف المحلية مراعاة دقيقة فيضع فى اعتباره الظروف الاجتماعية وما تستوجبه والظروف الاقتصادية وما تقتضيه ، والظروف السياسية وما تحتاج إليه ، وكذلك أى ظروف أخرى فى الوطن .

والأصل فى المسلم أن يحب وطنه وأن يعمل ما وسعه فى سبيل استقراره وأمنه ورفاهيته ، ومن أجل ذلك فإن العمل من أجل الإسلام على مستوى الوطن يجب أن يتعامل بإخلاص وصبر مع المشكلات التى أصبحت من الصفات الملازمة لمعظم الأوطان الإسلامية وهى :

- الجهل .. حيث تصل نسبة الأمية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى إلى ما يقرب من تسعين من كل مائة من الناس .
- والفقر .. حيث يعيش العالم الإسلامى كله فى دائرة ما يعرف بالعالم الثالث أو النامى أو الفقير .
- وتفشى الأمراض المتوطنة أو غيرها .
- وفقد الحرية فى كثير من أوطان العالم الإسلامى ، الحرية بكل أنواعها : السياسية وحرية الرأى والنقد ، بل والحرية الشخصية أحياناً بالقيود التى تفرض على السفر والتنقل .

إن العمل من أجل الإسلام يجب أن يضع فى حسبانه وتخطيطه أن يسهم المسلمون فى كل وطن فى حل المشكلات فيه بما يستطيعون ، فبذل المال والجهد

والوقت واجب شرعى له ثواب عند الله عظيم فى حل هذه المشكلات .

ودينا الحنيف يحثنا على ذلك بما يحببنا فيه من العمل الصالح وتقديم النفع لكل مسلم .

وعلى سبيل المثال :

لو أن كل مسلم من المتعلمين أخذ على عاتقه أن يمحو أمية واحد من المسلمين كل خمس سنين أو ثلاث فإنه يسهم بذلك فى القضاء على مشكلة الجهل فضلاً عن تقربه بذلك إلى الله أفضل قربى ، فنحن ولا فخر أمة « اقرأ باسم ربك » .

ويستطيع العاملون من أجل الإسلام أن يمارسوا محو أمية الناس فى المساجد وأماكن التجمع ، وهكذا يعبرون عن حبهم لأوطانهم الذى أوجبه عليهم الإسلام .

وكذلك فى محاربة الفقر والنهوض باقتصاد أوطانهم يستطيع المسلمون أن يقدموا فى هذا المجال ما يعد حلاً جزئياً للمشكلة الاقتصادية « الفقر » وسوف أقدم الآن مقترحات فى هذا المجال تتمثل فيما يلى :

- تجنب الإسراف فى الطعام والشراب والملبس والمسكن وكل ما يتصل بحياة الإنسان وذلك مطلب شرعى لأن الله تعالى نهى عن الإسراف وأعلن أنه لا يحب المسرفين .
- وأن يخلص فى عمله ، ويجيده الإجادة التى طالب بها الإسلام وهى « الإتقان » إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ، إن الإخلاص والإتقان يزيد الإنتاج ويحسنه ، وذلك من أسباب القضاء على الفقر .
- وأن يلتزم بخلق الإسلام وأدبه فى التعامل مع الناس جميعاً مسلمهم وغير مسلمهم ، لأن حسن التعامل مفتاح للخير ومغلاق للشر ومع الخير يكون الرواج والنماء ومع الشر يكون الكساد والضمور .
- وأن يحترم المسلم وقته فلا ينفقه إلا فيما يفيد به نفسه أو غيره من الناس ، والوقت فى ترجمته الاقتصادية مال ، فإذا وُفر أسهم فى حل مشكلة الفقر .
- وأن يعمر قلبه بالحب والأخوة لكل لمن يحيطون به من الناس أقارب أو أباعد مسلمين أو غير مسلمين ، لأن هذا هو الذى يولد الرغبة فى التعاون ، ولا يتقدم

وطن اقتصادياً إلا إذا ساد التعاون بين أهله ، وأولى الناس بالتعاون هم المسلمون لأن الله أمر بالتعاون على البر والتقوى .

- وأن ينقي قلبه من الحقد والغل والحسد ، لأن المسلم لا يجوز له أن يضمر فى قلبه شيئاً من ذلك ، وإلا خالف عن أمر دينه ، والوطن لا يأمن ولا يستقر إذا كان فيه من أبنائه من يطوى قلبه نحو أخيه على شيء من هذه الأمور .

وبعد : فتلك مقترحات بصفات لو اتصف بها الناس والتزم بها المسلمون وهم يمارسون العمل من أجل الإسلام ، فإن التغلب على مشكلات كثيرة فى أوطانهم يكون ممكناً ، لا المشكلة الاقتصادية « الفقر » وحدها .

*** وأما السياسة العربية :**

فإنها تعنى أن العمل من أجل الإسلام يجب أن ينظر إلى العالم العربى نظرة تفضيلية إلى حد مّا ، وذلك لأن حب العرب إيمان وبغضهم نفاق كما ورد ذلك فى السنة النبوية ، فقد روى الحاكم فى مستدركه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » وما ذلك إلا لمكانة العرب لكون خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام قد اصطفى منهم ، ولأن القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وأتمها وأكملها قد جاء بلغتهم .

وإن على العاملين من أجل الإسلام أن يضعوا فى اعتبارهم أن هذا العالم العربى له ظروف خاصة يجب أن يعتنى بها وأن تدخل فى وضع أى سياسة له ، ومن تلك الظروف ما نشير إليه فيما يلى :

- احتلال اليهود لجزء عزيز غال من أرض العرب وإقامة دولة لهم على تلك الأرض فلسطين ، بمعاونة العالم كله ... وهذا أمر ما ينبغى أن ينسى أو يقل الاهتمام به والتفكير فيه والعمل من أجل استعادة هذه الأرض من مغتصبيها .

- وتوسع إسرائيل على حساب الأرض العربية حيث احتلت سيناء والجولان والضفة الغربية من نهر الأردن وغزة ، وأخيراً جنوب لبنان .

وقد استعيدت سيناء بعد حرب ١٩٧٣ م باتفاقيتى « كامب ديفيد » وما جلت عن سيناء تماماً إلا بمفاوضات ضارية ومن خلال تحكيم دولى فى منطقة « طابا » .

ولا تزال بقية المناطق فى أيدى إسرائيل على الرغم من صدور قرارات من مجلس الأمن بوجوب جلائها عن هذه الأراضى ، والعالم كله ينظر ولا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن أحداً لا يقاتل معركة أحد ، والمعركة معركة العرب والمسلمين .

- والصراعات التى يعيشها العالم العربى بين بعض دوله وبعض .

لقد آن الأوان لأن يدرك العرب والمسلمون أن هذا الصراع يحركه ويدعمه عدو الأمة الإسلامية وعدو الأمة العربية المتربص بها الطامع فى نفط العرب .

وهذا الصراع الذى أصبح سمة مشتركة فى هذا العصر الذى نعيشه ، فقلما يمضى زمن مهما كان قصيراً إلا وينشأ صراع بين دولتين أو أكثر من العالم العربى ، صراع على حدود أو على حقل بترول أو على تطبيق نظرية سياسية مستوردة دخيلة على العرب والمسلمين ، أو من أجل مطامع بعض القادة ومطامحهم .

- ولابد من إعادة النظر فى أمر الجامعة العربية والبحث فى قانونها الذى يكبل قدرتها على اتخاذ قرار لاشتراطه الإجماع !!!

والجامعة العربية لا تزال تعانى من النصائح التى قدمها الإنجليز للعرب غداة تأسيس الجامعة العربية ، وهى فى مجملها – فى تصورى – كانت بديلاً عن أى تفكير فى إنشاء جامعة أو منظمة تجمع شمل المسلمين وبعد سقوط دولة الخلافة العثمانية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى – حيث أسقطت الخلافة بتدبير غربى على يد مصطفى كمال أتاتورك .

- واللغة العربية لغة القرآن الكريم وما تعانيه فى العالم العربى من إهمال وضمور ومزاحمة بلغات أخرى منذ طفولة المتعلمين العرب المسلمين .

إن العربية يجب أن تكون لغة التعليم فى مختلف مراحل التعليم وفى كل تخصصاته .

ويجب أن تنال العربية اهتماماً كبيراً فى معاهد التعليم وفى الكتاب وفى المدارس لأنها اللغة القومية واللغة الإسلامية .

ولا يجوز أن يتميز فى بلادنا العربية من يجيد لغة غير العربية عمن يجيد العربية لأن ذلك خزى قومى ليس كمثله خزى وانهزام داخلى مهين .

- ولابد من التفكير فى التراث العربى الإسلامى المكتوب بالعربية المبعثر فى معظم

بلدان أوربا وفى أمريكا ، ولا يزال أكثره مخطوطاً ...

فمتى يحين الوقت لجمع هذا التراث واستعادته أو استعارة صور منه ، لنشره وتيسير الاطلاع عليه لأنه جزء من تاريخنا وجزء من قوميتنا وما ينبغى إهماله وتركه فى بلاد الغرب هكذا ...

- كما يجب أن يوضع فى الاعتبار أن العالم العربى يسبح فوق بحار من النفط يفيد منها أعداء الأمة العربية بأكثر مما يفيد العرب !!!

ولابد من إعادة النظر فى سياسة ضخ النفط وبيعه وتسويقه ، لأن السكوت على ذلك ليس فى صالح حاضر الأمة العربية ولا فى صالح مستقبلها ، إذا الملاحظ الآن زيادة الضخ ورخص السعر ، يعنى التعجيل بنضوبه والحصول على أدنى أسعاره !!!

إن هذه الهموم العربية يجب أن توضع فى اعتبار السياسة العربية التى توضع للعالم العربى ، أو علينا أن ننتظر مزيداً من الضياع والصراع والتشرذم والفقر على الرغم من النفط وغيره من الثروات ، ومزيداً من القهر والاحتلال الإسرائيلى لأرضنا !!!

*** وأما السياسة الإسلامية :**

فنعنى بها أن يوضع فى الاعتبار النظر إلى العالم الإسلامى على أنه وطن لكل مسلم ، وأن ما يعانيه هذا العالم الإسلامى من مشكلات ينبغى أن تكون من هموم المسلمين العاملين من أجل الإسلام فى كل مكان .

وعلى مستوى العالم الإسلامى فإن هناك مشكلات أساسية يعيشها العالم الإسلامى يجب أن تحظى من المسلمين بالاهتمام ، ونحاول هنا أن نرصد بعض هذه المشكلات على النحو التالى :

- العدو المتربص بالعالم الإسلامى ، وهو عدو متنوع يمكن أن نذكر أنواعه :
  - الصهيونية وما تقوم به من أعمال وتخطيطات تضر بالعالم الإسلامى فى اقتصاده وسياسته وثقافته وأخلاقه ، وإقصاء الإسلام عن حياته .
  - ما تفرزه الصهيونية من ماسونية وأندية روتارى وجمعيات مشبوهة هدفها التضليل عن الحق ، وتشويه الإسلام .

- والصليبية الحديثة التى تتبناها معظم دول أوربا وأمريكا ، وذلك يتمثل فى نصرهم لأى قضية ضد الإسلام والمسلمين ، وخذلانهم لأى قضية إسلامية .

- وهيئة الأمم المتحدة : التى هى بحق هيئة أمم متحدة ضد كل ما هو إسلامى بدليل كثير من قراراتها الجائرة المعادية للإسلام والمسلمين ، وسكوتها عن أنهار الدم التى تراق من المسلمين فيماكان يعرف بالاتحاد السوفيتى ، وما كان يعرف بيوغسلافيا ، وحظرها توريد السلاح لجمهورية « البوسنة والهرسك » وسماحها بذلك للصرب ، وسكوتها على تلك المجاز الوحشية وتشمير أوربا كلها عن سواعدها لمنع المهاجرين الفارين من القتل من « البوسنة والهرسك » !!!

نعم هى هيئة أمم متحدة ضد الإسلام والمسلمين . وتأييدها لإسرائيل على الرغم من أن إسرائيل دأبت على تحدى قراراتها تحدياً سافراً وقحاً فى بعض الأحيان .

ومن يتذكر موقف هيئة الأمم المتحدة من العراق وكيف ألزمته بقراراتها بسياسة الحرمان والقهر ، وموقفها من عدوان إسرائيل على كل قرار لها لا يندهش ولا يعجب لأنه يدرك أن ذلك عداء للإسلام والمسلمين ولا ينسى لعصبة الأمم أثرها من خلال دول الغرب فى التحالف والتعاون على إسقاط دولة الخلافة العثمانية ، وما هيئة الأمم إلا وليد معاد للإسلام ولدته عصبة الأمم .

- والصراعات الدائرة بين كثير من بلدان العالم الإسلامى ، كالصراع الذى اصطنعه الأعداء بين العراق وإيران – وكلاهما بلد مسلم – والصراع الذى أوشك أن يكون تقليدياً – وهو من صنع الأعداء كذلك – بين سوريا والعراق ، وبين المغرب والجزائر ، وبين الأكراد وتركيا وسوريا والعراق ، وبين المغرب وجبهة « البوليساريو » وبين شمال السودان وجنوبه ، وبين شمال لبنان وجنوبه وبين مصر – الآن – وبين السودان مع أن الإخاء بينهما تقليدى موروث ، وبين ليبيا وجاراتها الإفريقية وبخاصة تشاد المسلمة ، وما لا يمكن أن يحصى من هذه

الصراعات بين بلدان العالم الإسلامي، وكلها صراعات من صنع أعداء الإسلام .

إن هذه الصراعات يجب أن تكون فى حسبان من يعملون من أجل الإسلام ، ليبصروا بها الناس ويعملوا ما وسعهم على القضاء عليها بكشف مخططاتها .

– واقتصاديات العالم الإسلامي التى يجب أن يضعها العاملون من أجل الإسلام نصب أعينهم ، لأن العالم الإسلامي يمثل ربع سكان العالم (أكثر من ألف مليون إنسان » ويمتد فى مساحة من الأرض تكاد تبلغ ربع المسكون من الكرة الأرضية ، وهو حافل بالطاقات والإمكانات والمقدرات الاقتصادية التالية :

- الثروة النفطية المنتجة والمخزونة .
- والمياه العذبة أنهاراً ومياهاً جوفية .
- والأرض الخصبة بل الشديدة الخصوبة .
- وعدد كبير من الجامعات والعلماء فى مختلف التخصصات .
- والأيدى العاملة الرخيصة الأجر .
- والثروة الحيوانية .
- والمحاصيل والخضروات والفواكه .
- والقطن والكتان .
- وقصب السكر .
- والمعادن النفيسة بخاصة والمعادن بصورة عامة .

هذا كله لو أحسن التخطيط له لكان قادراً على تحقيق الاكتفاء الذاتى لأبناء العالم الإسلامى ، ودفع عن العالم الإسلامى شر الديون والتبعية والاستجداء والاستخزاء وعدم القدرة على معارضة من يعطى القمح بأبهظ الديون وأفدح الفوائد !!!

وبعد : فهذا شأن السياسة الإسلامية يجب أن توظف الأخوة فى الإسلام لدعمه وترشيده واستثماره لصالح الإسلام والمسلمين .

*** وأما السياسة العالمية :**

فنعنى بها أن يدرك العاملون من أجل الإسلام أنهم حين يتحركون فى أوطانهم ،

تحسب حركتهم هذه حساباً دقيقاً على مستوى العالم كله ، ويقف العالم كله لهذه الحركة بالمرصاد يوقفها أو يقضى عليها بتدبير انقلاب عسكرى أو ثورة – كما يحلو لهم أن يسموا بها الانقلاب العسكرى – والدليل على ذلك أنه ما قام انقلاب عسكرى فى بلد إسلامى إلا عقب حركة إسلامية استطاعت أن تمد نفوذها فى الوطن الذى قامت فيه ، وما قام انقلاب عسكرى إلا وتحدى الحركات الإسلامية وحاربها بضراوة تصل إلى حد القتل فضلاً عن السجون والتعذيب وإهدار إنسانية الإنسان[1] .

إن العاملين من أجل الإسلام يجب أن يضعوا فى اعتبارهم بالنسبة للعالم كله أموراً يحسبون لها كل حساب وهم يمارسون عملهم من أجل الإسلام ، ومن هذه الأمور ما أذكره موجزاً فيما يلى :

– النظام العالمى الجديد الذى تقوده أمريكا وحدها فى الحقيقة وإن اتخذت فى ركابها بعض دول أوربا ذات المصالح المشتركة معها ضد الإسلام والمسلمين ، وخصوصاً بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والدول التى شاركت فى حرب الخليج ضد العراق ، لا بل ضد جيش عربى مسلم قوى ، وكان الأجدر بها أن تقضى على الرئيس العراقى المعتدى وحده ، لكنها تريد أن تؤمن إسرائيل بضرب جيش عربى قريب منها .

هذا النظام العالمى الجديد سكت عن ذبح المسلمين فى جمهورية البوسة والهرسك ورضى هذه التصفية الجسدية للأبرياء والأطفال والنساء ولقد رأيت فى تلفاز ألمانيا كيف كان جنود الصرب يقطعون رءوس الأطفال ويتقاذفونها بينهم كالكرة – والنظام العالمى الجديد يتعامى عن هذه الوحشية وينسى طنطنته بحقوق الإنسان .

إن النظام العالمى الجديد – أمريكا – وضع هيئة الأمم المتحدة ضد المسلمين فى جيبه يصرفها كما يشاء .

وهذا النظام العالمى الجديد يوشك أن يحتل الصومال هذه الأيام بوضعها تحت الوصاية أو الحماية أو الانتداب – وهذه منظومة عرفتها دول العالم الإسلامى وعانت منها قبل أن تتحرر من الاستعمار العسكرى فى النصف الثانى من القرن العشرين .

---

(١) ينبغى التأمل فى هذا الكلام بحياد وموضوعية للتأكد من مصداقية هذا الحقائق على مستوى العالم الإسلامى .

هذا النظام العالمى الجديد يتحدى كل حركة إسلامية بغاية الصراحة والوضوح ، ويؤلب عليها الأعداء من هنا ومن هناك حتى لو كان هؤلاء المعادين للحركة الإسلامية من المسلمين أنفسهم كما حدث فى الجزائر غداة فازت جبهة الإنقاذ الإسلامية بأكثر المقاعد فى المجلس النيابى – عقب انتخابات حرة لأول مرة فى العالم الثالث البائس الذى ألف تلفيق الانتخابات والانتقام من المرشحين الذين لا يوالون الحزب الحاكم – وكما يحدث الآن فى السودان حيث يحاول النظام العالمى الجديد أن يحاصر السودان اقتصادياً وسياسياً ويؤلب عليه سائر القوى الموالية لهذا النظام العالمى الجديد .

– وصندوق النقد الدولى وهو مؤسسة أصبحت تابعة للنظام العالمى الجديد ، هذا الصندوق الذى يمن على الفقراء بأنه يقرضهم بأعلى الفوائد وأقسى الشروط ، وهو فى الحقيقة ملك أو تحت سيطرة الدول الغنية أو الصناعية الكبرى وهى كما نعرف تعادى العالم الإسلامى وتقرض بلدانه لتجرهم إلى الخراب الاقتصادى والتبعية والعجز عن اتخاذ أى قرار فى شئونها الداخلية ، كما هو مشاهد فى كثير من بلدان العالم الإسلامى .

– وأذكر مرة أخرى بهيئة الأمم المتحدة ومدى قدرتها على تحدى كل ما هو إسلامى بأساليب ملتوية ماكرة دون حياء أو خجل ، ومع ذلك فمن أعضائها أكثر من خمسين دولة إسلامية ، وما يسىء إلى هذه الهيئة ومجلس أمنها شىء مثل صور الاعتراض « الفيتو » الذى هو من حق الدول الكبرى أو القوية أو المستعمرة – فى الماضى القريب – ومع ذلك يتشدقون بحقوق الإنسان .

إن على العاملين من أجل الإسلام أن يضعوا كل ذلك فى اعتبارهم وأن يقتنعوا بأن كل الهيئات والمنظمات المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة لا تملك إلا أن تكون كأمها هيئة الأمم المتحدة ضد الإسلام والمسلمين .

وكذلك الشأن فى رؤساء أمريكا ورؤساء دول الغرب إنهم جميعاً يتحدون أى عمل يحقق صالح الإسلام والمسلمين ، كانوا كذلك بالأمس البعيد – أيام الحروب الصليبية – وبالأمس القريب حين تحالفوا على إسقاط دولة الخلافة العثمانية بتركيا وأقاموا دولة إسرائيل فى أرضنا ، وملئوا العالم الإسلامى بالصراعات والفتن والانقلابات العسكرية التى تتحدى الإسلام والمسلمين .

٢ – موقع الأخوة فى الإسلام من هذه السياسات

أوضحنا أكثر من مرة أن الأخوة فى الإسلام عون على تنفيذ السياسات التى يضعها العالم الإسلامى كلها ، بل بدون هذه الأخوة فى الإسلام لا تستطيع أيٍ من هذه السياسات أن تعبر عن نفسها فضلاً عن أن تحقق أهدافها .

إن العنصر البشرى فى تنفيذ أى سياسة ركن ركين يقوم عليه العمل والنجاح فيه ، فإذا كان هذا العنصر البشرى من هذا الطراز المتميز الذى يبذل جهده ووقته وماله من أجل العمل الإسلامى ، وكان متآخياً فى الإسلام ، فإن النجاح عندئذ سوف يكون أيسر وآكد بفضل الله تعالى .

وعلى سبيل المثال :

فإن السياسة الآنيَّة أو المستقبلية وما تستوجبه هذه السياسة من أعمال ودعم بالجهد والوقت والمال ، وما تتطلبه بالنسبة للمستقبل من تخطيط ودراسة للتوقعات والإعداد والاستعداد لمتطلبات هذا المستقبل .

كل هذه الأعمال لا تتيسر إلا بتضافر جهود المتآخين فى الإسلام ، بل لا تستطيع أى فكرة أو دراسة أن ترى النور وتخرج إلى حيز التطبيق إلا بهذه الأخوة .

وليس من المبالغة القول بأن هذه الأعمال والدراسات بغير الأخوة فى الإسلام تظل أمانى حبيسة فيما سجلت فيه من سطور وأوراق .

وكذلك الشأن فى السياسة الوطنية أو العربية .

فالسياسة على مستوى الوطن لها متطلبات وينبغى أن تراعى اعتبارات تحدثنا عنها آنفاً .

ولا يمكن أن نواجه هذه التحديات فى أوطاننا إلا بما يقوم به المتآخون فى الإسلام من دراسات وبحوث وأعمال وتضحيات .

وكذلك الشأن فى سياسة الوطن العربى كله ، إن المتآخين فى الإسلام وقد آمنوا بضرورة مواجهة التحدى فى العالم العربى سوف لا يبخلون بجهد أو وقت أو مال فى سبيل إنقاذ الوطن العربى من أعدائه ، وإقداره على التغلب على ظروفه التى أشرنا إليها فيما سبق ، إنهم ينورون الطريق ويبثون الوعى ويقيمون المؤسسات ويقدمون الخدمات ، وينتجون ويجيدون ويخلصون لأن كل تلك الصفات هى صفات المتآخين فى الإسلام .

والسياسة الإسلامية أو العالمية وما تتطلبه من أخذ اعتبارات بعينها فى الحسبان ، ومحاولة تخليص العالم الإسلامى من أوجاعه وإزالة العقبات من طريقه ، لا يأخذ طريقه إلى الوجود إلا بتضافر جهود المتآخين فى الإسلام يبحثون ويدرسون ويحللون – ومنهم العلماء المتخصصون ومنهم القياديون – على نحو ما أوضحنا فيما مضى من هذا الكتاب[1] فيضعون لذلك الخطط والسياسات للتعامل مع التيارات والأحداث التى تحيط بالعالم الإسلامى فى حركة تبصير وتنوير تبدأ من الشارع ولا تنتهى حتى يستقيم أمر العالم الإسلامى على الوجه الذى يمكنه من السيطرة على إمكاناته وطاقاته ومواجهة أعدائه .

إن العالم الإسلامى هدف للغرب يكيد له لحاضره ومستقبله ، ولا قيام لهذا العالم الإسلامى – الواقع كله فى إطار ما يعرف بالعالم الثالث أو النامى أو الفقير – إلا بتضافر جهود المتآخين فى الإسلام .

وكذلك شأن ما كان من سياسة على مستوى العالم كله ، إن الخطوة الأولى المطلوبة من المتآخين فى الإسلام أن يحددوا بدقة مكان العالم الإسلامى من العالم كله ، وتحديد مكانته بإمكاناته البشرية والجغرافية والاقتصادية والسياسية ، ثم التخطيط لخروجه من هذه المآزق التى يفرضها عليه العالم بما فيه من تيارات صهيونية وصليبية حديثة وهيئة أمم احتواها الغرب والصهيونية وما يعرف بالنظام العالمى الجديد لتصبح متحدة ضد المسلمين أولاً وضد كل الشعوب الضعيفة الدائرة فى فلك العالم الثالث .

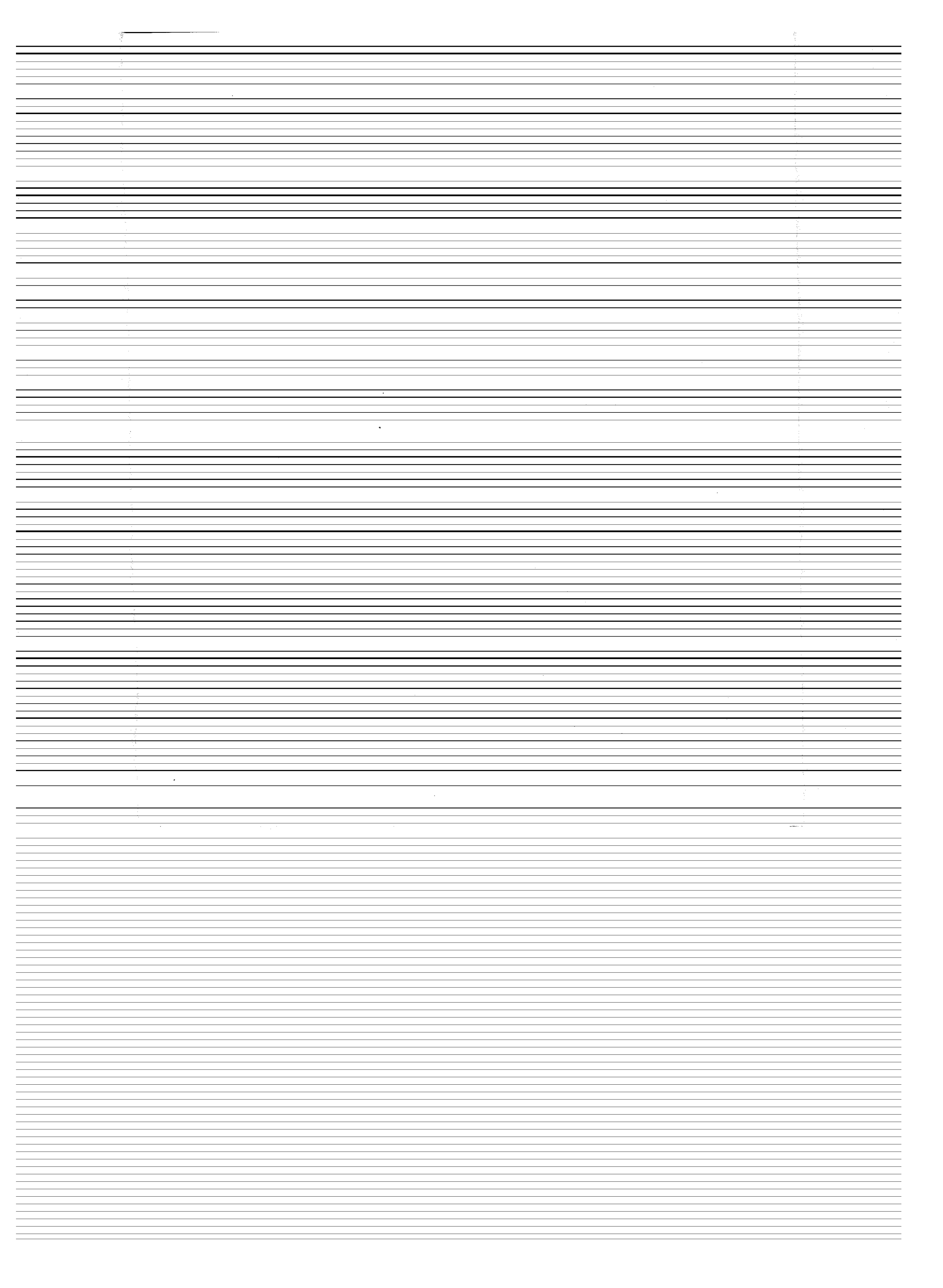
إن المتآخين فى الإسلام واجبهم كبير والعمل المناط بهم ضخم وخطير ولكنه المخرج الوحيد للعالم الإسلامى مما يعانيه فى حاضره من تشرذم وصراع وضياع وما قد يعانيه

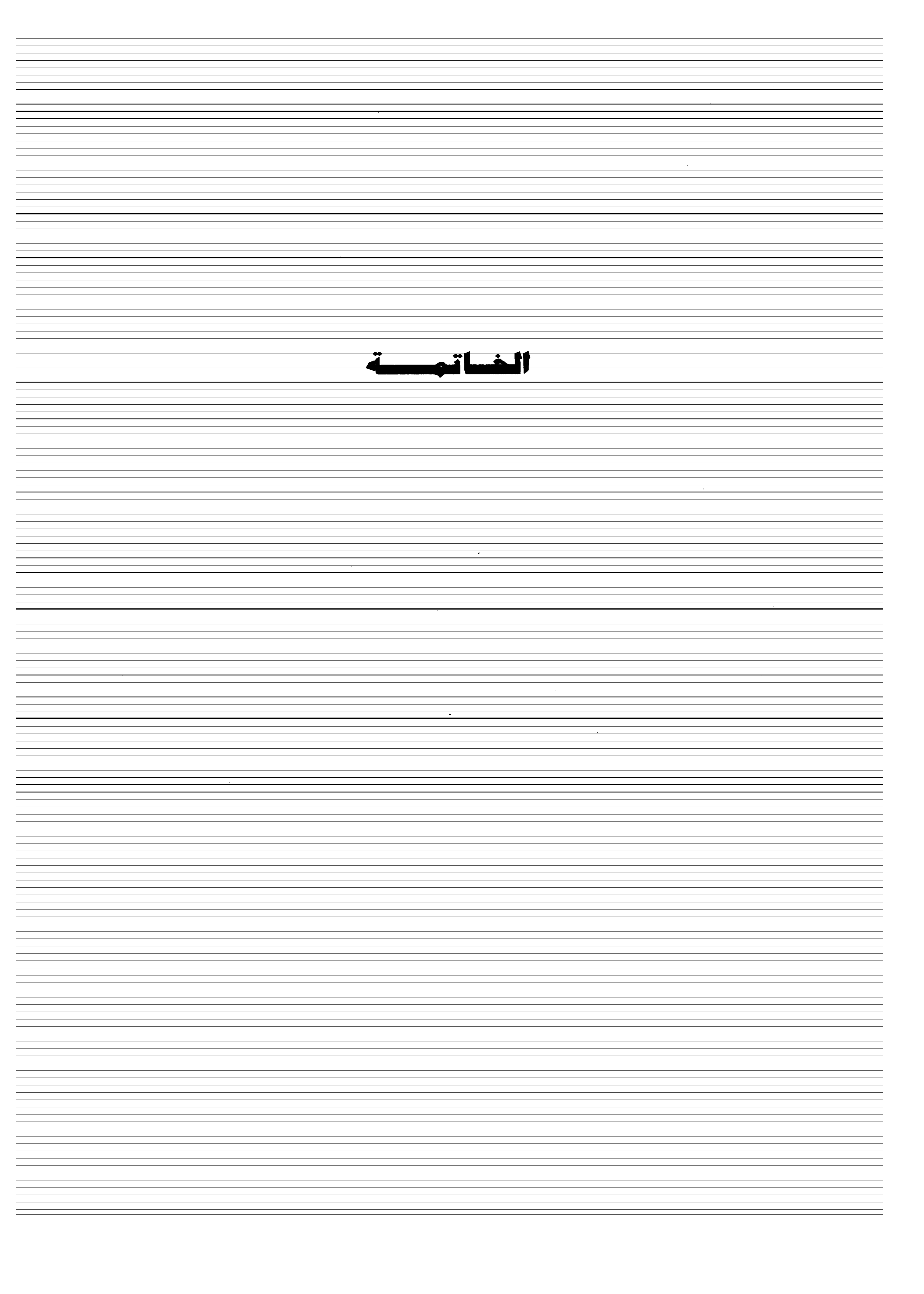
---

(١) انظر حديثنا عن الأهداف فى هذا الكتاب .

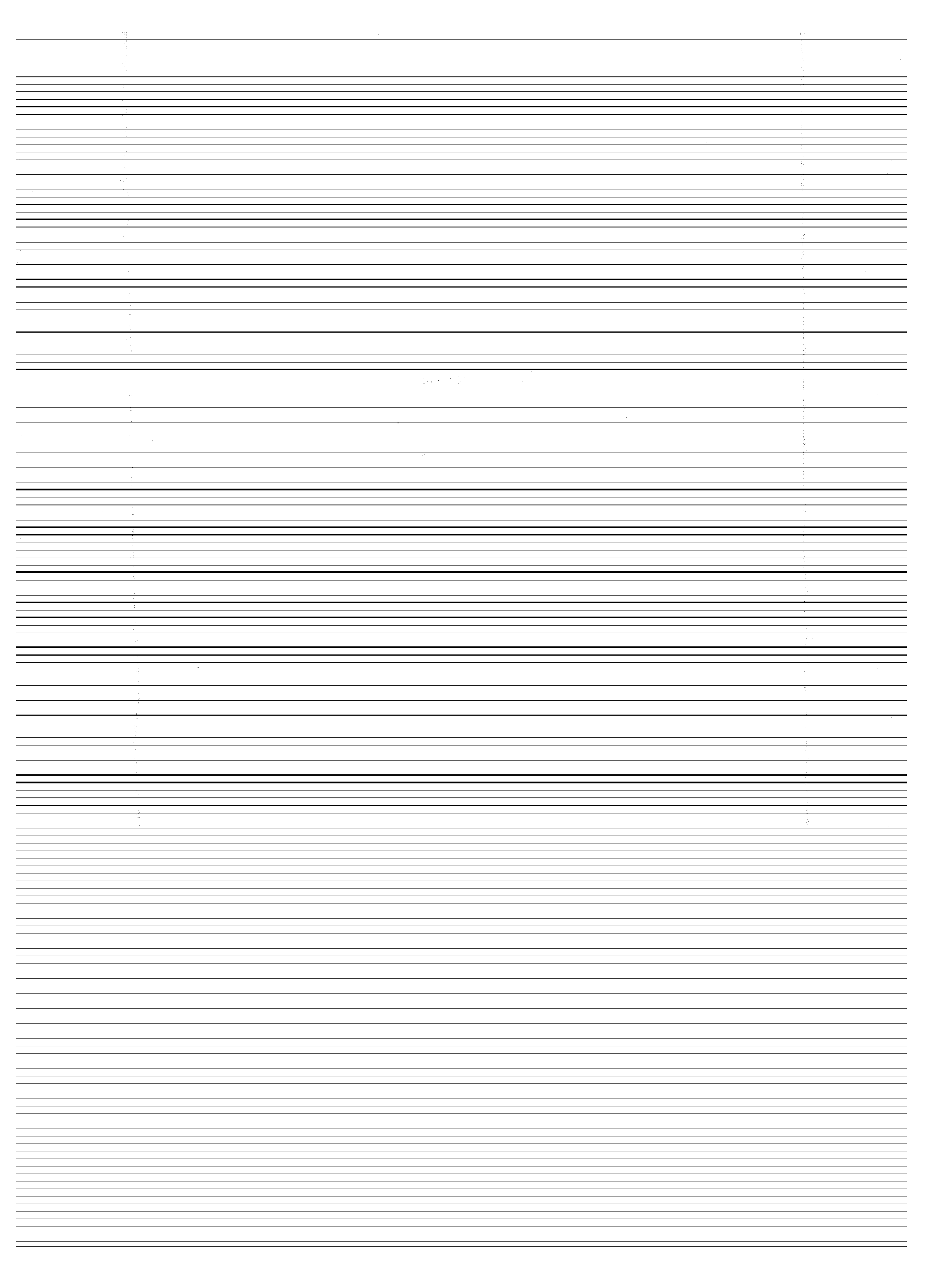
فى مستقبله من حيرة وقلق واضطراب ربما حوله إلى مستعمرات من جديد .

إن المتآخين فى الإسلام لابد أن يشد بعضهم أزر بعض على مستوى العالم الإسلامى كله بتخطيط وتنسيق يعدون ويستعدون ، وما النصر إلا من عند الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .





الخاتمة



الخاتمة

بتوفيق من الله ونعمة منه وفضل ، يسر لى أن أنهى هذا الكتاب الذى أحاول فيه من سنوات ليست بالقليلة .

وها هو قد استوى فى مدخل تناول بالشرح والتحليل إلقاء الضوء على كلمات أو مصطلحات استعملت فى الكتاب ، وأربعة أبواب :

جاء **الأول** منها موضحاً الأخوة فى الإسلام بين الحقوق والواجبات .

وكان **الثانى** من هذه الأبواب محدداً للعمل من أجل الإسلام ومدى احتياجه إلى الأخوة فى الإسلام تدعمه وتدفع به فى طريق التقدم والنماء والقدرة على تحقيق الأهداف .

وكان **الثالث** منها مبيناً لكيفية توظيف الأخوة فى الإسلام لصالح العمل الإسلامى والمسلمين بعامة .

وجاء **الباب الرابع** الأخير من هذا الكتاب ليوضح مكان الأخوة فى الإسلام بين الأهداف والوسائل والسياسات فى مجال العمل الإسلامى ، فيما يشبه التطبيق لما اشتمل عليه الكتاب من نظريات .

كان فضل الله عظيماً علىّ ، فقد ظلت أفكار هذا الكتاب حبيسة فى النفس لا تجد الوقت ولا الجهد اللذين يمكنان من التعبير عنها فى كتاب مدة تقارب ربع قرن من الزمان – هناك وأنا فى الأربعين من العمر حيث رأيت يومها الحاجة ملحة إلى تأصيل الأخوة فى الإسلام وربطها بإحكام بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ففكرت وخططت وكتبت أوراقاً وأوراقاً ، ثم صرفت عنها بمشاغل عديدة ثم عدت أفكر وأخطط وأكتب ثم انصرف عن ذلك بما له أولوية ، حدث ذلك أكثر من مرة ، ثم شاء الله وأذن ويسر وأعان ليخرج هذا الكتاب من إطار الفكر والتوجه إلى مجال الواقع المحسوس

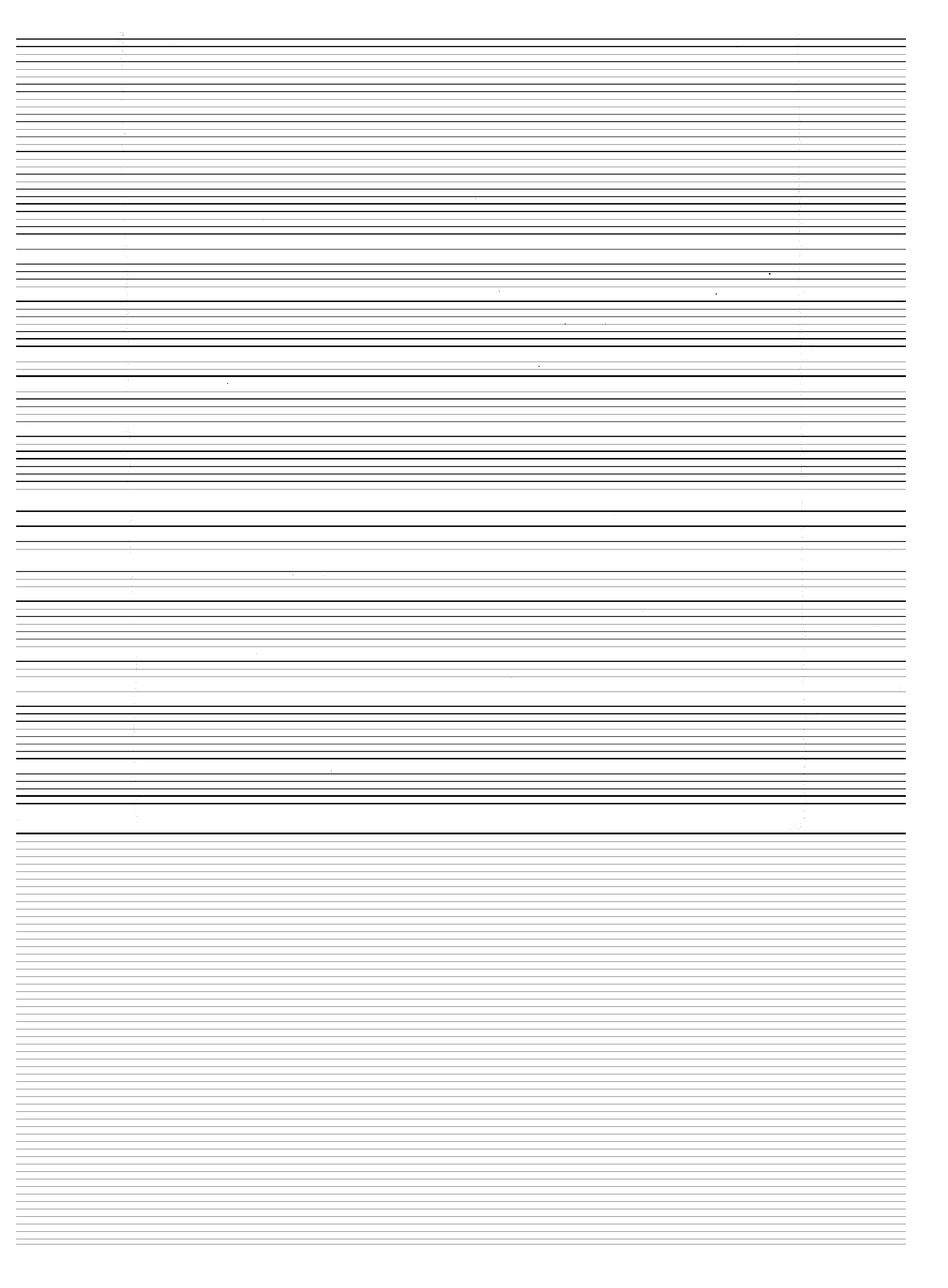
فى كتاب ، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل من قراءته فرصة للتعرف على فقه الأخوة فى الإسلام ، والالتزام بأخلاق هذه الأخوة وآدابها لأن المؤمنين إخوة .

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إلـٰه إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

* * *



ثبت موضوعات الكتاب



الفهـــرس

قائمة بأعمال المؤلف

أولاً : فى الفكر الإسلامى وقضاياه :

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج — نشر : دار الوفاء بمصر .
٢ – الغزو الفكرى فى المجتمع الإسلامى — نشر دار المنار – القاهرة .
٣ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى — نشر دار عكاظ – السعودية .
٤ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — نشر دار عكاظ – السعودية .
٥ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى — نشر المنار – القاهرة .
٦ – التعريف بسنة النبى ﷺ — مطبعة السعادة – القاهرة .
٧ – نحو منهج بحوث إسلامى — نشر : دار الوفاء – بمصر .
٨ – التراجع الحضارى – وطرق التغلب عليه — نشر : دار الوفاء – بمصر .

ثانياً : فى التربية الإسلامية :

٩ – تربية الناشىء المسلم — نشر : دار الوفاء – بمصر .
١٠ – منهج التربية عند الإخوان المسلمين — نشر : دار الوفاء – بمصر .
١١ – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين — نشر : دار الوفاء – بمصر .
١٢ – فقه الأخوة فى الإسلام — نشر : دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة .

ثالثاً : فى فقه الدعوة الإسلامية :

١٣ – فقه الدعوة إلى الله — نشر دار الوفاء – بمصر .
١٤ – فقه الدعوة الفردية — نشر دار الوفاء – بمصر .
١٥ – المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله — نشر دار الوفاء – بمصر .
١٦ – عالمية الدعوة الإسلامية — نشر دار الوفاء – بمصر .
١٧ – التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة — نشر دار الوفاء – بمصر .

رابعاً : فى الأدب والنقد :

١٨ – القصة العربية فى العصر الجاهلى — نشر دار المعارف – بمصر .
١٩ – مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه
نشر دار عكاظ – السعودية .

٢٠ - جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه
نشر دار عكاظ - السعودية .

٢١ - النصوص الأدبية - تحليلها ونقدها نشر دار عكاظ - السعودية .

خامساً : كتب تحت الطبع :

٢٢ - المدخل إلى التربية الإسلامية .

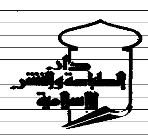
٢٣ - التربية الإسلامية فى المدرسة .

٢٤ - التربية الإسلامية فى المجتمع .

٢٥ - فقه العقيدة الإسلامية .

رقم الإيداع : ٢٨٦٠ / ١٩٩٣

I.S.B.N 977 - 265 - 069 - x



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسى ت : ٦١٨١٣٧